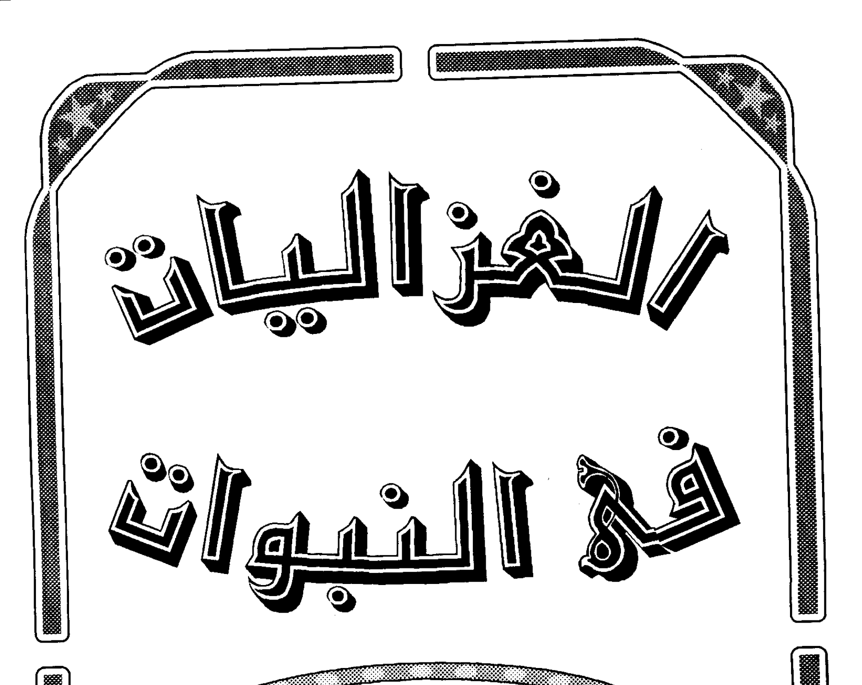
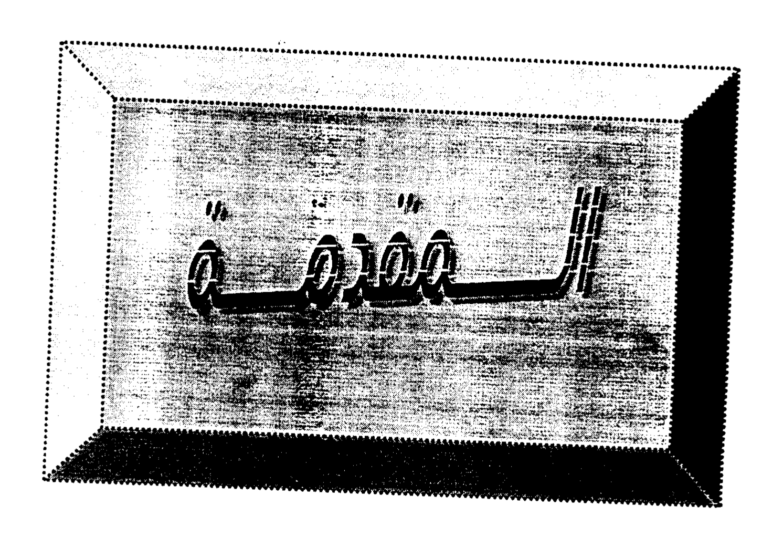
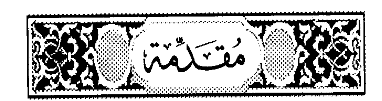


تأليف الدكتور

محمد حسينى موسى محمد الغزالى
أستاذ ورئيس قسم العقيدة
والفلسفة بكلية أصول الدين بالزقازيق

الطبعة الثالثة
١٤٢٤ هـ - ٢٠٠٣ م


المقدمة



مقدمة

الحمد لله رب العالمين . بعث الأنبياء والمرسلين ، وبين أنهم من صفوة المكرمين ، وجعلهم ﴿ " مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلاَّ يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ وَكَانَ اللّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا " ﴾(١) .

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، بيَّنَ أن إتباع المرسلين من سمة المؤمنين . وحب النبيين . وإتباعهم من حب رب العالمين . قال تعالى على لسان نبيه الخاتم الأمين سيدنا محمد ﷺ خاتم الأنبياء ، وصفوة المرسلين ﴿ " قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ " ﴾(٢) .

وأشهد أن سيدنا محمداً بن عبدالله الصادق الوعد الأمين ، بين فى حديثه الكريم ، ما روى عن عبدالله بن عمرو ، عن النبى ؟ قال « إن الله لا يقبض العلم انتزاعا ينتزعه من العباد(٣) ، ولكن يقبض العلم بقبض العلماء ، حتى إذا لم يبق

---

(١) سورة النساء – الآية ١٦٥ .

(٢) سورة آل عمران – الآية ٣١ .

(٣) يظن البعض أن الله سيرفع العلم من الصدور فى الدنيا ، وهو فهم غير وارد ، لأن ما بعده يفسره ، من أن قبض العلم بالله هو قبض أرواح العلماء بانتهاء آجالهم .

عالم اتخذ الناس رؤوسا[1] جهالا ، فسئلوا فأفتوا بغير علم وأضلوا »[2] .

اللهم صلى وسلم وبارك عليه ، وعلى آله وأصحابه الأطهار ، وأتباعه الأخيار . الذين لم تغرهم دار البوار ، وإنما تعلقوا برضوان الله جل علاه ، فى دار القرار ، متبعين التعاليم الإلهية فى القرآن الكريم ، وما جاءهم به النبى الخاتم الهاشمى المختار فى السنة النبوية المطهرة القائل .

ما رواه عنه كعب بن مالك ﷺ ، عن النبى ﷺ ، أنه قال : « من طلب العلم ليجارى به العلماء[3] ، أو ليمارى به السفهاء ، أو يصرف به وجوه الناس إليه ، أدخله الله النار »[4] ، أما من طلبه ليرضى به الواحد القهار ، فقد فاز برضوان الله تعالى ، والنظر لوجهه الكريم فى الجنة وأنعم بها من دار .

وارض اللهم عن العلماء العاملين ، أهل الشرع والدين ، واجعلنا يا رب على قواعد الشرع مهتدين ، فعن أبى الدرداء ﷺ ، أنه قال « سمعت رسول الله ﷺ يقول : من سلك طريقا يبتغى فيه علما سهل الله له طريقا إلى الجنة ، وإن الملائكة لتضع أجنحتها رضاء لطالب العلم . وإن العالم ليستغفر له من فى السماوات ومن فى الأرض ، حتى الحيتان فى الماء ، وفضل العالم على العابد ، كفضل القمر على

---

(١) فى رواية رؤساء ، ويقصد به كل كبير تبعه قومه ، ذكرا كان أو انثى ، واقتدوا به بعيدا عن أنوار الهدى الالهى ، القائم فى القرآن الكريم ، والسنة النبوية المطهرة الصحيحة .

(٢) رواه الشيخان - البخارى ومسلم - والعلامة الترمذى فى سننه .

(٣) والغاية من مجاراة العلماء هنا مجادلتهم ، ومحاولة غلبتهم حتى يصرف الناس عنهم ، وبالتالى فمن يفعل ذلك يكون صاحب رياء وسمعة ، لا صاحب علم يبتغى به وجه الله .

(٤) رواه الإمام الترمذى بسند حسن ، ورواه ابن ماجة بسند غريب .

سائر الكواكب ، وإن العلماء ورثة الأنبياء ، والأنبياء لم يورثوا ديناراً ، ولا درهما ، إنما ورثوا العلم . فمن أخذ به بحظ وافر »[1] .

أما بعد

فإن الحديث عن النبوات لم ينقطع ، لأن أنوار النبوة ما تزال قائمة فى النبى الخاتم ، سيدنا محمد ﷺ . الذى ختم الله به النبوات ، وجعل رسالته خاتمة لكافة الرسالات ، باقية إلى يوم الدين ، قال﴿ " مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَكِن رَّسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا " ﴾[2] .

وفى نفس الوقت فإن العناية بالنبوات الصحيحة السابقة على نبوة سيدنا محمد ﷺ جزء من تعاليم ديننا الإسلامى الحنيف ، قال تعالى ﴿ " إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَى نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِن بَعْدِهِ وَأَوْحَيْنَا إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَقَ وَيَعْقُوبَ وَالأَسْبَاطِ وَعِيسَى وَأَيُّوبَ وَيُونُسَ وَهَارُونَ وَسُلَيْمَانَ وَآتَيْنَا دَاوُودَ زَبُورًا " ﴾[3] .وما دام الوحى لهم جميعا واحداً ، والموحى هو الله تعالى ، والموحى به من حيث الأصول واحدا أيضا ، فإن الإيمان لا يتم للمسلم إلا إذا صدق بهم جميعا .

---

(١) رواه الإمام ابو داود فى سننه ، والترمذى كذلك ، ورواه الإمام البخارى بسند أخر قال أنه أصح من هذا .

(٢) سورة الأحزاب – الآية ٤٠ .

(٣) سورة النساء – الآية ١٦٣ .

قال تعالى ﴿ " قُولُواْ آمَنَّا باللّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَقَ وَيَعْقُوبَ وَالأسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَى وَعِيسَى وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لاَ نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ " ﴾[1] .

وقال تعالى ﴿ " آمن الرَسُولُ بما أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِ وَالْمُؤْمِنُون كُلٌّ آمَن باللّهِ وَملآئِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لاَ نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِ وَقَالُواْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ " ﴾[2] . وعلى هذا فالاهتمام بالنبوات السابقة الصحيحة أمر مهم فى ديننا الحنيف الخاتم نحن المسلمين .

غير أنه لما كانت النبوات تثبت فى أغلب أحوالها بالمعجزات ، التى لا تخضع لمقياس العلم أو توقعاته ، فقد حاول البعض – من غير أهل العرفان – الوقوع فيها جملة أو تفصيلا ، وأضافوا لذلك الوقوع ما ظنوه من قبيل الأدلة المقبولة ، وما هو إلا من قبيل الأوهام والخرافات ، التى عاشت فى عقولهم ، أو تبنتها أفكار لا قيمة لها . أما لماذا ؟

فلأن إثبات النبوات السابقة من الأمور السمعية ، وكذلك الحديث عن المعجزات . والمعروف أن السمعيات « أمور متعلقة بالغيب لا يستطيع العقل وحده إثباتها ، بل لابد من الشرع حتى يعرفه بها ، ويدله عليها ، ويأخذ بيديه حين يحاول السباحة فيها . حتى لا يغرق أو يضل فيشقى »[3] .

---

(١) سورة البقرة – الآية ١٦٣ . وقال تعالى ﴿ " قل آمنا بالله وما أنزل علينا وما أنزل على إبراهيم وإسماعيل وإسحق ويعقوب والأسباط وما أوتي موسى وعيسى والنبيون من ربهم لا نفرق بين أحد منهم ونحن له مسلمون " ﴾ سورة آل عمران – الآية ٨٤ .

(٢) سورة البقرة – الآية ٢٨٥ .

(٣) راجع كتابنا : الغزاليات فى السمعيات جـ٦ ص٦ – ط أولى ١٤١٩هـ/١٩٩٩م – ط آل بسيونى

وفى هذا الكتاب سنحاول التعرض لأمور نراها نحن ضرورية ، تقع فى :

[١]بيان ماهية النبوات والرسالة ، وكذلك النبى والرسول .

[٢]طرائق إثبات النبوات ، وكذلك ما يتعلق بخوارق العادات .

[٣]بيان الشبه التى اعتمد عليها منكرو النبوات ومناقشتها .

[٤]إثبات نبوة سيدنا محمد ﷺ ، وعموم ذلك للإنس والجن ، وإلى أن يرث الله تعالى الأرض ومن عليها .

[٥]بيان خوارق العادات على وجه تفصيلى من وجهة نظر علماء أهل السنة والجماعة[١] .

ولما كان ذلك الكتاب قد حوى - بفضل الله تعالى تلك الأمور ، فقد أسميته « الغزاليات فى النبوات وخوارق العادات » باعتبار أنه تناولها قدر المستطاع ، ولعله يفتح لىّ طريقا من طرق القبول عند الله تعالى ، فما أكتبه إلا وأنا أخذ بعين الاعتبار قول الحبيب المصطفى ﷺ .

ما رواه أبو سعيد بن أبى فضالة ، أن النبى ﷺ قال : « إذا جمع الله الناس يوم القيامة ليوم لا ريب فيه ، نادى مناد : من كان أشرك فى عمل عمله لله أحدا ، فليطلب ثوابه من عند غير الله ، فإن الله أغنى الشركاء عن الشرك »[٢] .

---

(١) أهل السنة والجماعة هم أصحاب المنهج القائم على النقل والعقل معا ، ولذا فإن طريقتهم أقوام سبيلا من غيرهم على ناحية الدراسة .

(٢) رواه الإمام الترمذى ، وروى قريبا منه الإمام الطبرانى ، وله شواهد صحيحة .

وحيث ألتمس الأجر من الله تعالى – وهو جل علاه أعلم بسرى ونجواى – فإنى أسأله جل علاه . أن يجعله عنده مأجورا . وبين الخلائق مقبولا . وما ذلك على الله بعزيز ، ففى الأثر « إن من العلم كهيئة المكنون لا يعلمه إلا العلماء بالله تعالى . فإذا نطقوا به لا ينكره إلا أهل الغفلة بالله عز وجل »[1] .

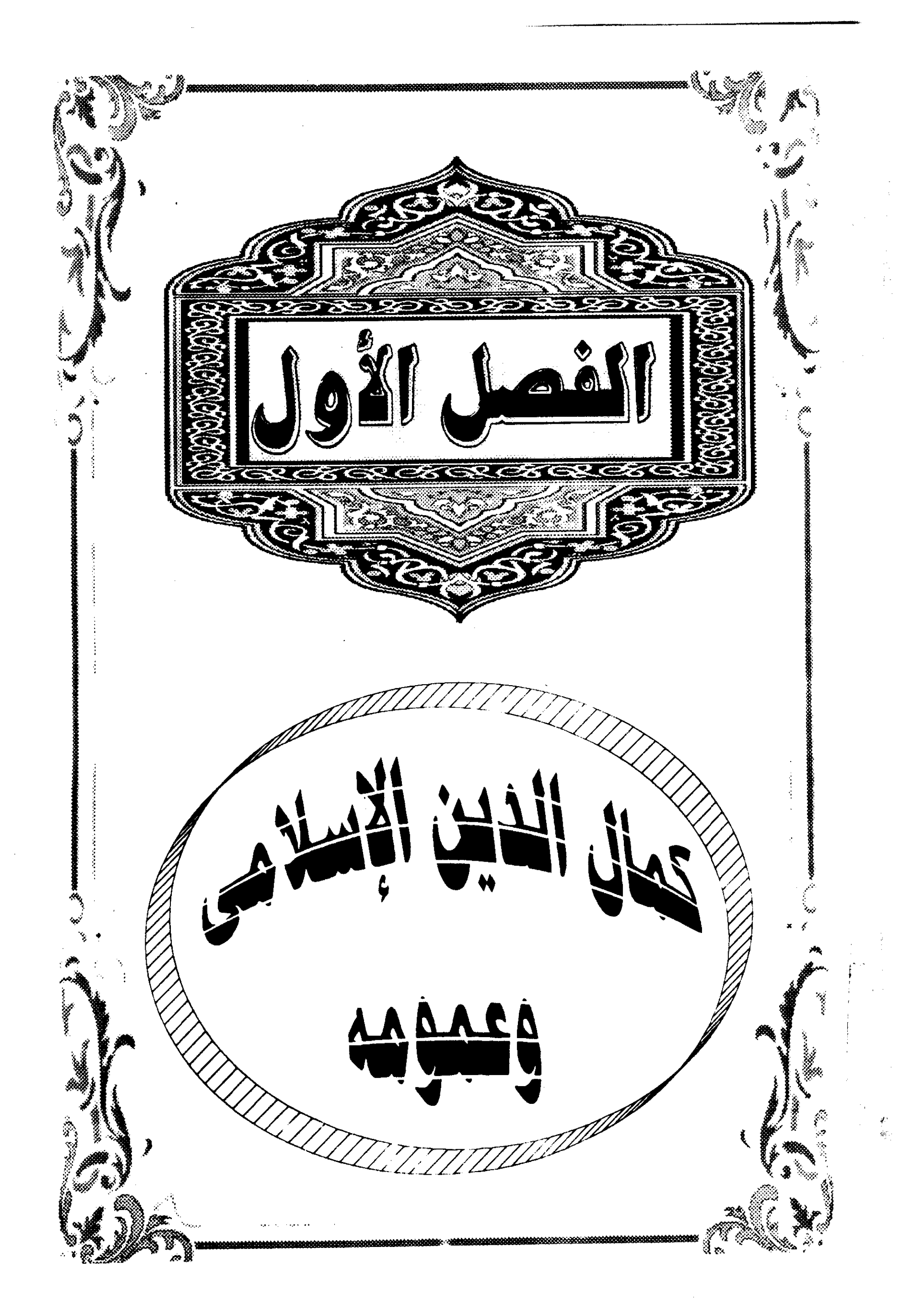
والله تعالى أسأل أن يغفر لىَّ ما قدمت ، وأن يهدينى للصواب فيما أخرت ، وأن يرزقنى حسن الخاتمة . ويجعله ذخرا لىَّ ولأهلى ، وينفع به طلاب العلم بالله . إنه تعالى نعم المولى ونعم النصير .

الدكتور
محمد حسينى موسى محمد الغزالى
غزالة الخيس – مركز الزقازيق – محافظة الشرقية
ت : ٣٠١٠٧٥ الزقازيق

(١) رواه الحافظ المندرى عن الخطيب فى الترهيب ، وابن عبدالبر فى جامع العلوم وغيرهما .

الفصل الأول

١١


الفصل الأول
كمال الدين الإسلامي
وعمومه



ما من شك فى أن كل رسالة سبقت النبوة الخاتمة كانت خاصة ، بمعنى أن : نبى زمانه كان يأتى لقوم مخصوصين ، لا يتجاوزهم إلى غيرهم ، ولذا فقد جاء بعض الأنبياء من ذات الأقوام أنفسهم ، فهو واحد منهم أخ من إخوانهم ، وهم اخوته : نلمح ذلك فى قوله تعالى :

ﷻ ﴿ " وإلى عاد أخاهم هودا قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من إلـه غيره إن أنتم إلا مفترون " ﴾[1] ، فسيدنا "هود" بعثه الله تعالى إلى قومه عاد فقط .

ﷻ ﴿ " ولقد أرسلنا إلى ثمود أخاهم صالحا أن اعبدوا الله فإذا هم فريقان يختصمون " ﴾[2] ، باعتبار أن الله تعالى أرسله إلى قوم ثمود وحدهم .

إلى غير ذلك من الآيات القرآنية ، التى تحدثت عن أولئك الأنبياء السابقين ، الذين جاءوا فى أقوامهم ، ومن ذات الأقوام يبلغونهم عن الله تعالى أوامره ونواهيه ، ويعرفونهم شرع الله الحكيم ، ويأخذون بأيديهم إلى طريق النجاة فى الدنيا والآخرة ، حيث يرضى عنهم رب العالمين جل علاه .

بل كان الأنبياء والمرسلون يلمح كل نبى فيهم إلى من سيأتى بعده ، فى ذات الأمة ، ويتحدث عنه صراحة[3] ، حيث تكون العبارة هى القائمة بدل الإشارة المفهومة ، متى كان فى هؤلاء القوم نوع من التبلد الفكرى ، أو رغبة فى المماراة .

---

(١) سورة هود الآية ٥٠ .

(٢) سورة النمل – الآية ٤٥ .

(٣) كما فى إشارة سيدنا موسى عليه السلام بنبوة سيدنا عيسى ابن مريم فى بنى إسرائيل .

فلما جاء وقت إرسال نبينا الخاتم البشير سيدنا محمدﷺ ، صارت البشارات به صريحة ناطقة باسمه وصفته[1] ، قائمة فى كتبهم التى بأيديهم ، وتحدث عنها القرآن الكريم على سبيل الإعجاز القائم إلى يوم القيامة .

﴿الله﴾ قال تعالى ﴿ " وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُم مُّصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَاةِ وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِن بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ فَلَمَّا جَاءهُم بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا هَذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ " ﴾[2] .

ولو جاءهم بكل البينات ما انصرفوا عن الجدل والتكذيب . لأنهم طبعوا عليه . ولكن نبوة سيدنا محمد ﷺ قائمة وثابتة إلى يوم الدين ، قال تعالى ﴿ " مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَكِن رَّسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا " ﴾[3] . ونوره ﷺ قائم إلى يوم الدين .

فهو النبى الخاتم لكل الأنبياء ، حتى قيام الساعة . ولكل الأمم فى الإنس والجن وغيرهم ممن جعل الله إرساله فيهم ، بل هو رحمة الله للعالمين ، قال تعالى ﴿ " وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ " ﴾[4] .

وقال تعالى ﴿ " هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ " ﴾[5] ، فالله ﷻ أرسل سيدنا محمداً ﷺ بالدين الخاتم

---

(١) كما فى قول سيدنا عيسى عليه السلام بنبوة سيدنا محمد ﷺ .

(٢) سورة الصف الآية ٦ .

(٣) سورة الأحزاب الآية ٤٠ .

(٤) سورة الأنبياء الآية ١٠٧ .

(٥) سورة الصف الآية ٩ .

الذى غطى كافة الرسالات السابقة ، وصار مهيمنا عليها جميعا ، ولذا سمى الدين الذى بعثه الله ﷻ به دين الحق ، ووصفه الله ﷻ بأنه الذى يظهر على كافة من سبق بكونه صاحب الرسالة الخاتمة العامة الخالدة .

روى الإمام البخارى بسنده عن عطاء بن يسار قال « لقيت عبدالله بن عمرو بن العاص[1] ، قلت له أخبرنى عن صفة رسول الله ﷺ ، قال أجل : والله إنه لموصوف فى التوراة ببعض صفته فى القرآن ﴿ " يا أيها النبي إنا أرسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا " ﴾[2] ، وحرز للأمين[3] ، أنت عبدى ورسولى سميتك المتوكل ، ليس بفظ ، ولا غليظ ، ولا صخاب فى الأسواق ، ولا يدفع السيئة بالسيئة ، ولكن يعفو ويغفر ، ولن يقبضه الله حتى يقيم به الله الملة العوجاء ، بأن يقولوا لا إله إلا الله ، ويفتح به أعينا عميا ، وآذنا صما ، وقلوبا غلفا »[4] ، وكان ذلك من بعض صفات سيدنا محمد رسول الله ﷺ فى التوراة .

وفى بعض الروايات عن عبدالله بن سلام ، وكعب الأحبار ما ذكره ابن إسحاق . ولا صخاب فى الأسواق ، ولا متزين بالفحش ، ولا قوال للخنا ، أسدده لكل جميل ، وأهب له كل خلق كريم ، واجعل السكينة لباسه ، والبر شعاره ، والتقوى ضميره ، والحكمة معقولة ، والصدق والوفاء طبيعته ، والعفو والمعروف

---

(١) كانت له معرفة بقراءة ما بقى من توراة توارثها البعض ، ثم انقضى أمرها عند بعثة سيدنا محمد ﷺ .

(٢) سورة الأحزاب – الآية ٤٥ ، وهو جزء من رواية الحديث أيضا .

(٣) وقال تعالى ﴿ " هو الذي بعث في الاميين رسولا منهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة وإن كانوا من قبل لفي ضلال مبين " ﴾ سورة الجمعة الآية ٢ .

(٤) صحيح الإمام البخارى – كتاب البيوع ، وصحيح البخارى بشرح الكرمانى جـ١٠ ص١٧ ، ومسند الإمام أحمد جـ٢ ص١٧٤ .

خلقه . والعدل سيرته . والحق شريعته . والهدى إمامه . والإسلام ملته . وأحمد اسمه ، أهدى به بعد الضلالة ، وأعلم به بعد الجهالة ، وارفع به بعد الخمالة ، واسمى به بعد النكرة ، وأكثر به القلة ، وأغنى به بعد العيلة ، وأجمع به بعد الفرقة ، وأولف به بين قلوب مختلفة ، وأهواء متشتتة ، وأمم متفرقة ، واجعل أمته خير أمة أخرجت للناس[1] .

وفى بعض الروايات « أخبرنا رسول الله ﷺ عن صفته فى التوراة ، حسب ما ذكرها رب العالمين ، فقال جل علاه : عبدى أحمد المختار ، ومولده بمكة ، ومهاجرة بالمدينة ، وفى رواية أخرى طيبة أمته ، الحمارون لله على كل حال »[2] .

من ثم فإن النبوات السابقة قد أخبرت بنبوة سيدنا محمد ﷺ ، وأنه الخاتم ، ورسالته عامة شاملة للإنس والجن ، كما أن كل نبى سبق فى البعث والإرسال النبوة الخاتمة كانت نبوته خاصة لقومه وحدهم ، أما سيدنا محمد ﷺ فهو النبى الخاتم ، ورسالته الخالدة الدائمة الخاتمة .

وفى الحديث الشريف قال رسول الله ﷺ « فضلت عن الأنبياء بستٍ منها نصرت بالرعب مسيرة شهر ، وختم بى النبيون ، وكان كل نبى يبعث إلى قومه خاصة ، وبعثت للناس كافة » ، وداخل فى المفهوم العموم الزمانى والمكانى .

---

(١) راجع فى هذا الاعلام بما فى دين النصارى من الفساد والأوهام للقرطبى ، والنور المبين للإمام أبى العزائم ص٢٣٤ ، وغيرهما من المؤلفات التى عنيت بالحديث عن ذلك الجانب .

(٢) راجع المقدمة للعلامة الدرامى ، وكذلك النور المبين للإمام أبى العزائم .

قال العلامة محمد نووى الشافعى « والتحقيق أنه ﷺ مرسل لجميع الأنبياء والأمم السابقة ، لكن باعتبار عالم الأرواح ، لأن روحه خلقت قبل الأرواح . وأرسلها الله إليهم فى عالم الأرواح فبلغت الجميع ، والأنبياء نوابه ﷺ فى عالم الأجساد ، فهو مرسل لجميع الناس من لدن آدمعليه السلام إلى يوم القيامة ، حتى إلى نفسه لدخول الجميع تحت قوله ﷺ : بعثت إلى الناس كافة »[1] .

فى نفس الوقت فإن كل رسالة سابقة جاءت تحمل طابع الخصوص فى معالجة أمراض القوم الذين بعث فيهم النبى ذاته ، ولذا فهى لم تشتمل إلا على ما يخص هؤلاء القوم وحدهم . بحيث يصعب تطبيقها على أقوام آخرين ، ومن ثم فلم يكلف الله تعالى الأقوام الآخرين التزام ما فيها من السلوكيات ، طالما أنها لم تكن إليهم . ولم يعلن النبى المبعوث فيهم التزامهم بها .

وآية ذلك أن بعض تلك الرسالات كان النبى المبعوث فيهم – فى الجانب المتعلق بالتكاليف السلوكية ، أو المطعومات وغيرها – يحرم على قومه ما كان مباحا عند غيرهم ، أو يبيح لهم ما كان محرما على غيرهم ، تنفيذا لتعاليم الله تعالى ، من ذلك قوله جل علاه ﴿ " وَعَلَى الَّذِينَ هَادُواْ حَرَّمْنَا كُلَّ ذِي ظُفُرٍ وَمِنَ الْبَقَرِ وَالْغَنَمِ حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ شُحُومَهُمَا إلا مَا حَمَلَتْ ظُهُورُهُمَا أَوِ الْحَوَايَا أَوْ مَا اخْتَلَطَ بِعَظْمٍ ذَلِكَ جَزَيْنَاهُم بِبَغْيِهِمْ وِإِنَّا لَصَادِقُونَ " ﴾[2] .

---

(١) العلامة الشيخ محمد نووى الشافعى – نور الظلام على شرح منظومة عقيدة العوام ص٢٥ ط الحلبى .
(٢) سورة الأنعام – الآية ١٤٦ .

ثم أحلها الله تعالى لبنى إسرائيل مع نبى الله عيسى ابن مريم – صلى الله عليه وعلى نبينا وسلم – قال تعالى ﴿ " وَلاحِلَّ لَكُم بَعْضَ الَّـذِي حُـرِّمَ عَلَيْكُـمْ " ﴾[1] . لا ترضية لهم . وإنما تنفيذا لتعاليم الله تعالى ، العليم بالعلل والأمراض وعلاجاتها .

لا يقال أن الرسالات السماوية تختلف فى أصول العقيدة الإلهية ، لأن ذلـك غير وارد أصلا . إذ مسائل العقيدة الإلهية لدى كل الأنبياء والمرسلين واحدة ، قال تعالى ﴿ " مَا يُقَالُ لَكَ إلا مَا قَدْ قِيلَ لِلرُّسُلِ مِن قَبْلِكَ إنَّ رَبَّكَ لَـذُو مَغْفِـرَةٍ وَذُو عِقَـابٍ أَلِيم " ﴾[2] ، وبهذا استقر فـى الأفـهام أن الرسـالات الإلهيـة أصولهـا فـى ناحيـة العقيدة واحدة ، من لدن آدم عليه السلام إلى النبى الخاتم ، حتى تقوم الساعة .

فالأنبياء والمرسلون من قبل الله تعـالى جميعـا دينـهم واحـد ، وهـو الأصـول الإيمانية التى تقوم عليـها العقيـدة الصحيحـة ، لكـن اختلافـهم فـى السـلوكيات العمليـة . أو فـى المنـاهج العلميـة والشـرائع السـلوكية ، طبقـا لمـا يتناسـب مـع أقوامهم . تنفيذا للأمر الإلهى ، العليم بكل شيء جل علاه ، قال تعـالى ﴿ " لكـل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا " ﴾[3] ، فالشـرعة هـى مـا شـرعه الله تعـالى لعبـاده ، بحيث يهديـهم لخالقـهم العظيـم ﷻ ، ويحملـهم علـى التكـاليف التـى يتمكنـون منها . والمنهاج هو ممارسة النبى ذاته لنفس التعـاليم ، حتـى يكـون هـو القـدوة الذى يقتدون به . ويقومون على تطبيق سلوكياته فيما بينهم .

---

(١) سورة آل عمران الآية ٥٠ .

(٢) سورة فصلت الآية ٤٣ .

(٣) سورة المائدة الآية ٤٨ .

إذن كل رسالة سابقة كانت خاصة لذات القوم فى الجانب العملى فقط ، باعتبار أن الدين الإلهى يقوم على جزأين :-

الجزء الأول : العقيدة :- وهى الجانب النظرى فى الدين الإلهى ، ويتعلق به الإيمان القائم على « أن تؤمن بالله وملائكته ، وكتبه ورسله ، واليوم الآخر ، والقدر خيره وشره »[1] ، وهذا الجانب النظرى لا يحتاج إلى مجهود جسدى من صاحبه ، إنما يحتاج فقط صدق القلب مع الله تعالى .

ولذا فمن السهل على صاحب العقيدة الصحيحة أن يتمسك بها ، دون أن يجبره أحد على غيرها . وإذا أجبر على القول بغير العقيدة الصحيحة ، فإن هذا الإجبار لا قيمة له ، باعتبار أنه إكراه على التلفظ بالقول فقط ، لم يبلغ مرحلة الاعتقاد[2] .

قال تعالى ﴿ " من كفر بالله من بعد إيمانه إلا من أكره وقلبه مطمئن بالايمان ولـكن من شرح بالكفر صدرا فعليهم غضب من الله ولهم عذاب عظيم " ﴾[3] .

الجزء الثانى : الشريعة :- وهى الجانب العملى فى الدين الإلهى ، ويتعلق به مطابقة العقيدة للشريعة . أو مطابقة الجانب النظرى للعملى ، ولذا فإن الكثير من

---

(١) صحيح الإمام مسلم بشرح النووى جـ١ ص١٥٧ عن عمر بن الخطاب ﷺ ، وفتح البارى بشرح صحيح البخارى جـ١ ص٩٦/٩٧ عن أبى هريرة ﷺ .

(٢) ويذهب العلماء إلى أن من أكره على التلفظ بالكفر ، ونطق به مستخدما الرخصة ، فلا شىء عليه طالما كان إيمانه صحيحا ، وعقيدته فى الله ﷻ ثابتة .

(٣) سورة النحل – الآية ١٠٦ .

العلماء يذهبون فى تعريف الإيمان إلى أنه « ما وقر فى القلب ، وصدقه العمل »[1] . ولا شك أن ذلك الجانب عملى ، لأن فيه ممارسة عملية .

فالصلاة ، والزكاة ، والصوم ، والحج ، كلها أمور عملية ، تصير واجبة على المسلم بشروطها ، التى فصلتها الشريعة الإسلامية الغراء على سبيل الوجوب ، أو الإباحة والندب ، إلى غير ذلك من الوجوه[2] ، التى جاءت عليها الأحكام الشرعية .

كما أن فيها المعاملات المتعلقة بالاقتضاء ، والبيع والشراء ، والرهن والسلم ، وغيرها من الأمور التى يقوم فيها أمر التعاملات اليومية مع الناس ، على سبيل المعارضة والمعاوضة ، وكلها أمور عملية ، وتخضع لأحكام الشريعة الإسلامية من ناحية الحكم عليها بالحل ، أو الحرمة ، أو غير ذلك من الوجوه الشرعية .

أضف إلى ما سبق القيم الأخلاقية التى تتعلق بالثوابت العامة ، التى هى مصدر ثابت ، كالصدق ، والخير ، والحب ، والاحترام ، بجانب الشجاعة والكرم ، ونجدة المستغيث ، وتفريج كرب المكروب ، إلى غير ذلك من القيم

---

(١) الشيخ / محمد عبدالباقى حسن – دراسات فى العقيدة ص١٣ ط أولى ١٩٤١م .

(٢) الأحكام نوعان : الأول : العقلى :– وهو (أ) الواجب : وهو الثابت الذى لا يقبل العدم أصلا . (ب) المستجبل : وهو الذى لا يقبل الوجود أبدا . (جـ) الممكن أو الجائز : وهو الذى يمكن وجوده أو عدمه ، فإذا وجد فلابد له من موجد ، وإذا أعدم فلابد له من معدم ، وهو الله تعالى . الثانى : الشرعى :– وهو « ١– الحلال ، ٢– الحرام ، ٣– المكروه ، ٤– المباح ، ٥– الحرام » ، وللعلماء فى ذلك تفاصيل كثيرة – راجع الكافية فى الجدل لإمام الحرمين ، والورقات ، وكذلك الاحكام فى الاحكام ، وغيرها من كتب الأصول .

الإيجابية[1] ، التى فيها صالح الإنسانية ، متى طبقت على النحو الذى شرعه الله رب العالمين ، وهى كلها أمور عملية فى نتائجها[2] ، وإن لم تكن بعضها عملية فى ممارستها .

والرسالات السابقة كلها كانت خاصة فى سلوكياتها وتشريعاتها العملية ، فلم تكن مناسبة ، إلا لقوم مخصوصين ، وفى حدود فترة زمانية محددة ، وهى طبيعة قائمة فى كافة الرسالات الخاصة ، بحيث لا يقع شيء منها فى دائرة الاستثناء ، فالرسالة التى جاء بها نبى الله موسى عليه السلام لبنى إسرائيل كانت خاصة لهم وحدهم ، ولفترة محددة من الزمان ، بمعنى أنه لو قابله من ليس من بنى إسرائيل ، فإن كليم الله موسى عليه السلام لا يتوجه إليه بالإبلاغ ، وأن توجه إليه بالنصح واتباع النبى الذى بعث فى غير بنى إسرائيل .

وفى الحديث الشريف قوله ﷺ « كانت بنو إسرائيل تسوسهم الأنبياء ، كلما هلك نبى خلفه أخر ، وأنه لا نبى بعدى »[3] ، وما دام الأمر كذلك فإن النبوات السابقة فى الوجود الزمانى على النبوة الخاتمة ، كانت تحمل من التكاليف ما تطيعه العقول الموجودة فى أزمانها ، وكل رسالة كانت تمهد للتى بعهدها ، وترقى بالعقول درجا ، حتى جاءت النهاية مع الرسالة الخاتمة ، التى بعث بها سيدنا محمد ﷺ .

---

(١) الدكتور / عبدالحميد محمود عبدالمعز – فلسفة القيم ص٢٤ ط أولى ١٩٦١م .

(٢) وذلك محل خلاف بين العلماء ، فمنهم من يذهبون إلى أن القيم عملية متى خرجت عن صاحبها ، أما إذا بقيت كافية منه فهى نظرية تجول فى ذهنه باحثة عن مخرج لها ، ويرى غيرهم خلاف ذلك .

(٣) الحديث طرقه كثيرة ، واعتبره البعض من المتواتر المعنوى

بيد أننا نؤكد إن الإسلام هو الدين الإلهى ، الذى جعله الله تعالى للأنبياء والمرسلين من آدم عليه السلام إلى سيدنا محمد ﷺ ، وسيظل ذلك الأمر قائما إلى يوم القيامة . قال تعالى ﴿ " ما كان إبراهيم يهوديا ولا نصرانيا ولكن كان حنيفا مسلما وما كان من المشركين " ﴾[1] .

وإذا كان ذلك هو حال خليل الرحمن عليه السلام فإن الأمر الوحيد الذى يمكن قبوله ، هو أن سائر الأنبياء قبله وبعده حتى سيدنا محمد ﷺ كانوا جميعا مسلمين يدعون للإسلام . وإن تسمية الرسالات باليهودية أو النصرانية ، كان من باب تسميات الاستعمال . لا تسميات البعث والإرسال ، أو أنها تسميات باعتبار المبعوث فيهم ، أو المرسل إليهم من حيث المكان والزمان .

لما هو معروف من أن اليهودية منطقة بجزيرة العرب ، آوى إليها يهوذا قديما ، وكان يهوذا ذلك من سكان أسيا جهة الغرب ، أو هو من بلاد فارس المعروفة[2] ، وقد اختار زوجا له ممن لا يرتضيها أهله ، فهربا منهم ، وظلا – يهوذا وزوجه – يتنقلان حتى بلغا جزيرة العرب ، وهناك ضربا الخيمة ، فلما وصل عندهما الرحل المتنقلون ، سألوهما عن اسم رجل الخيمة ، فقيل لهم هو يهوذا ، فسميت الأرض التى وجدوه عليها باسم اليهوذية .

---

(١) سورة آل عمران – الآية ٦٧ .

(٢) كان الرحل المتنقلون إذا وجدوا ماءا ، أطلقوا عليها اسم من يقيم قريبا منها ، وإذا نزلوا أرضا وجدوا عندها أحدا ، أطلقوا اسمه عليها ، ومنها آبار على ، وأرض كنعان ، وسهل عنيزة ، إلى غير ذلك من التسميات . راجع فى هذا الشأن كتاب الحيوان للجاحظ .

ثم حدث تصحيف للكلمة عند الاستعمال الجديد ، فحذفت نقطة الذال ، فصارت اليهودية[1] ، وظل التعامل بها إلى يومنا هذا ، فهو تعامل على مكان أطلق عليه فى الماضى اسم شخص أقام به ، أو استراح عنده ، وليس ذلك من الأدلة على امتلاك اليهود أرض فلسطين ، وإنما هو دليل على أن اليهود قد اغتصبوا تلك الأرض من قديم الزمان ، وإن أصحاب الديار الأصليين وسعوهم فيها[2] ، فلما أمكن لليهود أن يعلنوا العصيان ، رفعوا رايته عاليا ، وأكدوا أنهم فى تلك البلاد من قديم ، وأنها أرض لهم ، وما هم إلا كذبة مغتصبون ، فاليهودية اسم مكان ، وليس رسالة إلهية ، أو ديانة ربانية .

وكذلك النصرانية فهى نسبة إلى قرية الناصرة ، التى أقام فيها المسيح عيسى ابن مريم – عليه وعلى نبينا أفضل الصلاة وأتم التسليم – بعد انتقال أمه به من بيت لحم إلى الناصرة ، ولذا كان يعرف سيدنا عيسى ابن مريم ﷺ بالناصرى[3] ، فلما بعثه الله تعالى إلى بنى إسرائيل ، كانت بدايته من الناصرة التى فيها إقامته ، ثم باقى القرى المحيطة بها ، بحيث تشمل بقايا بنى إسرائيل فقط ، ولذا سميت النصرانية نسبة لذات المكان[4] ،فدعوة سيدنا عيسى ابن مريم ﷺ لبنى إسرائيل فقط ، ولمدة زمانية انتهت بانتهائه .

---

(١) الدكتور / محمد لطفى الشرنوبى – اليهودية أصولها ومزاعمها ص٢٢ ط أولى ١٩٥٣م ط كركوك .

(٢) راجع فى هذا الشأن : الصهيونية وليدة اليهود للأستاذ / نور الدين فطيم ط ثانية ١٩٤٦م – دار منار

(٣) هى مدينة فى الخليل فى الجزء الثانى من فلسطين ، وهى تقوم على جبل مرتفع ، ويرى منها جبل الشيخ ، والكرمل ، ويبتعد أربعة عشر ميلا إلى الغرب من بحيرة طبريا – راجع قاموس الكتاب المقدس ص٩٤٦ .

(٤) راجع فى هذا الشأن كتابنا : عقيدتنا رفع عيس ونزوله بين الإسلام والنصرانية ، وكذلك كتابنا : وميض النصرانية بين غيوم المسيحية ، ففيهما شيء من تفصيل القول عن تلك المسائل .

فلما انقضت دعوة سيدنا عيسى عليه السلام ، وانتهت حياته على الأرض ، انتهت العلاقة القائمة بينه وبين أولئك الذين كانوا من الناصرة ، أو سموا بالنصارى ، لتحل محلها ديانة وضعية من صنيع بولس - شاؤل - اليهودى الأصل ، الذى دخل إلى الناصرة مطاردا عيسى ابن مريم عليه السلام ومن معه . تنفيذا لتعليمات بيلاطس الحاكم الرومانى ، وإشباعا لنزعة داخلية ظلت قائمة فى صدر أتباع اليهودية إلى يومنا هذا .

غير أن بولس كان محنكا سياسيا[1] ، فلما رأى أن القضاء العسكرى على أتباع عيسى ابن مريم عليه السلام قد يطول ، أو يحول الأمر معهم إلى العنف ، فيزداد الأنصار ، لجأ إلى الخداع وإعلان الدخول فى النصرانية ، ولما استجاب له القوم ، قام بإحداث التغيرات التى رآها تصل به إلى غرضه ، فأعلن أن :-

[١] **المسيحية بدل النصرانية** ، وأن المسيحية هى الوريث الوحيد للنصرانية[2] . رغم أنه لا توجد نصرانية ، ولا مسيحية ، إنما الدين الوحيد المقبول هو الإسلام ، الذى شرعه للعالمين .

قال تعالى ﴿ " إن الدين عند الله الاسلام وما اختلف الذين أوتوا الكتاب إلا من بعد ما جاءهم العلم بغيا بينهم ومن يكفر بآيات الله فإن الله سريع

---

(١) راجع بولس والمسيحية للدكتور / محمد أبو الغيط السيد الفرت ، فقد تحدث عنه بشيء من التفصيل .

(٢) الأستاذ / فتحى محمود أسعد - دراسات فى المسيحية - التسمية والعقائد ص٣١ ط الأولى ص١٩٤٣م .

الْحِسَابِ " ﴾[1] ، وقال تعالى ﴿ " وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ الاسْلامِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الاخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ " ﴾[2] .

[٢] **الآلهة ثلاثة** « الإله الآب ، الالـة الابـن ، الإلـه الـروح القـدس » ، والله بيَّـن كذبها . قال تعالى ﴿ " لَّقَدْ كفَرَ الَّذِينَ قَالُواْ إِنَّ اللّهَ ثَالِثُ ثَلاثَةٍ وَمَا مِنْ إِلَـهٍ إِلا إِلَـهٌ وَاحِدٌ وَإِن لَّمْ يَنتَـهُواْ عَمَّا يَقُولُـونَ لَيَمَسَّنَّ الَّذِيـنَ كَفَـرُواْ مِنْـهُمْ عَـذَابٌ أَلِيمٌ " ﴾[3] .

[٣] **المسيحية دعوة عالمية قائمة فى كل البلاد والأزمان** ، « وهـم كـاذبون ، لأن نصوصهم ذاتها تقول : ما جئت إلا لخراف بيت إسرائيل الضالة »[4] .

[٤] **المسيحية خالدة ، وأتباعها فى الرب يختطفون**[5] « وقد بـان كـذب المدعين لها ، وإسرافهم على أنفسهم فيها وغيرها ، ولو كانوا على صدق مما زعموا ، لما اختلفوا فى ذات المسألة بهذه الأشـكال المتباينـة ، وفـى نفس الوقت فلـو

---

(١) سورة آل عمران الآية ١٩ .

(٢) سورة آل عمران الآية ٨٥ .

(٣) سورة المائدة الآية ٧٣ .

(٤) ولما كان المعلوم أن النبوة المحمدية التى جاءت بعد نبى الله عيسى ابن مريم عليه السلام هى النبوة الخاتمة علـى نبينا أفضل الصلاة وأتم التسليم ، التى بشر بها نبى الله عيسى ابن مريم عليه السلام ، وجـاء ذكـر ذلـك فى القرآن الكريم ، من قوله تعالى ﴿ " وإذ قال عيسى ابن مريم يا بني إسرائيل إني رسـول اللـه إليكـم مصدقا لما بين يدي من التوراة ومبشرا برسول يأتي من بعدي اسمه أحمد فلما جاءهم بالبينات قـالوا هذا سحر مبين " ﴾ « سورة الصف – الآية ٦ » ، ومن أسماء سيدنا رسول الله ﷺ « أحمد ، محمـد ، العاقب ، والبشير ، والنذير » إلى غير ذلك من الأسماء الثابتة له ﷺ فى القرآن الكريم والسنة النبويـة المطهرة الصحيحة .

(٥) القس بطرس يعقوب – المسيح والمختطفون فيه ص١٣ ط أولى ١٩٤١م .

كانت خالدة – كما زعموا – ما بشر عيسى ابن مريم عليه السلام بالنبوة الخاتمة فى لفظ الفارقليط »[1] . الذى جاءت الكتب التى بين أيديهم .

[٦] **المسيح صلب وقتل وقبر** ، وقد بين الله تعالى كذب ذلك كله فى قوله تعالى ﴿ " وبكفرهم وقولهم على مريم بهتانا عظيما وقولهم إنا قتلنا المسيح عيسى ابن مريم رسول الله وما قتلوه وما صلبوه ولكن شبه لهم وإن الذين اختلفوا فيه لفي شك منه ما لهم به من علم إلا اتباع الظن وما قتلوه يقينا " ﴾[2] .

[٧] **المسيح قام بين الأموات ، وصعد إلى بيت الإله الآب فى السماء**[3] ، حيث يجلس فى بيت الرب . ومعه جمع كبير من المؤمنين بالمسيح الإله الابن ، المكمل للثالوث المقدس[4] .

[٨] **المسيح سينزل قبل القيامة الكبرى** ، ومعه جمع من المؤمنين به – المسيحيين – وسيدخلون جميعا معركة ينتصر فيها المسيح والمسيحيون ، وينهزم الناس أجمعون ، طالما كانوا من غير المسيحيين ، وهى دعاوى كاذبة ، لم يقم دليل واحد عليها ، بل هى كلها مسائل من صنع بولس نفسه ، لم تدعمها شبهة دليل ، أو تقم على صدق شيء منها ، بل العكس هو

(١) راجع فى هذا الشأن كلا من : السؤال الحديث الموجه لأهل التثليث ص٨ ، والأجوبة الفاخرة فى الرد على الأسئلة الفاجرة للعلامة القرافى ، واللامية للعلامة شرف الدين البوصيرى .

(٢) سورة النساء الآيتان ١٥٦/١٥٧ ، وراجع تفسير المنار للآيتين ، وكذلك عقيدة القيامة فى المسيحية ، وموقف الإسلام منها للدكتور رشدى الشحات عبدالحميد – رسالة ماجستير بأصول القاهرة .

(٣) الثابت عندنا نحن المسلمين أن عيسى ابن مريم عليه السلام لم يقتل ، ولم يصلب ، وبالتالى فليس له أب سماوى ، أو بيت حتى يرفع إليه ، فيجلس عن يمينه فيه – راجع لنا : عقيدتنا رفع عيسى ونزوله بين الإسلام والنصرانية – رسالة ماجستير بأصول القاهرة ١٩٨٢م .

(٤) القس صموئيل بيدار – المسيح الإله ص٤١ – ترجمة القمص حنا رزق ط الثانية ١٩٣٨م .

الصحيح ، وأن كل دعاوى بولس كاذبة[1] ، وأتباع ذلك الاعتقاد الفاسد فى ضلال مبين .

من ثم فإن الرسالات السابقة فى الوجود على النبوة الخاتمة من لدن أبينا آدم عليه السلام إلى سيدنا عيسى ابن مريم عليه السلام جميعها كانت تتسم بكل من :-

[أ] **الخصوص الزمانى** : بمعنى أنها فى زمان معين لا يتجاوزه أبدا إلى زمان أخر ، فهى ليست دائمة باقية ، وإنما هى مقيدة منقطعة[2] ، وبالتالى فمفهوم الأبدية والاستمرار فيها لا وجود له ، وينطبق ذلك على كافة الرسالات السابقة .

[ب] **الخصوص المكانى** : بمعنى أنها كانت تأتى مع نبى ببعثه الله فى مكان بعينه لا يتجاوزه أبدا إلى مكان نبى أخر ، فهى خاصة بالمكان[3] ، وليست عامة فى سائر الأماكن الأخرى ، ومن ثم فخصوصها قائم فيها مرتبط بالمكان أيضا ، ويدلنا على ذلك قول الله تعالى ﴿ " واذكر أخا عاد إذ أنذر قومه بالاحقاف وقد خلت النذر من بين يديه ومن خلفه ألا تعبدوا إلا الله إني أخاف عليكم عذاب يوم عظيم " ﴾[4] .

[ج] **الخصوص الشعبى** : بمعنى أنها كانت تأتى فى الرسالات السابقة لشعب بعينه ، أو قوم مخصوصين ، تعالج مشاكلهم وحدهم ، ويهديهم النبى المبعوث

---

(١) راجع فى هذا الشأن : الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح لشيخ الإسلام ابن تيميه ، وهداية الحيارى لابن القيم .

(٢) لأنه ما دامت فى زمان بعينه ، فهى تنقطع بعد انتهائه مباشرة .

(٣) الأستاذ / نور الدين محمد متولى – اليهودية نصوص وقراءات ص١٥ – ط دار منير .

(٤) سورة الأحقاف – الآية ٢١ .

لخالقهم ، فهى من تلك الناحية ليست عالميــة ، ولا عامـة ، وإلا بطلـت قيمـة القائم بها متى حاول إدعاء ذلك .

ﷻ قال تعالى ﴿ " وإذ قال موسى لقومه يا قوم لم تؤذونني وقد تعلمون أنــي رسـول الله إليكم فلما زاغوا أزاغ الله قلوبهم واللـه لا يـهدي القـوم الفاسـقين وإذ قـال عيسى ابن مريم يا بني إسرائيل إني رسول الله إليكم مصدقا لما بيـن يـدي مـن التوراة ومبشرا برسول يأتي من بعدي اسمه أحمد فلما جـاءهم بالبينـات قـالوا هذا سحر مبين " ﴾[1] .

[د] **الخصوص التكليفى** : بمعنى أنها كانت تأتى معها تكاليف محـددة صالحـة ، لهؤلاء المرسل فيهم وحدهم دون غيرهم ، فى ذات المدة الزمانية فقط ، مع ذات الطبيعة المكانية التى وجدوا فيها[2] ، باعتبار أن التكاليف التى يلزمهم الشرع الشريف القيام بها . تناسبهم وحدهم .

◄◄ **بناء على ما سبق ذكره** . فإن النبوات أو الرسالات السابقة على النبوة الخاتمة ليسـت عامـة ، ولا دائمـة ، كمـا أنـها ليسـت عالميـة لفقدانـها شـرائط بقائـها وعالميتها ، باعتبار أن العقول لم تكن قد بلغت من النضج ما يسمح لها بذلـك ، حتى تقوم بتحمل عبء كهذا ، وهو من ألطاف العليــم الخبـير – جـل عـلاه – الذى خلق الكون ، ويعلم ما يصلح له ، أو يفسد إذا خلا عنه .

---

(١) سورة الصف – الآيتان ٥/٦ .

(٢) راجع كتابنا : وميض النصرانية بين غيوم المسيحية – الطبعة الخامسة ، فقد عرضت لذلك فى شيء مــن التفصيل .

غير أن أصحاب الدعوات الذين يعلنون تعلقهم باليهودية أو المسيحية يبذلونه جهودهم فى الجدل الكاذب ، بغرض التعمية على الناس ، وتلبيس الأقوال عليهم ، حتى يصدقوا أن اليهودية دين ، أو أن المسيحية دين ، وما هى من ذلك فى شيء ، أو أنها رسالات باقية فى أتباعها ، وما هى بدين الهى ، أو شرع قائم[1] .

وما هذا الزعم منهم إلا أكثر كذبا من سابقه ، ونحن لا نمارى مراءهم ، ولا نجادل جدالهم ، لأن الحق فى جانبنا ، والباطل قرينهم ، كما أن تعاليم دين الإسلام الحنيف الذى نؤمن به قد أبعدتنا عن الجدل الكاذب[2] ، والمراء الذى لا يأتى من خلفه إلا كل شر ، ولا يعقبه خيرا أبدا .

« فعن أبى الدرداء وأبى إمامة وأنس بن مالك ﷺ أن رسول ﷺ خرج عليهم يوما وهم يتمارون فى شيء من أمر الدين ، فغضب النبى ﷺ غضبا شديدا ، لم يغضب مثله ، ثم انتهرهم قائلا : مهلا يا أمة محمد ، إنما هلك من كان قبلكم بهذا ، ذروا المراء ، فإن المؤمن لا يمارى ، ذروا المراء ، فإن الممارى قد تمت خسارته ، ذروا المراء ، فكفى إثما ألا تزال مماريا ، ذروا المراء ، فأنا زعيم بثلاثة

---

(١) راجع فى ذلك الشأن : عقيدة تجسيد الإله عند اليهود (رسالة ماجستير بمعهد الدراسات والبحوث الأسيوية – جامعة الزقازيق ٢٠٠٠م) للباحث السيد عبدالبديع ، بإشرافنا .

(٢) قال تعالى ﴿ " ولا تجادلوا أهل الكتاب إلا بالتي هي أحسن إلا الذين ظلموا منهم وقولوا آمنا بالذي أنزل إلينا وأنزل إليكم وإلهنا وإلهكم واحد ونحن له مسلمون " ﴾ سورة العنكبوت الآية ٤٦ .

أبيات فى الجنة : فى رياضها ، ووسطها ، وأعلاها ، لمن ترك المراء وهو صادق ، ذروا المراء ، فإن أول ما نهانى عنه ربى بعد عبادة الأوثان المراء »[1] .

﴿ وقال تعالى ﴿ " يستعجل بها الذين لا يؤمنون بها والذين آمنوا مشفقون منها ويعلمون أنها الحق ألا إن الذين يمارون في الساعة لفي ضلال بعيد " ﴾[2] .

فى نفس الوقت فإن الرسالات السابقة كانت تفى بحاجات من وقع الإرسال فيهم رحمة من الله تعالى وحدهم ، لكنها لا تفى بحاجات غيرهم ، كما أن هذا الوفاء ليس على الدوام ، وإنما هو مقيد ببقاء الرسالة ذاتها ورسولها فيهم ، ومن ثم فإن الرسالة الخاتمة هى المثل الوحيد للإسلام أوله وآخره ، وهو الدين الحق الذى به سعادة الدنيا والآخرة حسا وعيانا ، وذلك لأن الله تعالى هو الذى أخبر بذلك[3] ، وأمره جل علاه قائم ، كما أن قدره ﷻ نافذ .

والدارس المنصف يجد أمورا كثيرة قد صاحبت الإنسانية منذ ميلادها الأول ، وظلت تأخذ بها إلى الرقى العقلى والتكامل الذهنى ، والتوافق النفسى ، وأنها فى كل مراحلها كانت تتكامل مرحلة بعد الأخرى ، وأن الرسالات السماوية

---

(١) وفى رواية وعن أبي أمامة الباهلي رضي الله عنه قال، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: « أنا زعيم ببيت في ربض الجنة لمن ترك المراء وإن كان محقا، وببيت في وسط الجنة لمن ترك الكذب وإن كان مازحا، وببيت في أعلى الجنة لمن حسن خلقه » حديث صحيح رواه أبو داود بإسناد صحيح- رياض الصالحين للإمام أبو زكريا يحيى بن شرف النووي – باب حسن الخلق ، وروايات الحديث لها طرق كثيرة ، كلها صحيحة .

(٢) سورة الشورى – الآية ١٨ .

(٣) الإمام محمد ماضى أبو العزايم – النور المبين ص١٩ – ط المجلس الأعلى للشئون الإسلامية بالقاهرة ١٣٩٢هـ/١٩٧٢م – ألسنة التعريف بالإسلام .

كانت ترعى ذلك ، حتى بلغت قمته[1] ، وبالتالى صارت العقول صالحة لتلقى رسالة عامة خالدة ، تبقى أبد الدهر ، فكانت هى رسالة سيدنا محمدﷺ .

يقول أحد العلماء : تكاملت العقول البشرية على عهد النبوات السابقة ، حتى أصبحت صالحة لرسالة عامة خالدة تتساوق مع العقول البشرية – على اختلاف مشاربها وأجناسها – باديها وحاضرها ، عالمها وجاهلها ، عبقريها وأميها ، فكانت تلك الرسالة هى دعوة سيدنا محمدﷺ للخلق أجمعين »[2] ، رسالة عامة خالدة باقية إلى يوم الدين .



معالم كمال الدين الإسلامى

لا شك أن الدين الإسلامى كامل فى كافة جوانبه ، لكل المكلفين ، قائم معهم إلى يوم الدين ، ومعالم ذلك الكمال فى دين الإسلام مع النبى الخاتم سيدنا محمد ﷺ ، يمكن لكل مجتهد أن يبحث فيها ، وإن كنت أرى جمعها فيما يلى :-

۞ الأول : عصمة نصوصه وثباتها :-

الدارس للدين الإسلامى الحنيف يجد أن النصوص التى جاءت به – وهى القرآن الكريم ، والسنة النبوية المطهرة الصحيحة – معصومة ، لم تنلها يد نائلة ، فالله رب العالمين هو الذى أنزل القرآن الكريم[3] ، وهو فى ذات الوقت

---

(١) بل أن تاريخ التطور البشرى فى مراحله التاريخية شاهد بأن العقول البشرية لم تبلغ قمة الرقى ، إلا بعد أن دخل العالم فى ميدان بعثه النبى الخاتم سيدنا محمد ﷺ .

(٢) الدكتور / على محمد جبر – محاضرات فى علم الكلام ص٥ ط شركة الطباعة الفنية .

(٣) وبين الغاية من إنزاله تعالى القرآن الكريم ككل وأجزاء ، فقال تعالى ﴿ " وننزل من القرآن ما هو شفاء ورحمة للمؤمنين ولا يزيد الظالمين إلا خسارا " ﴾ سورة الإسراء الآية ٨٢ .

كلامه جل وعلا . وما دام كلامه فهو صفة من صفاته ، وسيظل القرآن الكريم قائما أبدا . لن ينقطع ، لأن الموصوف هو الله تعالى الدائم الأبدى السرمدى ، وتلك خصيصة يتميز بها القرآن الكريم ، وبالتالى فهو معصوم .

ﷻ قال تعالى ﴿ " إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون " ﴾[1] .

والعقل السليم من العلل ، الخالى عن الخطل ، والفطر النقية الخالية عن الهوى ، يشهدان بأنه ما دام الله تعالى هو الذى أنزل القرآن الكريم ، وبين ﷺ أنه صفة من صفاته ، فهو الحافظ له بحفظه تعالى ، ومن ثم فالقرآن الكريم معصوم بعصمة الله له . وكل ما فيه صدق كله . حق كله . قائم إلى يوم الدين .

ثم أن معنى كون النصوص الإسلامية معصومة هو الاحتفاظ المستمر بالمصدر الذى قام الدين الإسلامى عليه ، بحيث يظل النبع الصافى للدين على النحو الذى أنزله رب العالمين[2] . وحينئذ لن تنقلب العقول التى تؤمن به ، والنفوس التى تهفوا إليه ، والعقول التى تؤمن به ، إلا فى رحاب الاستقرار ، وتتفيأ ظلال النعيم الوراقة ، وكيف لا وهو تنزيل رب العالمين .

وآية ذلك أن دعاة الفكر اليهودى أو المسيحى لم تكن نصوصهم معصومة فبدلوها وحرفوها ، واستعملوا أياديهم وعقولهم فى النيل منها[3] ، وكلما حاولوا

---

(١) سورة الحجر الآية ٩ .

(٢) راجع كتابنا : لماذا انتشر الإسلام ؟ ، وكذلك المدخل لدراسة الحكمة الإسلامية للمؤلف أيضا .

(٣) وصور التحريف تجمع فى : أ-تبديل الألفاظ بالتقديم أو التأخير أو غير ذلك . ب- تبديل بالحذف منه جـ- تبديل بالزيادة على النص الذى استقروا عليه يوما ، ثم تنازعوا فيه بعد ذلك - راجع إظهار الحق للشيخ رحمت الله الهندى .

مراجعة تلك النصوص وجدوا فيها عوجا وتبديلا[1] . فتنازعوا حولها . بحيث لم يمر وقت من الأوقات ، أو عصر من العصور إلا وهم فى نصوصهم يتنازعون ، وعلى قواعدهم يتحاربون[2] ، واليها يزيدون ، أو منها ينتقصون ، وهم على ذلك الحال قائمون .

ثم أن المقصود عندنا بثبات النصوص فى الدين الإسلامى هو سعتها لتكون ملائمة لكل العصور ، من غير أن يحدث فيها شيء من العجز – معاذ الله – عن الوفاء بمتطلبات الأمم جميعا فى كافة بقاع الأرض فى الشرق أو الغرب ، أو الشمال والجنوب[3] ، وكل مكان فيه إنسان أو جان .

كما أن ثبات النصوص الإسلامية يضفى على المؤمن بها من الهيبة والاحترام بعض ما للنصوص ذاتها . باعتبار أن المؤمن بالله رب العالمين ، مع خاتم الأنبياء وسيد المرسلين يعيش فى رحاب ذات النصوص فيستريح فؤاده ، ويطمئن قلبه ، وتهدأ نفسه بغض النظر عن ظروف الآخرين ، وإن شاركوه موقع الإقامة .

---

(١) راجع : عقيدة الاصطفاء الإلهى لليهود (رسالة ماجستير بمعهد الدراسات والبحوث الأسيوية – جامعة الزقازيق ٢٠٠٠م) للدارس عبدالباسط حسن عطية خليل – بإشرافنا

(٢) ومن الأدلة على ذلك أن اليهود لم يتفقوا حتى الآن على الأسفار التى بأيدى البعض ، بينما ينكرها آخرون ، فظهر القديم القديم ، والتلمود ، ثم البروتوكولات ، وكلها لا علاقة لها بخبر السماء ، وكذلك الحال فى المسيحية ، وقد اعترف مفسرو الكتاب المقدس وشراحه بتلك المسألة .

(٣) بل أن سيدنا محمد ﷺ مرسل للخلائق جميعا ، حتى إلى نفسه ﷺ ، وهو الحق الذى اعتقده . قال تعالى ﴿ " وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين " ﴾ سورة الأنبياء الآية ١٠٧ .

أضف إلى ما سبق أن النصوص الإسلامية فيها حركة من حيث ما تدعوا إليه ، فهى ثابتة فى ذاتها ، متحركة بالأهداف التى تحققها ، وبالتالى فلا يقبل الإسلام من المسلم أن يلغى عقله ليجرى على سنة آبائه وأجداده[1] .

ﷻ قال تعالى ﴿ " وإذا قيل لهم اتبعوا ما أنزل الله قالوا بل نتبع ما ألفينا عليه آباءنا أولو كان آباؤهم لا يعقلون شيئا ولا يهتدون " ﴾[2] ، وإنما كلفه البحث ، وطالبه التأمل المتواصل ، والبحث الدءوب فى سبيل إرضاء الله تعالى رب العالمين ، فكان ذلك من معالم كمال الدين الإسلامى الحنيف .

۞ الثانى : أنه دين عام شامل :-

فيه تبيان الضروريات الإنسانية ، وكمالياتها فى الدنيا ، والفضائل النفسانية والروحانية . لنيل سعادة الدارين . وجعل ذلك قائما فى أصول ثابتة هى القرآن الكريم ، والسنة النبوية المطهرة الصحيحة ، ففى الحديث الشريف « تركت فيكم ما إن تمسكتم بهما لن تضلوا بعدى أبدا ، كتاب الله وسنتى » [3] ، وهما معا مصدر التشريع الإسلامى الأصيل[4] ، وما بعدهما يتفرع عنهما ، أو يقوم عليهما .

---

(١) مجلة البحوث الإسلامية ١٨٥ – مقال الشيخ مناع خليل القطاف – الحاجة إلى الرسل – إصدار الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء بالرياض بالمملكة العربية السعودية – رجب وشعبان ١٤٠٣هـ .

(٢) سورة البقرة الآية ١٧٠

(٣) والحديث تعددت طرقه ، كما تعددت رواياته ، ونص أصحاب التخصص على أنها جميعا صحيحة .

(٤) باعتبار أن كلا من القياس والإجماع والاجتهاد والمصالح المرسلة ، وغيرها من مصادر التشريع الإسلامى تقوم على تفهم كل من القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة الصحيحة .

ﷻ قال تعالى ﴿ " ليس البر أن تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب ولـكن البر من آمن بالله واليوم الاخر والملائكة والكتاب والنبيين وآتى المال علـى حبـه ذوي القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل والسآئلين وفـي الرقـاب وأقـام الصـلاة وآتى الزكاة والموفون بعهدهم إذا عاهدوا والصابرين في البأساء والضراء وحـين البأس أولـئك الذين صدقوا وأولـئك هم المتقون " ﴾[1] ، فدل ذلك على أن الديـن الإسلامى تام كامل .

۞ الثالث : استعمال العقل الإنسانى بأقصى طاقاته :-

لا شك أن العقل الإنسانى هو العنصر الأساسى التام فى الإنسان نفسه . وبـه يتميز الإنسان عن الحيـوان والبـهم ، وغيرهـا مـن المخلوقـات التـى حرمـت ذلـك العنصر المتميز الذى خلقه الله للإنسان وهو العقل ، لمـا هـو معـروف مـن أن الديـن الإسلامى خاطب العقل ، وكلفه التأمل والنظر ، ودفعه إلى البحث الدائم فى أرجاء الكون . بل حثـه علـى السؤال عـن مبـدع الكـون المتصـرف فيـه . وهـو الله ﷻ . والتعرف عليه ، والإيمان به من خلال عقيدة راسخة وفكر مستقيم .

نلمح شيئا من ذلك فى الآيات القرآنية التى تحدثت عن العقل الإنسـانى مـن حيـث هـو عقـل إنسـانى ، مـن ذلـك قولـه تعـالى ﴿ " إن فـي ذلـك لايـة لقـوم يعقلون " ﴾[2] .

كما تحدثت عنه باعتبار انه المسـئول عـن المعرفـة والفـهم والتفقـه ، ورفـع الجـهل ، مـن ذلـك قولـه تعـالى ﴿ " إن فـي ذلـك لايـات لقـوم يتفكـرون " ﴾[3] ،

---

(١) سورة البقرة الآية ١٧٧ .
(٢) سورة النحل الآية ٦٧ .
(٣) سورة الرعد الآية ٣ .

وقوله ﷻ ﴿ " كذلك نفصل الايات لقوم يعلمون " ﴾[1] ،وقوله ﷻ ﴿ " إن فـي ذلك لذكرى لاولـي الالبـاب " ﴾[2] ،ﷻ ﴿ " انظـر كيـف نصـرف الايـات لعلـهم يفقهون " ﴾[3] ، إلى غير ذلك من الآيات القرآنية التى تحدثت عن العقل الإنسانى والأعمال التى تنتج عنه ، أو يقـوم بـها . قـال تعـالى ﴿ " وتلـك الامثـال نضربـها للناس وما يعقلها إلا العالمون " ﴾[4] .

بل إن من يحاول المقارنة بين مـا ذكـر فـى المسيحية مثـلا مـن إلغـاء العقـل الإنسانى ، والحجر على سلوكياته الطبيعية ، والحد من تصرفاته العادية ، وقتل ملكاته الذاتية ، من مثل قولهم « خذ وأنت أعمى ، أو هكذا سـلم ، أو مـا يقولـه الرب لا يفهمه العبد » .

إلى غير ذلك من النصوص التـى تحدثـت عنـها المسيحية ، وبـين النصـوص الإسلامية التى تدفع العقل إلى البحث بكل طاقته ، والتأمل المسـتمر فـى الكـون ، والتعرف على الله تعالى . يجد أن الإسلام دين عام عالمى خالد باق إلى يوم الديـن ، « وبالتالى فمن ركل عقله بقدمه أصبح فى الدركات السفلى من أنواع الحيوانـات ، حيث لم يعط عقله رغائبـه ومطامعـه »[5] ، وكـأنى بـهؤلاء الذيـن ألغـوا عقولهـم

---

(١) سورة الأعراف الآية ٣٢ .

(٢) سورة الزمر الآية ٢١ .

(٣) سورة الأنعام الآية ٦٥ .

(٤) سورة العنكبوت الآية ٤٣ ، وقال تعالى ﴿ " قل هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمـــون إنمـا يتذكر أولوا الالباب " ﴾ سورة الزمر الآية ٩

(٥) الدكتور / على محمد جبر – محاضرات فى علم الكلام ص٦ .

أذكرهم قول الله ﷻ ﴿ " أم تحسب أن أكثرهم يسمعون أو يعقلون إن هم إلا كالانعام بل هم أضل سبيلا " ﴾[1] .

۞ الرابع : موافقة التكاليف الشرعية جميع المكلفين :-

ذلك أن الدين الإسلامى قد جاءت فيه التكاليف الشرعية قائمة على العزائم ، كما هى قائمة على الرخص تماما بتمام ، وكلما كانت التكاليف الشرعية فيها تلك المرونة فإنها تستوعب كافة المكلفين فى كل زمان ، وفى إطار أى مكان ، وتحت أى ظرف من الظروف .

ولم يكن ذلك متوافرا فى الرسالات السابقة ، لأنها كانت خاصة ذات طبيعة متطابقة مع المكلفين بها فقط ، نلمح ذلك فى قوله تعالى لبنى إسرائيل ﴿ " وإذ قال موسى لقومه يا قوم إنكم ظلمتم أنفسكم باتخاذكم العجل فتوبوا إلى بارئكم فاقتلوا أنفسكم ذلكم خير لكم عند بارئكم فتاب عليكم إنه هو التواب الرحيم " ﴾[2] .

بل من ينظر إلى الصلاة ، أو الصيام ، أو الزكاة ، أو الحج فى الإسلام ، يراها مرتبة ، حيث يبتدئ فيها من الأخف أداء ، ثم الذى يليه حتى باقى الأركان الخمسة ، وفى نفس الوقت فإن أصحاب الأعذار جاءت الرخص أخذة بأيديهم إلى حيث يرضى الله تعالى ، مع الأخذ بعين الاعتبار عدم سقوط تلك التكاليف ، إلا فى

---

(١) سورة الفرقان الآية ٤٤ .

(٢) سورة البقرة الآية ٥٤ .

حالات منحصرة جدا[1] . وبشروط محددة ، آخذة بعناق الاجتهاد ، حتى تبلغ معه شاطئ الأمان الشرعى .

۞ الخامس : عموم الأحكام فى الترغيب والترهيب :

وآية ذلك أن النصوص الإسلامية جاءت فيها الأحكام العامة فى إطار الترغيب أو الترهيب . غير مقيدة بذكر أو أنثى ، رجل أو امرأة ، غنى أو فقير ، من ذلك :

۞ قوله تعالى ﴿ " فاستجاب لهم ربهم أني لا أضيع عمل عامل منكم من ذكر أو أنثى بعضكم من بعض فالذين هاجروا وأخرجوا من ديارهم وأوذوا في سبيلي وقاتلوا وقتلوا لاكفرن عنهم سيئاتهم ولادخلنهم جنات تجري من تحتها الانهار ثوابا من عند الله والله عنده حسن الثواب " ﴾[2] .

فالكل أمام الله سواء . واستحقاق الثواب ، أو العقاب فضلا منه جلا علاه فى الأول ، وعدلا فى الثانى . على ما هو قائم فى النصوص الشرعية ، ونتمسك به نحن أهل السنة والجماعة .

وفى الحديث الشريف « حدثنا يحيى بن يحيى التميمي وأبو بكر بن أبي شيبة ومحمد بن العلاء الهمداني – واللفظ ليحيى – [قال يحيى: أخبرنا. وقال الآخران: حدثنا] أبو معاوية عن الأعمش، عن أبي صالح، عن أبي هريرة. قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم "من نفس عن مؤمن كربة من كرب الدنيا، نفس

---

(١) وفى الحديث الشريف ما روى أنه ﷺ قال « رفع القلم عن ثلاث : النائم حتى يستيقظ ، والصبى حتى يبلغ ، والمجنون حتى يفيق » صدق رسول الله ﷺ .

(٢) سورة آل عمران الآية ١٩٥ .

الله عنه كربة من كرب يوم القيامة. ومن يسر على معسر، يسر الله عليه في الدنيا والآخرة. ومن ستر مسلما، ستره الله في الدنيا والآخرة. والله في عون العبد ما كان العبد في عون أخيه.

ومن سلك طريقا يلتمس فيه علما، سهل الله له به طريقا إلى الجنة. وما اجتمع قوم في بيت من بيوت الله، يتلون كتاب الله، ويتدارسونه بينهم، إلا نزلت عليهم السكينة، وغشيتهم الرحمة وحفتهم الملائكة، وذكرهم الله فيمن عنده. ومن بطأ به عمله، لم يسرع به نسبه »[1] ،

فالقرآن الكريم والحديث الشريف – وهما معا مصدر التشريع الأصيل – لم يفرقا بين ذكر وأنثى ، بين صغير وكبير ، بين فقير أو وزير ، بين مالك أو أجير ، فى أى مكان ، وأى زمان من حيث الحصول على الثواب ، أو وقوع العقاب .

فدل ذلك على أن الأحكام الإسلامية عامة فى الترغيب ، كما هى فى الترهيب دون استثناء لأحد ، متى كان قادرا على القيام بها ، أما أصحاب الأعذار فإن الرخص تأتى معهم لتجبر ضعفهم[2] ، حتى يكونوا كغيرهم سواء بسواء ، ثوابا أو عقابا .

---

(١) رواه مسلم (باب فضل الاجتماع على تلاوة القرآن، وعلى الذكر) ، وأبو داؤود والترمذى ، من طريق أبي هريرة ﷺ .

(٢) لا يقال أن الرخص تميز طائفة على أخرى ، لأنا نقول : إن الرخص ذاتها يتساوى فيها أصحاب الأعذار أيضا ذكرا كان صاحب العذر أو أنثى ، ما دام الظرف القاضى هو الموجب لذات العذر ، واستخدام الرخصة من غير ممانعة فى المسألة .

كما ورد الحديث الشريف فى الأخذ بالرخص لأصحاب الأعذار . من ذلك قوله ﷺ « إن الله يحب أن تؤتى رخصه كما يحب ان تؤتى عزائمه »[1] ، بحيث يتساوى فى ذلك كل مسلم ومسلمة ، دون اعتبار لموطن أو جنس ، فضلا عن لغة أو مكانة اجتماعية ، لأن الإسلام هو الذى يجمع بينهم جميعا ، ويظلهم بظله الوريف .

﴿ قال تعالى ﴿ " اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الاسلام دينا فمن اضطر في مخمصة غير متجانف لاثم فإن الله غفور رحيم " ﴾[2] .

ومن ثم فإن الإسلام هو الدين الوحيد المرتضى من قبل الله تعالى لكل العالمين . وهو الدين الكامل التام . الباقى إلى يوم الدين ، وعلى أساس الإيمان به ، أو الكفر يحاسب الله الناس والجان أجمعين .

ملامح عموم الرسالة الخاتمة

من البين أن ملامح عموم الرسالة الخاتمة قائمة فى طريقين :

الأول : النقل المنزل :

ونعنى به القرآن الكريم ، والسنة النبوية المطهرة الصحيحة ، حيث جاءت النصوص الدينية كاشفة ذلك تماما ، بحيث من ينظر إلى ذات النصوص من حيث

(١) العلامة الشيخ الفشنى – شرح الفشنى على الأربعين النووية ص٣٥ – ط محمد على صبيح .
(٢) سورة المائدة – الآية ٣ .

الظاهر ، أو التعمق فى معانيها حسب توفيق الله ﷺ له ، يراها مبينة نفس العموم ، من ذلك :

﴿ قوله تعالى ﴿ " ما كان محمد أبا أحد من رجالكم ولكن رسول الله وخاتم النبيين وكان الله بكل شيء عليما " ﴾[١] .

فسيدنا محمد ﷺ هو رسول الله لا إلى قوم بأعيانهم ، ولا إلى مكان بذاته ، ولكن رسول الله على وجه العموم والإطلاق ، وبالتالى فهو للإنس والجن وسائر المكلفين ، ثم هو خاتم النبيين ، وبنبوته ختم الله سائر النبوات ، فهو الخاتم للأنبياء جميعا ، ومن ثم فلا نبى بعده ، وكذلك نبوته خاتمة للنبوات ، فلا نبوة بعدها[٢] ، ومن كان ذلك شأنه فرسالته عامة خالدة ، خاتمة إلى يوم الدين ، وذلك مما قضاه وقدره الإله المولى الكريم رب العالمين .

﴿ ومنه أيضا قوله تعالى ﴿ " وما أرسلناك إلا كافة للناس بشيرا ونذيرا ولكن أكثر الناس لا يعلمون " ﴾[٣] ، فهو ﷺ مرسل للجميع من الإنس ، لقوله ﷺ « بعثت للأحمر والأسود »[٤] ، وقوله ﷺ « يا أيها الناس قولوا لا إله إلا الله تفلحوا »[٥] ، فلو لم يكن ﷺ مبعوثا للإنس كافة ، والجن قاطبة ما خاطبهم ﷺ بقوله « يا أيها الناس » ، وإنما كان من المناسب لهم أن يخاطبهم بقوله يا جماعة كذا مثلا ، أو يا قوم كذا ، كما كان الحال فى نبوات الرسل

---

(١) سورة الأحزاب الآية ٤٠ .

(٢) الآيات القرآنية والأحاديث النبوية فى ذلك كثيرة .

(٣) سورة سبأ الآية ٢٨ .

(٤) جزء من حديث طويل فاض فى شرحه العلماء – راجع شرح العلامة الفشنى ، وسيرة ابن هشام .

(٥) تعددت طرق الحديث ، كما تعددت ألفاظه ، والقاسم المشترك بينها واحد .

السابقين . ومن ثـم اعتـبر علمـاء الكـلام فـى الإسـلام النبـوات مـن السـمعيات الدينية ، باعتبار أنها يتوقف عليها السمع[1] ، توقفـا قـد لا يغنـى عنـها فيـه غيرها .

الثانى : اجتهادات مفكرى المسلمين حول فهم النقل المنزل :

أسلفنا القول بأن الطريق الأول الذى تعرف منه ملامح عموم الرسالة الخاتمة هو النقل المنزل – القرآن الكريم ، والسنة النبوية المطهرة الصحيحة – مـن خـلال النصوص .

ومع ذلك فإن مفكـرى أهـل الإسـلام المعتـد بـهم قـد بذلـوا مجهوداتـهم العقليـة فـى تفهم ذات النصوص ، فانتهوا إلي أن ملامح عموم الرسالة المحمدية الخاتمة ، يمكن أن تجمل فيما يلى :-

[١] **أنها صالحة لكل زمان ومكان** ، باعتبار ما تحمله من تكاليف عقديـة وشـرعية وأخلاقية ، تغطى الاحتياجات القائمة فى صالح جميع المكلفين للدنيا والآخرة . قال تعالى ﴿ " اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكـم نعمتـي ورضيـت لكـم الاسلام دينـا فمـن اضطـر فـي مخمصـة غـير متجـانف لاثـم فـإن اللـه غفـور رحيم " ﴾[2] ، فالإسلام وحده هو دين الإله وحده[3] ، الذى لا شريك له .

---

(١) العلامة السيد الشريف الجرجانى – شرح المواقف جـ٨ ص٢٤١ ، ومعه حاشيتا السيالكوتى والحلبـى – دار الكتب العلمية ، والسمعيات الدينية هى الصحيحة لورود النقل المعصوم بها .

(٢) سورة المائدة – الآية ٣ .

(٣) سمى الإله بذلك لأنه الذى تأله القلوب بالمحبة والخضوع ، والخوف والرجاء ، وتوابع ذلك من الرغبـة والرهبة ، والتوكل والاستغاثة ، والدعاء والذبح ، والنذر والسجود ، وجميع أنواع العبـادة الظـاهرة والباطنة – الدرر السنية فى الأجوبة النجدية جـ٢ ص١٤٢ ط٣ سنة ١٣٩٨هـ / ١٩٧٨م .

[٢]أنها جمعت الناس على أفضل ما تتصوره العقول البشرية ، من حسن وكمال ، ونبل وإبداع ، أشبعت رغائب العقول والنفوس من الأبدان ، وأصلحت ما بين الإنسان وأخيه فى المنزل والأسرة والقبيلة ، والشعب والمجتمع الإنسانى عامة ، فهى هدية السماء إلى خلفاء الله فى الأرض(١) .

[٣]أنها دين الفطرة السليمة . قال تعالى ﴿ " فطرة الله التي فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله ذلك الدين القيم ولكن أكثر الناس لا يعلمون " ﴾(٢) ، وهى الميثاق الذى أخذه الله تعالى على بنى آدم ، وهم فى عالم الذر ، دليل ذلك :

۞ قوله تعالى ﴿ " وإذ أخذ ربك من بني آدم من ظهورهم ذريتهم وأشهدهم على أنفسهم ألست بربكم قالوا بلى شهدنا أن تقولوا يوم القيامة إنا كنا عن هذا غافلين " ﴾(٣) ، إلى غير ذلك من الآيات القرآنية التى تحدثت عن ذلك الجانب وأفاضت فيه ، بحيث من تأملها استطاع بلوغ غاية يأملها .

وفى السنة النبوية المطهرة « حدثنا حاجب بن الوليد. حدثنا محمد بن حرب عن الزبيدي، عن الزهري. أخبرني سعيد بن المسيب عن أبي هريرة؛ أنه كان يقول: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم "ما من مولود إلا يولد على الفطرة. فأبواه يهودانه وينصرانه ويمجسانه. كما تنتج البهيمة بهيمة جمعاء. هل

---

(١) الدكتور على محمد جبر – محاضرات فى علم الكلام ص٥ – راجع ما عرضناه عن مفهوم الخلائق فى الأرض فى الصفحات التى سلفت ، وربما أضيف إليه إذا رأيت الحاجة داعية لتلك الزيادة .

(٢) سورة الروم الآية ٣٠ .

(٣) سورة الأعراف الآية ١٧٢ .

تحسون فيها من جدعاء؟" ثم يقول أبو هريرة: واقرؤا إن شئتم: ﴿ " فطرة الله التي فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله"﴾[1] »[2] .

[٤] **أنها رسالة هداية أنزلت لطهارة القلوب والعقول ،** وتهيئة النفوس ، للفوز بسعادتى الدنيا والنجاة فى الآخرة ، باعتبار أنها رسالة للبدن والعقل ، والنفس والجسم جميعا ، وكلما حاولت العقول البشرية مساواتها ، أو بلوغ ما فيها من جمال وكمال ، فإنها تصاب بالعجز ، وكيف لا وهى رسالة رب العالمين .

[٥] **أنها جاءت بمبادئ عامة يتساوى فيها جميع الناس من كل الأجناس** ، من احتكم إليها تحققت له السعادة ، ومن ابتعد عنها أحاطت به الشقاوة وشملته من كل جانب التعاسة . وعموم تلك المبادئ العادلة تجعلها عامة فى الدين نفسه وعلى المؤمنين به ، وهى من سماته التى تميزه عن غيره ، ولكن لا ينكر ذلك العموم إلا البلهاء ، وكأنى بالقائل :

حسدوا الفتى إذ لم ينالوا سعيه ∴ فالقوم أعداء له وخصوم

كضرائر الحسناء قلن لوجهها ∴ حسدا وبغيا أنه لدميم[3]

---

(١) سورة الروم الآية ٣٠ .

(٢) الحديث متفق عليه ، واللفظ لمسلم .

(٣) الدرر السنية فى الأجوبة النجدية جـ١ ص٢٦٤ ، جمع عبدالرحمن بن قاسم ط الثالثة ١٣٩٨هـ/١٩٧٨م - دار العربية للطباعة - بيروت ، وينسب البيتان لأبى الأسود الدؤلى ، كما ينسبان وغيرهما للإمام الشافعى ، والمسألة بحاجة إلى متابعة وإيضاح ، نسأل الله السلامة والعافية فى الدنيا والآخرة .

[٦]أنها دين يؤاخى بين العقل والنقل باستمرار ، متى كان العقل سليما ، وأية ذلك أن القرآن الكريم استحث العقل كثيرا حتى يخرج عن دائرة التقليد ، ودفعه إلى التأمل المستمر فى ملكوت الله الواسع ، ودفع « الناس إلى الرجوع بالفكر إلى القواعد السليمة . وعدم الخضوع للعادات الموروثة الفاسدة ، والعقائد المألوفة الباطلة ، حتى يدركوا أخطاءها ، ويبتعدوا عن زيفها »[١] .

ﷻ قال تعالى ﴿ " قل انظروا ماذا في السماوات والارض وما تغني الايات والنذر عن قوم لا يؤمنون "﴾[٢] . وذلك مما لم يتوفر فى رسالة أخرى . فكان ذلك من ملامح عموم الرسالة الخاتمة .

لا يقال أن العقل يستقل وحده بإصدار الأحكام ، دون الرجوع إلى الوحى المعصوم ، لأنا نقول أن مجال الملكات العقلية محدود ، طبقا لمحدودية أصحابها أنفسهم . فالعقل لا يدرك ذاته ، بدليل أنك لو سألت أصحاب العقول عن عقولهم أنفسهم ، وطلبت من كل واحد منهم أن يقدم لك تعريفا عن عقله ، ما أمكنه ذلك[٣] ، ولو حاول فإن محاولته لن تكون مقنعة ، بحال من الأحوال .

فضلا عن أن العقل الإنسانى إذا دخل ميدانا غير ميدانه ، فإنه حتما ينحرف ، أو يضل ، ويشقى ، فى نفس الوقت فإن العقل إذا دخل ذلك الميدان

(١) الدكتور سليمان سليمان خميس – نحو عقيدة قرآنية ص٦ – الطبعة الأولى ١٣٨٨هـ/١٩٦٩م – دار الطباعة المحمدية بالقاهرة .

(٢) سورة يونس الآية ١٠١ .

(٣) قد حاولت المدارس السلوكية القيام بذات الدور ، فجاءت النتائج بأنه لم يتفق اثنان على تحديد ذلك المفهوم ، لأن كل من حاول المعالجة عمل على تزكية نفسه ، راجع القدرات العقلية المفهوم والدراسة للباحث النفسى – جون ستانك ص٣٥ – ترجمة وفا صادق ط أولى ١٩٤١م .

الغيبى ، وهو غير مؤهل له باعتبار ملكاته المتواضعة ، فإنه لن يعود من سباحته فيه إلا خاوى الوفاض ، وإذا تجرأ وقدم أحكاما فإنها ستكون خالية من الدليـل ، مفتقدة للصواب ، غير مقبولة من العقلاء أنفسهم ، وتاريخ الإنسانية شاهد على ما أذكره .

ربما يقال أن ذلك يمثل طعنا فى العقـل ، وقدحـا فـى إمكانياتـه ، مـع أنـه حجة الله على عباده ، وهو المخاطب بالتفكر الجاد ، والتأمل الواسع ، إلى غير ذلك من الوجوه ، فكيف يكون مطعونا فيه ، وفى نفس الوقت تطالبـه إثبـات العقيـدة الصحيحة ، والأحكام المستقرة السليمة ، أليس يعتبر ذلك من التناقض الواضح ؟

والجواب : أنه لا تناقض . أما لماذا ؟ فلأن العقل ميزان صحيـح ، وأحكامـه يقينية ، لا كذب فيها ما دام ذلك فى الأمور التى تقع بين إمكانياته ، غير أنك لا تطمع أن تـزن بـه أمـور التوحيـد والآخـرة ، وحقيقـة النبـوة ، وحقـائق الصفات الإلهية ، وكل ما وراء طوره فإن ذلك مطمع فى محال على العقل القيام به[1] .

إذن لا تعارض بينهما ، لأنك إذا قلت لآحاد الناس من العقلاء ، هل يمكنك أن تكلف الرضيع بالقفز فوق موجات المياه المتلاطمة ، ثم تخرج سالما ؟ فلا شك أنه سوف يلفظ منك القول ، ويعلن الرفض بكل قوته[2] ، لأن ذلك يمثل تكليفـا بمـا لا يطـاق ، فللعقـل مجـالات وحـدود لا يتعداهـا ، وهـو فـى هـذه الحـدود ، وتلـك المجالات صادق فى أحكامه ، فإن جاوزها وقع فى متاهات وضلالات فيـها حتفـه وهلاكه[3] .

---

(١) العلامة عبدالرحمن بن خلدون – المقدمة ص٣٢١ .

(٢) إذا افترضنا أن الرضيع سيعقل ما تكلفه به ، أو أنه ستكون له قوة ما ، يمكنه القيام بها .

(٣) الدكتور سليمان سليمان خميس – نحو عقيدة قرآنية ص٧ .

وابن خلدون يضرب مثالا يوضح فيه إمكانيات العقل وحدوده . التى لا يمكن تجاوزها . وإذا كلف بما فوقها فإنه يكون تكليفا بما لا يطاق ، ويمثل خروجا عن المألوف « مثال ذلك : مثال رجل رأى الميزان الذى يوزن به الذهب ، فطمع أن يزن به الجبال – لمجرد أنه ميزان – وهذا يدل أن الميزان فى أحكامه تلك غير صادق ، لكن العقل قد يقف عنده ، ولا يتعدى طوره ، حتى يكون له أن يحيط بالله وصفاته ، فإنه ذرة من ذرات الوجود الحاصل منه[1] .

ثم أن العقل يستطيع أن يقدم الأدلة العقلية على إثبات وجود الله تعالى ، وإثبات كمالاته ، ولكنه لا يستطيع أن يقدم لنا أسماء الله الحسنى ، وصفاته العظمى على سبيل الحصر . لأن ذلك مما هو فوق إمكانيات العقل على وجه التفصيل الدقيق ، ودليل ذلك قوله ﷺ « تفكروا فى آلاء الله ، ولا تفكروا فى ذاته فتهلكوا »[2] ، وقوله ﷺ « تفكروا فى مخلوقات الله ، ولا تتفكروا فى ذات الله ، فإنه تعالى لا تحيط به القدر »[3] .

فالدين الإسلامى يتعامل مع العقل بالنقل ، وآخى بين الوحى الإلهى الذى هو كلام الله تعالى ، والعقل الذى هو من صنعة الله تعالى ، وبين أنهما لا يختلفان ، وجاء ذلك فى القرآن الكريم . يقول الإمام محمد عبده « جاء القرآن الكريم فنهج

---

(١) العلامة ابن خلدون – المقدمة ص٣٢٢ .

(٢) التيسير فى أحاديث البشير النذير – باب التاء ص١٩٦ .

(٣) الحديث له شواهد فى الآيات القرآنية – راجع أقوال المفسرين فى قوله تعالى ﴿ " إن فى خلق السماوات والارض واختلاف الليل والنهار لايات لاولي الالباب الذين يذكرون الله قياما وقعودا وعلى جنوبهم ويتفكرون في خلق السماوات والارض ربنا ما خلقت هذا باطلا سبحانك فقنا عذاب النار " ﴾ « سورة آل عمران الآيتان ١٩٠/١٩١ » .

بالدين منهجا لم يكن عليه ما سبق من الكتب المقدسة ، منهجا يمكن لأهل الزمن الذى أنزل فيه ، ولمن يأتى بعده أن يقوموا عليه ..... .

فلم يقصر الاستدلال على نبوة سيدنا محمد ﷺ بما عهد الاستدلال به على النبوات ، بل جعل الدليل فى حال النبى ، مع نزول الكتاب عليه فى شأن من البلاغة ، يعجز البلغاء عن محاكاته فيه ، ولو فى مثل أقصر سورة منه ، وقص علينا من صفات الله لنا ، ما أوجب علينا أن نعلم ، لكن لم يطلب التسليم به ، لمجرد أنه جاء بحكايته . ولكنه أقام الدعوى ، وبرهن ، وحكى مذاهب المخالفين ، وكر عليها بالحجة ، وخاطب العقل ، واستنهض ا لفكرة ، وعرض نظام الأكوان ، وما فيها من الإتقان والأحكام على أنظار العقول ، وطالبها بالإمعان فيها لتصل بذلك إلى اليقين بصحة ما ادعاه ودعا إليه »[1] .

بيد أن الرسالة الخاتمة لم تصنع مع العقل ذلك فحسب ، وإنما تجاوزته كله ، وقفزت فوقه ، فأخذت بيد ا لعقل فى الجانب الغيبى ، مأخذ يتناسب مع إمكانياته فى مراحله المختلفة ، لم تدلف به بقوة ، وإنما أخذته إلى تلك القضايا الغيبية شيئا فشيئا ، حتى بلغ قمته ، يتضح ذلك فى القضايا التعبدية ، والأخرى التعقلية[2] . التى لا مثيل لكل منهما سوى فى الدين الإسلامى ، الذى تمثله الرسالة الخاتمة مع النبى الخاتم سيدنا محمد بن عبدالله ﷺ .

---

(١) الإمام محمد عبده – رسالة التوحيد ص – ط المنار .

(٢) راجع ذلك فى كتب الفقه ، فإنها تحدثت عن الأحكام التعبدية والتعقلية كثيرا ، مثال ذلك لماذا كانت صلاة الصبح ركعتين ، وصلاة الظهر أربعا ، إلى غير ذلك من الفروض التى تأتى على ناحية تعبدية ، فإن ذلك كله لا تستطيع أن تقدم له تعليلا لدى العقل مهما كانت إمكانياته .




الفصل الثانى
ماهية النبوة والنبى
والرسالة والرسول



تمهيد

لما كانت أمور الحياة لا تستقيم إلا بقائد للخير ، يسعى بين الخلائق بالمعروف شرعا ويدّلهم عليه ، ويأخذ بأيديهم إليه حتى يمكنهم من السير فيه ، بحيث يبلغون المأمن فى الدنيا ، ثم تأتى النجاة فى الدار الآخرة ، حيث يكونون قد أعدوا أنفسهم لها ، بالأعمال الصالحة ، حتى ينعموا فى دار الخلود[١] .

ولم يكن ذلك كله متيسرا لآحاد الناس بل لخواصهم ، فكانت النبوة الصحيحة من الله تعالى لعباده ، وكان النبى هو الفرد القائم منهم ، المصطفى من قبل الله تعالى لهم . قال ﷻ ﴿ " اللَّهُ يَصْطَفِي مِنَ الْمَلائِكَةِ رُسُلا وَمِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ " ﴾[٢] .

والدارس للنبوات أو الرسالات عليه أن يعرف بماهيــة كل من تلك المفردات[٣] . حتى يكون سيرة البحثى فى الاتجاه الصواب ، لأن التعريف بكل النبوة والرسالة منها يلزمه التعريف بكل من النبى والرسول أيضا ، باعتبار أن النبوة والنبى متلازمان ، من حيث المفهوم ، فلا نبوة بدون نبى ، كما لا نبى

(١) قال تعالى ﴿ " للذين أحسنوا الحسنى وزيادة ولا يرهق وجوههم قتر ولا ذلة أولئك أصحاب الجنة هم فيها خالدون " ﴾ سورة يونس الآية ٢٦ .

(٢) سورة الحج الآية ٧٥ .

(٣) ماهية الشيء ما بها يعرف ، وتدل عليه على سبيل التوضيح والتمييز ، ولذا يقال على تعريف الشيء أنه ماهيته ، ومن اشترط أهل العلم فى التعريفات شروطا كثيرة - راجع كتابنا (الغزاليات فى التصديقات) ، وكذلك (الغزاليات فى التصورات) .

بدون نبوة . وكذلك الحال فى الرسالة والرسول . فما من رسول إلا ومعه رسالة ، وما من رسالة إلا ولها رسول .

وبالتالي فهناك أمران :

الأول : النبوة أو الرسالة :-

وهى التعاليم الإلهية التى بعث الله تعالى بها أحاد الخلق عن طريق ملك الوحى . إلى واحد من بنى جنسه ، حتى يقودهم إلى الخير ، ويبلغهم شرع الله إليهم . ولن يتمكن من القيام بها إلا إذا كانت ممكنة لهم ، واقعة فى طاقاتهم[1] .

الثانى : النبى أو الرسول :-

وهو الشخص الذى يختاره الله تعالى لطفا ورحمة . ليكون قائما بأمر حمل وتبليغ التعاليم الإلهية . باذلا جهده فى سبيل تحقيق ما أمره الله تعالى به ، وكلفه القيام عليه . لذات المرسل إليهم ، على الناحية التى أمرها بها رب العالمين[2] . ابتغاء رضوانه جل علاه .

وجريا على عادة أهل العلم من تفصيل القول فى كل من المفردات الأربعة « النبوة ، النبى ، الرسالة ، الرسول » سأفعل راجيا من الله تعالي السلامة والنجاة فى دارى الدنيا والآخرة ، إنه أكرم مسئول ، وسيكون ذلك على النحو التالي :-

أولا : النبوة

لا شك أن لفظ النبوة من الألفاظ التى جاءت فى لغة العرب . كما جاءت فى الألفاظ القرآنية . وكذلك الحديث – السنة النبوية الصحيحة المطهرة – الشريف

---

(١) هذا تعريف لها بالموضوع ، وهو من التعاريف المقبولة فى مثل تلك الدراسات ، وراجع كتابنا الغزاليات فى السمعيات ، وراجع القول السديد فى علم التوحيد للشيخ محمود أبو دقيقة .

(٢) سوف أزيد القول فى تعريف العلماء لكل من النبى والرسول فيما سيأتى ، إن شاء الله تعالى .

بحيث يمكن القول بأنها أصيلة المورد فى العربية . بجانب ورودها فى النقل المنزل . ولذا عرفت بالعديد من التعريفات التى تمثل بعضا من اجتهادات مفكرى المسلمين فى المسالة . سواء على ناحية اللغة ، أم على ناحية الاصطلاح . وسأعرض لكل منهما فيما يلى :-

(أ) فى اللغة :-

وردت مادة الكلمة فى لغة العرب على جهات ثلاث « نَبَوَ ، نَبَيَ ، نبأَ » . ولكل مادة من مواد الكلمة معنى من المعانى ، تجيء عليه ، بحيث يكون دالا عليها من تلك الجهة ذاتها بالأصل[1] ، وإن دل عليها من ناحية أخرى فبالعرض .

◄◄ **فمن الأول : نبو**[2] :- يكون معنى النبوة - على معنى مادة الكلمة - الأخبار عن الله تعالى ، بواسطة جبريل الأمين ﷺ ، بشرع الله رب العالمين ، لقوم مخصوصين . كالحال مع الأنبياء السابقين[3] . أو للجن والإنس على ما هو معروف من شأن النبوة الخاتمة - نبوة سيدنا محمد ﷺ خاتم الأنبياء والمرسلين - .

---

(١) الشيخ محب الدين عبدالعظيم موافى - دراسات فى النبوة والأنبياء ص١٥ ط أولى ١٩٣٣م - المطبعة الأهلية .

(٢) يذهب بعض العلماء إلى أن أصل الكلمة ، « نبأ » بالهمزة ، ثم قلبت الهمزة واوا ، ثم حدث إدغام كالحال مع لفظ المروة - راجع المقاصد للعلامة السعد التفتازانى جـ٢ ص١٢٩ .

(٣) وفى الحديث الشريف « حدثنا محمد بن سنان قال: حدثنا هشيم (ح). قال: وحدثني سعيد بن النضر قال: أخبرنا هشيم قال: أخبرنا سيار قال: وحدثنا يزيد، هو ابن صهيب الفقير، قال: أخبرنا جابر بن عبد الله: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (أعطيت خمسا، لم يعطهن أحد قبلي: نصرت بالرعب مسيرة شهر، وجعلت لي الأرض مسجدا وطهورا، فأيما رجل من أمتي أدركته الصلاة فليصل، وأحلت لي المغانم ولم تحل لأحد قبلي، وأعطيت الشفاعة، وكان النبي يبعث إلى قومه خاصة، وبعثت إلى الناس عامة). - أخرجه البخارى فى كتاب التيتم تحت رقم (٣٢٨) ، وأخرجه مسلم في أول كتاب المساجد ومواضع الصلاة، تحت رقم (٥٢١) .

◄◄ **ومن الثانى : نبى**[1] :- يكون معنى النبوة « الطريق المستقيم ، الذى يجيء النبى فيأخذ الناس إليه . حتى يعرفهم أسباب النجاة . فيدلهم على الخالق العظيم -جل علاه - . وطرق عبادته ، بما يحقق لهم السعادة فى الدنيا ، والاستقرار فى دار النعيم فى الآخرة» ﴿ " يَوْمَ لا يَنفَعُ مَالٌ وَلا بَنُونَ إلا مَنْ أتى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيم " ﴾[2] .

◄◄ **ومن الثالث : نبأ**[3] : يكون معنى النبوة « الأمور المرتفعة القدر . العالية المنزلة . بحيث لا يتمكن الخلائق منفردين أو مجتمعين من الإتيان بمثلها ، وبالتالى يظل النبى أو الرسول القائم بها عالى القدر ، رفيع المنزلة[4] ، مشتهرا بين أقرانه من البشر أجمعين ، بأنه الوحيد المرسل فيهم من رب العالمين .

(ب) فى الاصطلاح :-

ذهب علماء العقيدة الإسلامية فى تعريف النبوة على الناحية الاصطلاحية مذاهب كثيرة . بعضها متعلق بطبيعة عمل النبى من الناحية الشرعية ، وبعضها قائم فى الموضوعات التى تعنى بالمبعوث فيهم النبى ، وبعضها متمثل فى التعاليم الإلهية . التى يجيء بها ذات النبى ، وبعض أخر متعلق بالغاية من بعثة النبى . وسأذكر ما أراه أقرب للدارس :-

---

(١) ذلك باعتبار أن مأخذ الكلمة على الناحية اللغوية الاشتقاقية هو النباوة - راجع قطر المحيط ، وأساس البلاغة ، ومحيط المحيط ، والمعجم الوسيط .

(٢) سورة الشعراء الأيتان ٨٨/٨٩ .

(٣) المادة المشتركة فى المعنى الثانى والثالث تجعلها متقاربين فى كثير من النواحى اللغوية .

(٤) ذلك كله على النواحى اللغوية ، وليسى على النواحى الاصطلاحية ، ولطالب المزيد فى ذلك الجانب اللغوى الرجوع إلى مصادر العربية ، ففيها خير كثير .

[١] عرفها العلامة التفتازانى[1] ، بأنها كون الإنسان مبعوثا من الحق إلى الخلق[2] . فالحق جل علاه ينبئ من اصطفاه ليقوم بإبلاغ المكلفين تعاليم نبى سبق . أو بعثه الله تعالى به . حتى تتحقق لهم السعادة فى الدنيا والآخرة .

[٢] عرفها شيخ الإسلام إبراهيم الباجورى[3] : بأنها « خصيصة من الله تعالى ، تقوم على اختصاص من الله تعالى ، العبد بسماع وحى من الله تعالى ، بحكم شرعى تكليفى »[4] . وهذا التعريف خاص بالنبوة . عندما يراد التفرقة بين مفهوم كل من الرسالة . أو مفهوم النبوة .

---

(١) هو أحد شيوخ الأشاعرة المتأخرين ، وله مجهوده العلمى الوفير ولذا يعتبره البعض من الشراح ، بينما يعتبره البعض من المحققين – راجع دراسات فى الفكر الأشعرى للأستاذ / رافع بن المكوع ص١٥ – ط أولى ١٩٤٣م بالمطبعة الوهيبية بالمغرب .

(٢) العلامة السعد التفتازانى – شرح المقاصد جـ٢ ص١٣١ .

(٣) هو شيخ الإسلام إبراهيم بن محمد بن أحمد الباجور (١٢٧٧/١١٩٨هـ – ١٨٦٠/١٧٨٤م) – شيخ الجامع الأزهر من فقهاء الشافعية ، نسبة إلى الباجورى من قرى المنوفية بمصر ، ولد ونشأ فيها ، وتعلم فى الأزهر الشريف ، وظل يرقى حتى صار شيخا للأزهر ١٢٦٣هـ ، واستمر بها إلى أن توفى بالقاهرة ١٢٧٦هـ ، يعتبر رحمه الله من شيوخ الأشاعرة المحققين ، له مؤلفات عديدة منها « ١–حاشية على مختصر السنوسى فى المنطق ، ٢–التحفة الخيرية ، ٣–حاشية على الشنشورية فى الفرائض ، ٤–تحفة المريد على جوهرة التوحيد ، ٥–تحقيق المقام حاشية على كفاية العوام ، ٦–حاشية على أم البراهين للسنوسى ، ٧–المواهب اللدنية ، ٨–حاشية على شمائل الترمذى ، ٩–فتح الخبير اللطيف ، ١٠–الدرر الحسان يحصل به الإسلام والإيمان ، ١١–تحفة البشر على مولد ابن حجر » ، وألف غير ذلك الكثير رحمه الله ، وجعل الجنة مثواه – راجع لخير الدين الزركلى : الاعلام – المجلد الأول جـ١ ص٧١ – ط دار العلم للملايين ، وكذلك خطط عل مبارك جـ١ ص٢١٩ ، وهو غير شيوخ البيجورى ، راجع عمر رضا كحالة – معجم المؤلفين جـ٨ ص١٩٢ ، جـ١ ص٧ ، وهو ما أرجو التنبيه عليه .

(٤) العلامة الباجورى – حاشية الباجورى على الجوهرة ص٧٣ – المطبعة الأزهرية .

ولا شك أن علم الكلام في الإسلام[1] قسمة أصحاب الفن نفسه إلى ثلاثة مباحث ، كل منها له تعريفات ، وحوله اجتهادات كثيرة ، قام بها علماء أهل الإسلام ، ومجمل تلك المباحث هو :-

المبحث الأول : الإلهيات :

وهو ما يبحث فيه عن ما يجب لله تعالى من صفات الجلال والجمال ، والكمال والإكرام . وسائر الصفات التي يتعلق بها الخلق والإيجار والإعدام . وما يجوز أن يوصف به جل علاه ، مما ورد به النقل ا لمنزل في القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة . وما يستحيل في حقه جل علاه[2] ، على وجه الإجمال أو التفصيل . طبقا لما هو مستقر عند أصحاب الفكر الإسلامي .

المبحث الثاني : النبوات :

وهو ما يبحث فيه عن الرسل – صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين – من كونهم بشرا يأكلون ويشربون . ويولدون . ويموتون . إلى أخر تلك الصفات . التي هي القاسم المشترك بين البشر جميعا ، وما يجب للرسل من صفات الكمال البشري . حيث أنهم في أعلى درجات ذلك الكمال البشري ، وما يجوز لهم من البيع والشراء . والأعمال التي بها تسير أنماط الحياة ، لكن على صورة مثلى ،

---

(١) هذا الوصف قصدت به التخصيص ، حتى لا يدخل فيه علم الكلام المسيحي إلى تبناه القسيس في الوقت الحاضر – راجع قضايا العقيدة المسيحية للقس صموئيل مشرقي .

(٢) عرف بمبحث الإلهيات باعتبار الموضوع الذي يتناوله ، وهو إثبات وجود الذات الإلهية والصفات العظمى ، على النحو الوارد في المؤلفات الكلامية ، راجع في هذا الشأن : « حاشية العلامة محمد الأمير ، الأربعين في أصول الدين للإمام الفخر الرازي ، وحاشية الباجوري ، وشرح السعد للمقاصد وغيرها » .

وما يستحيل فى حقهم ، وهو كل ما يؤدى إلى نسبة أحد النقائص ، إليهم أو نفرة الناس عنهم ، أو إنقاص القيام بأدوارهم فى المرسل إليهم .

كما يبحث فيه عن بيان ماهية النبى والرسول ، والنبوة والرسالة . ومثبتات النبوة – كالمعجزة – ، وأخلاق النبى ، وما يستتبع ذلك من سيرته الذاتية ، وأحواله الشخصية(1) ، إلى غير ذلك مما هو متعلق بالنبوات ، ويرد على ذات الجانب قائما على الدليل النقلى ، أو العقلى ، أو هما معا .

المبحث الثالث : السمعيات :

وهى ما يبحث فيه عن كل ما ورد به السمع عن الصادق المعصوم ﷺ ، على وجه الإجمال والتفصيل ، سواء تعلق ذلك بما قبل خلق الكون ، أم أثناء خلقه ، أو جاء مصاحبا له ، ولم نعرف عنه شيئا ، إلا من ذات النقل ا لمنزل ، أم جاء حديثا عن اليوم الأخر بما فيه من بعث ، ونشر ، وحشر ، ثم صراط وميزان ، وجنة أو نار ، إلى غير ذلك(2) ، مما لا حيلة للعقل فى التعرف عليه(3) ، إلا من خلال السمع المعصوم .

---

(1) عرف باسم مبحث النبوات باعتبار أن الموضوع المطروح للتناول فيه هو النبوات ، من حيث هى نبوات ورسالات ، ومن حيث إضافتها إلى القائمين عليها – راجع المطالب العالية للفخر الرازى ، والنبوات لابن تيميه ، والتنبؤ والمعجزات للقاضى عبدالجبار بن أحمد الهمذانى وغيرها .

(2) راجع فى ذلك الشأن – الاقتصاد فى الاعتقاد للإمام الغزالى ، وأحياء علوم الدين له أيضا ، ونهاية الاقدام للشهرستانى ، والمطالب العالية للإمام الفخر الرازى ، وغاية المرام للآمدى ، وحاشية الدسوقى ، وحاشية الباجورى ، ومطالع الأنظار ، وطوالع الأنوار ، ونور الظلام ، وغير ذلك من مؤلفات مؤلفى المسلمين فى علم الكلام ، وبخاصة أهل السنة والجماعة .

(3) وهو الذى أميل إليه ، باعتبار أن ذلك بعيد عن إمكانية العقل وقدراته ، ومادام الأمر كذلك ، فمن أين للعقل أن يقدم معرفة صحيحة فيه ، ما لم تكن هناك عملية التوجيه التى يقوم بها النقل المنزل ، راجع فى هذا الشأن كتابنا : الإيمان بالغيب وأثره على الفكر الإسلامى ط7 .

إذن مبحث النبوات بناء على هذا التقسيم يعتبر أحد أجـزاء علـم العقيـدة ، وتعرف بأنها « ما يبحث فيه عن الأنبياء -صلوات الله وسلامه عليهم - من حيث ما يجب لهم . وما يجوز أن ينسب إليهم . وما يستحيل في حقهم تصورا كـان أو نسبة ، على وجه يؤدى إلى تقديم معرفة كاملة بهم ، متى كان ذلـك علـى الوجـه المأمور به شرعا .

ثانيا : النبى

عرفنا أن النبوة عنـد أهـل السـنة والجماعـة تقـع « رحمـة مـن الله تعـالى . متعلقة بمشيئته جل علاه ، يختص بها مـن يشـاء مـن عبـاده ، وهـو أعلـم حيـث يجعل رسالاته[1] .

ومن ثم فالنبى هو ذلك الشخص المتعـين الـذى قـال لـه الله تعـالى - اصطفـاء واختيارا - أرسلتك إلى قوم مخصوصين فى مكان مخصوص ، كالحال فى الرسالات السابقة[2] ، وأرسلتك إلى الناس كافة ، ومعهم الجن فى كل زمـان ومكـان ، إلى أن تقوم الساعة ، وهو شأن الرسالة الخاتمة التى جاء بها نبينا محمد ﷺ .

ثم أن النبى هو المنبأ من الله تعالى ، مبلغا عنه ما شرعه لمن بعثه فيهم . قال تعـالى ﴿ " إنـا أرسـلناك بـالحق بشـيرا ونذيـرا وإن مـن أمـة إلا خـلا فيـها نذير " ﴾[3] .فهو ﷺ قد أنبأه الله ﷻ بأنه ﷻ اختاره واصطفاه ، ليكون مبلغـا عـن الله تعاليمه جل علاه ، إلى هؤلاء المرسل فيهم ، حتى أن الله تعالى يجرى على يديه

---

(١) العلامة السيد الشريف الجرجاني - شرح المواقف جـ٨ ص٢٤٢ .

(٢) الشيخ محب الدين عبدالعظيم وافى - دراسات فى النبوة والأنبياء ص٢١ .

(٣) سورة فاطر الآية ٢٤ .

ما يوجههم نحوه . قال تعالى ﴿ " وما أرسلنا في قرية من نبي إلا أخذنا أهلها بالبأساء والضراء لعلهم يضرعون " ﴾[1] .

كما أن النبى يأتى من بنى الإنسان لبنى الإنسان أيضا ، فإنه يأتى من غيرهم ، على سبيل الإرسال والبعث فى ذات القوم ، نلمح ذلك فى قوله تعالى ﴿ " وما من دآبة في الارض ولا طائر يطير بجناحيه إلا أمم أمثالكم ما فرطنا في الكتاب من شيء ثم إلى ربهم يحشرون " ﴾[2] ، وقال تعالى ﴿ " الله يصطفي من الملائكة رسلا ومن الناس إن الله سميع بصير " ﴾[3] . فدل ذلك على أن كل نبى يأتى فى بنى جنسه ، وبلسانهم الذى يجيدونه .

بيد أن علماء الإسلام أهل الحق والعرفان بالله تعالى حينما بحثوا تعريف النبى أو النبوة ، أو تعرضوا لهما بالإثبات والتأكيد ، لم يدلفوا إلى الغيب الذى لم يأمر الله تعالى بالبحث فيه « وإنما شغلوا أنفسهم بما سمح الله تعالى لهم بالتفكير فيه ، والاستدلال عليه ، ومنه ما يتعلق بأدلة إثبات النبوات[4] - أنبياء ونبوات فى بنى الإنسان وحدهم - باعتبار أنهم من بنى جنسهم ، وجاءت النصوص الدينية صريحة فيه ، ناطقة به ، دالة عليه .

من هنا عرفوا النبى بأنه « إنسان حر ذكر من بنى آدم ، أوحى الله إليه بشرع مستقلا ، أو متابعا لشرع من سبق ، سواء أمر بتبليغ ذلك أم لم يؤمر به ،

(١) سورة الأعراف الآية ٩٤ .

(٢) سورة الأنعام الآية ٣٨ .

(٣) سورة الحج الآية ٧٥ .

(٤) الأستاذ عبدالوهاب الغرباوى - دراسات فى الفكر الإسلامى ص٧٥ .

فإن وقع له الأمر بالتبليغ فهو نبى رسول معا ، وإن لم يقع له الأمر بالتبليغ فهو نبى فقط ، لأنه من الله تعالى أنبئ وأصطفى ، تفضلا من الله تعالى ورحمة[1] ، ليكون قائدا لمن أرسل فيهم ، طبقا لما شرع الله تعالى .

ثالثا : الرسالة

بذل علماء العقيدة الإسلامية فى تعريف الرسالة على الناحية اللغوية والاصطلاحية جهودا كبيرة ، ولكنى سوف أعول على الناحية الاصطلاحية هنا ، حيث عرفها :-

[١] **العلامة صاحب المسامرة**[2] : بأنها « سفارة بين الحق تعالى وبين عباده . ليزيح بها عللهم فيما قصرت عنه عقولهم »[3] . وهو تعريف قد ركز على جانب تعليلى . قائم فى إزالة العلل التى قصرت عنها عقول المكلفين ، مع ان معرفة الله تعالى قائمة فى العقول السليمة ، والفطر النقية ، وأن الرسالة تؤكد ذلك المعنى . كما أنها تعريف العقل بما لا يستقل بمعرفته وحده من صفات الله تعالى العظمى وأسمائه الحسنى ، على ما جاء به النقل المنزل .

---

(١) هذا التعريف هو الذى أميل إليه ، كما أن جهود أهل السنة والجماعة قد أفاضت فيه ، وركزت عليه .

(٢) هو العلامة الكمال بن أبى شريف من شيوخ الماتريدية ويعتبر فى قائمة المحققين ، وله اتجاهات علمية متعددة ، وإنتاج فكرى متميز ، رحمه الله وجعل الجنة مثوانا ومثواه .

(٣) العلامة الكمال بن أبى شريف – المسامرة بشرح المسايرة ص١٨٨ – ومعهما حاشية الشيخ زين الدين قاسم – المطبعة الأميرية ١٣١٧هـ .

[٢]**العلامة السعد التفتازانى**[1] : بأنه « سفارة العبد بين الله تعالى ، وبين ذوى الألباب من خليقته . ليزيل بها عللهم ، فيما قصرت عنه عقولهم من مصالح الدنيا والآخرة »[2] . وهو قريب من تعريف صاحب المسامرة ، فكأنهما أخذا من معين واحد ، وذلك يؤكد أن أهل السنة والجماعة – أشاعرة وماتريدية – يتوافقون فى القضايا العامة المشتركة ، وأغلب الاصطلاحات القائمة .

[٣]**العلامة الباجورى** : « هى خصيصة من الله تعالى ، تقوم على اختصاص من العبد بسماع وحى من الله تعالى بحكم شرعى تكليفى ، وأمر بتبليغه »[3] . إلى القوم الذين أرسله الله تعالى إليهم ، حتى يعرفهم بالحق ويدلهم عليه .

[٤]**تعريف أميل إليه** : هو أن الرسالة سفارة بين الله تعالى وخلقه ، يقوم بها من يصطفيه الله جل علاه ، وفيها نوع إرسال من الحق جل جلاله ، لهداية الخلق وتعريفهم به جل علاه ، وما يجب عليهم نحوه من إثبات الكمالات له جل جلاله ، وما ينصلح به حال المكلفين فى الدنيا والآخرة ، مما لا حيلة للعقل فى التعرف عليه ، أو الوصول إليه بطريق يقينى مأمون .

---

(١) هو العلامة سعد الدين التفتازانى من شيوخ الأشاعرة ، وخاتمة المحققين على الرأى الراجح ، له العديد من المؤلفات العلمية فى الجدل ، والتوحيد ، والمنطق ، والأصول ، وغيرها ، ومنها : « مقاصد الطالبين فى أصول الدين وشرحه ، وتهذيب المنطق » .

(٢) العلامة السعد التفتازانى – شرح المقاصد جـ٢ ص١٣١ .

(٣) شيخ الإسلام إبراهيم الباجورى – حاشية الباجورى على الجوهرة ص٧٣ – المطبعة الأميرية ، وحاشية السيالكوتى على شرح المواقف جـ٨ ص٢٤١ – ضبط الأستاذ / محمود عمر الدمياطى – دار الكتب العلمية .

ومجمل التعريفات للرسالة قائمة فى أنها واقعة بفيوضات الله تعالى . تفضلا منه ورحمة . يقوم بها من يختاره الله تعالى على سبيل الإبلاغ . ومعه رسالة وكتاب . إلى قوم بأعيانهم . متى كانت رسالة خاصة ، كالحال مع النبوات أو الرسالات السابقة على النبوة الخاتمة ، التى جاء بها سيدنا محمد ﷺ .

رابعا : الرسول

لم تقف جهود مفكرى أهل السنة والجماعة عند مجرد تعريف النبوة والنبى والرسالة . وإنما قدموا فى تعريف الرسول مجهودات كثيرة ، فقد عرفه الإمام السعد بأنه : « إنسان بعثه الله تعالى لتبليغ ما أوحى إليه »[1] .

وهذا التعريف ينطوى تحته الأمور الاتية[2] :

[١]**وجود انسهن حر ذكر من بنى آدم اصطفاه الله تعالى من خلقه** . وميزه عن كثير منهم على سبيل الاصطفاء له ثم بعثه إليهم لهدايتهم وابلاغ شرع الله تعالى إليهم على النحو الذى شرعه الله ، وقام فيهم راعيا به ، مطبقا له ، قدوة فيه . حتى انقضى فيه أمره .

[٢]ولذا كانت النبوة فى بنى الإنسان لطائفة من بنى جنسه . باعتبار النبوات السابقة كانت كلها خاصة ، عدا النبوة الخاتمة الدائمة ، فقد جاء بها سيدنا محمد ﷺ للأنس والجن كافة ، وعامة .

---

(١) العلامة السعد التفتازانى – شرح المقاصد جـ٢ ص١٣١ .

(٢) استفدت هنا بكثير من موضوعات كتابنا الغزاليات فى السمعيات ص٣٥ ، وما بعدها .

[٣]وجود قوم بعث إليهم النبى ، وهم أمه قابلة للتكليف . قال تعالى : ﴿ " وان من أمة الا خلا فيها نذير" ﴾[١] . وهى أمة ذلك النبى الذين بعث فيهم وأرسل إليهم . وربما نسبوا اليه . أو نسب هو إلى اخوتهم . قال تعالى : ﴿ " وإلى عاد أخاهم هودا قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من إله غيره إن أنتم إلا مفترون " ﴾[٢] ، و قال تعالى : ﴿ " ولقد أرسلنا إلى ثمود أخاهم صالحا أن اعبدوا الله فإذا هم فريقان يختصمون قال يا قوم لم تستعجلون بالسيئة قبل الحسنة لولا تستغفرون الله لعلكم ترحمون " ﴾[٣] .

وقال تعالى : ﴿"فلولا كانت قرية آمنت فنفعها إيمانها إلا قوم يونس لمآ منوا كشفنا عنهم عذاب الخزي في الحياة الدنيا ومتعناهم إلى حين"﴾[٤]، فقد نسب الله إلى نبيه يونس عليه السلام قوما بعث فيهم . فلما آمنوا رفع الله عنهم عذاب الخزى فى الدنيا ، وجعل منزلتهم على غيرهم تعلو .

وقال تعالى : ﴿ " وإن يونس لمن المرسلين إذ أبق إلى الفلك المشحون فساهم فكان من المدحضين " ﴾[٥] . وقال تعالى فى سيدنا يونس أيضا : ﴿ " وارسلناه إلى مائة الف أو يزيدون فآمنوا فمتعناهم إلى حين " ﴾[٦] . فهم فى الجانب الأول تمتعوا لما آمنوا ، وجعل الله تعالى الخير يحيط بهم فى الجانب الثانى .

---

(١) سورة فاطر الآية ٢٤ .

(٢) سورة هود الآية ٥٠ .

(٣) سورة النمل - الأيتان ٤٥/٤٦ .

(٤) سورة يونس الآية ٩٨ .

(٥) سورة الصافات الآيات ١٣٩/١٤١ .

(٦) سورة الصافات الأيتان ١٤٧/١٤٨ .

[٤]**وجود الرسالة التى حملت شريعة الله تعالى اليهم** ، وهى ربما حرمت عليهم بعض ما كان حلا لغيرهم أو كله ، قال تعالى : ﴿ " وعلى الذين هادوا حرمنا كل ذى ظفر ومن البقر والغنم حرمنا عليهم شحومهما الا ما حملت ظهورهما أو الحوايا أو ما أختلط بعظم ذلك جزيناهم ببغيهم وانا لصادقون " ﴾[١] . فالعقوبة قائمة على سبيل الإصلاح ، لمن خالف تعاليم الله تعالى .

وربما أحل الله لهم ما كان محرما على أمة نبى سبق ، سواء كان الحل فى الكل أو فى بعضه ، قال تعالى على لسان عيسى عليه السلام لبنى إسرائيل : ﴿ " ولأحل لكم بعض الذى حرم عليكم وجئتكم بأية من ربكم فاتقوا الله وأطيعون " ﴾[٢] ، والتعليل هنا فى الحل أو التحريم المقصود به التعليم ، واختيار إيمان المؤمنين بالله رب العالمين .

وربما جاء بشريعة مستقلة فى أمورها العملية على كافة النواحى تخالف شريعة من سبق ، نستأنس لذلك بقوله تعالى : ﴿ لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا ولو شاء الله لجعلكم أمة واحدة ولكن ليبلوكم في مآ آتاكم فاستبقوا الخيرات إلى الله مرجعكم جميعا فينبئكم بما كنتم فيه تختلفون " ﴾[٣] ، وبالتالى فالرسالات السماوية أصولها العقدية واحدة[٤] ، وإن اختلفت فى بعض التكليفات العلمية أو كلها .

---

(١) سورة الانعام الآية ١٤٦ .

(٢) سورة آل عمران الآية ٥٠ .

(٣) سورة المائدة الآية ٤٨ .

(٤) راجع فى هذا الشأن : الحقائق المشتركة بين رسل الله (رسالة ماجستير بقسم التفسير) كلية أصول الدين القاهرة للزميل أ.د/ السيد أحمد سويلم على .

يقول العلامة السنوسى – رحمه الله – : أعلم أن الرسول هو : إنسان بعثه الله تعالى للخلق ليبلغهم ما أوحى اليه[1] ، حتى يكون حجة عليهم ، قاطعا الأعذار التى يمكن أن يظنوها قائمة معهم .

وذكر العلامة " ابن عرفه " أن الرسول هو إنسان أوحى اليه بشرع ، وكان له كتاب ، فلابد فى الرسول من الكتاب أو الشريعة أو هما معا[2] ، لكنه لا يكون خلوا أبدا من أى منهما .

وعرف الأمام السعد الرسول : بأنه إنسان بعثه الله تعالى : " لتبليغ ما أوحى اليه به ، وهذا التعريف يجعل الرسول والنبى بمعنى واحد ، وتكون النبوة والرسالة على هذا النحو قائمة ، ولذا لم يجعله " السعد " رأيا نهائيا ، وانما هو رأى فى المسألة ، بحسن الرجوع اليه ضمن الآراء الموجودة فى المسالة[3] ، إذ هو أحد المعبرات عن الفكر الإسلامى فى جانب مهم من الجوانب الكلامية .

خامسا : العلاقة بين النبى والرسول

يرى بعض العلماء : أن النبى هو الرسول ، والنبوة هى الرسالة ، بينما يرى غيرهم تخالف الأمرين فى المسألة ، وذلك يستوجب عرض هذه القضية فى مفرزات عقول أصحابها ، ومحاولة الترجيح بين الآراء فى المسألة حسب قوه الأدلة ، أو ضعفها ، وذلك على النحو التالى :

---

(١) العلامة الشيخ : محمد بن يوسف السنوسى – شرح أم البراهين ص١٧٤/١٧٥ .

(٢) العلامة : محمد بن أحمد بن عرفه الدسوقى – حاشية على شرح أم البراهين ص١٧٥ .

(٣) من مميزات مفكرى أهل السنة والجماعة قدرتهم العقلية على تقديم البدائل الفنية ، التى تضفى على الموضوع المطروح الكثير من الجدة والرواء .

◂◂ الرأى الأول : أنهما بمعنى واحد

وهذا الفريق يقوم الرأى عنده على أن كل رسول نبى ، وكل نبى رسول[1] ، ودليلهم : أن الآيات القرآنية أوردت ذكر الأنبياء مرة ، والرسل مرة ، وعطفت الأنبياء على الرسل . أو عطفت الرسل على الأنبياء فدل الأمر على أن كل نبى رسول ، وكل رسول نبى ، وان ذكرهما معا ، إنما هو نوع من التأكيد اللفظى[2] . ويتبنى ذلك الرأى جمع من علماء العقيدة ، والمفسرين ، وأصحاب السير والمحدثين ، وكثير غيرهم .

ولهذا الفريق ظواهر شرعية وأخرى لغوية :-

❀ **أما اللغوية**: فهى أن اشتقاق النبى من الفعل المهموز معناه : الخبر ، ويكون النبى هو المنبئ عن الله تعالى المخبر عنه جل علاه ، وهذا ينطبق على كل من الرسول والنبى معا . فهو ينطبق على النبى باعتباره مخبرا عن الله ، وعلى الرسول باعتباره مرسلا من الله تعالى إلى الخلق حتى يعرفهم أحكام الشرع . ويدلهم على طريق الله سبحانه وتعالى ، ومن ثم فكلاهما بمعنى واحد ، ولكن ظواهر اللغة إن وافقتهم فى المعنى فإنها ى توافقهم فى المادة الأصلية للكلمتين -(ن ب و . ر س ل) – وبالتالى فالاحتجاج بظواهر اللغة ليس فى صالح الرأى الذى ذهبوا إليه .

❀ **أما الظواهر الشرعية القرآنية** : فمنها قوله تعالى : ﴿" وما أرسلنا في قرية من نبي إلا أخذنا أهلها بالبأساء والضراء لعلهم يضرعون "﴾[3] .فدلت الآية

---

(١) اكتفيت بذكر الرأى ودليله ، ولم أذكر أصحابه ، أو القائلين به ، لخروجهم على الحصر .

(٢) الدكتور: محمد الطيب النجار – تاريخ الأنبياء فى ضوء القرآن والسنة ص١٥

(٣) سورة الأعراف الآية ٩٤

الكريمة على أن الإرسال يكون للنبى كما يكون للرسول ، فكلاهما بمعنى واحد .

كما أن الله تعالى قال فى حق نبيه محمد ﷺ : " يا أيها الرسول بلغ ما انـزل إليك من ربك وان لم تفعل فما بلغت رسالته"[1] .

وقال له فى قرآنه الكريم : ﴿" يا أيها النبي إنا أرسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا وداعيا إلى الله بإذنه وسراجا منيرا "﴾[2] . فدل الأمر على ان الله تعالى خاطب نبيه محمدا بالنبوة والرسالة معا ، وبالتالى تكون الرسالة والنبوة بمعنى واحد – وهو الذى استدلوا به – يمكن حمله على أن سيدنا محمدا ﷺ نبى ورسول معا . فخوطب بهما . ولا ينطبق ذلك على النبى وحده . أو الرسول وحده . وتلك دقيقة تحتاج نوعا من الصبر فى المعالجة .

۞ **لكن كيف يكون نبيا رسولا فى وقت واحد ؟**

✍ **والجـواب** : أنه نبى من حيث أنبائه عن الله تعالى وحيه وتعاليمه ، فهو نبى من ناحية تلقيه عن الله . وأنبائه عنه بواسطة الملك الأمين . مع أنه لم يؤمر بتبليغ ما تلقاه عن الله[3] ، وإنما ظل محتفظا به ، يحمل نفسه عليه .

ثم أنه رسول باعتباره مرسلا إلى الخلق ، حتى يعرفهم شرع الله تعالى إليهم ، فهو نبى باعتبار التلقى ، ورسول باعتبار الإبلاغ ، فيكون نبيا رسولا .

---

(١) سورة المائدة الآية ٦٧ .

(٢) سورة الأحزاب الآيتان ٤٥/٤٦

(٣) الشيخ محمود محمد القاعود – الرسالة الخاتمة ص١٣١ ط أولى ١٩٤٣م – المطبعة التجارية .

قال العلامة الباجورى حاكيا هذا الوجه ، وقيل أن بينهما الترادف ، لاعتبار الأمر بالتبليغ فيهما . وعلى هذا فمن لم يؤمر بالتبليغ لا يسمى باسم منهما[1] . فكان النبى هو الرسول مباشرة .

◄◄ الرأى الثانى : أنهما ليسا بمعنى واحد

وهذا الرأى يقوم عند أصحابه على ضرورة التفرقة بين المعنى اللغوى . والمعنى الاصطلاحى لكل من النبى والرسول . ويقرر إمكانية أن يوصف الملك أيضا به فيكون رسولا ، والله تعالى قال فى القرآن الكريم : ﴿ " الله يصطفي من الملائكة رسلا ومن الناس إن الله سميع بصير " ﴾[2] .

فوقع الإرسال على كل من الناس والملائكة ، وهو على هذا المعنى إرسال لغوى لا محالة . ويكون المراد أنهم رسل يرسلهم الله بالوحى إلى أنبيائه فهم رسل لغة[3] ، وقس ذلك على رسل الملوك الذين يرسلونهم فى حوائجهم . فهم ليسوا رسلا على المعنى الاصطلاحى ، وإن كانوا على المعنى اللغوى .

ثم إن الملك المرسل من قبل الله تعالى لا يبلغ الأحكام إلى بنى جنسه ، ولا إلى الخلق . وانما يتلقى الملائكة التكليفات من لحظة الخلق لهم ، حتى يقوموا بها على الوجه الذى كلفهم الله تعالى القيام به ، ﴿ " وقالوا اتخذ الرحمن ولدا سبحانه بل عباد مكرمون " ﴾[4] . ﴿" لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون" ﴾[5] .

---

(١) شيخ الإسلام إبراهيم الباجورى - حاشية تحقيق المقام ص٧٢ .

(٢) سورة الحج الآية ٧٥ .

(٣) يعنى باعتبار المدلول اللغوى ، وليس الشرعى أو الاصطلاحى - العلامة ابن عرفه الدسوقى - حاشية على شرح أم البراهين ص١٧٤ .

(٤) سورة الأنبياء الآية ٢٦

(٥) سورة التحريم الآية ٦

﴿ وأصحاب هذا الفريق يقررون وجود

[١] عموم وخصوص مطلق .

[٢] عموم وخصوص وجهي .

وقد حكى هذه الأوجه العلامة الباجورى . فقال اشتهر أن بين الرسول . والنبى عموما بإطلاق . لأنه يعتبر فى الأول - الرسول - الأمر بالتبليغ دون الثاني - النبى .

وقيل أن بينهما عموما من وجه لأنه كما يعتبر فى الأول - الرسول - الأمر بالتبليغ يعتبر في النبى كذلك . لأنه يختص ببعض الأحكام - فيجتمعان أن اختص منهم بأحكام . وأمر بتبليغ أحكام ، وينفرد الأول - الرسول - أن أمر بتبليغ الكل ، وينفرد الثانى - النبى - إن لم يؤمر بتبليغ شيء[1] .

﴿ **وقبل السير فى عرض باقى هذه الآراء يجدر بى التعريف بمعنى كل من :**

[١] العموم [٢] المطلق [٣] الخصوص [٤] الوجهى

[١]**العموم** : فى اللغة عبارة عن إحاطة الأفراد دفعه واحدة ، وفى اصطلاح أهل الحق . ما يقع به الاشتراك فى الصفات سواء كان فى صفات الحق كالحياة والعلم . أو صفات الخلق كالغضب والضحك [2] ، وبهذا الاشتراك يتم الجمع

---

(١) شيخ الإسلام ابراهيم الباجورى - حاشية تحقيق المقام ص٧٢ .

(٢) هناك تفرقة ضرورية بين صفات الذات التى تخص الله وحده ، وصفات الأفعال التى يشترك فيها الخلق مع الله فى الناحية الأسمية فقط - راجع ص٩ - حاشية الجرجانى على مطالع الأنظار ، وكتابنا حبو الوليد فى علم التوحيد .

وتصح نسبته إلى الحق والإنسان[1] ، مع التمايز فى المعنى الخاص بكل منهما على حدة .

كما أن العموم معناه : شمول أفراد كثيرة يجمعها شيء واحد ، رغم ما بينها من تفاوت فى الاعتبارات كلفظ الإنسان . فإنه يجمع بين محمد وفاطمه . وعلى وزبيدة . وكل منها داخل فى تعريف الإنسان فهو يجمعها ، ويعمها رغم ما بين الأفراد من تفاوت فى الطباع والإمكانيات ، بل والنوع من كونه ذكر أو أنثى إلى أخر هذه الأمور المتفاوتة .

وعلى هذا فإن لفظ النبى أعم من الرسول . لكن هل هو عموم مطلق ، أم عموم وجهى . ذلك ما سنحاول الوصول اليه من خلال باقى التعريفات .

[٢] **المطلق** : وهو ما يدل على واحد غير معين[2] . فهو مطلق من كل قيد يحده أو يقلل منه ، أو يجعل الحدود التى تجمعه وغيره منتظمة فى شيء واحد ، فلو وقع له تحديد . أو تقليل ما كان مطلقا .

وعلى هذا فالعموم المطلق معناه : تميزه عن غيره من كل النواحى . وشموله له من غير أن يقلل منه ، وبناء على هذا فالنبى قد يكون أعم من الرسول مطلقا . والرسول أخص من النبى بهذا القيد[3] ، ما دام يجيء على تلك الناحية .

---

(١) التعريفات باب العين ص١٣٨ .

(٢) التعريفات باب الميم ص١٩٤

(٣) العلامة الباجورى – حاشية الباجورى على السمرقندية ص٣٥ .

[٣]**الخصوص** : معناه : انفراده به ، وجعله خاصا له ، ولأن خاصة الشيء ما يميزه من الصفات . كما أن الخاصية صفة لا تنفك عن الشيء وتميزه عن غيره . فضلا عن أن الخصوص نقيض العموم[١] . وبالتالى فالخصوص أقل من العموم مطلقا ، ما داما فى شيء واحد ، ومن جهة واحدة ، وباعتبار واحد .

فإذا أريد بشيء خصوصه كان غير ما أريد من شيء ما يخصه . لأن إرادة الشيء على الخصوص معناها طلبه وحده دون غيره[٢] . بحيث يكون هو المطلوب وحده .

أما إذا أريد خصوص شيء فمعناه أدق شيء فيه ، وإبراز ما يميزه عن غيره . حتى وإن تشارك مع غيره . فالعبرة بالدقيقة القائمة فيه على وجه الخصوص .

[٤]**الوجهى** : يعنى الوجه والجهة التى يأتى منها الحكم على الشيء نفسه . فمثلا الخوارق للعادات التى ترد على أيدى الأنبياء وفق دعواهم تصديقا لهم مع التحدى . هى معجزة له على غيره من البشر . لكن ما وجه الأعجاز ؟ هل الوجه هو العقل . أم العادة أو الوضع . أم الفعل[٣] ؟ إلى غير ذلك مما هو على هذه الناحية . وقد يكون بين الشيئين عموم مطلق أو وجهى .

---

(١) المعجم الوجيز باب الخاء ص١٩٩

(٢) العلامة الشيخ منصور محمد الغرباوى – حاشية على الرملى على المنهاج ص١٢٥ .

(٣) راجع كتابنا – عبدالكريم الخطيب وآراؤه الكلامية ، فقد تعرضت فيه لذكر تلك الجهات ، ثم ناقشتها حسب توفيق الله تعالى .

إذن أصحاب هذا الرأى - القائلون انهما النبى والرسول متغايران - يقرون أن بينهما عموما وخصوصا ، وعلى ذلك عرفوا :

(أ) الرسول : بأنه المرسل بشرع جديد ، أو بنسخ بعض أحكام الشريعة التى كانت قبله[1] . سواء كان النسخ عاما للشريعة السابقة . أو لبعض أحكامها فقط .

كما يعرف الرسول بأنه إنسان أوحى اليه بشرع ، وكان له كتاب ، فلابد فى الرسول من الكتاب والشريعة . ولا يلزم من كونه له كتاب أن يكون له شريعة . لاحتمال أن يكون ما فى الكتاب مواعظ[2] .

لم يسلم هذا التعريف من الاعتراض عليه ، بأن الكتب قليلة ، والرسل كثيرة . فكيف يشترط فى الرسول أن يكون له كتاب[3] ، وعدد الكتب أقل بكثير من عدد الرسل . طبقا لما هو وارد فى النقل المعصوم .

(ب) النبى : هو إنسان أوحى اليه بشرع أمر بتبليغه أم لا ؟ فالنبى أعم من الرسول مطلقا ، وهو الرأى المعتمد[4] عند القائلين به ، وإن لم يكن معتمدا عند غيرهم .

---

(١) راجع النسخ فى الشرائع السابقة للشيخ أحمد المراغى ص١٣ ، وكذلك نظرية النسخ للشيخ محمد إسماعيل . والأحكام فى الأحكام للأمدى .

(٢) العلامة الشيخ عبدالحكم محمد الطنبولى - النبوة والأنبياء ص٣١ - ط أولى - دار الحكمة ١٩٢٥ ، وراجع حاشية على أم البراهين .

(٣) العلامة محمد بن عرفه الدسوقى - حاشية على شرح ام البراهين ص١٧٥ .

(٤) المصدر السابق ص١٧٥

إذن لابد في الرسول من :

[١]أن يكون مرسلا ، وله كتاب .

[٢]أن تكون له شريعة فقط .

[٣]لابد أن تكون له شريعة ناسخة لشريعة من قبله[١] .

وليس ذلك الحال في تعريف النبي لدى هذا الفريق ، وهم المعتمد على قولهم في المسألة القائم الرأى عندهم ، ولكنها من وجهة نظرى أقوال ليست نهائية ، بل هي غالبة في أمرها قوية في أدلتها .

لكنه ربما أدى ذلك الرأى إلى إثبات الرسالة لمن ليست له ، أو نفيها عمن هي له ، فإنه ورد أن عدد الأنبياء مائة ألف وأربعه وعشرون ألفا .

وعدد الرسل ثلاثمائة وثلاثة عشر ، لكن الصحيح عدم حصرهم في عدد لقوله تعالى : " منهم من قصصنا عليك ومنهم من لم نقصص عليك [٢] .ولاختلاف الأحاديث في عددهم .

روى الإمام أحمد ﷺ أن الرسل ثلاثمائة وخمسة وعشر ، وروى أنهم ثلاثمائة وأربعة عشر ، وروى أن الأنبياء خمسة وعشرون ألفا[٣] .

وقال كعب الأحبار : الأنبياء ألف ألف ومائتا ألف ، وقال مقاتل الأنبياء في عددهم ألف ألف وأربعمائة ألف وأربعة وعشرون ألفا ، ولم يذكر الأنبياء ، أما لكون مجموع ما ذكرنا خاصا بالرسل ، أو جريا على الترادف [٤] .

---

(١) حاشية على شرح أم البراهين ص١٧٥ .

(٢) سورة غافر الآية ٧٨ .

(٣) راجع نور الظلام شرح عقيدة العوام ، ففيها كلام طويل حول المسألة .

(٤) الشيخ عبدالله الشرقاوى – حاشية الشرقاوى على شرح الهدهدى ص١١٤ .

◄◄ **أما تعريف النبى عند الأشاعرة** : فقد جاء فى اللغة والاصطلاح . نختار الأمام العضد كممثل لهذا الاتجاه . مع الأخذ فى الاعتبار أن الأشاعرة تعريفاتهم فيها قواسم مشتركة . وتلك من ميزات المذهب الأشعرى .

قال الإمام العضد : النبى لفظ منقول فى العرف عن مسماه اللغوى إلى معنى ما . ثم ذكر هذه الإطلاقات . وكلها تؤدى إلى معان ان اجتمعت أفادت . وإذا انفردت أفادت . فهى فى كل حالاتها اللغوية مفيدة .

◇ **فما هى تلك المعانى عنده ؟ والجواب أن :**

[١]النبى : هو المنبئ من النبأ لإنبائه عن الله تعالى .

[٢]النبى من النبوة : وهو الارتفاع لعلو شأنه

[٣]النبى من النبى : وهو الطريق لأنه وسيلة إلى الله تعالى .

وأما فى العرف وهو الاصطلاح ، فعرف النبى بأنه : من قال له الله أرسلتك . أو بلغهم عنى ، ونحوه من الألفاظ ، ولا يشترط فيه شرط ، ولا استعداد[١] . بل الله يختص برحمته من يشاء من عباده ، وهو أعلم حيث يجعل رسالاته[٢] .

ويقول الأستاذ " حسن أيوب ": النبى هو من أوحى الله تعالى اليه بشرع وسمى نبيا لأنه نبئ وأخبر من قبل الله تعالى ، فإن أمر تبليغ الشرع إلى الخلق سمى رسولا . لأن الله أرسله وبعثه إلى خلقه ليبلغهم شرعه .

---

(١) خلافا لما ذهب إليه بعض الفلاسفة من أن النبوة تقوم على الاكتساب ، وهو رأى غير مقبول .

(٢) الأمام عضد الدين الايجى – المواقف – الموقف السادس ص٣٣٧ – مطبعة المتنبى

فهو إذا مرسل ومبعوث وموفد من قبل الله تعالى إلى الخلق برسالة معينه . ومن أجل ذلك سمى رسولا . أما إذا لم يؤمر بالتبليغ فهو نبى فقط . وليس رسولا . لأن معنى النبوة تحقق فيه . ولم يتحقق فيه معنى الرسالة . فكل رسول نبى ولا عكس .

فإذا انتفت النبوة عن شخص انتفت الرسالة عنه ولابد . لأنه لا يرسل الا إذا أنبأه الله . وأخبره بأنه أختاره واصطفاه لوحيه أولا . ثم يخبره بأنه أرسله إلى من أرسله إليهم بعد ذلك . فالنبوة هى طريق الرسالة . ولا رسالة بدون نبوة[1] .

واتجاه الأشاعرة فى هذا الطريق ترجحه ظواهر اللغة والنصوص الشرعية ، والمجريات العقلية . أما كيف ؟ فلما يلى :

[١]ورد فى اللغة أن النبى هو المخبر عن الله والنبوة هى الخبر ، ولكنها لما كانت من قبل الله تعالى فكانت مرتفعه . ويكون النبى هو المرتفع عن سائر الخلق . ثم أن الأنبياء طرق الهداية الواضحة إلى الله تعالى[2] .

[٢]ورود لفظ الرسول فى اللغة بمعنى الذى تتابع أخباره من قبل الله الذى بعثه ، وإرسال الله الأنبياء هو وحيه إليهم ، ان انذروا عبادى وبلغوهم عنى[3] .

[٣]وردت النصوص الشرعية فى القرآن الكريم والسنة ، بأن الرسل غير الأنبياء ، قال تعالى : ﴿ " وما أرسلنا من قبلك من رسول ولا نبي إلا إذا تمنى

---

(١) الأستاذ : حسن أيوب – تبسيط العقائد الإسلامية ص١١٤ – ط٧ ١٤٠٦هـ/١٩٨٦م – دار التراث العربى

(٢) راجع لسان العرب جـ١ ص١٦٢ وما بعدها – باب النون والباء وما يثالثهما .

(٣) لسان العرب جـ١١ ص٣٨١ وما بعدها .

ألقى الشيطان في أمنيته فينسخ الله ما يلقي الشيطان ثم يحكم الله آياته والله عليم حكيم " ﴾[1] . فقد جاء العطف فى الآية الكريمة قائما بين الرسول والنبى دالا على المغايرة . وربما يقال هو من عطف العام على الخاص . فهما متغايران فى المعنى . كما هما متغايران فى الألفاظ .

[٤] ورود الأحاديث الكثيرة بان عدد الأنبياء زائد عن عدد الرسل ، من ذلك ما رواه الحاكم : أن رسول الله ﷺ سئل عن الأنبياء ، فقال : مائة ألف وأربعة وعشرون ألفا . فقيل فكم المرسل منهم قال ثلاثمائة وثلاثة عشر جما غفيرا[2] .

[٥] ما ثبت من وجود رسل برسالات وشرع ، ووجود أنبياء لا رسالات معهم على الخصوص كيوشع عليه السلام . إذن الأنبياء غير الرسل من هذه الناحية أيضا . وليس معناه الغيرية التى تأتى منها الخلافات ، بل الغيرية القائمة على استكمال الواجب الشرعى . ولهذا نميل[3] . وعليه نعول ونرجح .

[٦] فالنبى بذلك هو الرفيع المنزلة عند الله تعالى ، والرسول هو الذى يتتابع عليه الوحى من رسل اللبن إذا تتابع دره ، وكل رسول عز وجل نبى ، وليس كل نبى رسولا[4] .

---

(١) سورة الحج الاية ٥٢

(٢) أخرجه الحاكم فى مستدركه .

(٣) راجع : شرح الخريدة البهية ص١٨ ط الحلبى

(٤) الدكتور على عبدالفتاح المغربى – أمام أهل السنة والجماعة – ابو منصور الماتريدى وآراؤه الكلامية ص٣٤٥ – مكتبة وهبه .

وبهذا ينتهى الحديث عن علاقة النبى والرسـول ، وكذلـك العلاقـة القائمـة بين النبوة والرسالة على الوجه الذى سلف ، فما هى الحكمة من إرسال الرسـل ، وإنزال الكتب ، وما هى الفوائد المترتبة على الإرسال ؟

ذلك ما سوف نعرض له فى الفصل الثالث من هذا الكتاب ، إن الله تعالى .





الفصل الثالث

وجه الحاجة للنبوة والرسالة

الحِكَمُ ـ الفوائد

خلق الله الناس جميعا متفاوتين فى ملكاتهم الذاتية وإمكانياتهم العقلية ، واختلافهم فى الألسنة والألوان ، وذلك من آيات الله تعالى قال الله ﷻ ﴿ " وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالارْض وَاخْتِلافُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَانِكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لايَاتٍ لِّلْعَالِمِينَ " ﴾[1] .

ونظرا لوجود ذلك التفاوت فى الملكات ، فإن القاعدة العامة عندهم لن تكون ثابتة، بمعنى انهم لن يتمكنوا من ضبط حياتهم والسير فيها بأمان ، إلا من خلال قانون يسيطر علي نزعاتهم ،ويوجه ملكاتهم ،ويهذب نوازع النفوس البشرية داخل تكويناتهم، ولن يكون ذلك القانون العام الضابط إلا الرسالة الإلهية التى يأتى بها النبى من عند الله رب العالمين[2] ، بما فيها من حكم ومصالح ومنافع .

إذن البعثة القائمة فى النبوات والرسالات « لطف من الله تعالى ورحمة للعالمين » لما فيها من حكم ومصالح لا تحصى[3] ، سواء تم التعرف عليها من جانب المفكرين ، أم دلت عليها الظواهر النقلية من ذات الدين ، أم انطلقت إليها آمال العقلاء ، وأفهام النابهين .

ثم إن أحوال الحياة ليست صورة نمطية تجرى فى اتجاه واحد ، إنما هى أحوال مختلفة وصور متباينة وأعراض متبدلة ، من صحة ومرض، وغنى وفقر،

---

(١) سورة الروم الآية ٢٢ .

(٢) باعتبار أن البعثة منحة من الله تعالى ، ورحمة من رحماته ، على ما هو رأى أهل السنة والجماعة .

(٣) العلامة السعد التفتازانى – شرح المقاصد جـ٢ ص١٢٩ .

وحرارة وبرودة ، وسلام وحرب ،إلى غير ذلك من الأحوال المتبدلة[1] ، التى ليست منضبطة على قاعدة عامة ثابتة .

ومثل تلك الحياة لا يمكن للناس وحدهم أن يقوموا عليها إلا من خلال قاعدة شرعية تأتيهم من جهة الخالق جلّ علاه ،لأنه خالق الكل والعالم وحده بما يجرى للكل أو ما سيجرى ، قال تعالى ﴿ " عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ الْكَبِيرُ الْمُتَعَالِ " ﴾[2] ، ولن يكون تلك القاعدة الشرعية ، أو تتم إلا من خلال رسول بشرى يماثل المرسل في كل ما يتشاركون فيه ، ثم يتميز عنهم بكونه مختارا من قبل الله تعالى إليهم[3] ، تفضلا من الله تعالى ورحمة.

قال تعالى ﴿ " قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَى إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَـهُكُمْ إِلَـهٌ وَاحِدٌ فَمَن كَانَ يَرْجُو لِقَاء رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلا صَالِحًا وَلا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا " ﴾[4] ،فهو مثلهم فى البشرية ،بل هو واحد منهم يشاركهم في كل ما يقع فيه التشارك من الأعمال ، غير انه يوحى إليه من قبل الله تعالى .

---

(١) وذلك التبدل مما تشهد به الفطر النقية ، والعقول السليمة على اختلاف مداركها ، متى كانت اتجاهاتها سليمة .

(٢) سورة الرعد الآية ٩ ، وقال تعالى ﴿ " عَالِمُ الْغَيْبِ فَلا يُظْهِرُ عَلَى غَيْبِهِ أَحَدًا إِلا مَنِ ارْتَضَى مِن رَّسُولٍ فَإِنَّهُ يَسْلُكُ مِن بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ رَصَدًا " ﴾ سورة الجن الآيتان ٢٧/٢٦

(٣) المذهب الحق الذى نعتقده : أن الله تعالى يختار من خلقه الرسل ، لا لميزة فى ذات الرسول ، وإلا كانت الرسالة بالاكتساب ، وإنما لأمر يعلمه الله تعالى ، فالنبوة والرسالة عند أهل الحق منح إلهية راجعة لعلم الله تعالى وإرادته العظمى ، وليست لميزة فى ذات الرسول . قال تعالى ﴿ " إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ ذُرِّيَّةً بَعْضُهَا مِن بَعْضٍ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ " ﴾ سورة آل عمران الآيتان ٣٤/٣٣ .

(٤) سورة الكهف الآية ١١٠ .

ومن ثم فهو معصوم عن الوقوع فى الخطأ على سبيل القصد ، وإن وقع فيه سهوا ، فإن الله تعالى ينبهه إلى الصواب[1] ، فيرجع عن ما وقع فيه تائبا عنه . ومع أنه غير قاصد للوقوع فيه ، وهو المذهب الحق الذى عليه أهل السنة والجماعة ، اسأل الله أن يجزى أهل العلم الجزاء الأوفى .

بيد أن هناك مسائل فنية دقيقة متعلقة بهذا الجانب ، كالحكم الواقعة فى رحاب البعثة ، أو قائمة فيها ، والفوائد التى تجيء معها ، ولا يوجد بديل يغنى العقول عنها ، ثم الحكم العقلى فى المسألة من حيث الجواز ، أو الوجوب ، أو الاستحالة[2] ، وهو المرحلة الأخيرة التى تتعلق بالبحث فى مسائل النبوات .

◈ **لكن ما هو الوجه الذى تجيء منه الحاجة إلى البعثة أو الرسالة ؟**

◂◂ **والجواب** : أن الوجه هو الجهة أو الناحية التى تواجهك ، أو تبصر الشيء من ناحيتها[3] ، وبالتالى فالوجه الذى يأتى منه إرسال الرسل ، وتحقيق البعثة فى وقوع الغاية لبنى البشر ، قد بذل فيه علماء أهل الإسلام جهدا كبيرا ، باعتبار أن هناك حكما ومصالح وفوائد للخلائق ، لا يمكن تحققها إلا من خلال البعثة والرسالة مع النبى والرسول ، وكل منها يمكن اعتباره وجها من أوجه الحاجة لبعثة الرسل ، وذلك على النحو التالى :-

---

(١) سواء عن طريق الملك ، أو عن طريق الإلهام الداخلى ، وذلك مما يتميز به النبى عن باقى البشر أيضا .

(٢) وهى من أقسام الحكم العقلى الثلاثة : « ١- الواجب ، ٢- الممكن ، ٣- المستحيل » بينما أقسام الحكم الشرعى خمسة هى: « ١- الحلال ، ٢-الحرام ، ٣-المباح ، ٤-المكروه ، ٥-المندوب » راجع الأحكام فى أصول الأحكام .

(٣) قال صاحب المعجم الوجيز - الوجه ما يواجهك من الرأس ، وفيه العينان ، والفم ، والأنف ، ويقال على سيد القوم وشريفهم - المعجم الوجيز باب الواو ص٦٦١ .

أولا : الحِكَم[1]

وتلك الحكم الواردة فى وجه الحاجة للنبى والرسول ، أو النبوة تتنوع ، لكن كل نوع منها يتلاقى مع الأخر ولا يعانده منها :-

[١] حكم فى ذات البعثة قائمة بها ، تليق بالله سبحانه وتعالى :

حيث يرسل الله للناس بشراً سويا منهم ، هو المصطفى من بينهم ، قائما فيهم على أساس أنه نبى الله تعالى إليهم ، ويختاره الله تعالى من بين خلقه ، اصطفاء له وتميزا ، فهو سبحانه وتعالى لا يرسل نبيا أو رسولاً كذابا ، ولا مفتونا ، بل متواضعا كريما .

ومن ثم فهو ﷻ يرسل من استجمعت فيه الكمالات البشرية ، تفضلا منه تعالى[2] ، قال ﷻ ﴿ " اللَّهُ يَصْطَفِي مِنَ الْمَلائِكَةِ رُسُلا وَمِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ " ﴾[3] ، فهو ﷻ وتعالى يصطفى من الملائكة رسلا للناس ويصطفى من الناس رسلا للناس ، حتى يقودهم لخير ويهديهم لله العظيم رب العالمين .

---

(١) الحكم جمع حكمة ، وهى فى الأصل اللغوى وضع الشيء فى موضعه ، يوصف بها من يستعمل قدراته العقلية على الوجه الذى لا يكون هناك أفضل منه حسب طاقته البشرية وبحيث لا يكون سلوكياته معيبا لدى الحكماء ، بل يرون تصرفه عين الحكمة .

(٢) وهو المذهب الحق خلافا لمن يذهب إلى أن البعثة واجب على الله تعالى ، أو أنها من لوازم مقتضيات حكمته ، بحيث إذا لم تقع فإن الحكمة لا تكون واقعة ، أو أنها واجبة عنده .

(٣) سورة الحج الآية ٧٥ .

وقال تعالى عن جملة من أنبيائه ورسله : ﴿ "واذكر عبادنا إبراهيم وإسحق ويعقوب أولي الايدي والابصار إنا أخلصناهم بخالصة ذكرى الدار وإنهم عندنا لمن المصطفين الاخيار واذكر إسماعيل واليسع وذا الكفل وكل من الاخيار " ﴾[1] .

وكثيرا ما نقرأ الآيات القرآنية فنجد بعد ذكر بعض الأنبياء قوله تعالى ﴿ " إلا عباد الله المخلصين أولئك لهم رزق معلوم " ﴾[2] ، وقوله تعالى ﴿ " ولقد أرسلنا فيهم منذرين فانظر كيف كان عاقبة المنذرين إلا عباد الله المخلصين " ﴾[3] .

وكما هم من عباد الله المخلصين ، فهم القادة لجماعة المؤمنين بالله تعالى رب العالمين ، الذين بين الله تعالى أنهم من المحسنين . قال تعالى ﴿ " سلام على موسى وهارون إنا كذلك نجزي المحسنين إنهما من عبادنا المؤمنين وإن إلياس لمن المرسلين " ﴾[4] .

وهكذا فإن البعثة تأتي فيها حكم متعلقة بها ، من حيث أن الله تعالى وحده هو المرسل ، وهو العليم بما يصلح للخلائق ، وكيف لا وهو ﷻ القائل ﴿ " ألا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير " ﴾[5] ، فهو سبحانه العالم بالأمراض والعلل ، وهو العليم بالأدوية التى تصح لذات الأمراض ، ولا يصح لها إلا ما يجيء من قبل الله تعالى ، وذلك أمر لا ينازع فيه صاحب عقل سليم ، أو فكر مستقيم .

---

(١) سورة ص الآيات ٤٥/٤٨ .

(٢) سورة الصافات الآيتان ٤٠/٤١ .

(٣) سورة الصافات الآيات ٧٢/٧٤ .

(٤) سورة الصافات الآيات ١٢٠/١٢٣ .

(٥) سورة الملك الآية ١٤ .

[٢] حِكَمٌ فى ذات الشريعة التى يكلفون بها :

ذلك أن الشريعة التى يجيء بها النبى لقوله المبعوث فيهم تكون فى حدود طاقتهم ، بحيث يتمكنون من أدائها على وجه صحيح ، متى قصدوا وجه الحق ، وساروا فى طريقه[١] ، لقوله تعالى ﴿ " لا يُكَلِّفُ اللّهُ نَفْسًا إلا وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ رَبَّنَا لا تُؤَاخِذْنَا إن نَّسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا رَبَّنَا وَلا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِنَا رَبَّنَا وَلا تُحَمِّلْنَا مَا لا طَاقَةَ لَنَا بِهِ وَاعْفُ عَنَّا وَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَآ أنتَ مَوْلانَا فَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ " ﴾[٢] .

ومن ثم فإن البعثة لا تجيء بما تعجز إمكانية المكلفين عن القيام به من التكاليف ، وإلا كان ذلك التكليف مما لا يطاق ، وهو منزه من الحكم ، فما بالك إذا كان المكلف بذات الشريعة هو أحكم الحاكمين ؟

فى نفس الوقت فإن الحكم القائمة فى ذات الشريعة – التى يكلفون القيام بأعبائها ، لو كانت خارجة عن إمكانياتهم ما كان لها من هدف أو غاية ، إذ ما قيمة تكاليف لا يلمس القائمون بها أية فوائد عائدة عليهم من القيام بأعبائها . ولا يوجد عاقل يفكر فى القيام بما لا فائدة من ورائه ، فثبت وجود حكم فى ذات الشريعة ، من حيث أنها تكليف بما يطاق ، وهو صنع العليم الخبير .

أضف إلى ما سبق أنه كلما كانت التكاليف فى حدود الإمكانيات المتاحة للمكلفين ، فإن القيام بها يكون مقدورا عليه ، وحينئذ يتحقق للناس – الذين كلفوا بها – الخير الكثير ، وهو من أهداف الشرائع والرسالات السماوية .

(١) وذلك الشأن مع كل رسالة خاصته جاءت فى النبوات السابقة على النبوة الخاتمة .

(٢) سورة البقرة الآية ٢٨٦ .

قال تعالى ﴿ " الَر كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ إِلَى صِرَاطِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ " ﴾[1] ، وقال تعالى ﴿ " الشَّيْطَانُ يَعِدُكُمُ الْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُم بِالْفَحْشَاء وَاللّهُ يَعِدُكُم مَّغْفِرَةً مِّنْهُ وَفَضْلاً وَاللّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ " ﴾[2] .

ولذا فإنه لما كانت الشرائع السماوية قد أخذت بأيدى الناس ، حتى تعرفهم بالله الخالق العظيم ﷻ بحيث يكونون أولياء له ، فإنها تكون من الحكم المتعلقة بذات الشريعة ، ولا يكون ذلك إلا مع نبى رسول . قال تعالى ﴿ " اللّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُواْ يُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّوُرِ وَالَّذِينَ كَفَرُواْ أَوْلِيَآؤُهُمُ الطَّاغُوتُ يُخْرِجُونَهُم مِّنَ النُّورِ إِلَى الظُّلُمَاتِ أُوْلَـئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ " ﴾[3] .

[٣] حكم تتعلق بالمكلفين :-

عرفنا أن فى إرسال الرسل حِكَماً تتعلق بذات البعثة ، من حيث هى رسول ورسالة . اصطفاء وتكليف[4] . وأخرى تتعلق بالشريعة ، من حيث هى تكاليف يمكن القيام بها على وجه سليم ، متى جاءت القيادة مع النبى الكريم ، المبلغ عن الله رب العالمين ، لكن ما فيها من حكم تتعلق بالمكلفين يقوم على انجائهم فى الدنيا ، ونجاتهم فى الآخرة .

---

(١) سورة إبراهيم الآية (١) .

(٢) سورة البقرة الآية ٢٦٨ .

(٣) سورة البقرة الآية ٢٥٧ .

(٤) الفرق بينها واضح لمن تأمله ، ونزيده بأن الأولى متعلقة بذات شخص الرسول من كونه بشرا سويا ومن أكمل الناس خلقا وخلقا ، وإن الله تعالى ميزه بالرسالة اصطفاء وتفضلا ، لا تميزا ونسبا ، والثانية متعلقة بذات التكاليف المشروعة ، مع ذات النبى ، من حيث قدرة القوم الذين أرسل فيهم على القيام بها ، وقيادة أنفسهم إليها .

لأنهم إن استقاموا على شرع الله تعالى فى الدنيا على وجه الخصوص – الذى جاءهم به الرسول المبعوث فيهم – ، تحقق لهم الأمن والأمان . قال تعالى ﴿ " الَّذِينَ آمَنُواْ وَلَمْ يَلْبِسُواْ إِيمَانَهُم بِظُلْمٍ أُوْلَـئِكَ لَهُمُ الامْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ " ﴾[1] فى الدنيا والآخرة ، وما تحقق الأمن والأمان الإلهى فى قوم ، إلا أغدق الله ﷻ عليهم الخيرات ، ونزلت عليهم الرحمات ، وانفتحت عليهم أبواب السماء بالبركات ، قال تعالى ﴿ " وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَى آمَنُواْ وَاتَّقَواْ لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاء والارْضِ ولَـكِن كَذَّبُواْ فَأَخَذْنَاهُم بِمَا كَانُواْ يَكْسِبُونَ " ﴾[2] .

وعن منكرى التعاليم الإلهية ، الواقعين فى أحضان الشرك والخروج عن دائرة الشرع الشريف ، مبينا أنه لا أمن لهم ، ولا أمان يتحقق فيما بينهم . قال تعالى ﴿ " ترى كثيرا منهم يتولون الذين كفروا لبئس ما قدمت لهم أنفسهم أن سخط الله عليهم وفي العذاب هم خالدون ولو كانوا يؤمنون بالله والنبي وما أنزل إليه ما اتخذوهم أولياء ولـكن كثيرا منهم فاسقون " ﴾[3] .

كما ذكر جل علاه أن أصحاب الرسل السابقين لو أنهم التزموا تعاليم الله تعالى ، التى جاء بها رسل الله إليهم ، لم يبرحوها ، أو بحثوا عن بدائل لها ، وظلوا على ذلك حتى جاءهم النبى الخاتم سيدنا محمد ﷺ فأمنوا به وصدقوه حسب ما جاءتهم به رسل الله إليهم من الإبلاغ عنه ، والتعريف به لنجوا .

ولكنهم تعاموا عن الحق ، وتركوا شرع الله وراء ظهرانيهم ، وجحدوا بالآيات الإلهية ، والدلائل والبراهين النبوية ، فلم يتحقق لهم الأمن أو الأمان ،

---

(١) سورة الأنعام الآية ٨٢ .

(٢) سورة الأعراف الآية ٩٦ .

(٣) سورة المائدة الآيتان ٨٠/٨١ .

وإنما أحاط بهم التنكيل والكفر والخسران . قال تعالى ﴿ " وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُواْ التَّوْرَاةَ وَالانجِيلَ وَمَا أُنزِلَ إلَيهِم مِّن رَّبِّهِمْ لاكَلُواْ مِن فَوْقِهِمْ وَمِن تَحْتِ أَرْجُلِهِم مِّنْهُمْ أُمَّةٌ مُّقْتَصِدَةٌ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ سَاء مَا يَعْمَلُونَ " ﴾[1] .

ثم أن كلا من الرسول والنبى طبيب على المستوى الأعلى الشامل ، إنه طبيب اختاره الله تعالى ليقوم بالعلاج تشخيصا ودواء ، وأمده بأنوار من عنده ، وبالتالى فهو القادر – بإذن الله تعالى – على أن يزيح عن القوم كل العلل ، ويدفع كافة الأمراض ، ويهيئ لهم الطرق التى لو استقاموا عليها تأت عنهم كافة العلل والخبائث ، وفوق ذلك فإنه يقدم لهم العلاج الناجح المفيد فى مواجهة كل مرض يتوقع ، أو داء يمكن أن يحل بهم .

وهل هناك من طبيب أعلى من ذلك الذى يصحح للناس عقيدتهم ، ومعرفتهم بشريعة الله تعالى إليهم ، ثم يأخذهم إليها على ناحية تطبيقية[2] ، فيصلح لهم عيوب اعتقاداتهم الفاسدة من شرك ، وكفر وضلالة ، حتى يكونوا عبادا مخلصين لله رب العالمين ، وفى نفس الوقت يكون مصدر طبه – على سبيل الوقاية والعلاج[3] – تعاليم الله رب العالمين ؟!

---

(١) سورة المائدة الآية ٦٦ .

(٢) ففى الحديث الشريف – « صلوا كما رأيتمونى أصلى » ، فصار النبى بين القوم آية الله إليهم ، وقائدهم إلى الله تعالى فى كل من يأتى به أو يذر .

(٣) الطب أنواع ، من حيث التخصص ، ومن حيث الدراسة ، فمنه الطب النبوى ، ومنه الطب البشرى ، ومنه الطب الوقائى ، والطب العلاجى ، والطب الدوائى ، ولكل منها تفاصيل كثيرة – راجع فى ذلك الشأن أحاديث فى الطب للدكتور / مصطفى الديوانى ، دائرة المعارف الطبية ، معجم الرحل الطبى ، وغيرهما من المؤلفات التى عنيت بذكر ذلك الجانب .

لا شك أنك سوف تعلن بأعلى صوتك : كلا إنه لا يوجد طب أعلى مما يجيء به النبى المرسل من قبل الله رب العالمين ، ولا يوجد دواء أنجح من دوائه ، وكيف لا وهو المبعوث من رب العالمين .

ثم أن تعاهد بواعث الخير فى النفس الإنسانية ، يجعلها زاكية ، نامية ، تفيض بالبر والهدى والخير ، بجانب التقوى والصلاح ، ولا شيء يغذى تلك البواعث ، إلا الرسالة والإيمان بها ، كما لا يطفئ بواعث النفس الخيرة ، ويحجب أثارها الكريمة ، ويخفى استعدادها للنماء ، واستعلاءها على نوازع الشر ، سوى الخروج على شرع الله تعالى[1] ، ولا يخرج عن شرع الله إلا من فقد الإيمان بالله الخالق رب العالمين .

إذن الحِكَم المتعلقة بالمكلفين تعرفهم بالمصالح ،فيقربوا منها طبقا لما شرع الله تعالى ، فيقع لهم الفوز فى الدنيا ، والنجاة فى الآخرة ، كما تعرفهم بالمفاسد ، فيبتعدوا عنها كرها لها ، فتسلم لهم حياتهم ، وتصح معهم أخرتهم ، وتلك غاية عظمى ، ومنزلة كبرى لكل من تحقق بشرع الله تعالى ، والتزم به[2] ، وكل عاقل بصير ، إذا نظر فى هذا الجانب من الحِكَم المتعلقة بالبعثة ، أدرك أنها لا يمكن أن تكون إلا فائدة لصاحبها ، الذى يؤديها مؤمنا بالله ، مصدقا بمن بعثه الله ، راضيا بكل ما جاء به النبى المرسل عن الله تعالى .

---

(١) الأستاذ / مناع خليل القطان – الحاجة إلى الرسالة ص١٨١ – مقال بمجلة البحوث الإسلامية بالمملكة العربية السعودية – العدد السابع (رجب ، شعبان ، رمضان ١٤٠٣هـ)

(٢) هذا التحقق مع الالتزام بشرع الله تعالى ضرورة إيمانية ، لا يمكن تجاهلها أو التخلى عنها .

ثانياً: فوائد إرسال الله الرسل

أهل الإيمان بالله تعالى ، المقرون بأن الله تعالى أرسل رسلا ، يؤمنون بأنه تعالى لم يجعل تلك الرسالات عبثاً ، لأنّ ذلك لا يليق به جلّ علاه ، وإنما أرسل الرسل ، وبعثهم ، وأنزل الكتب لفوائد يعلمها هو جلّ علاه[1] . بعضها مما أجراه الله تعالى على السنة أهل العرفان به فنطقوه [2] ، وبعضها مما جدّ فيه أهل العلم والنظر فيما شرع الله فطرقوه[3] ، وبعض أخر مما وقع لأهل الكفران فأجبروا على الاعتراف به ولم ينكروه[4] .

من تلك الفوائد ما يلى :

الأولى : مساندة العقل السليم فيما يستقل بمعرفته ، وإزالة الشبهة التى يصعب عليه دفعها ، أو يغلبه التوجس منها .

العقل السليم والفطرة النقية لا يمكن أن تقرا بأن هذا العالم قد خلق من غير خالق مدبر ، عليم حكيم ، بل هما معاً يشهدان بوجود الله الخالق العظيم جلّ علاه ، ويؤكدان على أنه تعالى واحد لا شريك له ، لأنه لو لم يكن الله تعالى

---

(١) أهل الإيمان بالله الواحد الأحد رب العالمين هم محل الأخذ عنهم بالنسبة لنا نحن المسلمين ، أما أهل الكفران فلا به لنا من الانصراف عنهم ، ولا يكون حديثنا معهم إلا حديث من يجادل بالحسنى ، حتى يظهر للقاصى والدانى فساد أقوالهم التى يفتصم الضلال بها .

(٢) كالشأن مع أصحاب العلم اللدنى الذين يلقى الله سبحانه وتعالى العلم فى قلوبهم ، بعد أن يصغيهم له ، ويخلصهم من كدورات الحياة ، ومنهم أولياؤه جل وعلا .

(٣) كالحال مع علماء ومفكرى أهل الإسلام ، ممن فتح الله عليهم من خزائن فيضه ، فهداهم للبحث الجاد ، والعلم النظرى ، حتى وفقهم الله تعالى ، ومنهم علماء أهل السنة والجماعة ، والسلف الصالح ، وأهل النظر ممن أقاموا فى أنفسهم شرع الله تعالى والتزموه .

(٤) الشيخ مناع خليل اللقطان – الحاجة إلى الرسل ص١٩٨ – مجلة البحوث الإسلامية .

موجودا ،لكان العالم الموجود هو الذى خلق نفسه ، وهو باطل طبقا لأحكام العقل السليم ،لأنه يلزم عليه أن يكون العالم خالقاً ومخلوقاً معا ، فيكون متقدماً على نفسه باعتباره الفاعل ،ومتأخراً عليه باعتباره مفعولاً به ،وهو باطل من جهة الضرورة العقلية ،

يقول أحد الباحثين « يجمع العقلاء في تاريخ البشرية ، على أن هذا العالم البديع الصنع فى كائناته التى لا تحصى ،ونظامه المحكم الدقيق ، يدل دلالةً قاطعةً على وجود مبدع صانع ، خلقه وأحكم صنعه ،ودبر شئونه على هذه الحال التى تفوق تصورات البشر ،فلم يوجد بمحض الصدفة ، كما أنه لم يوجد نفسه ، وإنما يختلفون فى تسمية هذا الموجد الخالق ،ولا يدركون صفاته ،ولا ما يجب فى حقه[1] جل شأنه ، مما وصف به نفسه .

إذن العقل الذى اثبت وجود الله ،لا يمكنه أن يتعرف على صفات الخالق العظيم جملةً وتفصيلاً ، كل ما يمكنه التعرف عليه هو أن يصف الله تعالى ببعض الصفات التى تجىء اليه ، أو يفرضها خياله ،كما فعل ذلك حينما أراد إثبات صفات الله تعالى .

غير أن ذلك الذى يجىء به العقل وحده فى مجال إثبات الصفات الإلهية ، لن يكون كافياً ، باعتبار أن أسماء الله الحسنى ،وصفاته جلّ علاه العظمى

(١) راجع فى هذا الشأن : الإسلام يتحدى للأستاذ وحيد الدين خان ، والدين فى مواجهة العلم له أيضا ، والعلم يدعو للإيمان لكريس موريسون ، والإسلام فى عصر العلم للدكتور الغمراوى ، والإسلام فى عصر العلم للأستاذ فريد وجدى ، وغيرها من المؤلفات التى ذكر أصحابها نقولات كثيرة ، اعترف أصحابها فيها بأن البعثة مهمة ، والرسالة ضرورة من ضرورات الحياة ، وطريق النجاة فى الآخرة ، وهى لطف ورحمة من الله رب العالمين .

متعددة ، ففى القرآن الكريم قوله تعالى ﴿ وَلِلّهِ الاسْمَاء الْحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُواْ الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَآئِهِ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ " ﴾[1] ، وبالتالى فإنّ الأسماء الحسنى متعددة ، بالشكل الذى يعجز العقل عن إدراك ذلك التعدد وحده .

ثم إن الحديث الشريف أيضا ذكر أنّ كمالات الله تعالى لا تنقطع، ومنها أسماؤه الحسنى وصفاته العظمى ، ففى الحديث الشريف ما روى أن رسول الله ﷺ قال « إنّ لله تسعة وتسعين اسماً مائة إلا واحداً من أحصاها دخل الجنة »[2] .

ولا شك أن كونها بهذا القدر الكبير من العدد يصعب على العقل وحده الاستقلال بمعرفتها كلها على سبيل العد والحصر ، ومن ثم فالعقل يكون بحاجة الى البعثة حيث تسانده الرسالة ، وتعرفه بعدد الأسماء الحسنى ، وكيفية الدعاء بها ، والالتزام بآدابها ، وما يستتبع ذلك من بيان ما يتعلق منها بالكمال، وما يتعلق بالجمال ، فضلاً عن الإكرام والجلال [3] ، بالنسبة لله تعالى على ما جاء به الشرع الشريف فى القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة الصحيحة .

إذن العقل الإنسانى لو أمكنه ان يتعرف على الله تعالى ، من حيث إثبات وجوده ، فإنه بحاجة إلى من يدله على صفاته تعالى وأسمائه ، وإلا كانت معرفة العقل بالله تعالى ناقصة من ذات الناحية ، فلا يكون إيمانه صحيحاً ، فضلاً عن أن يكون كاملاً ، ولذا أوجب العلماء معرفة أسماء الله الحسنى [4] ، على سبيل العد

---

(١) سورة الأعراف الآية ١٨٠

(٢) أخرجه الإمام الترمذى فى سننه ، وابن حبان ، والحاكم والبيهقى من رواية أبى هريرة ، وجامع الأحاديث جـ٢ ص٤٤٥ ، وله شواهد كثيرة .

(٣) راجع فى هذا الشأن – المقصد الأسنى فى شرح الأسماء الحسنى للإمام الغزالى .

(٤) الشيخ محمد بيومى المنزلاوى – الإيمان والإحسان ص٣١ – ط أولى – دار فؤاد ١٩٢٣م .

والإحصاء ، وكذلك على سبيل القيام بها وما يصاحبها من التزام واهتداء ، فكان العقل بحاجة إلي الرسول المبعوث فيهم ليعرفهم بذلك كله ، ففى الحديث « إن لله تسعة وتسعين اسما من أحصاها دخل الجنة»[1] ،

فإذا عن للعقل أمر أعلى من إمكانياته ،وحاول إدخال نفسه فى مجاله ، كالبحث عن ذات الله تعالى ، أو حقيقة الذات الإلهية ، فإن العقل قد ترد عليه تلك الشبهات فإذا تمكنت منه نالته ، حتى إنه ربما يمسى مؤمنا ويصبح كافرا ، أو يمسى مؤمنا ثم يصبح شاكا ملحدا ، أو مشركا كافرا ، وحينئذ يأتى إليه أمر الرسالة مؤكدا أن البحث فى ذلك منهى عنه ، باعتبار أن العقول لا تطيقه ، ففى الحديث الشريف « تفكروا فى آلاء الله ولا تفكروا فى ذاته فتهلكوا »[2] ،

يقول العلامة الأصفهاني: « ومن فوائد بعثة الرسل أن يزيل الرسول الشبهة التى يصعب على العقل دفعها»[3] ، ولو بقيت فإنه لن يكون خاليا من أخريات بحيث تتكاثر عليه الشبه ، ويسقط بين ثناياها شاكا مترددا .

فينتهى الأمر به إلى الإلحاد بدل الإيمان ، فكانت البعثة بمثابة الهادى والمرشد ، وطوق النجاة وحزام الأمان للعقل حتى لا يضل بصاحبه أو يشقى معه .

---

(١) أخرجه الإمام البخارى ، والإمام مسلم والترمذى عن أبي هريرة ، وفيض القدير جـ٢ ص٤٨٨ ، والمراد بالإحصاء معرفة ما لها من حقوق على المؤمن بها ، والقيام بتلك الحقوق على الوجه المشروع .

(٢) راجع شرح العلامة الفشنى للأربعين النووية ص٣٥ .

(٣) العلامة الأصفهاني – مطالع الأنظار على طوالع الأنوار للبيضاوى ص٤٣٦ ، وبالهامش حاشية السيد الشريف الجرجاني .

بناء على ذلك فإن العقل لا يستقل بمعرفة الله على الحقيقة ، كما لا يستقل بمعرفة ما له من جلال وكمال وسائر الصفات التى توافق ذاته جل وعلا ، وفوق ذلك فإنه لا يستقل بأن يكون حجة على الناس إن لم يؤمنوا ،حين يقول الناس يوم القيامة : « ربنا لو أرسلت إلينا رسلا فنؤمن »[1] ، ومن ثم فإن بعثة الرسول تقطع عليهم هذا القول وأمثاله .

ﷻ قال تعالى: ﴿ " إنا أوحينا إليك كما أوحينا إلى نوح والنبيين من بعده وأوحينا إلى إبراهيم وإسماعيل وإسحق ويعقوب والاسباط وعيسى وأيوب ويونس وهارون وسليمان وآتينا داوود زبورا ورسلا قد قصصناهم عليك من قبل ورسلا لم نقصصهم عليك وكلم الله موسى تكليما رسلا مبشرين ومنذرين لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل وكان الله عزيزا حكيما لكن الله يشهد بما أنزل إليك أنزله بعلمه والملائكة يشهدون وكفى بالله شهيدا " ﴾[2] .

ﷻ وقال تعالى ﴿ " وهذا كتاب أنزلناه مبارك فاتبعوه واتقوا لعلكم ترحمون أن تقولوا إنما أنزل الكتاب على طآئفتين من قبلنا وإن كنا عن دراستهم لغافلين أو تقولوا لو أنا أنزل علينا الكتاب لكنا أهدى منهم فقد جاءكم بينة من ربكم وهدى ورحمة فمن أظلم ممن كذب بآيات الله وصدف عنها سنجزي الذين يصدفون عن آياتنا سوء العذاب بما كانوا يصدفون " ﴾[3] .

---

(١) ولكن ذلك لن ينفع فى الآخرة ، لأن الله جعل الرسل فيهم الفوائد ، ومنها الأعذار عنهم .

(٢) سورة النساء الآيات ١٦٣/١٦٦ .

(٣) سورة الأنعام الآيات ١٥٥/١٥٧ .

وبهذا يتحقق الإبلاغ ،وتنقطع الأعذار ، وتزول الشبه ، فمن آمن بالله واستجاب للداعي الذى يدعوهم من قبل الله تعالى مؤيدا بالمعجزات ، والقول الفصل من الله تعالى كان من أهل النجاة[1] .

ومن كفر بالله والتزم الجدل ، وركب سفين المخالفة لله ورسله حق عليه وعد الله بأنه من حزب الشيطان ألا إن حزب الشيطان هم الخاسرون قال تعالى﴿ " استحوذ عليهم الشيطان فأنساهم ذكر الله أولئك حزب الشيطان ألا إن حزب الشيطان هم الخاسرون " ﴾[2] ، بل أنهم خسروا الدنيا القصيرة والآخرة الطويلة ، القائمة مادامت السماوات والأرض ، إلا ما شاء الله .

◄◄ الثانيــة: معرفة مالا يمكن للعقل أن يستقل به .

لا شك أن دور الرسالة مستمر مع العقل لا ينقطع ، ففى الفائدة الأولى ساند النقل العقل فى معرفة إثبات وجود الله تعالى ، كما أزال عنه الشبه التى قد ترد على ذلك الجانب ، أما هنا فيأتى دور أكثر فاعلية بجانب ذى قبل ،إنه دور الاستقلال للبعثة فى الإفصاح عن كل ما خفى على العقل فى مجال إثبات العقيدة الإلهية.

فمثلا ما يتعلق بتوالى الصفات الإلهية ، أو كون الله تعالى متكلما بالكلام النفسى القديم،أو أن هذا الكلام الإلهي يمكن أن يعبر عنه النبى المرسل بألفاظ

---

(١) قال تعالى ﴿ " لا تجد قوما يؤمنون بالله واليوم الاخر يوادون من حاد الله ورسوله ولو كانوا آباءهم أو أبناءهم أو إخوانهم أو عشيرتهم أولئك كتب في قلوبهم الايمان وأيدهم بروح منه ويدخلهم جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها رضي الله عنهم ورضوا عنه أولئك حزب الله ألا إن حزب الله هم المفلحون " ﴾ سورة المجادلة الآية ٢٢

(٢) سورة المجادلة الآية ١٩ .

منطوقة على اللغة التي يجيدها المبعوث فيهم قال تعالى ﴿ " وما أرسلنا من رسول إلا بلسان قومه ليبين لهم فيضل الله من يشاء ويهدي من يشاء وهو العزيز الحكيم " ﴾[1] ، فإن ذلك مما لا حيلة للعقل به استقلالا ،بل إنه يعجز عن التعرف عليه إذا حاوله ، أو اقترب منه .

كذلك الكتب السابقة ، والأمم المنتهية ،والأزمان الغابرة من الذي يعرف العقل بها وهو لم يكن يعلمها أصلا ، فمن الذي أخبر العقل عن عاد، وثمود ،وارم ذات العماد ، والأحقاف ، واصحاب الأيكة ،واصحاب الحجر، وغيرها من الأمور السابقة عليهم [2] ، بل من أين للعقل أن يعرف السماوات وأنها سبع ، والأرضين وأنها سبع ، وأن الله تعالى خلقها جميعا وما بينها في ستة أيام مقدرة في علم الله الأزلي[3] ، ليست من الأيام الفلكية التى نعرفها نحن .

بل من الذي يخبر العقل بالملائكة ،وأنهم عباد مكرمون لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون ، وأن الله تعالى خلقهم وأقدرهم على التشكل بالأشكال الحسنة غالبا، وأنهم أجسام روحانية ربانية ، لا يأكلون ولا يشربون ولا يتناكحون ، وأنهم بقدرة الله تعالى يخلقون خلقا ، فلا يشيبون ، ولا يهلكون ، كما لا يمرضون ، إلى غير ذلك من العوارض التى ترد على بنى الإنسان والجان .من أين للعقل بذلك كله وهو لم يعرفه أبدا ، لاشك أن ذلك سيكون قائما في الأمر الذي يجيء به النبي المبعوث رحمة من الله تعالى بعباده وهو الرسالة .

---

(١) سورة إبراهيم الآية ٤ .

(٢) وما جاء من هذا القبيل كثير ، دل عليه القرآن الكريم ، وأخبرت به السنة النبوية المطهرة الصحيحة ، والعقل لا يعرف ذلك وحده .

(٣) راجع ذلك فى كتابنا : الإيمان بالغيب وأثره على الفكر الإسلامى – الطبعة السابعة .

ثم من الذي يعرف العقل بإمكانية رؤية الله تعالى بالإبصار لأهل الإيمان في الآخرة،وانهم سوف ينظر إليهم المولى الكريم في الآخرة نظرة إكرام ومحبة ،وأنهم سوف يرونه تعالى كما يرون القمر ليلة التمام ، من غير تشبيه أو تمثيل أو تكييف[1] ، تعالى الله عن ما شابه المخلوقات ، أو جاء على ناحية النقائص علوا كبيرا ، فليس كمثله شيء وهو السميع البصير .

وبالتالي جاء القرآن الكريم فدلنا على ذلك كله يقول تعالى ﴿ " وجوه يومئذ ناضرة إلى ربها ناظرة " ﴾[2] ، وقوله تعالى ﴿ " ذو مرة فاستوى وهو بالافق الاعلى ثم دنا فتدلى فكان قاب قوسين أو أدنى فأوحى إلى عبده ما أوحى ما كذب الفؤاد ما رأى أفتمارونه على ما يرى " ﴾[3] .

فسيدنا محمد ﷺ هو الذي رأى ربه في دار الدنيا أثناء معجزة الإسراء والمعراج[4] ، ومن ثم صحت رؤية الله تعالى له ﷺ في الدنيا[5] ، وتصح للمؤمنين با لله وحده لا شريك له في الآخرة إن شاء الله تعالى ، لتظاهر النصوص الصحيحة عليه .

---

(١) ذهب أهل السنة والجماعة إلى أن المؤمنين سيرون الله تعالى يوم القيامة ، من غير تشبيه ، أو تمثيل ، باعتبار أن ذلك من أمور الآخرة ، ومقاييسها تختلف عما يجرى فى دار الدنيا ، ويجب الإيمان بما ورد به النقل المنزل ، وهو رأى سديد فى المسألة ، وأنا أتمسك به اعتقادا ، لو ورد النقل المنزل به .

(٢) سورة القيامة الآيتان ٢٢/٢٣ .

(٣) سورة النجم الآيات ٦/١٢ .

(٤) الأستاذ أسعد أحمد محمد العقاد – المقصد الأعلى فى إسراء محمد فى نافيدلى ص١٦ .

(٥) يذهب البعض إلى تأويل الألفاظ ، بحيث ينتهى إلى أن الرسول ﷺ انعكس بصره على بصيرته فقط ويذهب غيرهم إلى أنه ﷺ رأى ربه ، ويجرون الألفاظ على ظاهرها ، وأميل إلى وقوع ذلك خصوصية من خصوصياته ﷺ ، وأفضال الله عليه لم تنقطع أبدا .

عليه ، لكن من أين للعقل أن يعرفها ، أو يستدل عليها ، لاشك أن ذلك كله لا يكون إلا من طريق البعثة فى الرسالة التى يجيء بها الرسول .

بيد أن البعثة لم يتوقف دورها فى جانب العقل على معرفة ما ذكرت ، وإنما أمور الغيب الماضى كلها مما لا علاقة للعقل بها ، وقد حدثنا القرآن الكريم عنها بعد أن ذكر قصة نوح عليه السلام ، وما انتهى إليه أمر الطوفان ، وبنجاة نبى الله نوح عليه السلام ، ومن أمن بالله معه ، وهلاك الكافرين الذين عانده ، قال تعالى ﴿ " تلك من أنباء الغيب نوحيها إليك ما كنت تعلمها أنت ولا قومك من قبل هذا فاصبر إن العاقبة للمتقين " ﴾[1] .

وكذلك ما يتعلق بخبر السيدة مريم العذراء البتول – أم سيدنا عيسى عليه السلام رضى الله تعالى عنهما – من حيث وقوعها فى كفالة نبى الله زكريا عليه السلام ، وما حدث من اقتراع حول كفالتها ، ولم يكن سيدنا محمدا ﷺ موجودا بينهم فى حينه ، ولكن القرآن الكريم أخبر به على أنه من أمور الغيب الماضى ، قال تعالى ﴿ " ذلك من أنباء الغيب نوحيه إليك وما كنت لديهم إذ يلقون أقلامهم أيهم يكفل مريم وما كنت لديهم إذ يختصمون " ﴾[2] .

فمن أين للعقل معرفة ذلك كله ، ولم يكن له به خبر صحيح ، لابد أن ذلك طريقه السمع المعصوم ، الذى يجيء به الرسول ، فكان ذلك من فوائد البعثة .

أما فيما يتعلق بالغيب الحاضر فإن العقل لا يدركه ، بدليل أنه فى كل يوم يكتشف من الأسرار التى بثها الله تعالى فى الكون ، مما عرفه العلماء باسم الغيب

(١) سورة هود الآية ٤٩ .

(٢) سورة آل عمران الآية ٤٤ .

العلمى ، ويخبرون بجزء منه حينا بعد أخر ، فلو كان ذلك من مقدورات العقل ، لأعلن عنها دفعة واحدة ، أو ذكرها على سبيل التفصيل ، لكن لما كان ذلك غير مقدور للعقل فقد جاء به الشرع الشريف - السمع المعصوم - من ذلك :

قوله تعالى ﴿ " والخيل والبغال والحمير لتركبوها وزينة ويخلق ما لا تعلمون " ﴾[1] ، فمن أين للعقل معرفة أن ما يكتشفه يوما بعد أخر هو من خلق الله تعالى المستمر فى الكون ، طبقا لإرادته العليا ، وقدرته تعالى النافذة ، وعلمه الشامل التام المحيط بكل شيء ﴿ " وقال الذين كفروا لا تأتينا الساعة قل بلى وربي لتأتينكم عالم الغيب لا يعزب عنه مثقال ذرة في السماوات ولا في الارض ولا أصغر من ذلك ولا أكبر إلا في كتاب مبين " ﴾[2] .

لا يقال أن العقل إذا لم يكن قد استقل بالغيب الماضى ، فإنه يمكن أن يستقل بالغيب الحاضر ، والمستقبل ، فتكون الحاجة للرسول فى جانب الماضى فقط ، وهو مسوغ لا يجعل قبوله أمرا دائما ، أما لماذا ؟

فلأنى أؤكد أن الغيب الماضى والحاضر والمستقبل مما لا مجال للعقل فيه باعتبار الغيب الدينى[3] ، القائم على أمور الساعة وانتهاء الكون ، والأحداث التى

---

(١) سورة النحل الآية ٨ .

(٢) سورة سبأ الآية ٣ .

(٣) الغيب العلمى لا يعرف العقل فيه شيئا عن المستقبل ، فضلا عن الحاضر ، كل ما فى الأمر أنه يبذل جهده فيما يتعلق بالعلم الذى وضعت أسبابه فى الأرض ، وما يتم فيه من قبيل الاحتمال ، وليس اليقين ، ولا يقال على الظنيات أنها علوم يقينية أبدا ، بل أصحاب العلم المعملى يؤكدون أن العلم لا يعرف الكلمة الأخيرة .

تصاحب ذلك من تكوير الشمس ، وإنكدار النجوم[1] ،أو انتثارها[2] ، وتسير الجبال ، وتعطيل العشار ، وحشر الوحوش الضارية مع الحيوانات المستأنسة ، وتسخير البحار ، فتصير نارا بدل أن كانت ماء ، وتزويج النفوس بأبدانها ، وانفطار السماء بنجومها ، واختلال النظام الكونى القائم ، ليحل بدلا منه نظام أخر .

قال تعالى ﴿ " إذا الشمس كورت وإذا النجوم انكدرت وإذا الجبال سيرت وإذا العشار عطلت وإذا الوحوش حشرت وإذا البحار سجرت وإذا النفوس زوجت وإذا الموؤودة سئلت بأي ذنب قتلت وإذا الصحف نشرت وإذا السماء كشطت وإذا الجحيم سعرت وإذا الجنة أزلفت علمت نفس ما أحضرت " ﴾[3] .

وقال تعالى ﴿ " إذا السماء انفطرت وإذا الكواكب انتثرت وإذا البحار فجرت وإذا القبور بعثرت علمت نفس ما قدمت وأخرت " ﴾[4] ، إلى غير ذلك من مظاهر انهدام الكون فى المستقبل ، ونشأة العالم الجديد ، الوارد الإشارة إليه فى قوله تعالى ﴿ " يوم تبدل الارض غير الارض والسماوات وبرزوا لله الواحد القهار " ﴾[5] .

يقول أحد الباحثين : « إذا كنا فى عالم الشهادة نستعمل عقولنا فى تقديم معيشتنا القصيرة الآن ، ونتلقى من العلوم ما ينمى أفكارنا ، ويعيننا على استقامة

---

(١) قال تعالى ﴿ " إذا الشمس كورت وإذا النجوم انكدرت " ﴾ سورة التكوير الآيتان ٢/١ .

(٢) قال تعالى ﴿ " إذا السماء انفطرت وإذا الكواكب انتثرت " ﴾ سورة الانفطار الآيتان ٢/١ .

(٣) سورة التكوير الآيات ١٤/١ .

(٤) سورة الانفطار الآيات ٥/١ .

(٥) سورة إبراهيم الآية ٤٨ .

حياتنا ، وإدراك رغباتنا ، ثم لا نلبث أن نجد هذا غير كـاف فـى الاسـتقامة علـى المنهج الأقوم ، فنعود إلى تعديل هذه الأفكار وتصحيحها مرة أخرى ، فكيف تصل عقولنا وأفكارنا إلى أدراك ما فى عالم الغيب ، وإلى معرفة مـا يكـون فيـه ، وكيـف تكون الحياة الجديدة الباقية »[1] ، إن ذلك لا يكون إلا عـن طريـق الوحـى ، وهـو خبر النبوة المعصوم ، الذى يأتى به الرسل من قبل الله تعالى .

فى نفس الوقت فإن الوحى الإلهى هو الذى يخبر العقـل عـن العـالم الغيبـى المستقبلى بكافة التفصيلات المطاقة للعقل البشرى ، ويدخلها إلى ذلك العقل من غير أن يضغط عليه بعنف ، حتى يقبل قضايا الغيب ، وإنما يعرضها عليه فـى أسـلوب شيق جذاب ، فيه الترغيب والترهيب معا على سـبيل التـوالى فـى الذكـر ، وربمـا على طريقة ضرب المثال حتى يقربه إلى الأفهام .

ﷻ من ذلك قوله تعالى ﴿ " وقل الحق من ربكم فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر إنـا أعتدنا للظالمين نـارا أحـاط بـهم سـرادقها وإن يسـتغيثوا يغـاثوا بمـاء كالمـهل يشوي الوجوه بئس الشراب وساءت مرتفقا " ﴾[2] .

ﷻ وقوله تعالى ﴿ " وأصحاب الشمال ما أصحاب الشمال في سموم وحميم وظـل مـن يحموم لا بارد ولا كريم إنهم كانوا قبل ذلك مترفين وكانوا يصرون على الحنـث العظيم وكانوا يقولون أئذا متنا وكنا ترابا وعظاما أئنا لمبعوثون أو آباؤنا الاولون قل إن الاولين والاخرين لمجموعون إلى ميقات يوم معلوم ثم إنكم أيها الضـالون

(١) الأستاذ مناع القطان – الحاجة إلى الرسل ص١٩٢ .

(٢) سورة الكهف الآية ٢٩ .

المكذبون لاكلون من شجر من زقوم فمالؤون منها البطون فشاربون عليه من الحميم فشاربون شرب الهيم هذا نزلهم يوم الدين " ﴾[1] .

ففى الآية الكريمة وزن بعض مظاهر العذاب المستقبلى الذى يقع فى الآخرة لأهل الكفر والعصيان من غير ذكر لأحدهم ، أو تخصيص فى أفرادهم ، وهى مصورة فى شكل لا مثيل له ، وكيف لا وهو تنزيل رب العالمين .

﴿ ثم تحدث عن أهل الإيمان ،وبعض نعيم الله لهم ، فقال ﴿ " إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات إنا لا نضيع أجر من أحسن عملا أولئك لهم جنات عدن تجري من تحتهم الانهار يحلون فيها من أساور من ذهب ويلبسون ثيابا خضرا من سندس وإستبرق متكئين فيها على الارائك نعم الثواب وحسنت مرتفقا " ﴾[2] .

﴿ وقال تعالى ﴿ " إذا وقعت الواقعة ﴿١﴾ ليس لوقعتها كاذبة ﴿٢﴾ خافضة رافعة﴿٣﴾إذا رجت الارض رجا ﴿٤﴾ وبست الجبال بسا ﴿٥﴾ فكانت هباء منبثا﴿٦﴾ وكنتم أزواجا ثلاثة ﴿٧﴾ فأصحاب الميمنة ما أصحاب الميمنة ﴿٨﴾ وأصحاب المشأمة ما أصحاب المشأمة ﴿٩﴾ والسابقون السابقون ﴿١٠﴾ أولئك المقربون ﴿١١﴾ في جنات النعيم ﴿١٢﴾ ثلة من الاولين ﴿١٣﴾ وقليل من الاخرين ﴿١٤﴾على سرر موضونة ﴿١٥﴾ متكئين عليها متقابلين ﴿١٦﴾ يطوف عليهم ولدان مخلدون ﴿١٧﴾ بأكواب وأباريق وكأس من معين ﴿١٨﴾ لا يصدعون عنها ولا ينزفون ﴿١٩﴾ وفاكهة مما يتخيرون ﴿٢٠﴾ ولحم طير مما يشتهون ﴿٢١﴾ وحور عين ﴿٢٢﴾ كأمثال اللؤلؤ المكنون ﴿٢٣﴾ جزاء بما كانوا يعملون ﴿٢٤﴾ لا يسمعون

---

(١) سورة الواقعة الآيات ٥٦/٤١ .

(٢) سورة الكهف الآيتان ٣١/٣٠ .

فيها لغوا ولا تأثيما ﴿٢٥﴾ إلا قيلا سلاما سلاما ﴿٢٦﴾ وأصحاب اليمين ما أصحاب اليمين ﴿٢٧﴾ في سدر مخضود ﴿٢٨﴾ وطلح منضود ﴿٢٩﴾ وظل ممدود ﴿٣٠﴾وماء مسكوب ﴿٣١﴾ وفاكهة كثيرة ﴿٣٢﴾ لا مقطوعة ولا ممنوعة ﴿٣٣﴾ وفرش مرفوعة ﴿٣٤﴾ إنا أنشأناهن إنشاء﴿٣٥﴾ فجعلناهن أبكارا ﴿٣٦﴾ عربا أترابا ﴿٣٧﴾ لاصحاب اليمين ﴿٣٨﴾ ثلة من الاولين ﴿٣٩﴾ وثلة من الاخرين ﴿٤٠﴾" ﴾[1] .

إذن العقل السليم يحتاج المساندة والمعاونة من الرسول فى التعرف بطريقة يقينية على ما لديه بعض المعارف به ، أما ما لا معرفة له به فإن دور النبى يكون قائما لا محالة على وجه الكمال والتمام هداية للعقل السليم ، وأخذا بيديه ، حتى يجتاز تلك الموانع التى لا خبرة له بها ، ولا يمكنه إصدار أحكام يقينية حولها ، وهى فى ذات الوقت من الضرورة فى أعلى مكان ، حتى ينصلح للمرء أمر دنياه ، وشأن أخراه ، بحيث يرضى عنه مولاه جل علاه .

وشأن الغيبيات الماضية والحاضرة والمستقبلية بالنسبة للعقل الإنسانى كلها سواء . يظهر ذلك فى التوجيه القرآنى ، حين سأل فرعون وأتباعه نبى الله موسى الكليم عليه السلام عن أخبار القرون الأولى السابقة على بعثته إليهم ، فكان جوابه ذلك مما لا علم لكم به ، إنما علمه عند الله تعالى .

قال تعالى مصورا تلك المواقف ﴿ " إنا قد أوحي إلينا أن العذاب على من كذب وتولى قال فمن ربكما يا موسى قال ربنا الذي أعطى كل شيء خلقه ثم هدى قال

(١) سورة الواقعة الآيات ١/٤٠ .

فما بال القرون الاولى قال علمها عند ربي في كتاب لا يضل ربي ولا ينسى " ﴾[1] ، وكذلك ما يجيء فى أمر البعث باعتباره من الغيوب المستقبلية .

قال الإمام الفخر الرازى عن البعث : « اعلم أن جملة أهل الإسلام متفقون على إثباته »[2] ، لأن أهل الإسلام متمسكون بالقرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة ، وهما المصدر الإلهى ، وقد تحدثا عن البعث بكل ما فيه من تفصيلات يمكن للعقل أن يستوعبها ، متى قصت عليه ، فكان ذلك كله من فوائد بعثة الرسل إلى أقوامهم فى الماضى ، والبعثة الخاتمة مع سيدنا محمد ﷺ .

◄◄ الثالثة :تعريفهم طرق عبادة الله تعالى وكيفية ممارستها .

من الثابت أن الإنسان مهما كان صاحب عقل راجح ،فإنه لا يدرك الطريقة التى يرضى بها رب العالمين ، إلا إذا كان ذلك عن طريق يقيني مصدره الله تعالى ، الذى يوحي به إلى من يختاره ليقوم بمهمة الإبلاغ عن الله تعالى[3] ، تلك الطرائق إلى المكلفين بها ، ولا يكون ذلك إلا من خلال الرسول الذى يؤيده الله تعالى بالمعجزات .

ثم إن تلك التكاليف تنزل للناس في شكل مفردات لغوية متعلقة بالخطاب[4] ، ولكن كيف تتم لهم ممارستها ؟ أو من الذى سيعلمهم كيفية القيام

---

(١) سورة طه الآيات ٤٨/٥٢ .

(٢) الإمام الفخر الرازى – الأربعين فى أصول الدين جـ٢ ص٥٥ ط الكليات الأزهرية – تحقيق الدكتور أحمد حجازى السقا .

(٣) الشيخ محمد نصر الله – القول الفصل ص١٣١ ط أولى ١٩٢١م .

(٤) راجع فى هذا الشأن – الخطاب ودلالته فى كتب أصول الفقه .

بها ؟ لا شك أنه الرسول الذى بعثه الله تعالى فيهم ، أو أقامه بينهم ، وكلفه تعبيد الناس بالطريقة التى ترضيه جل علاه ، وعلمه الله تعالى إياها . فراح يمارسها مع المرسل فيهم بطريقة واضحة كاملة .

فمن أين للعقل وحده معرفة أن الله تعالى فرض الصلوات ، وفرض الصيام ، وفرض الزكاة ، كما فرض الحج[1] ، إن لم يكن قد بلغه ذلك عن الرسل الذين بعثوا من قبل الله تعالى ، بل من أين له أن يعرف كيفيات الأداء فيها حتى تكون كاملة الأداء ، فيصح له بها الأجر ، لما هو معروف من أن كل فريضة فرضها الله تعالى علينا لها جانبان :-

- **الأول : جانب الأداء** :- وهو بتعلق بالقيام بها إعلانا عنها ، واستعدادا لها ، والدقة فى أدائها على الوجه المطلوب شرعا ، من حيث الظروف الملائمة ، بالشروط والأركان والهيئات التى جعلها الله تعالى قائمة فيها ، فإذا أدها المكلف على تلك الناحية فقد أدى ما فرضه الله تعالى عليه .

- **الثانى : جانب الثواب** : وهو ما يتعلق بالأجر والجزاء الذى جعله الله قرين كل تكليف . قال تعالى ﴿ " فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ " ﴾[2] ، وفى الحديث الشريف « حدثني محمد بن عثمان بن كرامة : حدثنا خالد بن مخلد : حدثنا سليمان بن بلال : حدثني شريك بن عبد الله بن أبي نمر ، عن عطاء ، عن أبي هريرة قال :

---

(١) الأستاذ توفيق محمد – العبادات فى الإسلام ص٢٩ .

(٢) سورة الزلزلة الآيتان ٨/٧ .

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " إن الله قال: من عادى لي ولياً فقد آذنته بالحرب، وما تقرب إلي عبدي بشيء أحب إلي مما افترضت عليه، وما يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه، فإذا أحببته: كنت سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به، ويده التي يبطش بها، ورجله التي يمشي بها، وإن سألني لأعطينَّه، ولئن استعاذني لأعيذنَّه، وما ترددت عن شيء أنا فاعله ترددي عن نفس المؤمن »[1] ، وهو قائم فى جانب الثواب والأجر .

يقول العلامة الشوكانى « لفظ التقرب المنسوب إلى الله تعالى من عبد يفيده ، أنه وقع ذلك على جهة الإخلاص ، لأن من لم يخلص العبادة لله ﷻ لا يصدق عليه معنى التقرب ، وهكذا من فعل العبادة المفترضة لخوف العقوبة ، فإنه لم يكن متقربا على الوجه المطلوب »[2] شرعا ، وإن كان متقربا على غيره من الوجوه .

ويقول أحد العارفين : « إن نوع العبادات منها ما يكرر يوميا كالصلوات . لدوام استحضار المنعم ، وشكره وتعظيمه ، وإشعار القلب بجلاله »[3] ، فمن أين للعقل أن يعرف هذه أو تلك ، إن لم يكن معه العون الإلهى القائم فى البعث .

ويقول الإمام الغزالى « اعلم أن أوامر الله تعالى فرائض ونوافل ، فالفرض رأس المال ، وهو أصل التجارة مع الله تعالى ، وبه يحصل ذات التجارة ، والنفل هو الربح الذى يجيء مع التجارة ، ومن ثم فلكل تجارة أديت على الوجه الأكمل

---

(١) صحيح الإمام البخارى – باب التواضع ، وهذا الحديث للعلماء فى شرحه والتعليق عليه كلام طويل ، فاحرص عليه تظفر به – راجع فتح البارى بشرح صحيح البخارى للعلامة ابن حجر العسقلانى .

(٢) الإمام الشوكانى – قطر الولى على حديث الولى ص٣٦٩ – تحقيق الدكتور إبراهيم إبراهيم هلال – دار الكتب الحديثة .

(٣) الإمام محمد ماضى أو العزائم – النور المبين ص٢٣٢ .

ربح »[1] ، ومهما تعدد الفاعلون فإن الأجور تلاحقهم ، لا ينقص أجر واحد منهم أجر غيره .

فمن أين للعقل وحده معرفة أوقات تلك الفرائض وإعدادها ، وما يتعلق منها بالمقادير ، وأماكن أدائها على الوجه المطلوب شرعا ، لا شك أن ذلك لا يكون إلا من طريق الرسول المبعوث من الله تعالى رب العالمين لطفا ورحمة .

وفي الحديث الشريف « حدثنا محمد بن المثنى قال: حدثنا عبد الوهاب قال: حدثنا أيوب، عن أبي قلابة قال: حدثنا مالك: أتينا إلى النبي صلى الله عليه وسلم، ونحن شببة متقاربون، فأقمنا عنده عشرين يوما وليلة، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم رحيما رفيقا، فلما ظن أننا قد اشتهينا أهلنا، أو قد اشتقنا، سألنا عمن تركنا بعدنا فأخبرناه، قال: (ارجعوا إلى أهليكم، فأقيموا فيهم وعلموهم ومروهم). وذكر أشياء أحفظها، أو لا أحفظها: (وصلوا كما رأيتموني أصلي، فإذا حضرت الصلاة، فليؤذن لكم أحدكم، وليؤمكم أكبركم »[2] .

وكل ما يتعلق بالصلاة من طهارة ووضوء وأداء وإقامة ، وقيام وركوع ، وسجود وتسليم ، لم يكن للعقل بها أدنى معرفة ، وإنما قام بها المسلم حينما أخبره الرسول الكريم – صلوات الله وسلامه عليها بها – وقام بأدائها الرسول

---

(١) الإمام أبو حامد الغزالي – بداية الهداية ص٦ بهامش منهاج العابدين له أيضا – مطبعة دار الكتب العربية الكبرى ١٣٢٧هـ .

(٢) صحيح الإمام البخاري – باب: الأذان للمسافر، إذا كانوا جماعة، والإقامة، وكذلك بعرفة وجمع، وقول المؤذن: الصلاة في الرحال، في الليلة الباردة أو المطيرة. ، وراجع العلامة الفشني ص٢٧ .

نفسه ، أداء لما افترضه الله عليه ، وليعلم الأمة كيفية أداء ما فرض الله تعالى عليهم وقس على ذلك الحال فى الزكاة ، والصوم ، والحج ، وما يتعلق بكل ركن منها .

ففى الحديث الشريف : « حدثنا أبو بكر بن أبي شيبة، وعلي بن محمد، قالا: حدثنا وكيع. حدثنا سفيان عن بكير بن عطاء. سمعت عبد الرحمن بن يعمر الديلي؛ قال: شهدت رسول الله صلى الله عليه وسلم، وهو واقف بعرفة. وأتاه ناس من أهل نجد. فقالوا: يا رسول الله! كيف الحج؟ قال (الحج عرفة. فمن جاء قبل صلاة الفجر ليلة جمع فقد تم حجه. أيام منى ثلاثة. فمن تعجل في يومين فلا إثم عليه. ومن تأخر فلا إثم عليه) ثم أردف رجلا خلفه فجعل ينادي بهن.»[1] .

لكن من أين للعقل معرفة حدود عرفة ، والمكان الذى يقف فيه حتى يكون حجه من تلك الناحية صحيحا ، إن ذلك كله يحتاجه العقل من الرسول المبعوث من الله تعالى المؤيد بالمعجزة ، ولذا رأينا الحديث الشريف « عرفة كلها موضع إلا وادى عرنة »[2] ،

« حدثنا عمر بن حفص بن غياث. حدثنا أبي عن جعفر. حدثني أبي عن جابر في حديثه ذلك: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال "نحرت ههنا. ومنى كلها منحر. فانحروا في رحالكم. ووقفت ههنا. وعرفة كلها موقف ووقفت ههنا. وجمع كلها موقف »[3] .

---

(١) سنن ابن ماجة – باب من أتى عرفة قبل الفجر ليلة جمع ، وراجع الأحاديث الصحيحة الشريفة فى فضل عرفة يوما ومكانا وأجرا ففيها خير كثير .

(٢) الشيخ محمد علوى المالكى – البيت الحرام ص١٩٥ ، ويقال على وادى عرفة أنه وادى لجن .

(٣) صحيح الإمام مسلم – باب ما جاء أن عرفة كلها موقف [١٤٩ – (١٢١٨)] .

ويلمح الإمام الغزالى إلى أن هذه الفرائض الواجبة على المكلف فى الشريعة الغراء يتعين عليه معرفتها من الناحية العلمية الشرعية التى لا حيلة للعقل فيها ، وإنما يجيء بها النبى فيقول « كل ما يتعين عليك فرض فعله ، وجب عليك معرفته ، لتؤديه كاملا ، كالطهارة والصلاة والصوم ، أما الحج والزكاة ، والجهاد ، فإن تعين عليك فرضه ، وجب عليك علمه لتؤديه »[1] ، على الوجه الذى يرضى الله تعالى رب العالمين ، وإلا كانت فى عداد الهالكين .

ولا يغربن عن ذى بال أن الفرائض يجب أن تؤدى من غير احتيال حولها ، لما هو معلوم من أن سيدنا محمدا ﷺ قد بلغ الدين كاملا . وأن الشريعة قد كملت . وانقطع الوحى بانتقاله ﷺ إلى الرفيق الأعلى ، ولم يبق لأحد من عباد الله مجال فى تشريع غير ما شرعه الله تعالى ، ولا رفع شيء مما قد شرعه الله سبحانه وتعالى[2] .

فى نفس الوقت فإن كل عبادة لله تعالى لها طرائق من حيث الأداء الكامل ، وحولها مبطلات . إذا أحاطت بها أوقعت فى الخسران . بجانب الإبطال الكامل للأداء والأجر ، والعقل وحده لا يعرف تلك المصطلحات من المبطلات[3] ، فمن أين له معرفة أن الحركات المقصودة فى الصلاة من الانتقال مثلا والتلفت ، والكلام ، إلى غير ذلك مبطل للصلاة . ومن أين له معرفة أن الصوم هو إمساك عن كل المفطرات من أذان الفجر إلى أذان المغرب .

---

(١) الإمام أبو حامد الغزالى – منهاج العابدين ص٧ وبهامشه بداية الهداية له أيضا – ط دار الكتب العربية الكبرى .

(٢) الإمام الشوكانى – قطر الولى على حديث الولى ص٣٢٣ .

(٣) الشيخ محمود محمد عبدالحكيم – الصلاة فى الإسلام ص١٤٥ .

لاشك أن ذلك كله لن يكون للعقل وحده به معرفة ، وإنما يأتى بها الرسول المبعوث من قبل الله تعالى ، فكانت بعثة الأنبياء فيها لذلك الجانب أيضا الفائدة .

ثم أن كل فريضة لها نافلة ، بحيث تصير للفرائض عموما نوافل ، باعتبار أن « النوافل هى ما عدا الفرائض التى افترضها الله سبحانه وتعالى على عباده ، من جميع أجناس الطاعات ، من صلاة وصيام وحج ، وصدقة وزكاة ، وكل ما تدب الله ﷻ إليه ، ورغب فيه من غير حتم وافتراض ، كما أن النوافل تختلف باختلاف ثوابها ، فما كان ثوابه أكثر ، كان فعله افضل ، وتختلف كذلك باختلاف ما ورد فى الترغيب منها ، فبعضها قد يقع الترغيب فيه ترغيبا مؤكدا ، وكان رسول الله ﷺ يلازمه مع الترغيب للناس فى فعله[1] ، وبناء عليه فإن فى بعثة الرسل الكرام فائدة من تلك الناحية أيضا .

قال تعالى ﴿ " لقد من الله على المؤمنين إذ بعث فيهم رسولا من أنفسهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة وإن كانوا من قبل لفي ضلال مبين " ﴾[2] ، وقال تعالى ﴿ " هو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون " ﴾[3] ، وإظهار الدين يكون بمعرفة أموره المشروعة من قبل الله تعالى ، والقيام بأدائها ، طبقا لما شرع الله تعالى ، فكانت البعثة ضرورية للعقل ، ولا يغنيه عنها ما حصله من معارف ، أو علوم .

---

(١) الإمام الشوكانى – قطر الولى على حديث الولى ص٣٨٣ .

(٢) سورة آل عمران الآية ١٦٤ .

(٣) سورة الصف الآية ٩ .

ثم إن العقل الإنساني إذا الزم نفسه القيام ببعض الطاعـات ، ظانـا منـه أنـه يرضى بها الله تعالى ، وأنه قد ينجح في أدائها على الصورة التى يوفق إليـها ، فـإن ذلك ليس من صفات العقل أو ملكاته وحده ، بل لابد له من قائد يرشده ، وموجـه أعلى من كل العقول يقوده إليها ، ولا يكون ذلك متمثلا إلا في النبى المرسل من عند الله رب العالمين .

نلمح ذلك فيما روي عن طلحة بن عبيد الله ﷺ أنه قـال :« جـاء رجـل [١] . إلى رسول الله ﷺ من أهل نجد [٢] ، ثائر الرأس ، يسـمع دوى صوتـه ولا يفقـه مـا يقول ، حتى دنا ،فـإذا هـو يسأل عـن الإسـلام [٣] ، فقـال رسـول الله ﷺ خمـس صلوات في اليوم والليلة ، قال الرجل ، وهل علي غيرها ؟ فال لا إلا أن تطوع .

فقال رسول الله ﷺ وصيام رمضان ، قال الرجل ، وهل على غـيره ، قـال ﷺ لا ، إلا أن تطوع ، وذكر له رسول الله ﷺ الزكاة ، قال الرجـل هـل علـى غيرهـا ؟ قال لا إلا أن تطوع ، قال فأدبر الرجل وهو يقول والله لا أزيد على هذا ولا أنقص ، قال رسول الله ﷺ أفلح إن صدق »[٤] .

---

(١) يذهب المحدثون إلى أن هذا الرجل هو "ضمام بن ثعلبة" ، ويذهب غيرهم إلى غيره .

(٢) نجد منطقة معروفة في جزيرة العرب ، ويقال عليها ما ارتفع من تهامة إلى أرض العراق ، وهي جزء مـن المملكة العربية السعودية ، وأهلها يعرفون بالتمسك الشديد بالدين .

(٣) سؤال الرجل هنا عن أركان الإسلام والشرائع والأعمال التى تجب على المسـلم، لأن الرجـل كـان مسلما .

(٤) رواه أصحاب السنن والصحاح إلا الإمام الترمذى ، ولم يذكر له الرسول الكريم ﷺ الشـهادتين لأن الرجل كان مسلما مؤمنا، كما أهما معلومتان له، ولم يذكر له كذلك فريضة الحج لأن الله تعالى لم يكـن قد فرض الحج على المسلمين .

فالسائل لو عرف ذلك بالعقل ما كان بحاجة إلى وحى ،ولا ستغنى بعقله عن أنـوار النبـوة، ولكنـه أدرك أن عقلـه وحـده ليـس كافيــا في الوصــول إلى معرفــة الطاعـات ، وإدراك المفروضـات ، ولـما كـان حرصـه علـى الوصــول إلى رضــوان الله تعالى ،فقد حـرص علـى معرفـة مـا يوصلـه إلى مـا يرضيـه جـل شـأنه مـن رسـول الله ﷺ ،وذلك مما دل عليه العقل والنقل معا ، فثبت أن إرسال الرسل فيه فوائد .

كما أن معرفة أوقات أداء العبادات غير مدرك بالعقل ، فمن أين للعقل وحده معرفة أوقات الصلاة مثلا ، أو أنها خمس في اليوم والليلة ، وفي أوقات متفرقات ما بين مطلع الشـمس وغروبـها ، وكـل صـلاة مـن الخمـس لهـا وقـت فضيلـة ووقـت أداء[1] ، إلى غير ذلك مما يتبع أداء فرض الصـلاة ، مـن تلـك الناحيـة ، لاشـك أن العقل وحده يعجز تماما عن معرفتها ، ويكون في حاجة ماسة ضروريـة إلى النـبي الهادى والبعثة الخاتمة .

فعن عبادة بن الصامت ﷺ قال « أشهد أني سمعت رسول الله ﷺ يقول خمس صلوات افترضهن الله ﷻ ، من أحسن وضوءهن وصلاتــهن لوقتــهن ،وأتم ركوعــهن وخشوعهن ، كان له على الله تعالى عهد أن يغفر له ، ومن لم يفعل فليس لــه علـى الله تعالى عهد ، إن شاء غفر له، وإن شاء عذبه »[2] .

وعن أبي قتادة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال : قـال الله ﷻ « إنـي إفـترضت علـى أمتي خمس صلوات ، وعهدت عندي عهدا ، أنه من جاء يحافظ عليهن لوقتــهن ،

---

(١) راجع فى هذا كتب الفقه على المذاهب ، ففى كل واحد منها خير كثير .

(٢) رواه أبو داود والنسائى، وكذلك الإمام مالك في الموطأ ، وهو حديث صحيح .

أدخلته الجنة ، ومن لم يحافظ عليهن فلا عهد له عندي»[1] . فالعقل وحده لا يدرك أوقات أداء الصلاة ، وإنما النبى هو الهادى والمعرف .

وعن جرير ﷺ قال « كنا مع النبي ﷺ فنظر إلى القمر ليلة :فقال إنكم سترون ربكم كما ترون هذا القمر لا تضارون في رؤيته ، فإن استطعتم ألا تغلبوا على صلاة قبل طلوع الشمس وقبل غروبها فافعلوا، ثم قرأ وسبح بحمد ربك قبل طلوع الشمس وقبل غروبها »[2]، وقال تعالى ﴿ " وأقم الصلاة طرفي النهار وزلفا من الليل إن الحسنات يذهبن السيئات ذلك ذكرى للذاكرين " ﴾[3].

ثم من أين للعقل معرفة أنه إن قصر في أداء ما فرضه الله عليه ، يعاقب من جهة الله ﷻ ، الذي فرض تلك الفرائض على المؤمنين به ، بل من أين له معرفة نوع العقوبة ومقدارها، فعن ابن عمر ﷺ أن النبي ﷺ قال « من فاتته العصر فكأنما دبر أهله وماله »[4] ، وإذا فعل ذلك فهل أهلكهما .

وفي الإثر أيضا « من ترك صلاة الصبح فليس في وجهه نور ، ومن ترك صلاة الظهر فليس في رزقه بركة ، ومن ترك صلاة العصر فليس في جسده قوة ،ومن ترك صلاة المغرب فليس في أولاده ثمرة ، ومن ترك صلاة العشاء فليس في نومه

(١) رواه الإمام أبو داود في سننه ، وقال تعالى ﴿ فإذا قضيتم الصلاة فاذكروا الله قياما وقعودا وعلى جنوبكم فإذا اطمأننتم فأقيموا الصلاة إن الصلاة كانت على المؤمنين كتابا موقوتا ﴾سورة النساء الآية ١٠٣

(٢) رواه أصحاب السنن الأربعة وفي رواية الشيخين «من صلى البردين دخل الجنه »وقال تعالى ﴿ " أقم الصلاة لدلوك الشمس إلى غسق الليل وقرآن الفجر إن قرآن الفجر كان مشهودا " ﴾ سورة الإسراء الآية.٧٨ .

(٣) سورة هود الآية ١١٤ .

(٤) رواه الأربعة والشواهد من السنة النبوية كثيرة تشهد له .

راحة »[1]، إلى غير ذلك من الأحاديث النبوية التى تحدثت عن العقوبات التى تلاقى المقصرين عن أداء الصلاة في الدنيا والآخرة .

ولما كان مأخذ ذلك كله من الرسول المبلغ عن الله تعالى ، والعقل وحده لا يدرك شيئا منه ، فقد أمر الله تعالى بالأخذ الكامل لكل ما يجئ به الرسول ، والابتعاد التام عن كل ما نهى عنه، قال تعالى﴿ " ما أفاء الله على رسوله من أهل القرى فلله وللرسول ولذي القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل كي لا يكون دولة بين الاغنياء منكم وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا واتقوا الله إن الله شديد العقاب " ﴾[2].

وفي الحديث الشريف قوله ﷺ « والذي نفسي بيده لا يؤمن أحدكم حتى يكون هواه تبعا لما جئت به »[3]، فدل ذلك كله على أن العقل وحده لايستقل بمعرفة الطاعات أداءا ، ولا يستقل بمعرفة عواقبها تقصيرا ، وإنما مرد ذلك كله للنبي المعصوم الذى يعرف المكلفين أوجه الخير ، وعواقب التقصير ، وهو من فوائد بعثة الرسل على ما ذهب به إليه آهل العلم بالله رب العالمين .

قال الله تعالى ﴿ " يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول و لا تبطلوا أعمالكم " ﴾[4]،قال أحد العلماء في « لا تبطلوا أعمالكم » التى تؤدونها بمخالفة

---

(١) راجع في هذا الشأن الترغيب والترهيب ، ومكاشفة القلوب ، ومنهاج العابدين ، وبداية الهداية للإمام الغزالي.

(٢) سورة الحشر الآية (٧)

(٣) رواه الإمام البغوى في شرح السنة ، والنووى في الأربعين النووية بسند صحيح.

(٤) سورة محمد الآية (٣٣)

سنة نبيكم التى سنها لكم ، وذلك بارتكابكم المنكرات والبدع التى تشرعها لكم أنفسكم[1]، من غير أن يأتى بها الشرع الشريف .

الرابعة : معرفة الحسن من القبيح في الأقوال والأعمال

العقل الإنساني قاصر عن التعرف على أمور كثيرة مازالت غائبة عنه ،ومن ثم فقد يفعل المرء الفعل وهو لا يدري أيثاب عليه أم يعاقب .فإذا تمكن منه الخوف من النتيجة المجهولة فإنه يتردد على الدوام[2] ، في الأرض في الأفعال التي يقوم بها ، وحينئذ لن يتم له فعل ما ،فتتعطل مصالح الحياة، ويقع الفساد في الأرض ،وقد نهى الله تعالى عنه ، قال تعالى﴿ " ولا تفسدوا في الارض بعد إصلاحها وادعوه خوفا وطمعا إن رحمت الله قريب من المحسنين " ﴾[3] ، فالتردد فى الأفعال يعطل مسيرة الحياة إذا غلب هو على القائمين بها على الدوام .

في نفس الوقت فإن الإنسان بهذه الأفعال التى سيقوم بها إنما يتصرف في ملك الله تعالى بأمر منه جل علاه ، وكل فعل يصدر عن ذات الإنسان إذا لم يكن طاعة كان معصية ، باعتبار أنه لا ثالث بينهما ، فمن يدريه إن ما أتى به من فعل هو طاعة ، وأن ما تركه هو من المعاصي ، إن ذلك لا يكون له وحده ،بل لابد له من نبي يهديه إلى الطاعات فيقوم بها ، ويخبره عن المعاصي فينصرف عنها ، فإذا لم يتم له ذلك فقد يؤدي المعاصي على أنها طاعات ، وربما يحدث العكس ، حيث يتوقف عن فعل الطاعات ظانا أنها من المعاصى

---

(١) الشيخ عبد الرحمن بن يوسف الإفريقي- الأنوار الرحمانية ص٥ مؤسسة مكة للطباعة والإعلام ط١٩٧٦

(٢) الشيخ محمد منصور - حاجة البشر للرسالة ص٩٥ ط أولى ١٩٤٥م .

(٣) سورة الأعراف الآية ٥٦

وقد ذم الله تعالى ذلك النوع من الناس الذين تمسكوا بعقولهم وحدها ، هاجرين شرع الله تعالى ، وبين أنهم في الدنيا من أهل الخسران ،وفي الآخرة من وقود النيران .

ﷻ قال تعالى ﴿ " قل هل ننبئكم بالاخسرين أعمالا الذين ضل سعيهم في الحياة الدنيا وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا أولئك الذين كفروا بآيات ربهم ولقائه فحبطت أعمالهم فلا نقيم لهم يوم القيامة وزنا ذلك جزاؤهم جهنم بما كفروا واتخذوا آياتي ورسلي هزوا " ﴾[1] .

ولما كان الإنسان هو الخليفة في الأرض الذي جعله الله تعالى مأمورا بعمرانها ، بعد الأقوام التى سبقته فيها[2] ، فإنه مكلف بإتيان الأفعال فيها قاصدا وجه الله تعالى ، لأنه جل علاه المالك ، والمستخلف ، والمثيب أو المعاقب ، ومن كان ذلك شأنه فيجب أن تتجه الخلائق كلها نحوه بالطاعة ، لكن من أين لهم معرفة الطاعة وطرقها ، إن ذلك لا يكون إلا من خلال نبى رسول يأتى للإنسان بشرع من قبل الله تعالى ، حتى يدله على الخير ، ويأخذ بيديه إليه ، ويصرفه عن اشر ، ويحذره منه .

---

(١) سورة الكهف الآيات ١٠٦/١٠٣

(٢) قال تعالى ﴿ " وإذ قال ربك للملائكة إني جاعل في الارض خليفة قالوا أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك قال إني أعلم ما لا تعلمون " ﴾ « سورة البقرة الآية ٣٠ » وقد فهم البعض أن ذلك الخليفة يكون عن الله تعالى وهو فهم غير مقبول ، وإنما جعل الله تعالى آدم خليفة للجماعات التى سبقته في الوجود على هذا الكوكب الأرضي سواء كان ذلك من جماعة الجن ، أم من جماعة البن ، أم غير ذلك من الجماعات التى تحدثت عنها أخبار السير وعلماء التفسير ، ومن ثم فإن الرأى الذى أميل إليه ،هو أن استخلاف آدم وبنيه من قبل الله تعالى ، ليكون معمرا لها بعد الأقوام التى فسدت فيها ، راجع التحرير والتنوير للعلا مة الطاهر بن عاشور والطبرى والقرطبى ، وكذلك تفسير المنار وغيرها من كتب التفسير بالرأى والمأثور على السواء .

فى نفس الوقت فمن أين للعقل معرفة أن السرقة حـرام ،وأن الزنـا كبـيرة ، وأن القتل وقطع الطريق من الأفعال التى تغضب الله تعالى ، وهو غير قادر على ذلك وحده ، وبخاصة أن النفس الأمارة بالسوء تجرى من الإنسان مجراهـا ،والشـيطان العدو اللدود يتسور عليه فى كل حين ،ومن أية ناحية .

قال تعالى مصورا ذلك الموقف ﴿ " قال فبمـا أغويتنـي لاقعـدن لـهم صراطك المستقيم ثم لآتينهم من بين أيديهم ومن خلفهم وعـن أيمانـهم وعـن شـمآئلهم ولا تجد أكثرهم شاكرين قال اخرج منها مذؤوما مدحورا لمن تبعك منهم لأملأن جهنم منكم أجمعين " ﴾[1] ، فالعداوة من إبليس لبنى الإنسان قائمة لم تنقطع ، هى مـن قديم الزمان ، حين كان آدم عليه السلام بين الطين والنفخ .

ولما كانت عـداوة الشيطان للإنسـان قائمـة ، وطـرق إغوائـه لبنـى الإنسـان متنوعة ، فإن بعثـة الرسـل هـى التـى تقطـع ذلـك ، وتعـين الإنسـان علـى أوجـه الخير ، يقول صاحب المطالع :

« من فوائد البعثة أن يدل الرسول على الفعـل الـذي توقـف العقـل في بيـان حسنه ، ولم يستقل بمعرفة حسنه من قبحه ، أو كونه طاعة أو معصيـة، كـالنظر إلى وجه العجوز الشوهاء ، وإلى وجه الأمة الجميلة الحسناء فإن العقل يتوقـف في حسنه وقبحه »[2] ، على أى الوجهين من الحسن ، وأيـهما القبيـح [3] ، مـع أن المسألة فيهما نسبية باعتبار الناظر إليهما ، والحكم الشرعي القائم في المسألة .

---

(١) سورة الأعراف الآيات ١٦/ ١٨

(٢) العلامة الأصفهانى – مطالع الأنظار على الطوالع ، وبالحاشية تعليقات الجرجانى ص٤٣٦ .

(٣) ولو ضرب مثالا غير ذلك ، لكان أوضح ، وبخاصة لهذا الجيل الذى نعيش بين أفراده ، إذ أن النظـر إلى أى من الوجهين باعتباره من صنعة الله تعالى يحسن كله ، لأن أفعال الله تعالى حسنة كلها ، وإذا نظر إليـه باعتبار ما يرضيه منها كزوجين ، فإنه حتما يستعذب الأملح ، وإذا نظر باعتبار الأمر المحـرم فـهما فى المسألة سواء .

على أن أفعال الطاعات وأفعال المعاصي هي الأخرى ترد على الكثير من الوجوه ، فما يكون حسنا في وقت قد يكون قبيحا في وقت أخر . بل قد يكون الإتيان بالفعل الحسن مع فرد من الأفراد في وقت من الأوقات حسنا ، ثم ينقلب الحال بحيث يكون إتيان ذات الفعل مع ذات الفرد في وقت من الأوقات قبيحا .

مثال ذلك: « الإحسان إلى مسلم فقير انقطعت عنه سبل الحياة ، ومع كونه قائما على شرع الله تعالى لا ينفك عنه ، آخذا بالأسباب قدر اجتهاده فإن العقل يحكم عليه بالحسن فى تلك الحال ، أما إذا تم ذات الإحسان إلى مسلم فقير انقطعت عنه أسباب الحياة الكريمة ، لكنه غير قائم على شرع الله تعالى، غير آخذ بالأسباب ، متكاسل عن الجد والاجتهاد[1] ، فإن العقل وحده لا يمكنه التعرف على أى الوجهين جاء الفعل فيهما حسنا ، فوقعت لصاحبه الطاعة وأثيب عليها ، أو قبيحا فوقعت لصاحبه المعصية وعوقب عليها .

كذلك فأكل لحم الحيوان المذبوح بعد أن تذهب مادة البولينا السامة[2] - للإنسان - بعيدا عنه ، ما كان للعقل معرفة بها ، بل أن الإنسان البدائى كان لا يأكل الحيوان الا إذا قتله ، فلما أكله والمادة السامة محتجزة فيه مات بسببها كثير من بنى الإنسان وأحاديث التاريخ بهذا الشأن كثيرة .

---

(١) ليس ذلك من شأن المسلم ، ولا من تعاليم الإسلام ، فمن فعل ذلك فإن الإحسان إليه يكون فى غير موضعه ، والمقصود بالإحسان هنا الإنفاق فى وجوه الخير ، وليس الإحسان الوارد فى الحديث الشريف - حديث جبريل عليه السلام - من قوله ﷺ ما الإحسان : قال ﷺ أن تعبد الله كأنك تراه ، فإن لم تكن تراه فإنه يراك ، وهو من الحديث المشهور باسم حديث جبريل عليه السلام ، فإن لذلك أمرا أخر .

(٢) عند الذبح على الطريقة الشرعية يخرج الدم الفاسد ، ولذا سمى الذبح زكاة ، لأن فيها تطهير للحيوان من الدم الموجود به على جهة المادة السامة .

فلما جاء الشرع مع الرسول المبلغ عن الله تعالى عرف الإنسان أن أكل لحم الميتة ضرر بالغ بصحة الإنسان ، فابتعد عنه ، ولولا الشرع لظل يقع فيها ، وبالتالى تقع على بنى الإنسان الإضرار البالغة .

كذلك جاء الشرع فعرف الإنسان أن الحيوان يذبح شرعا فيحل لحمه ، ويزكو جسمه ،لكن من خلال طرق شرعية ، قال ﷺ : إذا قتلتم فأحسنوا القتلة ، ، وإذا ذبحتم فأحسنوا الذبحة ، وليجد أحدكم شفرته وليرح ذبيحته[1] ، وهو نوع من التوجيه الربانى الحكيم فى مسألة عجز العقل عن التعرف عليها .

يقرر العلامة الكمال : أن العقول تتفاوت فقد يستحسن جماعة فعلا ، ويستقبحه آخرون ، فالتفويض إلى العقول يؤدى إلى فساد ، وهو القتال ، والفساد والخراب ، وذلك عن طريق التنازع المؤدى إليهما ، والنهى عن الاقدام على الفعل المتنازع فيه المخبر به النبى يحسم هذا الفساد ، الذى يؤدى اليه التنازع[2] . فالعقل لا يحسن ، ولا يقبح وحده .

مثال ذلك : تحريم فعل الزنا ، فإن الطبع المريض ربما يقره ، ولكن السليم يرفضه ، لكن من أين للعقل معرفة أن فعل الزنا قبيح ، وهو يرى أن الفعل من حيث هو ممارسة أمر لا فرق فيه بين الزوجة والزانية[3] ، حينئذ يأتى الشرع مع الرسول ليعرف العقل القاصر أن الفعل فى الممارسة البيولوجية يحسن مع

---

(١) شرح الفشنى على الأربعين النووية ص٩٨ .

(٢) العلامة الكمال بن أبى شريف – المسامرة بشرح المسايرة ص١٨٩/١٩٠ .

(٣) كعملية بيولوجية فقط يقوم بها الطرفان ، وإن اختلفت الأحوال .

الزواج ، ويقبح فى حال الزنا ، فالأول يثاب عليه صاحبه أجرا[1] ، بينما الثانى يعاقب عليه وزرا .

وهكذا فإن كل فعل يمكن أن يكون له وجهان أحدهما حسن والثانى قبيح ، والعقل وحده لا يستقل بمعرفة الحسن أو القبيح فيهما ، فتأتى البعثة معه مفرقة بين الأمرين ، موضحة كلا من الحالين ، وتلك فائدة عظمى تبعد اختلاط الأنساب ، وتلطيخ الفرش ، وإدخال من لا يستحق فى الميراث مع أنه ليس له[2] ، ومعرفة ذلك لا يكون الا بالبعثة ، فكان ذلك من فوائدها .

أضف إلى ما سبق أن العقول فى أحكامها متفاوتة بتفاوت ثقافات أصحابها ومنافعهم « كما هى متفاوتة بتفاوت التراكمات الذاتية التى تتنوع لدى أصحابها ،بين المنافع والمضار ؛ أو بين المأمن والمخاوف ، إلى غير ذلك من الأشكال المختلفة .

إذن أمر البعثة يفرض على أصحابه القيام بتوجيه الأفعال التى تصدر عنه الوجهة التى ترضى مشاعرهم الذاتية ، وتحقق طموحاتهم الشخصية[3] . فإذا لم يتحقق أمر البعثة ، فإن تلك الآثار السلبية سينقلب أثارها على القائمين بالأفعال ذاتها ، فتصير الأفعال كلها طاعة معصية فى وقت واحد[4] ، أو خيرة شريرة فى

---

(١) ففى الحديث الشريف : « أرأيتم لو وضعها فى حرام قالوا كان عليه الوزر ، قال ﷺ فإذا وضعها فى حلال كان له بها الأجر » وهو من حديث طويل .

(٢) لأنه ليس ابنا لأبيه فكيف يشاركهم فى الميراث ؟!

(٣) الشيخ محمد منصور – حاجة البشر للرسالة ص٩٨ .

(٤) وذلك مما لا تقبله العقول السليمة ، أو النظر النقية .

ذات الوقت ، وهو جمع بين المتضادين ، أو إثبات الشيء ورفعه في وقت واحـد ، فيكون مناقضا للبدهيات ، وبالتالى ينهدم أمر الإصلاح .

من ثم فإن بعثـة الرسـل تكـون ضرورية لبنـى الإنسـان ، لإصـلاح معاشـه ومعاده، وهى من أفعال الله تعالى القائمة في علمه جل جلاله علـى سـبيل الرحمـة بعباده .

◄◄ الخامسة : التعرف على النافع والضار في الأغذية والأدوية :-

من رحمة الله تعالى بعباده أن خلقهم وزودهم بالجوهرة النفيسة ، التى هـى العقل ، فراح الإنسان يضرب بالعقل فى كل مكان ، ويستخدمه فى كل شيء ، دون اعتبار لقدرات العقل وإمكانياته ، أو نظر لملكاته وطاقاته ، فأوقعه ذلك التصـرف غير المدروس فى الكثير من الأمور التـى أودت بـه[1] حينـا ، وكـادت تهلكـه فـى أحايين كثيرة .

« ولما كـانت الحكمـة الإلهيـة قضـت أن يكـون الإنسـان ، بحيـث يتصـرف التصرف المطلق فى جميع أنواع المخلوقات الأخرى ، بما تفضل الله عليه مـن العقـل والإدراك ، والفكر والروية ، وكانت ضرورياته – مع ما سلط عليه من دواعى الحظ والهوى – تدفعه إلا الاستئثار بالملائم له تارة ، فـإذا تمكنـت تلـك الدواعـى منـه حرمته سعادة الدنيا والآخرة ، وعاش حياته فى دنياه كحياة الوحوش المفترسة ، فتفضل الله تعالى عليه ، وأرسـل الرسـل – صلـوات الله عليـهم أجمعـين – مؤيديـن

(١) الأستاذ / عبدالعظيم محمود نصار – القدرات العقلية ص١١ .

بالمعجزات الباهرة ، حتى يأخذوا بيديه إلى النافع فيؤديه»[1] ، والضار فينصرف عنه بغضا له ، وكرها فلا يدانيه .

لكن من أين للعقل أن يعرف المنافع والمضار فما بين يديه ، طالما أنه لم تكن له به خبرة سابقة ، كما لم يدر يخلده شيء منها ، باعتبار أن آدم عليه السلام هو أول مخلوق بشرى نبى أيضا[2] ،فلو لم يعرفه الله تعالى منافع أو مضار ما بين يديه ، وينقلها هو إلى أبنائه من بعده ، لهلك آدم نفسه ، وهلك من بعده بنوه ، إذا وقعوا فى مضار الأغذية أو الأدوية ، لكن ذلك محال على الله تعالى ، الذى أخبر أنه جل علاه ، علم آدم الأسماء كلها . قال تعالى ﴿ " وعلم آدم الاسماء كلها ثم عرضهم على الملائكة فقال أنبئوني بأسماء هؤلاء إن كنتم صادقين " ﴾[3] .

ومما علم الله تعالى آدم من الأسماء ما يتعلق بالمنافع والمضار من الأغذية والأدوية ، بجانب أسماء ما يعرض له من مسميات ، بحيث صار ذلك كله معروفا لآدم عليه السلام ، بحيث يمكنه أن يعرف به أبناءه الذين سينقلونه عنه ، ومن المنافع التى تعلمها ما فى الأغذية والأدوية المستخرجة من النباتات ، التى أجرى الله الأسباب فيها لآدم عليه السلام[4] ، فكان يعرفها ويدرك ما يجرى فيها على وجه فيه الكثير من التفصيلات المهمة الدقيقة .

---

(١) الإمام / محمد أبو العزائم – النور المبين ص٢٣١ .

(٢) الأستاذ / عبدالكريم الخطيب – التفسير القرآنى للقرآن جـ١ ص١٩٥ .

(٣) سورة البقرة الآية ٣١ .

(٤) وهذا الرأى يذهب إليه جمع من العلماء – راجع آدم عليه السلام وفلسفة تقويمه للأستاذ البهى الخولى – مكتبة وهبة ، والإسلام دين الفطرة للشيخ منصور محمد الكدوانى ص١٩٥ .

إذن لم يقف دور النبى أو الرسول عند حد بيان العقيدة الإسلامية وحدها ، أو هى طرق العبادة الصحيحة ، وإنما سلك مع البعوث فيه مسلكا بين لهم فيهم ما ينصلح به أمر معاشهم ، وأمر معادهم أيضا ، وعرض ذلك عليهم فى بيان شاف لا ينطرق إليه شيء من الشك ، أو يتسلل نحوه قليل أو كثير من الريبة .

لا يقال « أن الإنسان مدفوع بفطرته إلى تدبير أمور معاشه ، ورعاية مصالح بدنه ، فطرة فطره الله تعالى عليها ، ليمضى إلى ما يراد له من عمارة الكون وتطور الحياة »[1] ، ومن ثم فهو ليس بحاجة إلى نبى يقوم له بذلك الدور ، إنما فطرته هى التى هدته إلى ذلك ، وأن الحاجة أم الاختراع على ما يقولون .

لأنا نقول : إن الفطرة لم تغن أبدا عن النقل المنزل ، الذى يجيء به الوحى من قبل رب العالمين ، وقد عرضنا دور الفطرة فى التعرف على إثبات وجود الله تعالى ، وعجزها عن التعرف على كافة أسمائه الحسنى وصفاته العظمى ، وبالتالى فالفطرة لها دور ثابت ، لا يمكنها أن تتخطاه ، أو تقفز بعيدا عنه ، وإلا ضاعت الفطرة هى الأخرى ، ولذا اشترط العلماء فى دليل الفطرة إن ما كانت على أصلها نقية هى التى يمكن قبولها ، أما التى أصابها شيء من الخلط ، فهى فطرة فاسدة ، لا اعتبار لها إلا بقدر ما فيها من نقاء ، فإذا لم يوجد ذلك النقاء فلا عبرة بها .

---

(١) العلامة ابن القيم – الطب النبوى ص٣ من المقدمة – تعلم الشيخ عبدالغنى عبدالخالق الناشر – مطبعة النهضة الحديثة بمكة المكرم .

ولما كانت النبوة خصيصة من الله تعالى ، لا يبلغ العبد أن يكتسبها على ما ذهب إليه العلامة الباجورى[1] ، ومن معه ، وتتعلق بسماع العبد الوحى من الله تعالى ، بحكم شرعى تكليفى ، سواء أمر بتبليغه ، أم لم يؤمر ، وأن الرسالة كالنبوة فى هذا الشأن بشرط ان يؤمر بالتبليغ »[2] ، فإن من خصائص النبوة - التى يجيء بها رسول من الله تعالى - بيان المنافع والمضار للخلائق فى أمر الأغذية والأدوية ، وغيرها مما يتوقف عليه أمر المعاش والمعاد .

---

(١) هو العلامة إبراهيم بن محمد بن أحمد الباجورى - شيخ الجامع الأزهر (١١٩٨/١٢٧٧هـ) الموافق (١٧٨٤/١٨٦٠هـ) من فقهاء الشافعية .

وهو غير الشيخ إبراهيم بن أحمد بن عيسى بن سليمان بن سليم المصرى المعروف بالبيجورى أبو إسحاق برهان الدين ، وهو فقيه أصولى شافعى ولد ٧٥٠هـ ، وتوفى ٨٢٥هـ ، وله حاشية على الروضة للعلامة النووى فى الفروع - راجع عمر رضا كحالة - معجم المؤلفين جـ١ ص٧ ،

وهما غير الشيخ محمد بن إبراهيم بن أحمد بن على بن سليمان بن سليم البيجورى الأصل - القاهرى الشافعى ، فقيه عالم بالعربية والفرائض والحساب ، والشروط ، ولد بالقاهرة ، ومن أثاره مختصر مغنى اللبيب لابن هشام ، توفى حوالى ٨٦٣هـ/١٤٥٩م - راجع للأستاذ عمر رضا كحالة - معجم المؤلفين جـ٨ ص١٩٢ .

وهم غير الشيخ أحمد بن محمد بن إبراهيم بن أحمد بن على البيجورى الأصل ، القاهرى الشافعى ، شهاب الدين أبو زرعة ، عالم مشارك فى بعض العلوم ، ولد بالقاهرة ٨٢٠هـ ، ونشأ بها ، ومن تصانيفه « شرح جامع المختصرات وسماه فتح الجامع ، تعليق على المطلع لجميع المختصرات اختصره سماه المفتاح » راجع عمر رضا كحالة جـ٢ ص٢٩ .

وبناء عليه فإن الإمام الباجورى هو الوحيد الذى ولد بالباجور ، وتصح نسبته إليها ، أما غيرهم فهم بيجوريون ولم يكن واحدا منهم معاصر لشيخ الإسلام الباجورى ، حتى يقع الخلط من الناطقين فى الوصف أو الإضافة فضلا عن النسبة القائمة .

(٢) العلامة الباجورى - حاشية الباجورى على الجوهرة ص٣٨ ، وحاشية الباجورى على عقيدة العوام ص١٩ .

ولما كانت أمور حياة المكلفين يتعرضـون فيـها لأمـراض تحتـاج إلى الـدواء ، وأغذية يتعلق بها صلاح الأبدان ،كان من فوائد البعثة بيان الأغذية ، وأنواعـها ، وفوائد كل نوع منها ، وما يحسن تناوله ، أو يمتنع حتى تصـح الأبـدان ، وتسـلم الأجساد ، فقديما قيل : صحة الأبدان من صحة الأديان .

وذلك اسـتتبع بيـان منـافع الأغذيـة ، ومضارهـا فـى ذات الوقـت ، ومنـافع الأدوية ، ومضارها مع بيان حلها من الحرمة والقـدر الـذى يمكـن فعلـه فـى كـل منـها .

بل أن شيوخ الأشاعرة قد ألانوا عن تلك الفوائد على سبيل التخصيص ، وذكر كثير منهم الطب بأنواعه المختلفة .

-الطب الوقائى

-الطب التشخيصى

-الطب العلاجى

-الطب الدوائى

وبينـوا أن الله تعـالى جعـل فـى كتبـه النازلـة علـى رسـله إشـارات لهـذه المسائل[1] ، حتى يتعرف عليها الناس ، ويجـدوا فـى اسـتخراجها ، والاسـتفادة منـها .

فمن الإشارات إلى الطب الوقائى جاءت الآية القرآنية فى قوله تعالى : ﴿ " يا بنى آدم خذوا زينتكم عنـد كـل مسجد وكلـوا واشـربوا ولا تسـرفوا انـه لا يحـب

(١) الدكتور سليمان محمد عبدالباقى – الطب فى القرآن الكريم ص١٣ .

المسرفين " ﴾[1] ، فالأخذ بالأسباب أمر مشروع محمود ، ولكن الإسراف في التعامل مع تلك الأسباب منهى عنه .

❁ قال العلامة ابن كثير : قال بعض السلف جمع الله الطب فى نصف آية فى قوله تعالى : ﴿" وكلوا واشربوا ولا تسرفوا ﴾[2] ، وكثيرا من أهل العلم بالله طبق تلك القاعدة العامة فى حياته الخاصة ، وفى تعامله مع الأسباب التى جعلها الله تعالى بين يديه ومكنه منها .

❁ وقال البخارى – رحمه الله – قال ابن عباس : كل ما شئت والبس ما شئت ، ما أخطأتك خصلتان ، سرف ومخيلة[3] ، باعتبار أنهما من الرذائل التى نهى الله تعالى المؤمن عنها[4] ، حتى لا يقع فى مخالفة شرعية .

❁ يقول العلامة الصاوى : ولا تسرفوا بأن تحرموا الحلال ، كما كانوا يفعلون من امتناعهم من اللحم ، والدسم ، أو تحلوا الحرام أو تتجاوزوا الحد فى الأكل والشرب ، كالتعمق فى ذلك ، أو الإكثار المضر .. لما فى الحديث أصل كل داء البردة ، وهى إدخال الطعام على الطعام ، فالمناسب أن لا نأكل حتى نجوع[5] ، وفى الحكم التى تناقلها المفكرون المسلمون :

---

(١) سورة الأعراف الآية ٣١

(٢) الإمام ابن كثير – تفسير القرآن العظيم جـ٢ ص٢١

(٣) السرف : هو مجاوزة الحد ، والمخيلة : هى الكبر والعجب – المعجم الوجيز

(٤) الأستاذ تقى الدين أبو السادات – دراسات قرآنية ص٤١ .

(٥) العلامة الصاوى – حاشية الصاوى على تفسير الجلالين – المجلد الثانى ص٧٠ .

ثـــلاث هــــن مـــهلكات للأنـــام ∴ ومدعـــاة الصحيـــح إلى الســـقام

دوام مدامـــــة ودوام بـــــــط ∴ وإدخـــال الطعـــام علـــى الطعـــام

❁ وذكر العلامة النسفى : ان الرشيد كان له طبيب نصرانى حاذق ، جـرت بينـه وعلى بن الحسين بن واقد المسلم محاورة .

قال الحاذف فى الطب النصرانى : ليس فى كتابكم مـن علـم الطـب شـىء . والعلم علمان ، علم الأبدان وعلم الأديان .

❁ فقال له على بن الحسين : قد جمع الله الطب كله فى نصف أية من الكريم وهو القرآن الكريم ، حيث قال الله تعالى : " وكلوا واشربوا ولا تسرفوا "

فقال النصرانى : لم يرو عن رسولكم شىء فى الطب ، ولو روى لنقلـوه عنـه وانتشر بين أصحابه العلم به .

❁ فقال على : قد جمع رسولنا الطب فى ألفاظ بسيرة هـى " المعـدة بيـت الـداء ، والحمية رأس كل دواء " . وقد فطن المسلمون لذلك فما ترى فيهم سـقيما إلا إذا خالف النصيحة النبوية .

فقال النصرانى : اجل ما ترك كتابكم ، ولا نبيكم لجالينوس طبا[1] ، وهكذا اعترف النصرانى بحقيقة ثابتة ، وهى أن الإسلام نبه إلى الطب الوقائى منذ بعث الله به سيدنا محمدا ﷺ إلى الناس كافة .

---

(١) العلامة عبدالله بن أحمد النسفى ، والملقب بأبى البركات النسفى تفسير النســـفى لســـورة الأعـــراف ص١٣٠

﴿❁﴾ ومن الحديث الشريف ، قوله ﷺ : ربو أولادكم قبل ولادتهم ، قالوا كيف ذلك يا رسول الله قال ﷺ تخيروا أمهاتـهم[1] ، فاختيـار الزوجـة يمثـل نوعـا مـن الأمان الصحى للوليد ، متى كانت الأم خالية من الأمراض المنقولـة علـى سـبيل التـوارث ، ومـا يجـرى فـى اختيـار الأم يجـرى مثلـه فـى اختيـار زوجـها ، وقوله ﷺ : إذا نزل الطاعون بـأرض فـلا تدخلوهـا ، وان نـزل وأنتـم بـهـا فـلا تخرجوا منها[2] .

﴿❁﴾ ومن الطب العلاجـى قولـه ﷺ : تـداووا عبـاد الله فـإن الـذى خلـق الـداء خلـق الدواء ، فإذا أصاب الدواء الداء برأ بإذن الله تعالى[3] ، وكان رسول الله ﷺ يرشد المرضى من أصحابه إلى طبيب حاذق نصرانـى يوثـق فـى أمانتـه الطبيـة ، وهـو الحارث بن كلده[4] ، ورويت عنه حكم فى الطب مشهورة .

---

(١) والحديث مشهور فى كتب السنن ، وراجع شرح العلامة الفشنى .

(٢) وهو مشهور عن سيدنا عمر بن الخطاب ﷺ – راجع الخلفاء الراشدون للدكتور عبدالفتاح شحاته .

(٣) أخرجه الحاكم ، والإمام أحمد فى مسنده ، ورواه الإمام « حدثنا هارون بن معروف وأبو الطاهر وأحمد بن عيسى. قالوا: حدثنا ابن وهب. أخبرني عمرو (وهو ابن الحارث) عن عبدربه بن سعيد، عن أبي الزبير، عن جابر، عن رسول الله ﷺ : أنه قال "لكل داء دواء. فإذا أصيب دواء الداء برأ بإذن الله عز وجل ». باب لكل داء دواء. واستحباب التداوي ٦٩ – (٢٢٠٤)

(٤) وقد اجمعوا على أن أشهر طبيب عربى جاهلى حظى بالشهرة وبعد الصيت ، هو الحارث بن كلدة ، وهو من ثقيف من أهل الطائف ، رحل إلى فارس ، وتعلم الطب على أهلها ، وبرع فى تشخيص الداء ، ووصف الدواء ، وسمى بطبيب العرب ، وقد ولد قبل الإسلام ، وأمتد عمره إلى أن توفى أبان خلافة معاوية بن أبى سفيان ، وكان النبى ﷺ يشير على من به علة من أصحابه أن يأتى الحارث بن كلدة هذا فيتطيب عنده .

ومن أقواله المشهورة « لا تتزوجوا من النساء إلا شابة ، ولا تأكلوا الفاكهة إلا ناضجة ، ولا يعالجن أحدكم ما احتمل بدنه الداء » ، وكان يقول أيضا « لا تشرب الدواء إلا لضرورة ، فإنه لا يصلح شيئا إلا أفسد مثله ، ومن سره البقاء – ولا بقاء – فليباكر الغداة ، وليعجل العشاء ، وليخفف الراداء ، وليقلل الجماع » .

وله محاورة طبية رائعة مع كسرى أنوشروان ملك فارس ، وتعد هذه المحاورة وثيقة طبية هامة ، ولذا اعتنى بها الأوائل والأواخر ، لما حوته من الأصول والقواعد الطبية ، التى كانت أساسا لبعض نظريات الطب الحديث – راجع العقد الفريد لابن عبدربة – الجزء السادس ، ومقدمة كتاب الطب النبوى لابن القيم ص٦/٧ – مطبعة النهضة الحديثة بمكة المكرمة .

۞ أما الحديث الشريف فقد ذكر صورا عديدة للطب العلاجي جاءت في السنة النبوية المطهرة ، من ذلك « حدثنا محمد بن المثنى: حدثنا أبو أحمد الزبيري: حدثنا عمر بن سعيد بن أبي حسين قال: حدثني عطاء بن أبي رباح، عن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (ما أنزل الله داء إلا أنزل له شفاء) »[1] . ، وقوله ﷺ : ما جعل الله شفاء أمتى فيما حرم عليها "

۞ وعن أسامة بن شريك أن رسول الله ﷺ قال : تداووا عباد الله فإن الله لم يضع داء الا وضع له دواء غير داء واحد ، قيل يا رسول الله وما هو ؟ قال الهرم " ، وذكر الإمام أحمد فى مسنده من حديث زيادة بن علاقة عن أسامة بن شريك قال " كنت عند النبى ﷺ وجاءت الأعراب ، فقالوا يا رسول الله : أنتداوى ، فقال : نعم يا عباد الله تداووا فإن الله عز وجل لم يضع داء إلا وضع له شفاء غير داء واحد ، قالوا : ما هو ، قال : الهرم »[2] ، وفى لفظ أن الله لم ينزل داء إلا أنزل له شفاء ، علمه من عمله ، وجهله من جهله ، والمعنى تداووا عباد الله ، وعالجوا أمراضكم وأوجاعكم[3] ، فإن ذلك مما أمركم به ربكم جل علاه .

بل ظهرت مؤلفات دقيقة تحمل اسم الطب النبوى ، جمعت فيها الأحاديث النبوية المتعلقة بالمسائل الطبية فى كافة أفرع الطب المختلفة التى كانت سائدة

---

(١) صحيح البخارى (باب: ما أنزل الله داء إلا أنزل له شفاء) .٥٣٥٤ ، وأخرجه النسائى وابن ماجة ، والحاكم عن أبى سلمة ، وقال صحيح على شرط مسلم .

(٢) أخرجه الإمام أحمد فى مسنده ، وأبو داود والترمذى ، وقال حسن صحيح .

(٣) الأستاذ : على فكرى – القرآن ينبوع العلوم والعرفان جـ١ ص٥٣ ط دار إحياء الكتب العربية عيسى الحلبى .

آنئذ ، مع إشارات للأخرى التى لم تكن قد عرفت على وجه اليقين ، وذلك كله من بشارات النبوة الخاتمة بالغيب المستقبلى .

كما ظهرت مؤلفات علمية بأيدى مسلمين ، فى العصور المتتالية وفيها جهود ممتازة لبيان موقف الإسلام من الطب الحديث ، وكان المؤلفون لها من أبناء المسلمين الذين اشتغلوا بالطب فكانت آراؤهم موثقه[1] على الناحية العلمية .

وقد بذل الأوائل فى بيان ذلك جهدا كبيرا ، فعنى أئمة العلم والحديث من قديم الزمن بمعرفة ما ورد عن النبى ﷺ فى ذلك وروايته ، واهتموا بجمعه وتدوينه ، فمالك فى الموطأ ، وأصحاب الكتب والسنة ومن إليهم ، وقد خصصوا كتبا وأبوابا لما صح عندهم من ذلك ، وكل من أبى بكرا بن السنى ، وأبى نعيم الأصفهانى ، وابن القيم ، وقد وضع كتابا خاصا به سماه الطب النبوى[2] .

❁ ويعرف الطب بأنه : علم تعرف به أحوال أبدان البشر من جهة الصحة ، وعدمها ، وبعبارة أخرى معرفة ما يعترى الجسم من الأمراض ومعالجتها ، باعتبار العضوى منها والنفسى[3] ، داء ودواء ، وما يتعلق بهما .

---

(١) راجع كتاب الإسلام والطب الحديث – دكتور : عبدالعزيز باشا إسماعيل .

(٢) تصدير كتاب الطب النبوى للأستاذ عبدالغنى عبدالخالق ، وذكر ممن صنف فى الطب النبوى أبو الحسن الحموى ٧٢٠هـ – الأحكام النبوية فى الصناعة الطبية ، والحافظ الذهبى ٧٤٨هـ الطب النبوى ، وابن القيم زاد المعاد فى هدى خير العباد ، وذكر فيه فصولا قيمة عن الطب النبوى ، ثم أفردها فى كتابه المستقبل – الطب النبوى .

(٣) يذهب العلماء إلى أن الطب نوعان من حيث التنوع العام للأمراض : (الأول : طب الأمراض العضوية ، والثانى طب الأمراض النفسية ، ولكل منهما عوارض ومظاهر ، وعلاج خاص به) .

❁ كما يعرف بأنه : علم دفع الداء واجتنابه ، ومعرفتـه الـدواء الـذى بـه تصح الأجسام والنفوس ، وتشفى مما أصابها[1] ، يتساوى فى ذلك الكبير والصغير ، الفقير والأمير ، الناطق والأخرس ، مادام فى حدوده الإنسانية .

❁ أما الطب الدوائى فهو مشار اليه فى القرآن الكريم والسـنة النبويـة المطـهرة ، وجاء ذلك فى صور كثيرة جدا نذكر منها :

ﷻ قوله تعالى : ﴿ " وأوحى ربك إلى النحل أن أتخذى من الجبال بيوتا ومن الشجر ومما يعرشون ثم كلى من كل الثمرات فاسلكى سبل ربك ذللا يخرج من بطونـها شراب مختلف ألوانه فيه شفاء للناس ان فى ذلك لأية لقوم يتفكرون " ﴾[2] .

إذن ذكر الشرع الشـريف فـى القـرآن الكريـم أن الشـراب الخـارج مـن بطـن النحل ، وهو العسل فيـه شـفاء لأمـراض النـاس الذيـن يعتقـدون صحـة النبـوة ، ويصدقون بخير السماء ، فهم أهل النية السليمة ، والعقيدة الصحيحة ، والإيمان العميق ، وبالتالى فهم الذين يصلح الأمر معهم ، ويتم العلاج لهم .

أخـرج البخـارى ومسـلم وغيرهمـا مـن أصحـاب السـنن عـن أبـى سـعيد الخدرى ﷺ أن رجلا أتى النبى ﷺ ، فقال : يا رسول الله إن أخى استطلق بطنه ، فقال الرسول ﷺ للرجل أسقه عسلا ، فسقاه عسـلا ، ثـم جـاء فقـال يـا رسـول الله سقيته عسلا فما زاده الا استطلاقا .

---

(١) الأستاذ : على فكرى – القرآن ينبوع العلوم والعرفان ص٦٠ ، وراجع الكليات فى الطب لابن رشد
(٢) سورة النحل الآيتان ٦٨/٦٩ .

قال اذهب فاسقه عسلا ، فسقاه عسلا ، ثم جاء فقال يا رسول الله ما زاده الا استطلاقا ، فقال رسول الله ﷺ صدق الله ، وكذب بطن أخيك ، اذهب فاسقه عسلا ، فذهب فسقاه عسلا فبرأ[1] بإذن الله تعالى ، وفى رواية الإمام مسلم أن اخى عرب بطنه ، بمعنى فسد هضمه واعتلت صحته .

وذهب البعض إلى أن الرسول ﷺ لما أمر الرجل أن يسقى أخاه عسلا ، لم يفعل ، وإنما قال فى نفسه وماذا يصنع العسل فى بطن أخى المستطلقة ؟ وعاد يسأل الرسول ﷺ على العلاج للمرة الثانية ، ويجيبه الرسول ﷺ بنفس الجواب الأول ، وهو أسقه عسلا ، وفى الثالثة فعل الرجل فسقى أخاه العسل فبرأ بإذن الله[2] .

❁ وذكر العلامة الآلوسى فى شرح الحديث : أن رسول الله ﷺ أعلمه الله تعالى بما فى معدة هذا المريض من رطوبات لزجه غليظة قد أزلفت معدته ، فإذا مر بها شىء من الأدوية القابضة لم يؤثر فيها ، بل تظل الرطوبات باقيه على حالها ، وكلما مرت الأطعمة انزلقت وبقى الإسهال ، الذى يعبر عنه بالاستطلاق .

فلما تناول الرجل العسل فى المرة الأولى ، حرك العسل بإذن الله تلك الرطوبات المتكونة بالمعدة من أماكنها فانحدرت ، وكثر الإسهال بخروجها حتى تفرغ المعدة من تلك الرطوبات المتكونة بها ، وهى فى ذات الوقت تجعل المعدة زلفة .

---

(١) الحديث متفق عليه – أخرجه البخارى فى صحيحه كتاب الطب ، والأمام مسلم فى صحيحه كتاب السلام ، وأخرجه الإمام أحمد والترمذى والنسائى ، والاستطلاق هو الإسهال .

(٢) تلك المسألة لم أقف عليها ، وإنما الذى وقفت عليه هو الأول ، ولذا فإن العلماء قد فصلوا القول فى شرحه .

وقد توالى الشرب من الرجل ، حتى نفذت الرطوبة التى كانت فى المعدة ، وفى المرة الأخيرة قال الرسول للرجل اسقه عسلا ، فكانت هى الأخيرة لأن الرطوبة نفذت كلها ، وانقطع الإسهال ، وبرأ الرجل[1] بفضل الله تعالى القائل ﴿ " فيه شفاء للناس " ﴾ .

۞ قال العلامة ابن القيم « وعسل النحل فيه منافع عظيمة ، فإنه جلا للأوساخ التى فى العروق[2] ، والأمعاء وغيرها ، ثم أنه محلل للرطوبات ، أكلا وطلا[3] ، نافع للمشايخ واصحاب البلغم ، ومن كان فراجه باردا رطبا ، وهو مغذ ملين للطبيعة ، حافظ لقوى المعاجين ولما استودع فيه ، ومذهب لكيفيات الأدوية الكريهة ، منق للكبد والصدر ، مدر للبول ، موافق السعال الكائن عن البلغم .

وإذا شرب جارا بدهن الورد نفع من نهيش من الهوام ، وشرب الأفبون ، وإن شرب وحده ممزوجا بماء نفع من عضه الكلب الكلب[4] ، وإذا جعل فيه اللحم الطرى حفظ طراوته ثلاثة أشهر ، ويحفظ كثيرا من الفاكهة لمدة ستة أشهر ، ويحفظ جثة الموتى ، ويسمى الحافظ الأمين .

وإذا لطخ به البدن المقمل والشعر ، قتل قمله وصئبانه ، وطول الشعر وحسنه ونعمه ، وإن اكتحل به جلا ظلمة البصر ، وإن ستن به بيض الأسنان وصقلها ، وحفظ صحتها وصحة اللثة ، ويفتح أفواه العروق ، ويدير الطمث ، ولعقه على

---

(١) العلامة الألوسى روح المعانى جـ٤ ص٤٠٧ .

(٢) العروق جمع عرق وهو أصل كل شيء ، ومجرى الدم فى الجسم - راجع قطر المحيط باب العين .

(٣) الطل هو الإصابة والإهدار ، والمعنى أن العسل يزيل تلك الرطوبات كلها - المعجم الوجيز ص٣٩٤ .

(٤) الكلب الكلب هو المعدى فإذا عض الإنسان أصابه بمرضه - أساس البلاغة باب الكاف .

الريق يذهب البلغم ، ويغسل فمل المعدة ، ويدفع الفضلات عنها ، ويسخنها تسخينا معتدلا ، ويفتح سددها ، ويفعل ذلك بالكبد والكلى والمثانة ، وهو مأمون الغائلة قليل المضار .

وهو غذاء مع الأغذية ، ودواء مع الأدوية ، وشراب مع الأشربة ، وحلو مع الحلو ، وطلاء مع الأطلية ، ومفرح مع المفرحات ، فما خلق لناشئ فى معناه أفضل منه ، ولا مثله ، ولا قريب منه ، ولم يكن معول القدماء إلا عليه ، وكان النبى ﷺ يشربه بالماء على الريق ، وفى ذلك سر بديع فى حفظ الصحة ، لا يدركه إلا الفطن الفاضل »[1] .

۞ وذكر العلامة الألوسى أيضا أن المأمون كان له نديم يسامره ، هو تمامه العبسى ، وكان من خواصه فمرض تمامه بالإسهال حتى أنه كان يقوم فى اليوم والليلة مائة مرة ، وقد عجزت حيل الأطباء معه ، فلم تفلح فى دفع الإسهال عنه .

فاستدعى رجال المأمون طبيب المأمون لعلاج صديقه الذى أصابه المرض عنده ، وكان الطبيب هو : يزيد بن يوحنا ، فما كان من أمر هذا الطبيب الا أن عالجه بالمسهل أيضا فبرىء الرجل ولم يمت رغم مخالفة ما قام به الطبيب للقواعد المعمول بها فى حفظ الصحة عندهم آنئذ .

(١) العلامة ابن القيم – الطب النبوى ص٣٢/٣١ .

وقد أحتار المأمون فى شأن يزيد هذا كيف يعالج إسهالا بمسهل ؟ ، وما الحكمة فى ذلك ؟ كان من المناسب أن يعالجه بما يمسكه ،لا بما يسهله ، وبخاصة أن العلاج بالمسهلات غير مأمون العواقب .

فقال يزيد بن يوحنا : يا أمير المؤمنين أنه كان فى جوف الرجل كيموس فاسد ، فلا يدخله غذاء أو دواء إلا أفسده ، ومن ثم لا يستفيد به ، فعلمت أنه لا علاج له الا بقلع ذلك الكائن فى جوفه بالإسهال .

ومنه يعلم أن ما فعله النبى ﷺ كان من معجزاته الدالة على علمه بدقائق الطب من غير تعليم[1] من أحد إنما هو من شرع الله رب العالمين الذى جاء به القرآن الكريم .

وروى أصحاب الصحاح عن سيدنا جابر بن عبدالله رضي الله عنه : أن رسول الله ﷺ قال : لكل داء دواء فإذا أصيب دواء الداء برأ بإذن الله تعالى[2] ، وتلك من المنح الإلهية ، حتى لا يقال أن الطبيب هو الذى شفى المريض ، فذلك غير وارد عندنا نحن المسلمين ، إنما الشافى هو الله تعالى .

وروى أبو داود والترمذى فى السنن عن أسامه بن شريك قال : قالت الأعراب : الا نتداوى يا رسول الله ؟ قال ﷺ نعم يا عباد الله تداووا فإن الله لم يضع

(١) العلامة الألوسى - روح المعانى جـ٤ ص٤٠٧/٤٠٨ .

(٢) والحديث تعددت طرقه ورواياته مع الاختلاف اليسير فى بعض الألفاظ الواردة فى الروايات .

داء الا وضع لها شفاء ، أو دواء ، الا داء واحدا قالوا يا رسول الله وما هو ؟ قال الهرم " اللفظ للترمذى ، وقال حديث حسن صحيح[1] .

وروى عن خزامة عن أبيه قال سألت رسول الله ﷺ فقلت يا رسول الله : أرأيت رقى نسترقيها ، وداء نتداوى به ، ونقاة نتقيها هل ترد من قدر الله شيئا ، قال ﷺ هى من قدر الله[2] .

وفيه رد على من أنكر التداوى ، زاعما أنه إن كان الشفاء قد قدر فالتداوى لا يفيد ، وإن لم يكن قدر فكذلك الآن المرض حصل بقدر الله ، وقدر الله لا يدفع ، ولا يرد ، وإجابة النبى ﷺ هى أن هذه الأدوية من قدر الله ، فما خرج شيء منها عن قدره ، بل يرد قدره بقدره ، وهذا الرد من قدره ، فلا سبيل إلى الخروج عن قدره تعالى بوجه ما ، وذلك كرد قدر الجوع والعطش ، والحر والبرد بأضدادها ، وكرد قدر العدو بالجهاد ، وكل من قدر الله الدافع والمدفوع والدفع نفسه[3] .

وقد استخدم عسل النحل فى علاج الأمراض الفيروسية والميكروبية ، والمعدية على السواء ، كما استعمل فى علاج الجروح والحروق وغيرها فى أوقات كثيرة ، ومن أهم الأمراض التى تعالج به ما يلى :

■ الأمراض العضوية :

ومنها أمراض الكبد الفيروسية والفسيولوجيه : وقد أكدت التقارير العلمية ، والأبحاث المعملية أن الانتظام فى تناول وجبات عسل النحل يوميا

---

(١) سنن الترمذى ، وأخرجه أبو داود والترمذى والنسائى ، وابن ماجة وابن حبان فى صحيحيهما ، وكذلك فى المستدرك من طرق كثيرة .

(٢) وحديث الرقى مشهور ، وأخرجه ابن ماجة والحاكم فى صحيحه ، وقال الترمذى حسن صحيح .

(٣) الإمام ابن القيم – الطب النبوى ص١٣ .

بنسب معتدلة يعطى الجسم مناعة ، ويزيد فى مناعته الطبيعية ، وفيه شفاء لمريض الكبد من الغيبوبة الكبدية[1] ، حتى لو كانت حادة .

كما يساعد على نسبة الشفاء من أمراض التهابات الكبد الفيروسية والوبائية الطارئة والمزمنة ، وكذلك التهابات الحويصلة المرارية ، كما يقلل من الإسراع بفقدان المناعة الطبيعية فى حالة تناول الأدوية المعالجة للكبد ، أو الأدوية التى تعمل على حساب جهاز المناعة .

■ **الأمراض النفسية :**

[١] انفصام الشخصية[2] .
[٢] الحيرة والقلق
[٣] لضعف النفسى والجسمى .
[٤] الوهم والوساوس
[٥] الهيستريا[3] .

■ **علاج الأمراض العصبية**

والمعروف أن الجهاز العصبى يشمل مجموعتين :

الأولى : المجموعة المركزية : وهى تتكون من المخ ، والمخيخ ، والنخاع المستطيل الموجودة داخل الجمجمة ، والنخاع الشوكى الموجود داخل قناة الفقرات .

---

(١) دائرة المعارف الطبية – الأمراض لشائعة والخطيرة ص١٧٢ .

(٢) ويعتبر من أخطر الأمراض النفسية – راجع قاموس الرجل الطبى للصحة والقوة ص١٦٥/١٦٨– مطبعة دار الهلال – بيروت .

(٣) الدكتور سليمان عزمى باشا – على هامش الطب جـ٣ ص٦٣ – مكتبة النهضة الأولى ١٩٤٩م .

❁ **الثانية : المجموعة الفرعية** ، وتشمل الأعصاب التى تدخل المجموعة المركزية ، وتخرج منها - من هذه الأعصاب - اثنا عشر زوجا - كل زوج فيها واحد لليمين وواحد لليسار - متصلة بالمخ مباشرة ، ومنها واحد وثلاثون زوجا - كل زوج منها واحد لليمن وواحد لليسار - متصلة بالنخاع الشوكى مباشرة ، وتوجد مجموعة ثالثة لها استقلال شبه ذاتى ، ولكنها على اتصال وارتباط بهذه الأعصاب ، وتسمى بالجهاز السمبتاوى[1] ، وهى عرضة للإصابة بالأمراض المختلفة ، وقد ثبت أن عسل النحل علاج فعال لكثير منها .

■ علاج الأمراض الجلدية كالصدفية وغيرها:-

❁ **من الأمراض الجلدية** ، سواء كان الناتجة عن خلل فى بعض الوظائف ، أو الناتجة عن القيام بأعباء بعض المهن . أو الناتجة عن أمراض جلدية دوائية ، أو ناشئة عن مستحضرات التجميل[2] ، فإن عسل النحل يقوم فيها بدور علاجى فعال .

❁ **علاج أمراض العيون من التهابات الجفون** ، والملتحمة والقرنية ، أو غيرها مما يتعلق بتلك الناحية ، وينال الاهتمام المتزايد من أصحاب الاختصاص ، فإن عسل النحل يقوم بذات الدور ، سواء خلط بغيره أم لم يخلط .

---

(١) المصدر السابق جـ٢ ص٢٩٤ - ط دار القلم ١٩٦١م .

(٢) برنارهالبرن - الحساسية ص٩٨ ترجمة الدكتور يوسف جورجى جبرائيل - الهيئة المصرية للكتاب - سلسلة العلم للجميع .

■ **علاج السموم الكحلية :-**

- يعمل على تحسين حالات مرض السكر الدموى والبولى
- يعمل على تجديد الشباب والحيوية ، ويقوى الذاكرة ، فعن الزهرى أنه قال « عليك بالعسل فإنه جيد للحفظ ، وأجوده أصفاه وأبيضه ، وألينه حدة ، واصدقه حلاوة »[1] ، سواء كان ذلك فى الجزء العلوى من المعدة ، أم كان الجزء السفلى ، فإن عسل النحل يصلح لها جميعا .

» علاج قرحة المعدة والاثنى عشر .

» علاج نقص الحموضة فى العصارة المعدية

» علاج أمراض الجهاز التنفسى

» علاج أمراض البرد كالرشح والزكام وغيرها[2] .

» علاج أمراض الصدر ، ومنها ضيق التنفس والسل .

» علاج أمراض الدم من حيث التجلط والنزف وخلافه .

» علاج الجروح بكافة أنواعها المتقيح فيها من عدمه .

» بناء المناعة واستمرار المحافظة عليها فى الجسم .

» أمراض الدورة الدموية ، الضغط المرتفع ، والضغط المنخفض ، اصطلح على تسمية خلايا الدم الحمراء والبيضاء بالكريات الدموية[3] .

---

(١) العلامة ابن القيم – الطب النبوى ص٣٠٤ .

(٢) الدكتور / سالم محمد الطيب – الطب وأمراض الشتاء ص١٣٥ .

(٣) الدكتور سليمان عزمى – على هامش الطب جـ٢ ص ٦٨– دار القلم ١٩٦١م

- أمراض الملاريا ، والتهاب الحلق ، واللوزتين ، والقصبة الهوائية ، وما يتعلق بذات الجزء من ا لجسم ، سواء عن ارتفاع حرارة الجسم ، بناء على مهاجمة ميكروبات أو فيروسات له ، أو غير ذلك .
- أمراض الحمى والدوسنتاريا والتيفود .
- لعلاج الحصبة والتسمم[1] ، وكل ما يجيء على تلك الناحية .

لإعداد الجسم حتى يقضى فترة النقاهة بأمان ، وبخاصة بعد العمليات الجراحية ، التى منها الولادة ، والناسور ، والزائدة الدودية ، وإزالة الزوائد من الجسم ، سواء كانت تلك الزوائد نابتة من داخل الجسم ، أم كانت ملتحقة به[2] ، مما يعرفه أصحاب التخصص نفسه .

إلى غير ذلك من الأمراض التى تعالج بعسل النحل ، فضلا على العلاج بلسع النحل نفسه ، وما أصدق قوله تعالى : ﴿ " وأوحى ربك إلى النحل أن اتخذي من الجبال بيوتا ومن الشجر ومما يعرشون ثم كلي من كل الثمرات فاسلكي سبل ربك ذللا يخرج من بطونها شراب مختلف ألوانه فيه شفاء للناس إن في ذلك لاية لقوم يتفكرون " ﴾[3] .

والعقل وحده لا يمكنه التعرف على تلك المنافع الموجودة فى عسل النحل[4] مثلا باعتباره أحد الأغذية والأدوية معا ، إلا إذا بذل جهدا كبيرا ، واستنفد وقتا

(١) الدكتور / ناصف طلبة – الحصبة وأضرارها ص٣٧ .
(٢) الدكتور / فاضل عبدالعظيم – رؤية طبية ص١١٢ .
(٣) سورة النحل الآيتان ٦٨/٦٩ .
(٤) لأنها من وجهة نظرة حشرية ، فكيف يدرك أن فيها عسلا شهيا اللهم الا أن يكون من خلال توجيه سماوى يأتى به الشرع .

طويلا ، ربما تضيع أعمار قبل الوصول إلى ما فيه من المنافع ، ومن ثم فإن الوحى هو الذى يقدم تلك الفائدة للعقل .

وذكر المتخصصون أن عسل النحل مفيد فى علاج أمراض الكبد بأنواعها المختلفة ، كما ذكروا أن مريض الكبد نوعان على وجه العموم :

■ الأول : المريض ذو الكبد المتكافئ :-

وهو الذى تكون حالة الكبد عنده مستقرة ، وعلاجه مقدورا عليه ، يتعاطى علاجه بنفسه ، ويشرف عليه طبيبه الخاص بالكبد ، وينصح صاحب ذلك المرض فى الكبد المتكافئ بأن يقلل من اللحوم ، والطيور والأسماك ، والبروتينات الحيوانية ، والإقلال من ملح الطعام .

■ الثانى : المريض غير المتكافئ :-

وهو المريض وصل حال المرض به إلى مرحلة دوالى المرئى ، وماء فى البطن ، وانتفاخ فى الجسم ، ويحتاج هذا المريض إلى المتابعة المستمرة مع تحاليل ، وحقن للدوالى ، ونفس الملاحظة فى الطعام مع المتكافئ من إقلال لملح الطعام ، والابتعاد عن الدهون ، كل ذلك مالم يصل إلى مرحلة التليف الكبدى ، فإذا أصاب الكبد فتليفا ، فإن على المريض حينئذ الامتناع تماما عن تناول اللحوم والأسماك والطيور والجبن بأنواعها ، ويستبدلها بنصف كيلو من اللبن الحليب ، بالإضافة إلى الفواكه والخضروات ، ويحل عسل النحل محل السكر ، ففيه شفاء من الغيبوبة الكبدية[1] .

---

(١) الدكتور / على مؤنس – الكبد ص١٧٢ .

﴿ كما عرفوا أعراض مرض الكبد بأن منها .

▣ **نزيف الأنف واللثة أو أحدهما** بشرط أن يكون ذلك النزيف خارجا عن أمراض الأنف واللثة ، كما تتكون حصوات المرارة بأنواعها المختلفة ، وكذلك اصفرار العينين ، أو دكانة لون البول ، واللون الفاتح للبراز ، واضطرابات القولون والجهاز العصبى[1] ، كما أن من أعراض ذلك المرض فقان الشهية ، وانتفاخ البطن ، وتغير فى سلوكيات الشخص نفسه ، وكثيرة الهرش فى الجسم ، والشعور بآلام فى المفاصل والإرهاق ، كما يظهر تغير فى لون البشرة ، وتورم فى القدمين ، وكل عرض منها يحمل الموت بين جنباته .

▣ **الغيبوبة الكبدية** : وهى التى تمثل النهاية لمريض الكبد ، حيث قد يسبقها ظهور بروز فى السرة عند مرضى التليف الكبدى ، كما هى أحد أسباب الاستشعار ، وذلك أمر تعترف به الدوائر العلمية[2] .

▣ **وجود مياه محتجزه بالبطن** - الاستسقاء ، فيكبر البطن ، ويتورم الجسم ، ويصل الأمر إلى حالة الضيق الشديدة ، بجانب عدم القدرة على التركيز .

﴿ كما ذكروا أعراض الغيبوبة الكبدية ، ومنها :

▣ **التليف الكبدى** : سواء كانت نسبة التليف قليلة أم كبيرة ، وسواء كان ذلك التليف ناتجا عن الالتهاب الكبدى الوبائى القائم على الالتهاب الفيروسى . وتدخل الطبيب المتخصص لتجديد الإنزيمات الكبدية يمثل ٥٠٪ من العلاج[3] .

---

(١) الدكتور / فاضل عبدالعظيم - رؤية طبية ص١١٥ .

(٢) الدكتور على مؤنس - الكبد ص١٧٣ ، وانظر دائرة المعارف الطبية .

(٣) الدكتور يس عبدالغفار - الكبد وأمراضه - مقال بمجلة العلم ص١٩٥ .

▣ **التوهان والنسيان** ، ورعشة اليدين ، والرغبة فى القيء ، وانتفاخ القدمين والبطن ، وتورم الثديين ، واصفرار العينين ، واختفاء شعر الصدر ، واحمرار الكفين ، ثم التكلم بصوت خشن ، فذلك كله يؤدى إلى الغيبوبة الكبدية[1] .

▣ **تغير فى الشخصية من حيث السلوكيات** ، كالعنف والقلق والاضطراب النفسى والجسدى والعقلى ، وذلك كله من علاقات المرض المتعلق بالكبد فى حالة إصابته بالفيروسات .

وكذلك ذكروا أن الكبد أنواع :

▣ **الأول : الكبد السليم** ، وهو الخالى من كافة العوارض المرضية ، ولا يعانى صاحبه من شيء أبدا .

▣ **الثانى : الكبد المصاب بالتهابات خفيفة أو حادة** ، قريبه أو مزمنة ، وصاحبه يعانى بعض الشيء ، ويشعر ببعض العوارض التى تشتد كلما اشتد المرض .

▣ **الثالث : الكبد الدهنى** : وهو الذى يحتفظ بالدهون ، وتتكون عنه حصوات دهنية ، وهو ليس مرضا فيروسيا ، لكنه يحتاج ضرورة إلى العلاج .

▣ **الرابع : الكبد المصاب بالفيروسات** . A . B . C

ويقررون أن مصر دخلت حزام الإصابة بسرطان الكبد ، وأن الأبحاث العلمية اكتشفت الفيروسات الكبدية التى تدمر حياة كل المصريين ، وأن الفيروس (ب)

---

(١) الدكتور فاضل عبدالعظيم – رؤية طبية ص١١٩ .

شيطان يقضى على أكباد ٩٠٪ من ضحايا السرطان فى مصر فى كل ما حولنا من الطعام ، وهو أخطر الفيروسات ، لأن الأبحاث حددت عائلتها فى الفيروس A ، وهو ليس خطرا .

أما فيروس B فهو أخطرها جميعا ، أما C & d فليسا فى خطر الفيروس (ب) ، باعتبار أن فيروس B لا يستجيب بسرعة للعلاج ، كما أنه سريع جدا فى نشاطه ، فى نفس الوقت فإنه يستطيع الإفلات من العلاج فى صور كثيرة[1] ، ولذا فهو يمثل الخطورة ، ويذهب البعض إلى القول بوجود علاقة كبيرة بين الفيروس (ب) والإيدز ، فالاثنان يدمران جهاز المناعة فى الجسم[2] .

أما الكبد المصاب بالفيروس " C " النشط فيمكن علاجه بسهولة ، ونتائجه جيده ، إذا لم تكن نسبة التليف فيه عالية ، وكلما قلت نسبة التليف كان العلاج أيسر ، والنجاح أوفق ، وعلاجه يكون باستخدام حقن الانترفيرون الذى يهاجم الفيروس فيحد من نشاطه كمرحلة أولى[3] ، ثم القضاء عليه تماما بإذن الله .

وكذلك شراب الفيرازول لتثبيت أنزيمات الكبد ، والمحافظة على وظائفه ، مع ضرورة عمل عد لكرات الدم البيضاء فى الجسم ، فإذا قلت عن ٣٠٠٠ يتوقف العلاج لمدة أسبوع ، ثم يستأنف الحقن حتى يستغرق العلاج ستة أشهر ، ما لم ينصح الطبيب بخلاف ذلك ، مع الوضع فى الاعتبار أن عسل النحل ، وغذاء

---

(١) الدكتور على مؤنس – الكبد ص ١٧٠ .

(٢) الدكتور – برهار ديفز – الفيروسات الكبدية ص١٧١ – ترجمة د/ هدى خيرى

(٣) الدكتور يس عبدالغفار – الكبد وأمراضه ص١٨٧ .

ملكات النحل يجعل الكبد قادرا على القيام بوظائفه بشكل فعال[1] في ظل تلك الظروف أيضا ، وأنه يساعد جهاز المناعة على البقاء في حالة تماسك فترة طويلة .

بل أن الدارس إذا تتبع ما في الأغذية والأدوية من مضار أو منافع ربما خرج البحث عن الهدف المحدد له ، بل وربما كبر كثيرا بحيث لا يتمكن الدارس له من الإلمام بكل أطرافه[2] ، ولذا فإني أحيل إلى ما سبق من مصادر لبيان الأغذية ، ومضارها ، وكذلك منافع الأدوية ومضارها[3] ، فالعلم والدين صديقان متى روعيت في قواعد العلم أصول الدين الإسلامي الحنيف .

إذ المعروف أن كل دواء يفيد فيما استخدم له ، أما إذا استخدم في غير ما هو مخصص له ، فحتما سينقلب الأمر ، ويتحول من دواء إلى داء ، والدليل أن جرعات الدواء في ارتفاع ضغط الدم[4] ، إذا استعملها صاحب الدم المنخفض أهلكته ، وهكذا يقاس الأمر في كل دواء ، وطعام .

والملفت للنظر أن العسل حين استعماله للتداوي سواء في عصر رسول الله ﷺ ، أو قبل ذلك أثناء الحضارات البشرية القديمة ، لم يستعمل في هيئة شراب فقط ، فقد اكتحل به ، ودهنت به الجروح ، واستخدم في عمل العصائر

---

(١) القاموس الطبي جـ٢ ص١٧٠ ، وهناك مدارس اكلينيكية ترفض إعطاء المريض بالكبد حقن الأنترفيترون متى كانت الحالة المرضية متقدمة ، وهي مدارس لم تنل موافقة الأبحاث العلمية لنتائجها .

(٢) القاموس الطبي جـ٢ ص١٩٧ ، وهناك مدارس تحضر من الانترفيرون في الحالات المرضية المتقدمة .

(٣)لأن كل داء له دواؤه الذي يتناسب معه ، فإذا استخدم الدواء لغير الداء أضر بصاحبه وأوقعه في الهلاك

(٤).ضغط الدم المرتفع يحتاج إلى مخفضات أما المنخفض فيحتاج إلى أدوية رافعات ، فإذا حدث العكس ، وقعت الغيبوبة ، وتحولت الأفراح إلى الأتراح .

وغيرها ، وهذا ينطبق أيضا على منتجات النحــل الأخـرى[1] ، ممـا يـدل علـى أن عسل النحل له فوائد كثيرة .

ثم أن الإنسان لو قضى عمره فى التعرف على مضار الأدوية ومنافعها ، فإنه لن يحصل شيئا ، كما أن العمر قد ينقضى من غير أن يحقق فى المسألة تقدما ، لأنه إذا جرب بنفسه مات ، فتنقطع المحاولة ، وتذوب الحيل ، وإذا جرب فـى غـيره هلك ، وبالتالى فهو هالك فى كل حالاته ، إذا حاول الاستقلال بإمكانيات نفسه ، حتى يتعرف النافع والضار من الأدوية فقط[2] ، وذلك لا يكون ممثلا لفـائدة ، بـل لمضرة ومهلكة .

كما أن الأغذية منها مـا هـو مفيـد إذا تم اسـتعماله بشـكل قليـل ، لكـن إذا استعمل بأكثر مما هو معتاد أهلك صاحبه ، ولم ينجه أبـدا كثـير المحاولـة ، ولا قوة الجسم ، أو امتداد العمر ، من ثم كان الإنسـان بحاجـة إلى البعثـة ، وإرسـال الرسل ، وتلك فائدة لا تتحقق الا بها[3] ، وما دام الأمر كذلك فقد ثبت أن البعثـة منحة من الله تعالى ، ولطف بعباده جل علاه .

◈ فإذا قلنا أن التجربة تكفى كان الأمر عسيرا ، أما لماذا ؟

(١).الدكتور : محمد على البنبى – المعجزات الإلهية المشتركة بين الأديان السماوية ص٣٩٤ ضمن كتـــاب الإسلام ، ومستقبل الحوار الحضارى ، المؤتمر العام الثامن للمجلس الأعلى للشئون الإسلامية بالقـــاهرة ١٤١٨هـ/١٩٩٧م

(٢).فهو بحاجة إلى تجارب متوالية مستمرة فى ذاكرته ، والواقع معا ، وذلك مما يصعب قبوله .

(٣)وهذا فى حد ذاته يكفى لبيان أن البعثة لطف من الله ورحمة بالعباد .

فلأن الأعمار قصيرة ، والتجارب كثيرة ، ولا تفى الأعمار بالتجارب ، ومن ثم يظل المرء طيلة عمره يقاتل فى سبيل التجربة وحدها التى حبس نفسه فى سبيلها ، وربما لم تسعفه أو تعينه ، فيذهب إلى الدار الآخرة قبل أن يبلغ به الأمر المأمن ، أو يصل به إلى شاطئ الأمان .

مع أن التجارب لا تخلو من الأخطار والأضرار التى يتعلق بعضها بصحة الإنسان نفسه ، وبعضها يتعلق بمعاشه ، وأخر يتعلق بعلاجه ودوائه(١) ، وكل ما كان من هذا القبيل مما لا تكفى فيه التجربة الذاتية ، ولا يحقق العقل وحده فيه التقدم السريع المضمون على وجه التأكيد ، فإن الشرع يأتى مع النبى هاديا ومرشدا ، ومقويا ومعضدا ، وذلك من فوائد البعثة لا محالة .

السادسة: قطع طريق الأعذار على المكلفين

عرفنا أن الفطرة النقية لا تكفي حتى يتعرف الإنسان كل تفاصيل الغيب ، وأنها كذلك لا تكفي وحدها في استقامة الإنسان على جادة الحق ، لما يعتريها من ركام العادات والأعراف والتقاليد، وإذا كان العقل لا يكفى لهداية الإنسان لما فيه من قصور ، ولما يعرض له من نزوات الهوى والشهوة ، فإن هذا وذاك قد يجد الإنسان فيه مجالا للاعتذار عما وقع فيه من خطأ ، أو ما ارتكبه من إثم ، لذا شاء الله تعالى رحمة منه وفضلا ، أن يرسل إلى الناس الرسل ، مبشرين ومنذرين، لاستنقاذ فطرتهم من ركام الإلف والعادة ، وتحرير عقولهم من أسر الأهواء والشهوات[٢] .

---

(١)وتعدد الجهات أمر مقرر فى الأفهام ثابت فى العقول ، إلا من ركب الهوى ، ولا عبرة به .

(٢) الشيخ مناع خليل القطان – الحاجة إلى الرسل ص١٩٦

ﷻ قال تعالى ﴿ " رسلا مبشرين ومنذرين لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل وكان الله عزيزا حكيما " ﴾[1] ، والمعنى « لئلا يكون للناس من عذر أو معذرة يوم القيامة ، يعتذرون بها قائلين : ربنا لولا أرسلت إلينا رسولا يبين لنا شرائعك ، ويعلمنا أحكامك ، ففيه تنبيه على أن بعثة الأنبياء إلى الناس ضرورة »[2] ، وفيها فائدة لا يقوم بها غيرها .

ﷻ وقال تعالى : ﴿ " ولو أنا أهلكناهم بعذاب من قبله لقالوا ربنا لولا أرسلت إلينا رسولا فنتبع آياتك من قبل أن نذل ونخزى " ﴾[3] ، فلما أرسل الله إليهم الرسل ، وأنزل معهم الكتب ، انقطعت تلك الأعذار عنهم بحيث لم يعد لهم مفر أو طريق ، سوى الإيمان الذى يرضى عنه رب العالمين ، أو الكفران الذى يرضى الشيطان الرجيم ، وبالتالى فإن إرسال الرسل وبعث المرسلين ، قطع الحجة فى مواجهة المقصرين والمنكرين معا[4] ، وتلك فائدة عظمى .

جاء في الأثر عن عبد الله بن مسعود رضى الله عنه ، أن رسول الله ﷺ قال : « لا أحد أغير من الله ، من أجل ذلك حرم الفواحش ما ظهر منها وما بطن ، ولا أحد أحب إليه من المدح من الله ﷻ من أجل ذلك مدح نفسه ، ولا أحد أحب إليه العذر من الله ، من أجل ذلك بعث النبيين مبشرين ومنذرين »[5] .

---

(١) سورة النساء الآية ١٦٥

(٢) العلامة البروسوى –تنوير الأذهان في تفسير روح البيان المجلد الأول ج٦ ص٣٩٦

(٣) سورة الأنبياء الآية ١٣٤ .

(٤) العلامة الأصفهاني –مطالع الأنظار ص٤٢٧

(٥) الحديث متفق عليه وفي رواية بلفظ من أجل ذلك أرسل رسله وأنزل كتبه

ومعلمين هادين قطعا لأعذارهم ، وإسقاطا لأوهامهم ، وإفسادا لما يتذرعون به من حجج ، أو يطلقونه من أوجه الضلال .

بل إن الله تعالى علق الثواب والعقاب القائمين في الآخرة على ما يجرى للناس في الدنيا، بإرسال الرسل ،وإنزال الكتب ، ومن ثم فإن الذين لم تصلهم رسالة رسول جاء في زمانهم ، هم من أهل الفترة الذين نبه العلماء إلى أنهم ناجون ، قال تعالى ﴿ " من اهتدى فإنما يهتدي لنفسه ومن ضل فإنما يضل عليها ولا تزر وازرة وزر أخرى وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا " ﴾[1] ، وقال تعالى :﴿ " وما منع الناس أن يؤمنوا إذ جاءهم الهدى إلا أن قالوا أبعث الله بشرا رسولا " ﴾[2] ، فالمنكرون أقروا بأن الله قطع أعذارهم بإرسال الرسل . ولكن الكبر جعلهم ينكرون الرسل لكونهم بشرا من قبل الله جاءوا مرسلين.

وإنما سميت المعذرة حجة – مع استحالة أن يكون لأحد على الله ﷻ حجة – للتنبيه على أن المعذرة في القبول عنده تعالى بمقتضى كرمه ، ورحمته بمنزلة الحجة القاطعة التي لا مرد لها[3] ، فانقطاع أعذار القوم لا يكون إلا ببعثة الرسل ، وإنزال الكتب لطفا من الله تعالى ورحمة بعباده .

وفي الآية الثانية قال العلامة صاحب مفاتيح الغيب : بين الله تعالى أنه أزاح لهم كل عذر وعلة في التكليف ، فقال « ولو أنا أهلكناهم بعذاب من قبله لقالوا ربنا لولا أرسلت إلينا رسولا ، فنؤمن ونصدقه .

---

(١) سورة الإسراء الآية ١٥

(٢) سورة الإسراء الآية ٩٤

(٣) الشيخ إسماعيل حقي البروسوى –تنوير الأذهان المجلد الأول ج٦ ص٣٩٦

وأن يقولوا ذلك عذرا لهم ، فأما الآن وقد أرسلناك ، وبينا على لسانك لهم ما عليهم ، ومالهم ، فلا حجة لهم البتة بل الحجة عليهم[1] ، والأعذار منهم قد انقطعت ، فمن اهتدى وسلك طريق الفلاح نجا ، ومن سلك طرائق الضلال والكفران ضل وهلك .

وفى الحديث الشريف : ما روى أن أبا سعيد الخدرىﷺ قال : قال رسول الله ﷺ " يحتج على الله تعالى يوم القيامة ثلاثة :

[١]الهالك فى الفترة يقول لم يأتنى رسول ، والا كنت أطوع خلقك لك ، وتلا قوله "لولا أرسلت الينا رسولا ".

[٢]والمغلوب على عقله ، يقول لم تجعل لى عقلا انتفع به .

[٣]ويقول الصبى كنت صغيرا لا أعقل .

فترفع لهم نار ، ويقال لهم ادخلوها ، فيد خلها من كان فى علم الله تعالى انه شقى ، ويبقى من فى علمه أنه سعيد ، فيقول الله تعالى لهم عصيتم اليوم فكيف برسلى لو أتوكم[2] ، وبالتالى فنقوم عليهم الحجة ، وينقطع العذر .

إذن مجىء الرسول بالرسالة فيه قطع لأعذارهم ، وإزالة لكل وجوه الاحتجاج والاعتراض منهم أو ناحيتهم [3] ، قال العلامة الأصفهانى : فتبين أنه تعالى بعث الرسول لقطع الحجة ، وفى تلك الحجة وجوه ثلاثة .

(١) مفاتيح الغيب – المجلد الحادى عشر جـ٢١ ص٧٥ .

(٢) المصدر السابق ص٧٥ .

(٣) هذا على سبيل اللطف والرحمة من الله تعالى ، وليس على سبيل الوجوب أو للزوم كما يزعم البعض .

▣ **أحدهما** : أن يقولوا ان الله تعالى خلقنا لنعبده ، فقد كان يجب أن يبين لنا العبادة التى يريدها منا ، أنها ما هى ؟ ، وكم هى ؟ ، وكيف هى ؟ وان وجب أصل الطاعة فى العقل لكن كيفيتها غير معلومة لنا . فبعث الله الرسل لقطع هذا العذر ، فانهم إذا بينوا لهم الشرائع مفصلة زالت أعذارهم[1].

▣ **ثانيهما** : أن يقولوا يا ربنا أنك ركبتنا تركيب سهو وغفلة ، وسلطت علينا الهوى والشهوات ، فهلا أمددتنا يا إلهنا بمن إذا سهونا نبهنا ، وإذا مال بنا الهوى منعنا ، ولكنك لما تركتنا مع نفوسنا وأهوائنا كان ذلك إغراء لنا على تلك القبائح[2] ، التى رفعنا فيها ، فعلام الحساب ، ولم يسبق التنبيه أو الإبلاغ .

حينئذ سيكون الرد الكافى عليهم بأن الله بعث فيهم رسلا ، وأنزل اليهم كتبا ، فانقطعت الأعذار وبان بطلان ما يلحف به الأغرار .

▣ **ثالثهما** : أن يقولوا : هب أنا بعقولنا علمنا حسن الإيمان ، وقبح الكفر ، ولكن لم نعلم بعقولنا ان من فعل القبيح عذب خالدا مخلدا فى النار لا سيما ونعلم أن لنا فى الفعل القبيح لذة ، وليس لك فيه مضرة ، ولم نعلم أن من آمن وعمل صالحا استحق الثواب ، بل من أين لنا ذلك ؟

لاسيما وكنا قد علمنا أنه لا منفعة لك فى شىء ، فلا جرم لم يكن مجرد العلم بالحسن والقبح داعيا ولا وازعا حتى ننصرف إلى الحسن وندع غيره . أما بعد

---

(١) العلامة البيضاوى – مطالع الأنظار ص٢٣٥ . .

(٢) العلامة البيضاوى – مطالع الأنظار ص٢٣٦ .

البعثة فقد انقطعت تلك الحجج ، واندفعت كل الأعذار[1] ، وذلك من الأدلة على فوائد البعثة وإرسال الرسل لا محالة .

◈ ربما يقال أن الفطرة السليمة قد تستغني عن الرسالة أو البعثة بتقليد الآباء والأجداد ، وهم ما سلفوا إلا خيرا ، وما فعلوا إلا طاعة[2] .

▣ والجواب أنا نقول في الرد عليه ،هناك طريقان في المسألة:

❀ **الأول: إن قلتم بتقليد الآباء والأجداد الذين سلفوا** ، وهم الذين عملوا خيرا ، فالسؤال عليكم ؛ من أين عرف هؤلاء الآباء بل والأجداد أن صنيعهم كان خيرا؟ إن كانوا قد عرفوا ذلك بعقولهم، رجعنا إلى بداية المسألة من لدن آدم عليه السلام[3] ، وأنه كان نبيا لبنيه ، ثم توالت النبوات فيما بعد مع البشرية جمعاء .

ومن ثم يكون الأمر قائما فى أن العقل لم تقع له الكفاية من ذاته أو فطرته ، وإنما استمدها من الأنبياء فى تاريخهم الطويل ، ابتداء من آدم عليه السلام حتى النبوة الخاتمة العامة الدائمة ، التى جاء بها سيدنا محمد ﷺ ، ويكون ذلك من فوائد البعثة .

---

(١) المصدر السابق ص٤٣٦ .

(٢) هذا مما يرد من منكرى البعثة ، وإرسال الرسل ، وسوف نعرض له ف شيء من التفصيل عند حديثنا عن شبه منكرى النبوات ، وراجع كتابنا : عبدالكريم الخطيب وآراؤه الكلامية – رسالة ماجستير بجامعة عين شمس قسم الفلسفة ١٩٩٢م .

(٣) أهل الإسلام يقرون أن آدم عليه السلام نبى ورسول ، جعله الله فى أبنائه وأحفاده نبيا مرسلا ، حتى يعرفهم بالله الخالق العظيم – راجع آدم بين الخليقة والخلافة للشيخ محمود عبدالوهاب رضوان ص١٢٩ وما بعدها .

۞ **الثاني : إن قلتم تقليد الآباء والأجداد على الإطلاق ، فذلك مذموم بما ورد في** القرآن الكريم، والسنة النبوية الصحيحة ، من ذلك قوله تعالى : ﴿ " وَكَذَٰلِكَ مَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ فِي قَرْيَةٍ مِّن نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَىٰ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰ آثَارِهِم مُّقْتَدُونَ قَالَ أَوَلَوْ جِئْتُكُم بِأَهْدَىٰ مِمَّا وَجَدتُّمْ عَلَيْهِ آبَاءَكُمْ قَالُوا إِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُم بِهِ كَافِرُونَ " ﴾[1] ، فتقليد الأباء والأجداد فى الباطل مهلكة .

وبهذا الإرسال الإلهي تنقطع الأعذار للمقصرين ، وتزول الحجج ، وتنتهى التذرعات التى يتذرعون بها ، أو يعتمدون عليها ، ولا يكون لهم من أمر يعتمدون عليه في إنكار ما شرعه الله تعالى والإهمال فيه ، فضلاً عن وقوعهم في دائرة التقصير ، التى يعاقب الواقع فيها بالعذاب الأليم فى الدنيا والآخرة .

‹‹ الفائدة السابعة : تكميل النفوس البشرية ، وتعليمها الأخلاق الفاضلة

من فوائد إرسال الرسل ، وإنزال الكتب ، وبعث الأنبياء التكمل الخلقى للأنفس البشرية ، لأنه ما من نفس إلا وفيها من النقص والعوز ، والشذوذ ، وقابلية الاستقامة بالقدر الذى لو ترك على حاله من الاضطراب ما وقع خير أبدا ، فابن آدم الأول تحكمت رغبته الذاتية فى قواه ، وتملكته الأنا والشهوة ، فهجم على أخيه ماداً يده إليه حتى انتهى الأمر به للقتل ، فوقعت أول جريمة قتل بشرى على الأرض[2] . بعد أن خلق الله تعالى فيها آدم عليه السلام .

---

(١) سورة الزخرف الآيتان ٢٣/٢٤ .

(٢) العلامة خير الدين سليمان الإنطاكى – آدم وبنوه ص٤١ ط أولى ١٩٣٣م ، وراجع تفسير القرطبى والطبرى فى المسألة .

ﷺ قال تعالى : ﴿ " وَاتْلُ عَلَيْـهِمْ نَـبَأَ ابْنَـيْ آدَمَ بِـالْحَقِّ إِذْ قَرَّبَـا قُرْبَانًـا فَتُقُبِّـلَ مِـن أَحَدِهِمَا وَلَمْ يُتَقَبَّلْ مِنَ الاخَرِ قَالَ لاقْتُلَنَّكَ قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللّـهُ مِـنَ الْمُتَّقِـينَ لَئِـن بَسَطتَ إِلَيَّ يَدَكَ لِتَقْتُلَنِي مَا أَنَاْ بِبَاسِطٍ يَـدِيَ إِلَيْـكَ لاقْتُلَـكَ إِنِّـي أَخَـافُ اللّـهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ " ﴾[1] .

فالنفوس البشرية ، إذا تركت وحالها من غير أن يـأتى هـدى السماء إليـها تحول الناس جميعا إلى مطامعهم ورغباتهم والشهوات ينشدونها ، وراح كل يغذى هذه ، وينمى فى أعماقه تلك ، دون نظر إلى مصالح الآخرين[2] ، سواء توافقت مـع رغباته أو تعارضت معـها ، لأن همـه سيكون مركـزا فـى مصالحـه الشخصية . ورغباته الذاتية .

وتاريخ البشرية ملىء بالوحشية والأنانية ، فما تزال اصداء الماضى القريـب قائمة حين أكل الإنسان القوى أخـاه الضعيـف إشـباعا لرغبـة فـى نفسـه[3] ، دون مراعاة لأبسط الحقوق ، وأخف الواجبات[4] التى تكون للآخرين .

(أ) تكميل النفوس بما شرع الله تعالى :-

أجـل كـانت الأطمـاع والرغبـات الغالبـة تفرض وجودهـا علـى الجميـع ، فالضعيف مأكول من القوى ، والصغير مهضوم الحق فى جـانب الكبـير ، وأنظمـة الغابات . وقوانين الوحوش الكاسرة هى السائدة والمسيطرة ، ولـو تركـت أحـوال

---

(١) سورة المائدة الآيتان ٢٨/٢٧ ففيها الحديث عن القصة كلها .

(٢) الأستاذ محمد عبدالباقى – علم النفس العام ص٢٣ .

(٣) الأستاذة هانئ عبدالبديع نصر الله – الإنسان البدائى (شهواته ورغباته) ص١٥ .

(٤) وذكر مما ذكرته كتب التاريخ ، وتحدث عن المؤرخون للحضارات القديمة .

الناس على ذلك النمط لخربت الدنيا كلها ، وانقضى أمرها باعتبار أن سيادة الشر تنتهى بالتدمير التام للكون كله .

ولكن الله تعهد البشرية بالرسل هداية لهم ، وتعليما ، وتهذيبا لسلوكياتهم وتوجيها ، حتى تعمر الأرض ، ويتم الاستخلاف[1] ،الذى جعله الله تعالى لبنى الإنسان بعد انقضاء جماعات البن ، وجماعات الجان[2] ، ولا يكون ذلك الا إذا تحقق الأمن الاجتماعى الذى يشعر فيه القوى بحاجته للضعيف ، فيعطف عليه ، ويحيطه بأوجه الرعاية والعناية ، والكثير من أوجه الاحترام[3] ، الذى يقع على سبيل التبادل بين جميع أفراد المجتمع الإنسانى .

وفى نفس الوقت فإنه يجعل الضعيف يلوذ للقوى ، حيث يراه المأمول فيه الخير[4] ، والدافع عنه ألوان الشر ، والمقرب اليه افانين[5] الحياة الكريمة ، فيصون عهده ، ويحفظ وده ، ويقوم معه على وفاق فى باقى أمره ، وبذا يتحقق التكافل الاجتماعى فى أرقى صوره ، وابرز مظاهره .

فإذا تنازل القوى عن بعض قوته للضعيف بحيث يشعره بوجوده . فإن الضعيف سيبادله الاحترام والمحبة والخدمة بعناية ، ولا يكون ذلك من النفس

(١) قال تعالى : ﴿ " وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الارْضِ خَلِيفَةً قَالُواْ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاء وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لا تَعْلَمُونَ " ﴾ سورة البقرة الآية ٣٠

(٢) العلامة الكرمانى – تاريخ البشرية جـ١ ص٢١ ط أولى ١٩٢١– تحقيق السيد النادى .

(٣) وهو الجانب المثالى فى العلاقات الاجتماعية ، فإذا تحقق استقرت لنا أمور حياتهم .

(٤) اذ متى تحقق العدل ، وصل الجميع للخير ، فلا خوف ولا سرقة ، ولا غضب .

(٥) جمع فنن ، وهو أطراف الشيء البعيدة ، وهو مهرة تصقلها الموهبة ، والتطبيق العملى – أساس البلاغة باب الفاء .

المطبوعة على الشر[1] - لأنها قائمة بين الخير ومطبوعة على الشر - إنما يكون بتوجيه أعلى من كل طاقات الإنسان كلها ، وهو الرسول الذى تأتى معه الرسالة مهيمنة ، وموضحه وشارحه لكل ما فيه صلاح هؤلاء وأولئك فى أمور الدنيا والآخرة .

حيث تعالج فيها القسوة ببيان أن الراحمين يرحمهم الرحمن ، ارحموا من فى الأرض يرحمكم من فى السماء[2] ، فتقع الرحمة بدل القسوة ، والمودة مكان العداوة .

كما يعالج الرسول فى ذات الإنسان الكبر ، ببيان قيمة التواضع ، مبشرا له بقوله : « أقربكم منى مجلسا يوم القيامة أحاسنكم أخلاقا الموطئون أكنافا الذين يألفون ويؤلفون »[3] ، فيقع ذلك فى نفسه موقع العدل والقبول .

ويعالج فيها ذات النفس البخل والشح بقوله تعالى : ﴿" من ذا الذى يقرض الله قرضا حسنا فيضاعفه له أضعافا كثيرة والله يقبض ويبسط واليه ترجعون" ﴾[4] ، فمن أعطى الفقير أعطاه الله ، ومن منع الفقير أو المحتاج إمساكا مع قدرته على العطاء ، منع عنه الله الأجر فى الآخرة .

---

(١) الأستاذ توفيق محمد طلب - النفس الإنسانية ص١٩ .

(٢) راجع شرح الفشنى على الأربعين النووية ص٢١ .

(٣) العلامة المنذرى - الترغيب والترهيب ص٤٥ ، وجامع العلم ، والحكم للعلامة ابن عبدالبر - باب حسن الخلق ..

(٤) سورة البقرة الآية ٢٤٥ .

ويعالج فيه الإمساك بقوله ﷺ : « الكريم قريب من الله قريب من الجنة ، قريب من الناس ، بعيد عن النار ، والبخيل بعيد عن الله ، بعيد عن الناس ، بعيد عن الجنة ، قريب من النار »[1] ، وحينئذ سيحاول مغالبة النفس الشخصية بالبذل والعطاء . طمعا في رضوان الله تعالى . وتلك مهمة لا يقوم بها إلا النبى المرسل من قبل الله تعالى .

ثم أن هذا التكميل للنفس البشرية لا يقف عند حد الكرم ، وتفريج الكربات ، والابتعاد عن الشرور ، وفعل المكرمات ، وانما يتعداها جميعا ، حتى يصل إلى الكمالات الإنسانية ، ويقوم عليها فى أرقى صورها التى تتنوع إلى :

[أ] **التكمل العقدى** : القائم على المعرفة الحقة بالعقيدة السليمة الصحيحة فى الله رب العالمين ، وما فرضه على عباده[2] ، وجاءهم على ألسنة رسله .

[ب] **التكمل العلمي** : القائم على إتيان الأفعال على وجه صحيح عماده العلم النافع المفيد[3] بظواهر الشرع فى الأخذ بالأسباب ، والالتزام بما شرع الله تعالى ، وأنزله على ألسنة رسله .

[جـ] **التكمل العملي** : وهو يقوم على أداء الأعمال بإتقان ، طبقا للمعارف الشرعية وبأقصى طاقة ممكنة ، لقوله ﷺ : أن الله يحب إذا عمل أحدكم العمل أن يتقنه[4] ، على الوجه المتمكن منه شرعا .

---

(١) حديث مشهور ، وله شواهد كثيرة ، راجع أنوار من السنة ص٢٣ ، شرح الفشنى على الأربعين النووية ص٢٥ .

(٢) الأستاذ محمد نور الدين – أثر العقيدة الإسلامية فى النفوس ص٤٧ .

(٣) والمفيد فى العلوم والأغذية ، والأدوية والمسكن ، وتعمير الأرض لا خرابها .

(٤) الإمام النووى – رياض الصالحين من كلام سيد المرسلين ص٢١٩ .

[د] **التكمل في الشرعيات والعلميات والعمليات على قدر سواء .**

والتكمل في الاعتقاد معناه : المعرفة الحقة بالعقيدة الصحيحة في الله رب العالمين . وما يستتبع ذلك من مراقبة ما يتبع هذه العقيدة في وجدان صاحبها ، باعتبار أن صاحب العقيدة السليمة يعيش ابد الدهر مطمئنا[1] ، يطالب بالحق الذى شرعه الله ، بارا بوعده ، قائما على الوفاء بعهده ، لا يخاف في الله لومة لائم ، رائده في المسألة قوله ﷺ :

« وأعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك لن ينفعوك الا بشيء قد كتبه الله لك ، ولو اجتمعوا على أن يضروك لن يضروك الا بشيء قد كتبه الله عليك ، رفعت الأقلام وجفت الصحف »[2] .

تضطرب الأرض ، ويميد الخلق ، وصاحب العقيدة السليمة الصحيحة في الأمر ثابت ، إذا مرض أعتبر المرض نفسه نعمة تستوجب الصبر فينال جزاء الصابرين[3] ، وإذا صح جسمه ينظر إلى الصحة على أنها نعمة تستوجب الشكر ، وجزاء الشاكرين عظيم[4] ، ومن ثم فهو في الأول لا يجزع ويحزن . وفي الثانى لا

---

(١) الدكتور / محمد جمال الدين الأنور – دراسات فى العقيدة الإلهية ص٢١ .

(٢) الإمام النووى – رياض الصالحين – شرح الفشنى ص٤٧ ، وهو من رواية سيدنا عبدالله بن العباس ﷺ ، ومطلعه : يا غلام إنى أعلمك كلمات : أحفظ الله يحفظك ، احفظ الله تجده تجاهك ، إذا سألت فاسأل الله ، وإذا استعنت فاستعن بالله .

(٣) قال تعالى ﴿ " قُلْ يَا عِبَادِ الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا رَبَّكُمْ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةٌ وَأَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةٌ إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ " ﴾ سورة الزمر الآية ١٠

(٤) قال تعالى ﴿ " وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ " ﴾ سورة إبراهيم الآية ٧ .

يفجر أو يتكبر[1] ، والآيات القرآنية والأحاديث النبوية فى هذا الشأن كثيرة جدا .

وقس على ذلك سائر أموره فيما يتعلق بتلك النواحى ، وما ذلك الا لأنه يتمتع بعقيدة قوية فى الله تعالى صحيحة تكملت بها نفسه ، وتجملت فيها أخلاقه ، وهو فى كل من التكمل والتجمل قائم ، ولا يتحقق ذلك إلا برسول من قبل رب العالمين . يعرفه وجه العقيدة الصحيحة . وكيفية ممارستها . والاحتفاظ بها بعد أن يعرفه أجزاءها ، والأسس التى تقوم عليها .

كما أن التكمل العملى يعرّف المرء ما له وما عليه ، فهو يقبل على القيام بكل ما هو واجب عليه منطلقا من قوله تعالى : ﴿" وَقُلِ اعْمَلُواْ فَسَيَرَى اللّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ وَسَتُرَدُّونَ إِلَى عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ " ﴾[2] ، ولن يكون ذلك إلا فى دار الجزاء ، حيث يرى المرء ما قدمت يداه .

ولا يقتصر العمل على نوع معين منه ، بل يشمل كافة أنواع العمل ، المهنى منها والحرفى ، بل والعلمى منها والتقنى ، وذلك كله لا يمكن للعقل الاستقلال به حتى يعرف حقه من باطله ، وصوابه من الخطأ ، أو يتعرف وحده على وجه القبول فيه . أو رده .

---

(١) الدكتور محمد جمال الأنور – دراسات فى العقيدة الإلهية ص٣٥ . .

(٢) سورة التوبة الآية ١٠٥ .

وبالتالى فهو بحاجة إلى النبى المرسل من قبل الله تعالى الذى يعرفه هذه ، ويباعد بينه وتلك ، بحيث لا يعمل الا فى حدود الشرع[1] ، ولا يتصرف الا انطلاقا من أوامره ، ولا يتراجع الا تنفيذا لنواهيه ، فيقع له التكمل فى الشرعيات ، وغيرها مما جاء به النبى مبلغا إياه عن رب العالمين .

أما التكمل العلمى فهو مما يعجز العقل وحده عنه ، إذ كيف يطلب العقل العلم ، وفيه بذل المجهود المضاعف ، والطاقة المبذولة ، ثم أى نوع من العلم هو الذى يقبل عليه ، أو يمكنه السير فيه[2] ، فضلا عن الرغبة فى القيام به .

ثم إن العقل لو قدر له السير من غير هدى الشرع . فربما أختار العلم التدميرى الذى عماده تخريب الكون ، بدلاً أن يتجه إلى إعماره ، وكيف لا ونحن فى مطالع القرن الحادى والعشرين نرى العلم يستخدم فى ترويع الآمنين[3] ، وحرق المزارع ، وتدمير المبانى ، وتسميم الآبار الجوفية ، وكهربة الماء حتى يحرق فيها راكبها[4] . ويموت من نارها شاربها .

بل العقل نفسه هجم على العلم ، فانتج وسائل تدميريه نازعت طاقتها إمكانيات الكون الهائلة ، فها هى القنابل العنقودية ، والذرية قد صارت ركب متأخر عن وسائل التدمير الأحدث إنتاجا ، والأكثر تدميرا وإهلاكا[5] ، كالقنابل

---

(١) العلامة الكرمانى – تاريخ البشرية جـ٢ ص٣٣ .

(٢) الدكتور محمد جمال الدين الأنور – دراسات فى العقيدة الإلهية ص٤٢ .

(٣) وما أخبار هيروشيما ونجازاكى ، والتدمير الذى لحقهما معا ببعده

(٤) كما فعل اليهود فى توصيل مياه قناة السويس قبل حرب العاشر من رمضان ، السادس من أكتوبر ١٩٧٣م .

(٥) الدكتورة منى الوكيل – العلم وخطاياه ص٢١٣ .

الجرثومية ، والبكتريولوجية ، وغيرهما[1] ، مما يعتصم بأرحام المصانع الحربية ، وتخشى الإعلان عنه الدولة المنتجة له حتى يظل سرا مطويا عن غيرها ، وطاقة تهدد بها من تشاء متى لزم الأمر .

أجل إن بعض المصانع تنتج الأدوية لعلاج الأمراض المستعصية والمزمنة - ومنها السرطان والإيدز ، والسوبر إيدز ، وغيرها من أخطر الأمراض كالفيروسات الكبدية والسرطانية - لكن لو وجهت الميزانيات المفتوحة لإنتاج وسائل التدمير ،وسخرت لإنتاج الأدوية ووسائل التعمير ، لكان ذلك هو الخير بعينه والموقف الأمثل فى المسألة[2] ، ولكن ذلك بعيد المنال بالنسبة لمن لم يعرفوا أنوار النبوة ، ولم يهتدوا بهديها .

فإذا نظر العاقل إلى السيارة ، والطائرة ، والصاروخ ، التى تستخدم كلها أو بعضها فى الأغراض السلمية ، شعر بحب واحترام شديدين لأولئك العلماء الذين أناروا بجهودهم الطريق المظلم ، وعبروا الطرق الصعبة[3] ، وهو فى كل أغراضه حين يستخدمها إنما يثنى عليهم خيرا ، ويذكرهم بما يحق لهم .

أما إذا نظر نفس العاقل إلى السيارة المصفحة ، والطائرة الشبح ، والأواكس والصاروخ الحامل للرءوس النووية الذى يصيب أهدافه بسرعة ودقة ، وغيرها من وسائل التدمير السريعة والمؤثرة، التى إذا استعملت فإنها ألوانا هائلة من

---

(١) مما هو منتج فى المصانع الحربية فى أوربا ، وغيرها من البلدان التى لا تعرف شرع الله .

(٢) وهو الذى أشار اليه النقل المنزل من قوله تعالى : ﴿" وَأَنزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ وَرُسُلَهُ بِالْغَيْبِ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ " ﴾ سورة الحديد الآية ٢٥ .

(٣) الأستاذ فوزى محمد الطواف - لغة العلم ص١٢١ .

التدمير[1] ، فلا شك أنه سوف يصب لعناته على هؤلاء العلماء الذين كان قد امتدحهم من قبل وأثنى عليهم خيرا ، وما ذلك الا لأنهم سخروا علمهم فى إنتاج وسائل تدمير بدل أن تكون بانية ومنشئة لقواعد التعمير[2] .

من ثم فإن التكمل العلمى يكون فى القيام بالعلم النافع ، المفيد لصحابه وغيهم فى الدنيا والآخرة ، الذى أمتدح الله القائمين به فى قوله تعالى : ﴿" وَمِنَ النَّاسِ وَالدَّوَابِّ وَالانْعَامِ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ كَذَلِكَ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ " ﴾[3] وأمتدح الرسول الكريم ﷺ العلماء مرات عديدة منها قوله ﷺ « عن أبي أمامة رَضِيَ اللَّهُ عَنهُ أن رَسُول اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيهِ وَسَلَّم قال: "فضل العالم على العابد كفضلي على أدناكم"»[4] .

ولا شك أن ذلك العلم هو القائم على القواعد الشرعية ، سواء فى جانبه المادى أو الأدبى ، أو الأخلاقى ، ولا يعرف الناس هذه القيود التى يمتدح بها العلم أو يذم ، ويقع بها التكمل أو الانتقاص الا الرسول ﷺ القائم على الشرع ، وهو المبعوث من الحق للخلق ، فكان ذلك من فوائد بعثة الرسل - عليهم الصلاة السلام - .

---

(١) الدكتورة منى الوكيل - العلم وخطاياه ص٢٢٤ .

(٢) وهو حكم العقل السليم ، والفطر النقية ، متى ابتعدت عن الضلال .

(٣) سورة فاطر الآية ٢٨

(٤) الإمام أبو زكريا يحيى بن شرف النووي- رياض الصالحين (١٣٨٧) كتاب العلم ، وراجع جامع العلوم والحكم ص١٩٥ .

﴿*﴾ قال الاصفهانى : ومن فوائدها أن يعيّن النبى وظائف الطاعات ، والعبادات المذكرة للمعبود ، المتكررة لاستحفاظ التذكر وغيرها[1] ، مما يعين على أدائها بشكل تام ، مقبول على الناحية الشرعية أيضا .

ولا يغيب عن مطالع أن التكمل العلمى لا يكون فى إنتاج وسائل التدمير أبدا[2] ، أيا كانت وسائل التدمير تلك ، سواء كانت لتدمير الأمم والممالك ، أو تدمير العقيدة والشريعة ، أم تدمير الأخلاق ، فإن ذلك كله من ألوان التدمير وصوره لا محالة ، والقائم بهذا لا وزن له فى التعمير أو التكمل[3] ، وانما هو فى المهاوى ساقط ، وفى المحاذير واقع ، والانتقاص له حكم فيه هو ثابت .

أما التكمل فى الشرعيات والعلميات والعمليات الشرعية فلاحظ للعقل وحده فى شيء منها ، إنما هى تعاليم الله تعالى يأتى بها الرسول ، وحكم الشرع فيها ثابت ، فلا يكون ذلك الا من خلال رسول كريم يعرفه الله بها ، ويقودهم اليها ، وهو شأن البعثة[4] ، ولا حيلة فى غيرها ، من ثم كان ذلك من فوائد بعثة الرسل[5] .

أضف إلى ما سبق أن العقول بطبيعتها متفاوتة من حيث النقصان ، والكامل فيها نادر ، والأسرار الإلهية كثيرة جدا يصعب حصرها والتعرف عليها . بل

---

(١) العلامة الأصفهانى – طوالع الأنوار ص٤٣٤ .

(٢) فهذا تصرف شيطانى ، وسلوك عدوانى ، وأفعال تدل على أن القائمين بها ليسوا على هدى أبدا .

(٣) وثبات الحكم هذا قائم على الأسس ، والأصول الشرعية ، لأن الشرع لم يأمر أبدا بإتيان المعاني .

(٤) الأستاذ الشيخ عبدالباقى محمود – بعثة الرسل والحاجة إليها ص٤٣ ط أولى ١٩٣١م .

(٥) ولو كان ما مر فقط لكان فيه الكفاية بالإعلان عن بعثة الرسل وفوائدها .

يكون من غير الممكن الوقوف بالعقل الناقص أو الكامل علــى معرفــة أسـرارها . أو التوصل إلى أنوارها .

(ب) تعليم الناس الأخلاق الفاضلة :-

لا شك أن العقول بحاجة إلى معلم يرشد . وقائد يوجه إلى مــا فيــه الأخــلاق الكريمة والسياسة الحكيمة[1]، الراجعة للأفراد من حيث هم ، والجماعــات التــى تتكون من ذات الأفراد ، أو يكونون هم العمد الثابتة لها ، أو تنشأ بهم ويعيشـون فــى داخلـها[2] ، فتكـون المجتمعـات الكـبرى ، هــى الوعـاء الــذى يحفــظ تلــك التجمعات .

ثم أن بنى آدم فيهم أخيار ، وبينهم أشرار ، ومنــهم معصومـون عـن الخطـأ وهم الرسل – عليهم الصلاة والسلام – ، وهؤلاء الرسل لهم اتباع متبعون هدى الله معهم ، ويقلدونهم فى كل أمر يأتونه ، أو ينأون عنه ويذرونه .

ولمـا كـان الرسـل لا يضلـون ولا يشـقون ، فـإن اتباعـهم إذا اســتمروا علــى مناهجهم كانوا فى النجاة بعدهم ، بينما اتباع أصحاب العقول لا عصمة لهم ، ولا هداية معهم ، والفرق بين أتباع المرسلين ، واصحاب العقول التى يعتمدون عليــها وحدها كبير جدا .

إذن أصحاب الرسالات ، وهم الأنبياء والمرسلون بما حملوا من هدايات ، إنما يجنبون الإنسان خطر الضلال والشقاء ، ويحققون لـه شـرف الخلافـة عـن الله فــى

---

(١) راجع مطالع الأنظار ص٤٢٧ ..

(٢) الدكتورة سامية الساعاتى – الجماعة الإنسانية ص٤٥ .

أرضه[1]، بإقامة العدل فيها ، وتعليم الأخلاق الفاضلة التى تعـود بـالفوائد علـى الأشخاص أنفسهم كأفراد ، كما تعود عليهم الفوائد باعتبارهم جماعــات متكافئـة فى مجتمعاتهم التى يعيشون داخلها .

ولما كان الإنسان مخلوقا أودع الله فيه العديد مـن القـوى بعضـها يتجـه نحـو الخير ، وبعضها يتجه نحو الشر ، والإنسان فيما بينهما يتحرك منــها وينطلـق فى تصرفاته بهديها . فكان بحاجة إلى النبى أو الرسول ، حتـى يعلمـه الأخـلاق الفاضلـة فيسـمو بـها ، قـال تعـالى : ﴿" وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا "﴾[2]، ولا يستفيد ذلك إلا من النبى ، فكان ذلك من فوائد بعثة الرسل .

لكن قوى الشر يغذيها الشيطان بأكثر من رافد ، وبالتــالى فتقـع لهـا الغلبـة على العقل الراشد فى بعض الأحيان ، وحينئذ تهبط بالإنسـان إلى المـهاوى فتفسـد حاله كلـه ، وتجعلـه أقـرب إلى الحيـوان منـه إلى الملائكـة ، بـل وتجعلـه خصمـا للإنسانية السوية .

وبالتالى يشقى ويضلل ، ولا حيلة له فى غلبتــها مـن ذاتـه ، وانمـا هـو فـى حاجة إلى قوة أعلى تقوده إلى الخير ، بحيث تكون هى الهادى والقائد ، فتضــرب بين الناس القواعد الثابتة ، والموازين العادلة ، والمثل الفاضلــة التـى تعتـبر قيمـا عليا وأمثلة تحتذى[3] ، ويكون أمر الجميع الخضوع لإرادة ذات القوة العليا .

---

(١) الدكتور : عبدالغنى عوض الراجحى . دراسات موضوعية فى ضوء القــرآن والســنة جـــ٢ ص٥٣ مطبعة المعرفة .

(٢) سورة الشمس الآيتان ٨/٧

(٣) الأستاذ توفيق محمود – دراسات فى النبوة ص٢٣ .

بيد أن هذه القوة العليا لن تكون من داخل النــاس أنفســهم[1] ، وانمـا تكـون بالرسل الذين يتميزون عن غيرهم بأنــهم أهـل الاتصال بـالله ، والأعـرف بـه مـن غـيرهم ، قـال تعـالى : ﴿ " لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ وَأَنزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ وَرُسُلَهُ بِالْغَيْبِ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴾[2]، فالحديد أمـره سـهل ، مـن حيث هو مادة صلبة ، لكـن أن تعـرف فوائـده وأضـراره ، فذلـك لا يكـون بـالعقل وحده ، إنما بالشرع الشريف .

وبالتـالى يتعلـم العـاقل العطـف علـى الفقـراء والإحسـان إليـهم ، والرحمـة بالمساكين ، والاقـتراب منـهم ، والمسح علـى رءوس الأيتـام مـع الحنـو عليـهم ، وتزكية الآخريـن باعتبـاره واحـدا منـهم ، والتواضـع لأهـل العلـم إكرامـا لهـم ، واعترافا بفضلهم ودرجاتهم ومنازلهم ، باعتبار أن ذلك كله من المنافع التى يجيء بها النبى ، ويتعلمها المكلفون به .

ومتى وضعت هذه الأمور موضع الالتزام صارت قواعد بـين النـاس ، وصـورا يتحقق العدل فيها بينهم ، قال العلامة الأصفهانى : ومن فوائد البعثـة أن يشـرع الرسول قواعد العدل المقيم لحياة النوع ، فإن الإنسان مدنى بالطبع ، مظنه للتنازع المفضى إلى التقاتل ، فلابد من عدل مقيم لحياة النوع يحفظه شرع[3]، يقوم على كل جانب فيه .

---

(١) لما هو معروف من أن فاقد الشيء لا يعطيه .

(٢) سورة الحديد الآية ٢٥

(٣) العلامة الاصفهانى – مطالع الأنظار ص٤٣٦ .

وليس هذا المشرع لتلك القواعد العقل الإنسانى بحال من الأحوال ، لأنــه لـن يسمو على رغباته مهما كانت حيدته ورغبته فى الوصـول للحـق[1] ، وانمـا الـذى يملك هذا الحق ويشرع لهؤلاء الناس – ومن يأتى بعدهم طالما كان على أمرهم متبعا الرسول – هو الشرع نفسه . يقول أحد الباحثين « فالعقل البشرى وحده ليس فى استطاعته أن يبلغ بصاحبه ما فيه سعادته فى هذه الحياة »[2] .

فالرسل – وليست العقول – هى التى تسمو بقوى الخير وتعليـها علـى قـوى الشر ، وبهذا يحيا الإنسان فى الدنيا حياة طيبه ، وينــال فـى الأخـرى الحسـنى وزيادة[3]، فالحسنى فى الدار الدنيا ، والزيادة واقفة لأهل الإحسان فى الآخـرة ، وهى رؤيـة الله تعـالى ، وفـى نفس الوقـت يتحقـق بـين النـاس العـدل فـى أجلـى صوره ،وأكمل معانيه .

من ثم فلابد مع بنى الإنسان من معلم يعلمهم ويرشدهم . فتأتى إليهم بعثة الأنبياء ، وإنزال الكتب عليهم إيصالا بكـل مستعد إلى منتـهى كمالـه الممكـن لـه بحسب شخصه على وجه يناسب عقولهم[4]، وفى ذات الوقت يوجهـها إلى ما فيـه سعادة الأفراد والمجتمعات ، وهو النبى والرسول لأتى لا محالة . فثبـت أن ذلـك من فوائد بعثة الرسل – عليهم الصلاة والسلام – .

---

(١) الأستاذ توفيق محمود – دراسات فى النبوة ص٢٧ .

(٢) الدكتور حامد على الخولى – النبوة بين المتكلمين والفلاسفة الإسلاميين ص٤ – الطبعة الثالثة .

(٣) الدكتور : محمد أبو النور الحديدى – عصمة الأنبياء والرد على الشبه الموجهة إليـهم ص٢١ ط أولى – مطبعة الأمانة ١٩٧٩م .

(٤) العلامة الأصفهانى – مطالع الأنظار ص٤٣٧ .

فإذا انتقلنا بفائدة البعثة من الأفراد إلى الدول والمجتمعات . واعتبرنا الأفراد ممثلين لتلك الجماعات والأمم والدول ، فإن ما يجرى على نفوس الأفراد من أحكام وأخلاق ، يجرى مثله على المجتمعات ذاتها ، لأن الفرد هو اللبنة الأولى للمجتمع الذى نعيش فيه[1] ، كما أن المجتمع يتكون من أفراده ضرورة ، وهو الذى تشهد به العقول ، ويقره الواقع ، فما من مجتمع إنسانى ، إلا وأفراده هم اللبنات التى يتكون منها كمجتمع[2] ، فإذا لم يوجد أفراد لم يتكون مجتمع أبدا .

وكم رأينا أفرادا مسلحين بالإيمان هبطت عليهم ألوان الابتلاء من كل ناحية ، فما زادهم ذلك الا إيمانا وتسليما[3] ، وكم رأينا ظروفا صعبه تحيط بمجتمعات إسلامية بغرض النيل منها ، فما وهنوا لما أصابهم فى سبيل الله وما ضعفوا وما استكانوا ، بل كانوا يقولون حسبنا الله ونعم الوكيل [4]حتى مرت العاصفة بسلام ، أو بأقل الخسائر ، وكان الإيمان بالله تعالى تسرى أنواره فى قلوبهم فصار هو السراج المنير لهم ، وكانت التعاليم الحقه له ، هى السلوك العملى عندهم .

وكم طالعتنا الأنباء غابرها والحاضر بأفراد ملكوا أسهما فى شركات، وأوراقا فى بورصات ، وسفنا فى المياه جاريات ، ثم فقد أحدهم جزءً من هذا الرصيد

---

(١) الدكتور حسن عبدالعاطى – الفرد والجماعة ص١٨٥ .

(٢) الأستاذ السيد عبدالله عبدالحكيم – علاقة الفرد والمجتمع ص٧١ .

(٣) قال تعالى ﴿ " مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُم مَّن قَضَى نَحْبَهُ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلا " ﴾ سورة الأحزاب الآية ٢٣ .

(٤) راجع تفسير آيات ١٧٤/١٧١ من سورة آل عمران – تفسير مفاتيح الغيب .

الضخم ، فما أحتمل الأمر بل سارع بالانتحار تخلصا من سحابات الوهم التى طافت بفؤاده[1] . ولو كان ممسكا بشرع الله ما فعل ذلك ، ولعاش هادئا مطمئنا آمنا .

بل كم رأينا دولا ومجتمعات يقبل أصحابها وأهلوها على الانتحار السياسى أو العسكرى[2] ، أو كليهما معا طمعا فى ثروة جار ضعفت إمكانياته عن الإغارة والقتال[3] ، أو تحسبا من حرب يتوقع أن يعقبها الفناء[4] ، رغم أن ذلك كله من خيالات أصحابها ، وجرى مثله فى أعراف المتوهمين .

ولو كان أصحاب تلك الدول على هدى الشرع ، ما حدث لهم هذا ولا ذاك ، فدل الأمر على أن من فوائد بعثة الرسل تحقيق أعلى أنماط السياسة ، وأفضل حالات الأمن والاستقرار ، بجانب الأخلاق الفاضلة ، والمثل العليا ، والقدوة التى لا مثيل لها ، إلا فى القائمين برسالة الله وهم الأنبياء والمرسلون .

الفائدة الثامنة : تعليم الناس الصناعات المفيدة

ذلك أن الصناعات النافعة لبنى البشر ضرورية ، حتى يتهيأ لهم أمر المعاش ، ويعينهم على أمر المعاد ولا يعرف العقل وحده كيف يتوصل اليها ، أو كيفية الابتداء بها ، وقد ظل العقل فى حيرة واضطراب فترات مطولة ، فأنقذه الله

---

(١) الدكتور سبنسر كولز – اعرف نفسك ص١٧١ – ترجمة حسن عبدالعاطى .

(٢) كما فعل أدولف هتلر بعد هزيمته فى الحرب العالمية الثانية .

(٣) كالحال مع العراق وجارتها الكويت ، التى طمع فيها العراق ، فتحقق الخسران ، وجاء الاستعمار إلى المنطقة العربية تحت ستار الحماية ، والله اعلم متى ينتهى ذلك الاستعمار ؟!

(٤) كما تزعم إسرائيل ربيبة اليهود والأمريكان ، وأعداء الإنسانية فى كل مكان .

تعالى بالرسالة فى آدم عليه السلام ، وظلت النبوات فى المصطفين الأخيار حتى بعثة سيدنا محمد ﷺ .

ومن المؤكد أن الله تعالى علم آدم الأسماء كلها حيث ميز بين الأشياء المتقاربة ، وعرف ذوات الأشياء وطبائعها . ثم علمها لأولاده من بعده وقادهم إلى ما فيه صلاح عقيدتهم ، وعبادتهم ، وكذلك أمورهم المعيشية على كل ناحية أمكنهم التعرف عليها .

❁ قال العلامة الفخر الرازى : علمه تعالى صفات الأشياء ونعوتها وخواصها ، والدليل عليه أن الاسم اشتقاقه أما من السمة أو من السمو ، فإن كان من السمة كان الاسم هو العلامة[1] ، وصفات الأشياء ، ونعوتها ، وخواصها دالة على ما هياتها[2] ، فصح أن يكون المراد من الأسماء الصفات ....

وان كان من السمو فكذلك لأن دليل الشيء كالمرتفع على ذلك الشيء . فإن العلم بالدليل حاصل قبل العلم بالمدلول ، فكان الدليل اسما فى الحقيقة[3] ، فقادهم آدم عليه السلام إلى معرفة الأمور الغائبة عنهم من أمور عقيدتهم وشريعتهم ومعيشتهم ، وكل ما يتعلق بها على شكل تفصيلى ، طبقا لاحتياجاتهم فى الحال ، وما قد يرد فى المستقبل القريب .

---

(١) الفخر الرازى – مفاتيح الغيب – المجلد الأول ص٥٩٦ – تحقيق د: حمزه النشرتى ،وأخر طبعه الغد العربى

(٢) يقول العلامة الجرجانى : الماهية تطلق غالبا على الأمر المتعقل ، مثل المتعقل من الإنسان ، وهو الحيوان الناطق ، مع قطع النظر عن الوجود الخارجى – التعريفات – باب الميم ص١٧١ ط الحلبى .

(٣) الفخر الرازى – مفاتيح الغيب – المجلد الأول ص٥٩٦

وذكرت آيات القرآن الكريم أن الله علم نوحا عليه السلام الصناعة الفنية الدقيقة ، ومنها صناعة السفن ، فلما أتقنها بصناعة السفينة أمامهم راحوا يطوفون به ويتعجبون من رجل يصنع فلكا بعيدا عن البحر حتى أن أغلبهم كفر به .

﴿ قال تعالى : ﴿" وَاصْنَعِ الْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيِنَا وَلا تُخَاطِبْنِي فِي الَّذِينَ ظَلَمُواْ إِنَّهُم مُّغْرَقُونَ " ﴾[1] . ، وقال تعالى : ﴿" وَيَصْنَعُ الْفُلْكَ وَكُلَّمَا مَرَّ عَلَيْهِ مَلا مِّن قَوْمِهِ سَخِرُواْ مِنْهُ قَالَ إِن تَسْخَرُواْ مِنَّا فَإِنَّا نَسْخَرُ مِنكُمْ كَمَا تَسْخَرُونَ " ﴾[2] ، وظل حال المنكرين قائما على الكفر ، وحال المؤمنين على الإيمان ، حتى أنجى الله أهل الإيمان به ، وهم نوح عليه السلام ومن معه ، وأغرق الهالكين .

وعلم الله داود عليه السلام ، وهو النبى الملك الصناعات الحربية بألوانها المختلفة حتى أنه كان يقوم بالإشراف الفنى عليها عملا وتعليما ، قال تعالى : ﴿" وَعَلَّمْنَاهُ صَنْعَةَ لَبُوسٍ لَّكُمْ لِتُحْصِنَكُم مِّن بَأْسِكُمْ فَهَلْ أَنتُمْ شَاكِرُونَ " ﴾[3] .

﴿ ذكر العلامة الصاوى فى تفسير الآية : أنه مر به ملكان على صورة رجلين فقال أحدهما للأخر : نعم الرجل الا أنه يأكل من بيت المال فسأل الله أن يرزقه من كسبه فألان الله له الحديد ، فكان يعمل منه الدروع بغير نار كأنه طين فى يده[4] ، بل كان يطويها ، ويعتدلها ، ويقطعها كيفما شاء ، إلانة من الله تعالى له ، قال ﷻ ﴿ " وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُودَ مِنَّا فَضْلا يَا جِبَالُ أَوِّبِي مَعَهُ وَالطَّيْرَ وَأَلَنَّا لَهُ

---

(١) سورة هود الآية ٣٧ .

(٢) سورة هود الآية ٣٨ .

(٣) سورة الأنبياء الآية ٨٠ .

(٤)العلامة الصاوى – حاشية العلامة الصاوى على شرح الجلالين جـ٣ ص٨٥ .

الْحَدِيدَ أَنِ اعْمَلْ سَابِغَاتٍ وَقَدِّرْ فِي السَّرْدِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ " ﴾[1] .

والدروع هى اللبوس ، لأنها تلبس ، وهو أول من صنعها ، وكانت الدروع تصنع قبله صفائح متصل بعضها ببعض ، فلما صنعها داود عليه السلام كانت حماية لهم من أعدائهم ، وقادرة على إمكانية التغلب عليهم ، وتغير شكلها إلى الأفضل ، بحيث تتحقق بها المصلحة الكاملة .

وبين الله تعالى أن هذه الصناعات جاءت مع كل الأنبياء متماثلة ، حتى تتحقق كافة ألوانها والمنافع المتعلقة بها ، قال تعالى : ﴿" لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ وَأَنزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ وَرُسُلَهُ بِالْغَيْبِ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ " ﴾[2] .

والحديد فيه بأس شديد من حيث استخدامه فى وسائل الحرب والدمار ، وفيه منافع للناس فى المواصلات والعمارة والبناء والوسائل الضرورية ، وأدوات العلاج وأجهزته وأدواته والمعامل ، وغيرها مما يتعلق بمنافع الناس على الناحية التى شرعها الله عز وجل .

---

(1) سورة سبأ الآيتان ١٠/١١ .

(2) سورة الحديد الآية ٢٥ .

كما أن الحديد أمكن تطوير استخداماته وما يزال ، فصار هو وسيلة المواصلات المتميزة ، والطهى ، والترفيه ، وفيه الكثير من متع الحياة كلها ، وهى منافعه ، كما أن فيه وسائل التدمير الشديدة ، وهو البأس الشديد[1] .

كذلك تحدث القرآن الكريم عن نبى الله سليمان بن نبى داؤد – عليهما وعلى نبينا أفضل الصلاة والسلام – وأن الله تعالى علمه الصناعات الفنية ، حتى أمكنه أن يضبط عمل الجن ، ويقوم بالإشراف عليهم من الناحية الفنية ، قال تعالى﴿ " وَلِسُلَيْمَانَ الرِّيحَ غُدُوُّهَا شَهْرٌ وَرَوَاحُهَا شَهْرٌ وَأَسَلْنَا لَهُ عَيْنَ الْقِطْرِ وَمِنَ الْجِنِّ مَن يَعْمَلُ بَيْنَ يَدَيْهِ بِإِذْنِ رَبِّهِ وَمَن يَزِغْ مِنْهُمْ عَنْ أَمْرِنَا نُذِقْهُ مِنْ عَذَابِ السَّعِيرِ يَعْمَلُونَ لَهُ مَا يَشَاءُ مِن مَّحَارِيبَ وَتَمَاثِيلَ وَجِفَانٍ كَالْجَوَابِ وَقُدُورٍ رَّاسِيَاتٍ اعْمَلُوا آلَ دَاوُودَ شُكْرًا وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ " ﴾[2] .

من ثم فقد تعلم الناس من الأنبياء المنافع كلها فى العقيدة والشريعة والأخلاق والصناعات الضرورية التى بها تستقر أمورهم الحياتية ، وما كان لهم أن يستقلوا بها لو حاولوا ، بل كانوا محتاجين للشرع ، وهو من فوائد بعثة الرسل – رضوان الله عليهم أجمعين – وذلك مما يقربه العقلاء ، وينكره الحمقى ، ويردوه الجهلاء .

على أن الدارس للمسألة يمكنه القول بأن أصول الصناعات والمهن الحرفية تعلمها الناس من أنبيائهم[3] ، ثم أخذوا فى تطوير تلك الأصول ، واستحداث

---

(١) ومعنى البأس : القوة ، وهى محتملة فى منافع الحديد ، وقوته معا .

(٢) سورة سبأ – الآيتان ١٢/١٣ .

(٣) والآيات القرآنية التى سبق ذكر بعضها من الشواهد عليه .

طرائق جديدة فى ذات الصناعة طبقا لقاعدة استفادة اللاحق من السابق . ولولا الأنبياء ما عرفها الناس .

وقد بعث الله الأنبياء والمرسلين فى أقوامهم ، وجاءت معهم معجزاتهم تطويرا لإمكانيات القوم الذين بعثوا فيهم ، بل وتجيء فى كل مرة أعلى من إمكانيات الأقوام الذين بعثوا فيهم ، كالطب الذى تفوق فيه قوم عيسى عليه السلام . فجاء طبه أعلى من كل أنواع طبهم[1].

وسيدنا موسى عليه السلام الذى بعث فى قوم كان السحر طبعا لهم ، وتقنية يقومون بها ، وقد برعوا فيه حتى ضرب بهم المثل لإتيانهم به على أوجه شتى ، فجاءت المعجزة معه أعلى من أسحارهم ، حتى أنهم راحوا يبحثون لماذا غلبهم وفيم هذه الغلبة ، وما سر هذا التفوق[2] ، فكانوا يحاولون تقليده ، ويطورون فيها فلما عجزوا ، أدركوا أنه نبى لا محالة ، وأنه مؤيد بخير السماء[3] ، وأنه نبى مرسل من قبل الله عز وجل .

من ثم فإن العقول الصحيحة تقر بتفوق النبى على كل أقرانه . وتميز الأنبياء عن غيرهم ، وتكشف السر الدفين ، وهو أن العقول وحدها لا تستقل بمعرفة تلك الأمور ، وانما لابد من مدد أعلى فوق كل العقول ، وهذا المدد ليس

---

(١) لأنهم فى طبهم كانوا يعالجون الأمراض ، أما هو ففى طبه تم له إحياء الأموات بإذن الله ، والفرق كبير.

(٢) الأستاذ / توفيق محمود – دراسات فى النبوة ص٣٥ .

(٣) فخروا له ساجدين قال تعالى ﴿ " وَأُلْقِيَ السَّحَرَةُ سَاجِدِينَ قَالُواْ آمَنَّا بِرِبِّ الْعَالَمِينَ رَبِّ مُوسَى وَهَارُونَ " ﴾ سورة الأعراف الآيتان ١٢٠/١٢٢ ، وقال تعالى ﴿ " فَأُلْقِيَ السَّحَرَةُ سُجَّدًا قَالُوا آمَنَّا بِرَبِّ هَارُونَ وَمُوسَى " ﴾ سورة طه الآية ٧٠ .

سوى النبى المبعوث من قبل الله تعالى إلى ذات الأمـة ، والرسـول المبلـغ تعـاليم الله لذات القوم .

❁ قال العلامة البيضاوى ، ومن فوائد البعثة أن يقـر النبـى المرسـل فيـهم قواعـد العدل المقيم لحياة النوع ، ويعلـم الصناعـات الضروريـة النافعـة المكملـة لأمـر المعاش[1] والمعاد ، حتى يحقق لهم الفوائد الجمة ، والمنافع الكثيرة .

◈ وربما تسألنى : أن الصناعات منها ما هو حاجى ، ومنها ما هو ضـرورى ، وهـى فى ذات الوقت خفية ؟ ألا يصلح فيها التطوير العقلى بعيدا عـن الرسـل وبعثة الأنبياء ؟

✍ **والجواب** : أننا نقصد الأسس الأولى التى قامت عليـها الصناعـات ، لا نقصـد التطورات التى حدثت لها ، فإن هذه الأصول والأسس قامت على أيدى الأنبياء والرسل – عليهم السلام –[2] ، أمـا تطويـر تلـك الصناعـات فذلـك شـأن العقـل الإنسانى ودور من أدواره ، وإلا كان عقـلا مـهملا لا يسـتحق الاهتمـام بـه أو العناية .

❁ وذكر العلامة الاصفهانى : من فوائد البعثة على طريقـة الحكمـاء ، أن يعلـم النبى الصناعات الضرورية النافعة المكملة لأمر المعاش ، مستدلا بقول الله تعالى فى داود عليه السلام : ﴿وَعَلَّمْنَاهُ صَنْعَةَ لَبُوسٍ لَّكُمْ لِتُحْصِنَكُم مِّن بَأْسِكُمْ فَهَلْ أَنتُمْ

(١) القاضى عبدالله بن عمر البيضاوى – طوالع الأنوار ص٤٣٤ .

(٢) القاضى عبدالله بن عمر البيضاوى – طوالع الأنوار ص٤٣٤ .

شَاكِرُونَ " ﴾[1]، وفى نوح عليه السلام يقول الله ﷻ ﴿ " وَاصْنَعِ الْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيِنَا وَلا تُخَاطِبْنِي فِي الَّذِينَ ظَلَمُواْ إِنَّهُم مُّغْرَقُونَ " ﴾[2]، ثم يقول :

ولا شك أن الحاجة إلى الغزل والنسيج ، والخياطة والبناء ، وما يجرى مجراها أشد من الحاجة إلى الدروع ،وتوقيفها على استخراجهم ضرر عظيم ، فوجب بعثة الأنبياء لتعليمها[3] ، وتعريف الناس بها ، حتى تتحقق لهم المنافع القائمة فيها ، المرتبطة بها .

الفائدة التاسعة : معرفة تفاصيل الطاعات والمعاصى

لا شك أن العقل وحده لا يستطيع التعرف على الأمور التى تقوده إلى الخير فى الآخرة ، كما لا يهتدى إلى معرفة الأفعال المنجية فيها بحيث يأتى بها[4] على وجه الكمال والصواب المرتضى من الله تعالى .

لأنه إن تصورها بوجه من الوجوه ، فإنه لا يمكنه التعرف عليها بما فيه الكفاية ، كذلك لا يمكنه التعرف عليها من ناحية العلم بها أو الأداء ، إلا عن طريق النبى[5] ، لأن العقل قد يؤدى فعلا يظنه طاعة ، بينما هو عين المعصية .

---

(١) سورة الأنبياء الاية ٨٠

(٢) سورة هود الآية ٣٧ .، وقال تعالى ﴿ " فَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِ أَنِ اصْنَعِ الْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيِنَا فَإِذَا جَاء أَمْرُنَا وَفَارَ التَّنُّورُ فَاسْلُكْ فِيهَا مِن كُلٍّ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ إِلا مَن سَبَقَ عَلَيْهِ الْقَوْلُ مِنْهُمْ وَلا تُخَاطِبْنِي فِي الَّذِينَ ظَلَمُوا إِنَّهُم مُّغْرَقُونَ " ﴾ سورة المؤمنون الآية ٢٧ .

(٣) العلامة أبوالثناء شمس الدين بن محمود بن عبدالرحمن الأصفهانى – مطالع الأنظار على طوالع الأنوار ص٣٢٦، وبالهامش تقريرات العلامة السيد الشريف الجرجانى .

(٤) لان الإتيان بها معناه القيام عليها بأكمل وجه ، بحيث تكون تامة كاملة .

(٥) الشيخ محمود فؤاد – دراسات فى النبوة والأنبياء ص٣١ .

أما الرسول فهو كالطبيب الذى يميز الأدوية المفيدة للصحة من السموم المهلكة ، فيوقف المريض عليها ، ويعرفه بالصواب فيها ، ويفصل عنه الضار ، وكذلك الحال مع النبى المرسل إلى قومه[1] ، فإنه يكون أعلى من الطبيب ، لكون النبى معصوما عن الخطأ ، وبعيدا عن الأغراض الشخصية ، وليس كذلك حال الطبيب .

ثم إن العقل محصور فى حدود ملكاته ، وهى منحصرة فى وسائله المعرفية[2] ، ولما كانت الجزاءات غير واقعة فى الدنيا ثوابا أو عقابا ، وانما وقوعها فى الآخرة ، فإن العقل لا يعرف تلك التفاصيل فى الأفعال ، بل ربما لا يستطيع تذكرها ، أو القيام بوصفها على نحو محدد .

كما أن الشواهد المعاشه فى الأنظمة الحياتية تريك أقواما عاشوا مظلومين يائسين فقراء محرومين ، وقد نالت منهم الأمراض ، وطحنت فيهم الآلام ، وتربعت على أحلامهم ساعات الليل الظليم ، ثم رحلوا دون أن تقع لهم شىء من أمور النصرة أو الغلبة على أعدائهم[3] ، أو النيل من خصومهم وظالميهم .

بل ربما عاش الظالم منعما ، والمتسلط متجبرا ، والنامّ سعيدا ، والفتان الكذاب راضيا والسارق بما سرق هانئا ، ولم يقع لهم شىء من سوء العاقبة ، أو جزاء العمل ، أو شر المنقلب فى دار الدنيا ، وربما يمتد معهم العمر .

---

(١) الكمال ابن أبى شريف – المسامرة بشرح المسايرة ص١٨٨ .

(٢) الوسائل المعرفية الحسية خمس « ١) السمع ، ٢) الشم ، ٣) الذوق ، ٤) اللمس ، ٥) البصر » ، وهى غير المعرفة العقلية التى وسيلتها العقل ، وغير المعرفة الإلهامية التى وسيلتها ومصدرها الإلهام ، ثم هم جميعا غير المعرفة النقلية التى مصدرها النقل المنزل .

(٣) ذلك مما لا ينكره عاقل ، لأنه يجرى فى دنيا الناس كواقع معاش .

فهل يستطيع العقل أن يدرك تلك الأمور ، ويقرر متى ينال المظلوم حقه فيسترده ، ويقع على الظالم عقبى ما قدمت يداه ، أو يستطيع العقل الإنسانى التحرك فى ناحية الإجابة على هذا التساؤل منفردا ، ويضمن السلامة أو النجاة ، ان ذلك ليس ممكنا أبدا فى دار الدنيا ، لأنه لم يقع .

ولكن يتم ذلك فى دار أخرى لم تقع بعد ، وهى الدار الآخرة التى فيها الخلود لا محالة ، ولكن من ذا الذى يعرف الدار الآخرة ، لا يعقل أن يكون هو العقل لأنه يجهلها تماما ، ويجهل كل ما فيها ، كما أن وسائله المعرفية[1] ليس لها علاقة بها ، وبالتالى فإن الذى يقرر الدار الآخرة ، ويصورها على ناحية دقيقة ، كما يصور توزيع الجزاءات فيها هو الشرع لا محالة ، ولا يكون ذلك إلا عن طريق الرسول الآتى من قبل رب العالمين .

❁ يقول أحد العلماء : إن الإنسان لا يمكن أن يكون قد خلق للحياة فحسب ، لأن عمر الإنسان محدود ، وقد يقضيه أو بعضه فى متاعب وآلام ومعاناة لأمراض وأسقام ، ومقاساة الشدائد والحرمان ، وقد يعيشه مظلوما مهضوم الحق من قوى متسلط ظلوم ، فمتى يرفع عنه الظلم ، وينال حقه ، وقد يحيا المرء ظالما غشوما مغتصبا لحقوق الآخرين ، فمتى يجازى على ظلمه ؟! [2].

إن الراحة من العناء ونيل المظلوم حقه ، والظالم جزاءه ، إنما يتم فى حياة أخرى يتوفر فيها كل من الراحة والنعيم لمن هو أقام شرع الله فيها ، والعذاب

---

(١) المقصود بالوسائل المعرفية هنا « ما كان من قبيل الحواس الخمس ، أو العقل ، لأن فى كليهما القصور » .

(٢)الإمام محمد عبده – رسالة التوحيد ص٩٠ نقلا عن عصمة الأنبياء ص٢١/٢٢

والشقاء لمن يستحقهما عدلا من الله تعالى ، ولكن كيف تكون المحاسبة على الأعمال ، وتحديد الثواب أو العقاب لكل منهما ، وتفصيل ألوان النعيم ، وأنواع العقاب فى حياة خالدة دائمة .

إن العقل البشرى لا يمكنه أن يصل وحده إلى معرفة كل هذا عن الحياة الأخرى ، فلابد إذن من معرفتها عن طريق الدين والرسل[1].

ثم إن الثواب والعقاب ، والعمل والجزاء كلها أمور تحتاج ترتيبا بعينه ، بحيث لا يقع الخلط فى المفاهيم بين أعمال الخير ، وتأخير حصول الأجر والثواب عليها ، وأعمال الشر ، وتباطؤ وقوع العذاب أو العقاب على فاعليها ، ولا يكون ذلك مدركا من العقل ، لأنه قاصر عن التعرف عليها أو الوصول اليها ، وانما ذلك مصدره الشرع الذى يجىء به الرسول ، من ثم كانت تلك المسألة من فوائد البعثة[2] ، التى يجيء الرسول من قبل الله تعالى مبلغا بها ، معلنا عنها ، داعيا إليها .

كما أن العقل ربما افترض ثوابا وعقابا ، لكن تفاصيل كل من الثواب أو العقاب تظل غائبة عنه ، فمن أين له أن يعرف درجات الجنة ، ودركات النار[3] ، ومن أين يعرف وصف ارض الجنة ، وأشجارها وأبارها وأنهارها ، وأنعمها التى خلقها الله فيها تفضلا منه جل علاه ، ورحمة للطائفين .

---

(١) الإمام محمد عبده – رسالة التوحيد ص٩٠ نقلا عن عصمة الأنبياء ص٢٢/٢١

(٢) وقد ذهب إلى ذلك كل من الإمام البيضاوى ، والاصفهانى ، والسعد ، والعضد ، وذلك مدون فى مؤلفاتهم الكلامية .

(٣) لأن الجنة درجات ، أما النار فهى دركات أشدها حرا أدناها إلى القعر .

بل من أين له أين يعرف تمايز الأفراد فى النعيم حتى أن بعضهم تتعدد معه الجنان قال تعالى : " ولمن خاف مقام ربه جنتان[1] ، فتكون لواحد جنة ، كما تكون لواحد جنتان ، إلى غير ذلك من ألوان النعيم ، التى أخبر عنها رب العالمين .

إن العقل وحده لا يمكنه من التعرف على وجود الحور العين ، والأوصاف التى لا تنطبق الا عليهم ، من مبان لأجسادهم ، وجمال فيها ، وبكارة دائمة ونضرة لا تشوبها ناحية من نواحى الذبول ، إلى أخر ألوان النعيم التى جاء بها الذكر الحكيم[2] ، وعبر عنها الرسول الكريم ﷺ بجانب بيان لمن يكون ذلك النعيم .

ولن تكون للعقل الإنسانى بهذه الأمور أية معرفة موثقة ، إلا إذا جاءت عن طريق النقل المنزل ، وهو الشرع الشريف الذى يجيء به النبى المرسل من قبل الله تعالى ، من ثم كان ذلك من فوائد بعثة الرسل .

ولو عكسنا الأمر فى تفاصيل العقاب ، فقلنا من أين للعقل معرفة عذاب القبر أو نعيمه . بل من أين له معرفة سؤال الملكين للميت فى قبره ، فضلا عن أن تكون له حياة فى برزخه قائمة لها نواحيها الخاصة ، وقوانينها التى لا تتمكن كل العقول من معرفتها أو مجرد تصورها ، ولن يكون ذلك ممكنا للعقل ، إنما يتحقق معرفته بالشرع الذى يأتى مع الرسول المبعوث .

---

(١) سورة الرحمن الآية ٤٦

(٢) قال تعالى : ﴿ " فَجَعَلْنَاهُنَّ أَبْكَارًا عُرُبًا أَتْرَابًا لِأَصْحَابِ الْيَمِينِ " ﴾ (سورة الرحمن الايات ٣٦/٣٨)

بـل مـن أيـن للعقـل معرفـة ﴿ " أن الذيـن شـقوا فـى النـار لهـم فيـها زفـير وشهيق " ﴾[1]، وأنهم فى نارٍ أحاط بهم سرادقها وان يستغيثوا يغاثوا بماء كالمهل يشوى الوجوه بئـس الشـراب وسـاءت مرتفقـا[2] ، وأن ذلـك العـذاب سـيبقى لهـم خالدين فيها ، ما دامت السماوات والأرض إلا ما شاء ربك .

ومن أين للعقل معرفة أن الله أعـد للكـافرين سلاسـل وأغـلالا وسـعيرا . قـال تعالى : ﴿ " هَلْ أَتَى عَلَى الانسَانِ حِينٌ مِّنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُن شَـيْئًا مَّذْكُـورًا إنَّـا خَلَقْنَـا الانسَانَ مِن نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَّبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعًا بَصِيرًا إنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إمَّا شَاكِرًا وَإمَّا كَفُورًا إنَّا أَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ سَلاسِلا وَأَغْلالا وَسَعِيرًا " ﴾[3].

لاشك أن العقل متى عرف تلك الأنواع مـن النعيـم ، وطـالع تلـك الصـور مـن العقاب وأنواع الجحيم هرب من السيئ إلى الحسن ، ومن الصالح إلى الأصلح ، ومن أعمال الشر إلى أعمال الخير ، طعما فى المثوبة ورضوان الله تعالى ، ولكن لا طريـق إلى معرفة ذلك الا بالشرع الشريف . فكان ذلك من فوائد بعثة الرسل .

وقد حرص علماء الإسلام من أهل السنة والجماعة على بيان فوائـد البعثـة . بالنواحى التى أمكنهم الوصول إليها[4] ، وقد ذكروا ما ذكروه على سـبيل المثـال لا

(١) سورة هود الاية ١٠٦ ،قال تعالى : " فأما الذين شقوا ففى النار لهم فيها زفير وشهيق "

(٢) سورة الكهف الاية ٢٩ – ومطلع الأية : " وقل الحق من ربكم فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر انـا اعتدنا للظالمين نارا "

(٣) سورة الإنسان الآيات ١/ ٤ .

(٤) راجع فى هذا الشأن – شرح المقاصد للعلامة السعد ، والمواقف للعلامة العضـد ، والمطـالب العاليـة للعلامة الرازى وغيرها من مؤلفات أهل السنة والجماعة .

على سبيل الحصر ، حتى يفسحوا المجال لعدها وبيان المزيد ، وبالتالى فقد ظل الباب مفتوحا لكل من يجد فوائد أخرى تضاف إلى ما سبق ذكره من فوائد .

الفائدة العاشرة : وضع قانون عام يضبط حياة المكلفين :

ذلك أن الإنسان كائن مخلوق ، وله طبيعة ذاتية ، تتحقق معه حينما يكون فى بنى جنسه ، فإذا تخلى عنهم أو انعزل فانه حتما يموت ، لأن المنافع جلبا والمضار دفعا ، لا تتم إلا بالمشاركة القائمة فى النوع الإنسانى على ناحية من النواحى المكنة .

ثم إن الرغبات فيما بين الأفراد متنازعة ، والمضار فيما يقع لهم متبادلة ، فما يراه فرد رغبة واجبة التحقيق بالنسبة له ، قد يراه غيره مضرة ناجزه ، يجب دفعها على كافة الأنحاء ، وذلك كله يقع فى أمرين .

- **الأمر الأول : المعارضة**[1] : وهى المقابلة التى تكون فى المهن والصناعات والأعمال[2] ، التى يقع فيها شيء من التعارض فى الأداء ، وإنما تسمى معارضة لأن كل فرد من أفراد النوع الإنسانى يعمل شيئا لا يعمله الأخر ، فالصانع يعمل غير عمل الطبيب . والمهندس غير الفلاح . والطابع غير العالم . والناسخ غير الناسج ، والحداد غير البناء ، والنجار غير التاجر ، وهكذا فليس كل النوع الإنسانى علماء ، ولا تجار[3] ، ولا صناع أو رعاة .

(١) وهى المقابلة على سبيل الممانعة ، واصطلاحا إقامة الدليل على خلاف ما أقام الدليل عليه الخصم - التعريفات للجرجانى ص١٩٥ .

(٢) المعجم الوجيز باب العين ص٤٤١ .

(٣) راجع كتابنا : الغزاليات فى السمعيات ص٨١ .

وبالتالى فإن كل واحد من بنى الإنسان يعارض الأخر فى الأمر المتعلق بـه ، بحيث تقع مصالح المجتمع كلها على سبيل المعارضة أداء للمنافع ، وتحقيقا لها ، ودفعا للمضار وإبعادا لها . وعلى هذا فالمعارضة هنا هى المخالفة فى الصنائع والأعمال ، وسائر المنتجات العقلية ، والبدنية التى يقع فيها التشارك أو التخالف .

■ **الأمر الثاني : المعاوضة** : هى المقابلة فى نتاج المعارضة ، فالمعاوضة مبادلة بعوض مادى أو معنوى[1] ، وتسمى معاوضة ، لأن فيها تبادلا بين الأفراد فى البيع والشراء ، وكل ما كان على سبيل المعارضة ، فالخباز يبيع للطبيب نتاج عمله ، وهو الخبز ، والطبيب يبيع للخباز نتيجة مجهوده الفكرى ، وهو الفحص الدقيق للمريض[2] ، على الوجه الذى تصح به حياة كل منهم .

وكذلك المهندس يشترى من الفلاح البذور والألبان ، وما كان من نتاج الفلاح[3] ، ثم يبيع للفلاح ما تمكنت عقليته من التعرف عليه كالسيارة ، والمحراث ، وآلة الرى والسماء ، وما يقى النبات من أمراضه ، وهكذا يقع للناس جميعا المعارضة فى الصنايع والأعمال ، والمعاوضة فى الأجور والبيع والشراء .

وهذه المعاوضة فى النتائج لو تركت للناس وحدهم ، فربما غالى كل فى صنعته ، واعتز بها ، وتمسك بعدم البذل لها ، وإن بذل فقد يطغى بها على فعل

(١) المعجم الوجيز باب العين ص٤٤١ .

(٢).فكل منهم له مهنة خاصة ، ووظيفة قائمة ، فهم يتعارضون فى الأداء ، بمعنى أن كل واحد منهم يؤدى ما لا يؤديه الأخر ، ثم يتعاوضون ، فهذا يعطى ذاك ، وذلك يأخذ من هذا .

(٣) هذه مجرد أمثلة ، وليست للحصر ، لأن لك عملية يصعب الوقوف على كل جزئية فيها .

غيره . حيث يظن العلو بصنعته ، والنزول بصنائع غيره ، وحينئذ يغلى سعر ما صنع هو[1] ، ويبخس ما صنع غيره ، وكل سيفعل ذلك .

ومن ثم كان الجميع بحاجة إلى قانون عام ينظمها ، حتى لا يطغى أحد على حق الأخر ، بأن يأخذ منه ببخس ويبيعه غاليا[2] ، وسوف يتكرر ذلك فى كل أفراد المجتمع . وبالتالى لن يحدث بيع أو شراء .

ثم أن الناس فيهم مشاعر حب الذات ، والرغبة فى التملك ، ودافع التعلق بالحياة ، ومناجاة الأنا[3] ، وهو قاسم مشترك بين أفراد النوع ، وحينئذ سيقع الناس فى سلب وظلم ، وغصب يؤدى كله إلى التقاتل ، وحينئذ يختل نظام المجتمع ، ويسود فى الناس عنصر الاضطراب والقلق ، ولا تتحقق الخلافة على ناحية الأعمار فى الأرض ، وإنما سيقع الفساد المنهى عنه شرعا .

إذن لابد للناس من قانون عام ينظم هذه التعاملات سواء على سبيل المعارضة . أو على ناحية المعاوضة ، كما يحفظ بينهم العدل الذى شرعه الله لهم بحيث يعرفهم طرائق تطبيقه على النحو الأمثل ، باعتبار أن طبيعة الناس فيها محبة الغلبة ، وشهوة الانتصار ، حتى قيل فى الأمثال :

لو أن كل كلب ألقمته حجَرا ∴ لكان الصخر منها كالدنانير

---

(١) الشيخ سلامة عبدالحكيم الجوهرى – حاجة البشر إلى الرسالة ص١١٢ .

(٢) هى سمة من سمات العقل البشرى ، وطبيعة من طبائع النفوس الإنسانية .

(٣) الدكتورة ليلى بنت محمد المفرح – الأنا والذات – دراسة سيكولوجية ص٤٣ .

﴿❁﴾ يقول العلامة المرعشي : لما كان الإنسان محتاجا فى تعيشه إلى أشياء مثل الغذاء والمسكن واللباس ، والشخص الواحد لا يتيسر له تحصيل هذه الأمور إلا بأمرين :

[١] مشاركة آخرين من بني نوعه . [٢] معارضة تجرى بينهما .

بأن يزرع هذا لذاك ، ويخبز ذلك لهذا ، ويخيط أحدهما للأخر ، وذلك الأخر يعمل له الإبرة ، وهو الصانع ، وعلى هذا قياس سائر الأمور ، فالإنسان يحتاج فى معاشه إلى الاجتماع على المعاوضة[1] ، التى تسبقها ضرورة المعارضة .

وذلك لا ينتظم إلا إذا كان بينهم عدل قائم ، لأن كل واحد يشتهى ما يحتاج اليه ، ويغضب على من يزاحمه ما يشتهيه ، فيقع التنازع ، ويختل أمر الاجتماع ، ويشمل الناس الهرج ، وهو القتل والمرج ، وهو الاختلاط ، بحيث تلتبس الحقوق بالواجبات ، ويختلط الحق بالباطل .

ولما كانت الوقائع المفتقرة إلى العدل غير متناهية ، وقع الاحتياج إلى قانون كلي يحفظ العدل ، وذلك القانون هو المسمى بالشرع ، الذى يجيء به النبى أو الرسول ، حتى يطبقه فى الناس . لما هو معروف من أن الشرع لابد له من شارع واضع له ، ولابد أن يكون الشارع ممتازا بالآيات الظاهرة والمعجزات الباهرة ليصدقه الناس ، لئلا تقع مزاحمه الكاذب بدعوى ذاك[2]، وذلك لا يكون الا بالنبوة والرسالة .

---

(١) العلامة المرعشى – نشر الطوالع ص٣٣٣ .

(٢) العلامة – المرعشى الشهير بساجقلى زاده –نشر الطوالع ص٣٣٣/٣٣٤ الطبعه الأولى ١٣٤٢هـ/١٩٢٤م – مكتبة العلوم العصرية .

ربما يقال : ألا يمكن للناس أن يتفقوا فيما بينهم ، أو يتواضعوا على صيغة معينه يديرون بها شئون حياتهم من غير حاجة إلي النبى ، وهو المسمى فى أعراف الناس بالقانون الوضعى؟[1] ، أو التعاقد الاجتماعى ، أو غير ذلك من الصيغ التى تحل تلك المسألة ؟

والجواب : أن ذلك القانون الوضعى المفترض لا يملأ هذا الفراغ ، بحيث يحصل النجاح كما لا يحقق ذلك الارتباط الدائم والاضطراد الثابت ، فى حياة الناس جميعا ، فى كل عصور حياتهم ، والأزمان التى تتكرر معهم .

أما لماذا ؟

فلما يلى :

[١] إن أنماط الحياة الدنيوية مختلفة ، والعقول البشرية قاصرة ، فإذا وضعت ذات العقول القاصرة قانونا فلاشك انه سيكون فى حدود إمكانيات العصر الذى ظهرت فيه تلك العقول ليعالج المشكلات الموجودة فى عصرهم فقط[2] ، ومن وجهة نظرهم وحدهم . فإذا ظهرت مشكلات مستجدة ، أو تقدمت السنون بحيث ظهرت مشكلات جديدة ، تحتاج معالجات مستجدة ، لم يتطرق إليها القانون الذى صنعه البشر ، فقد تلاشى ذلك القانون الوضعى لأنه يفتقد الدوام[3] ، وبالتالى فلا يحل محل الشرع ولا يغنى عنه .

---

(١) سواء كان فى المعاملات المالية أو التجارية أو غيرها أو هو القانون العام ، أو فى جانبها الإدارى إلى أخر ما يتعلق بتلك القوانين .

(٢) الشيخ سلامة عبدالحكيم الجوهرى – حاجة البشر إلى الرسالة ص١١٥ .

(٣) ولذلك تتعدد القوانين والتعديلات لها ، واللوائح لأنها من وضع البشر ، وهم قاصرون .

[٢]إن واضعيه فيهم من النقص الذاتى ما يجعل داخلهم يفرض ذاته على مفردات القانون الوضعى الذى صنعوه . ولذا سيعمل كل على أن يكون القانون لصالحه هو بغض النظر عن مصالح الآخرين[١]، ومن ثم فلا يصلح أن يكون ذلك القانون عاما بقدر ما يمكن اعتباره ممثلا لمصالح الذين صاغوه فى فترة زمنية محددة .

[٣]إن الواضعين لتلك القوانين البشرية وان كانوا نابهين وفى النبوغ قائمين ، الا أنهم لا يقفون على حقائق الأمور من ناحية وجهها الصحيح للأفراد والجماعات فى الأزمنة المختلفة ، والأمكنة المتعددة مع اختلاف العادات والبيئات والثقافات ، وذلك أمر لا يجحده عاقل ، ولهذا يختلف البشر ، ويتنازعون فى وضع قوانين مما يؤدى إلى الفساد والاضطراب . ولا منجى من هذا كله ، ولا عاصم إلا أن تكون القوانين من خارج البشر المتنازعين ، يعنى من ألطاف الإله الحكيم الخبير ، الذى يوحى بها إلى المصطفين الأخيار من عباده ، فيحكمون بين البشر بما أنزل الله إليهم ، ويثبتون ما أختلف فيه الناس[٢] ، حتى يكون على الوجه الصحيح شرعا .

[٤]لو أن هذا القانون وضعه الناس لبعضهم ما خضعوا له على وجه الأجمال ، لأنهم فطروا على عدم الخضوع لرأى من يماثلهم ، كما أن القائم بتنفيذه قد يعتقد أنه ارفع من واضعه فلا ينفذه بل يعمل على مخالفته[٣]، فيكون هو الاستثناء المفتوح الذى يخرق القاعدة من رأسها وينقضها من أصلها ، وكلما

(١) الدكتور محمود عبدالفتاح – نظرات فى القانون العام .

(٢) الدكتور : محمد أبوالنور الحديدى – عصمة الأنبياء ص٢٢/٢٣ .

(٣) الدكتور : عابد منصور عابد – دراسات فى العقيدة وعلم الكلام ص١١٤ – وزارة الأوقاف الإدارة العامة للمراكز الثقافية .

تعددت حالات الاستثناء وتكررت . تصير على مدى الأيام كثرة . فيكون الالتزام هو الاستثناء .

[٥]إذا فرضنا أن هذا القانون الوضعي صنعه الناس ، وطالبوا غيرهم الالتزام به ، فحتما سيقع هذا القانون في دائرة رغبة المخالفة له سواء من المؤلفين له الواضعين نصوصه . أو من المفروض فيهم أن يطبقوه على أنفسهم ، وفي دائرتهم[١] ، التي يعيشون داخلها ، أو يحاولون الاستمرار فيها .

وهذه المخالفة تؤدى حتما إلى التعطيل الكامل أو الجزئي لبعض البنود أو كلها ، وكم رأينا أمما عطلت دساتيرها ، وعالجت على الدوام القصور في قوانينها ، ولم ينفع التعطيل في الإصلاح ، كما لم يتمكن المتخصصون من معالجة أوجه القصور في القوانين[٢] التي وضعوها . لأنهم جميعا بشر ، وفيهم من أوجه النقص الكثير .

بل كلما وضعت الأمم قوانين ألغت السابقة عليها ، فما مضى وقت غير طويل الا وطولب بإهمال القوانين المستجدة لتحل بدلا منها الأحدث ، ويظل الأمر قائما على هذا النحو في كافة القوانين الوضعية وسيظل ، لأنها سمة فعل البشر .

⇦ إذن بان لنا ضرورة الحاجة إلى بعثة الرسل[٣]، وان العقول غير قادرة على اصطناع قوانين تكفل السعادة لمجتمعاتها ، أو تحقيق الأمن المنشود وتثبيته ،

---

(١) مثل ما يفعل الرؤساء والملوك من فرض قوانين استثنائية يخالفون بها القاعدة العامة .

(٢) سواء من مجموعه حمورابي أو مجموعه القوانين العامة التي وضعها جوستنياف الروماني – راجع تاريخ القانون .

(٣) الدكتور نصر الدين محمد عبداللطيف – النبوات ص١٢٣ .

فضلا عن أن تفرض العدل وتعيد للعقول ذات الهيبة والاحترام[1] ، بجانب المحبة والوئام .

ولا حيلة لتفادى ذلك كله إلا بالشرع الشريف الذى يأتى مع الرسول . وهو شرع الله ، والرسول مبلغ عن الله ، والخلق هم عبيد الله ، وهو سبحانه وتعالى العليم بأحوالهم ، وما يستجد لهم ، وذلك كله من فوائد بعثة الرسل ، ولا يتحقق بدونها .

مما سبق اتضح ما يلى :

[١]قصور العقول البشرية كلها عن وضع قانون عام ثابت مضطرد ، ينظم أمور حياتهم فى أشكالها المختلفة ، ويحقق العدل فيما بينهم .

[٢]إن أفراد المجتمع لا يمكنهم أن يضعوا وحدهم قانونا عاما مأمونا نظرا لاختلاف رغباتهم ، وتعارض المصالح فيما بينهم[2] ، وسيطرة العواطف على سلوكياتهم .

[٣]لو أنهم وضعوا قانونا فلن يتمكن من الوفاء بكافة المصالح التى يحتاجها أفراد المجتمع كلهم ، لعدم معرفتهم بأمور الغيب المستجدة .

[٤]ضرورة وجود رسول يحقق المصالح لجميع الأفراد ، وان يدين الناس له بالطاعة على سبيل الإجمال ، و ليس على سبيل الإفراد .

---

(١) الشيخ سلامة عبدالحكيم الجوهرى – حاجة البشر إلى الرسالة ص١١٧ .

(٢) الدكتورة ليلى بنت محمد المقدوح – الأنا والذات ص٥١ .

[٥] إن يكون هذا الرسول مختصا بأمر شرعى قائما به من عند ربه[١] ، يجزم من يتعرض له بأنه من عند الله نازل ، مع رسول مـن ربـه مرسـل ، مؤيـد بـأمر خارق للعادة هو المعجزة ، بجانب المثبتات الأخرى لنبوته .

[٦] إن هذا القانون السماوى تفرض فيه معرفة الله تعالى ، باعتباره الخالق الرازق المجازى جل علاه ، وهو الشارع الذى يجب أن يطـاع ، كما تحمـل نصوصـه قواعد العمل ، وترغب فى الطاعة ، وتحذر من المخالفة مـع مجـيء التكليـف فى عبارات تجرى بها الحياة[٢] ، تذكر الخلق بالخالق على الدوام .

[٧] إن يظل النص مع النبى مذكرا بالله تعالى ، مكررا على الأفهام مـا لهـذا الإلـه العظيم من جلال ، وكمال ومهابة ، حتى يستمر الإنسـان متذكـرا عظمـة الله تعالى ، وقدرته ، وسائر كمالاتة ، فيلتزم بهذا القانون ، ويعمل على تطبيقه والحذر من مخالفته ، وذلك كله من فوائد بعثة الرسل .

---

(١) الأستاذ محمد جمال الدين الأنور – دراسات فى العقيدة الإلهية ص٥٣ .

(٢) قال تعالى ﴿ " وَمَا أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلا بِلِسَانِ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ فَيُضِلُّ اللّهُ مَن يَشَاء وَيَهْدِي مَن يَشَـــاء وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ " ﴾ سورة إبراهيم الآية ٣ .




الفصل الرابع
حكم بعثة الرسل

عرضنا فيما سبق تعريف كل من النبى والنبوة والرسول والرسالة ، كما ذكرنا فوائد البعثة حسب توفيق الله تعالي ، وها نحن نتعرض لمسألة هامة نالت عناية فى الفكر الإسلامى ، وهى مسألة حكم إرسال الله الرسل ، باعتبار إن هذه المسألة نالت إهمالا داخل فكر منكرى النبوة والرسالة[1] ، كما أنها لم تنل حظها من الدراسة إلا عند مفكرى الإسلام وحدهم ، ولذا سنتناولها على النحو التالي :

[أ] فى الفكر الإسلامى[2] :

لا شك أنه قد ظهرت فى الفكر الإسلامى آراء حول دراسة المسألة . من ناحية الحكم العقلى يمكن حصرها فيما يلى :

الرأى الأول : القائلون بالجواز

وهو رأى أهل السنة والجماعة ، وبخاصة الأشاعرة ، لأن البعثة عندهم " لطف من الله تعالى ورحمة يحسن فعلها ، ولا يقبح تركها "[3] ، ولا يجب على الله تعالى شىء أبدا ، ولما كان الجواز عقليا ، فإنها جائزة[4] ، بناء على حكم العقل أيضا .

---

(١) منكرو النبوة والرسالة لا اعتداد بهم ، ولا نلتفت إليهم ، لأنهم منكرو البدهيات .

(٢) هناك فرق بين النقل المنزل قرآن وسنة ، وبين محاولات فهم النقل المنزل ، فالأول هو الإسلام ، والثانى هو الفكر الإسلامى .

(٣) الإمام السعد – شرح المقاصد جـ٢ ص١٢٩ .

(٤) الأستاذ فاضل عبدالباقى – النبوات بين المثبتين والمنكرين ص٩٥ ط أولى ١٩٥١م .

الرأى الثانى : القائلون بالوجوب عن الله لطفا وصلاحا

وهو رأى المعتزلة ومن وافقهم الذين يقولون أن البعثة فيها فوائد لا تحصى ، يقع بها صلاح حال النوع كله فى المعاش والمعاد ، ولا يتمكن العقل من معرفتها وحده ، فوجب عن الله تعالى إرسال الرسل لطفا بهم ، وصلاحا لهم حتى تنهض حياتهم .

الرأى الثالث : القائلون باللزوم لأنها سبب الخير العام المستحيل تركه

وهم الفلاسفة ومن تجرى مجراهم الذين يقررون وجوب إرسال الرسل ، وبعث الرسل من باب اللزوم ، لأنه بها مصالح يستحيل فى الحكمة تركها ، كما أن العناية الإلهية تستلزمها ، قال السعد قال الفلاسفة لكونها سببا للخير العام المستحيل تركه فى الحكمة والعناية الإلهية[1] ، ويدخل فى هذا الرأى الفلاسفة المسلمون .

الرأى الرابع : القائلون أنها من مقتضيات الحكمة الإلهية فيستحيل تركها ، وإلا لم تتحقق الحكمة الإلهية

وهم جماعة من الماتريدية[2] ، لأنها - إرسال الرسل - من مقتضيات حكمة البارى ، ويستحيل تركها حتى لا يقع الأمر فى دائرة السفه أو العبث ، وهو محال على الله تعالى[3] ، ولكونه فى علم الله الأزلى قائما ، فيجب وقوعه لاستحالة

(١) الإمام السعد - شرح المقاصد جـ٢ ص١٢٩ .

(٢) هم أتباع أبى منصور الماتريدى ، وهم أحد جناحى أهل السنة والجماعة .

(٣) الأستاذ فاضل عبدالباقى - النبوات بين المثبتين والمنكرين ص٩٨ .

الجهل على الله تعالى ، وإلا كان عالما جاهلا فى وقت واحد ، وهو محال أيضا على الله تعالى ، فثبت أن بعثة الرسل من مقتضيات الحكمة الإلهية .

[ب] فى الفكر غير الإسلامى[1] :

المنكرون للنبوات لا يقرون بالحاجة إليها كما ينكرون وقوعها . إذ هم ينكرون الأصل الذى يقوم عليه ، وهو النبوة ، ولذا لا نجد عندهم مجرد إشارات للقول بها أو قبول الفكرة ، بل العكس نجد الإنكار لها هو السائد فى المسألة[2] على أكثر من جهة .

ومثلهم لا نطمع فى أن نجد لديهم حكما لها سوى الاستحالة . ومعناه أنهم يحيلون وجود بشر رسولا ، كما يرون استحالة تميز بشر بالاتصال العلوى . سواء كان الاتصال بالملأ الأعلى ، وعن طريق الملك أمين الوحى ، ومثلهم لا التفات له .

ونحن سنعرض الآراء فى المسألة لدى القائلين بالإثبات ، متابعة للاتجاه العام الذى ساد لدى مفكرى أهل الإسلام ، وبخاصة أهل السنة والجماعة ، لكنا سنبدأ بالأقدم وجودا :-

الرأى الأول : المعتزلة القائلون بالوجوب

ذكر العلامة السعد أن فوائد بعثة الأنبياء التى سلف ذكرها . هى التى جعلت المعتزلة ومن وافقهم يرون وجوب إرسال الرسل عن الله تعالى ، ولولا تلك

(١) المراد بالفكر الغير إسلامى ، ما كان أصحابه أو القائمون عليه بعيدين عن الإيمان بالله تعالى ، غير مصدقين برسالة سيدنا محمد ﷺ ، وعمومها للإنس والجن .

(٢) الأستاذ رضوان عبداللطيف حسن – منكرو النبوات وموقف الإسلام منهم ص١٥ .

الفوائد لكان للقوم رأى آخر ، بمعنى أن إرسال الرسل واجب عن الله ، لما فيه من مصالح وحكم ، بجانب المنافع التى لا يصح إهمالها .

كما أنهم أوجبوها على الله تعالى ، لأنها لطف وفيها صلاح ، وأمر يقرب العبد من الطاعة ، ويبعده عن المعصية ، واللطف واجب على الله تعالى لأنه أصلح للعباد[1] . وكل ما كان فيه صلاح للعباد . ومنفعة محققة . فوجب عن الله تعالى وقوعها .

◈ لكن ما هو اللطف أولا ؟

✍ **الجواب** : أن اللطف هو الفعل الذى يقرب العبد إلى الطاعة ، ويبعده عن المعصية مع بقاء اختياره ، كخلق العقل ونصب الأدلة ، وإرسال الرسل . وما أشبه ذلك[2] ، من الأفعال عن الله تعالى ، وفيها تقريب العبد إلى طاعة مولاه ، وإبعاده عن كل ما يغضب الله جل جلاله[3] ، من غير تحديد لمفردات ما يقع عليه اللطف .

وقدم الأمام محمد عبده فى حاشيته على العقائد العضدية ما يراه الشيخ أبو دقيقة فصلا حاسما فى مسألة القطع بالمعنى المراد من لفظ الأصلح ، ولفظ الوجوب عند المعتزلة بحيث يكشف عن أصل مذهبهم نذكره فيما يلى :

---

(١) الشيخ محمود أبو دقيقة – القول السديد فى علم التوحيد ص١٦٠ – تحقيق أ.د: عوض الله حجازى – ط مجمع البحوث الإسلامية ١٤١٥هـ/١٩٩٥م .

(٢) المصدر السابق ص١٤٨ .

(٣) الأستاذ رضوان عبداللطيف حسن – منكرو النبوات وموقف الإسلام منهم ص١٩ .

يقول " قد قطع البرهان " بأن الواجب – وهو الله تعالى – لا يجوز أن يكون عابثا فى أفعاله ، بل لا بد أن تكون أفعاله مبنية على الحكمة التامة ، وأنه ليس شىء مما يبرز فى عالم الوجود[1] بقاصر عن المصالح التى لولاه لم تكن فى الوجود .

بل ربما كان يختل به نظام كل موجود كما يعلمه المحقق ، فإذا التفتنا إلى تعداد تفصيل هذه الحكم والمصالح فقد ندرك الحكمة بوجه ، وقد لا ندركها من ذات الوجه . فعدم إدراكنا لها لا يوجب عدمها . لما قد قام من البرهان[2] . من أن عدم الإيجاد . ليس معناه عدم الوجود .

فقول المعتزلي يجب على الله الأصلح يحتمل وجهين :

[١] أن كان يريد به ما ذكر من ضرورة كونها مبنية على الحكمة التامة التى تقع فى مظاهر الكون . وإذا لم تكن موجودة . اختل نظام كل موجود – فنعم . ولا خلاف لأصحابنا معه ، بل هو من تلك الناحية قريب من أراء غيره الذين يعتد برأيهم فى المسألة . لأن أهل السنة والجماعة يقررون أن أفعال الله تعالى قائمة على الحكمة ، ولا شىء منها خال من الحكمة ، أو عنها ، فإذا كان وجوب الأصلح عند المعتزلة معناه عدم خلو الأفعال الإلهية من الحكمة . فهذا أمر لا خلاف فيه . وبخاصة من جانب الماتريدية لأنهم لا يجوزون العبث على الله تعالى .

---

(١) عالم الوجود يقابله عالم العدم ، وكلاهما مقدر فى علم الله تعالى ، بناء على أن الإعدام مقدرة ، لأنها مخلوقة . قال تعالى ﴿ " الذي خلق الموت والحياة ليبلوكم أيكم أحسن عملا وهو العزيز الغفور " ﴾ (سورة الملك الآية ٢) ، فكلاهما مخلوق .

(٢) الإمام محمد عبده – حاشية على العقائد العضدية ص٢٣٥ .

[٢] وإن كان المعتزلى يريد من وجـوب الأصلح علـى الله عنـده أنـه يجـب عليـه أن يراعى المصالح حسب ما نحن نفهمه ، وندركـه فذلـك ضـرب مـن الجهالـة ، كأنه يريد أن يضرب قانونا لا يجوز لله تجاوزه على حسب عقله السخيف[1] . الذى يوصف بالجهالة أيضا ، متى أراد فرض معارفه على الأفعال الإلهية .

✪ ثم أن المعتزلة يختلفون فـى الموضـوع الـذى يجـب علـى الله تعـالى فيـه فعـل الأصلح للعبد ، حيث يقع هذا الاختلاف فى ناحيتين كل منـهما تمثـل فرقـة من فرقتى المعتزلة .

◄◄ الناحية الأولى : معتزلة بغداد .

وهم الذين يقررون أنه يجب على الله تعالى ، فهل الأصلـح للعبـد فـى الديـن والدنيا ، وجوبا ذاتيا عن الله تعالى ، فكل ما فيــه الأصلـح للعبـد مـن أمـور الديـن وأمور الدنيا ، ولا يتحقق إلا به فهو واجب على الله تعالى من هـذه الناحيـة ، ولا يكون من الحكمة خلو الفعل عن كونه صلاحا ،أو داخلا فـى نطـاق الأصلـح ، كمـا قرروا ضرورة وجود الأصلح فى الحكمة والتدبير.

ويكون معنى الأصلح عندهم هـو الأصلـح فـى حكمـة الله وتدبـيره بـالنظر إلى العبد نفسه[2] ، وهو الذى فهمه العلامة الجلال الدوانى على العقـائد العضديـة ، بينما ذهب عبدالحكيم إلى أن الخيالى يرى أن المراد بوجوب الأصلح للعبد الحكمـة والتدبير بالنسبة لفعل الله تعالى[3] ، بالنسبة لفعل غيره .

---

(١) الإمام محمد عبده – حاشية على العقائد العضدية نقلا عن القول السديد جـ٢ص١٥٠/١٥١ .

(٢) وهذا المعنى يجعل اللفظين يتواردان على شيء واحد من كل الوجوه ، وهو ليس محل اتفاق .

(٣) الشيخ محمود ابو دقيقه – القول السديد جـ٢ ص١٥٠ .

◄◄ الناحية الثانية : معتزلة البصرة

وهم الذين يقررون أنه يجب على الله تعالى أن يفعل الأصلح للعبد فى الدين والدنيا ، وهو الأنفع له ، وعرفه القاضى عبدالجبار بقوله « أن الأصلح فى باب الدين ، إنما نريد به فعل ما يكون المكلف عنده أقرب إلى أداء ما كلف من الواجبات العقلية ، ولا ترجع بذلك إلى جنس مخصوص »[1] . منها إذ كلها داخلة فى نطاق الأصلح .

والملاحظ أن المعتزلة يفرقون بين أمرين لابد من بيانهما :

▣ الأمر الأول : من الذى يجب أن تبعث إليه الرسل ؟[2]

▣ الأمر الثانى : لماذا وجب إرسال الرسل .

◄◄ **والأول : هو الذى يقبل التكليف طبقا لإمكانياته ،** وللفوائد التى قامت عليها البعثة ، ولهذا الوجه ، وجبت البعثة عن الله تعالى لما فيه من مصلحة لذات المكلف يقول القاضى عبدالجبار :

أعلم أنه إذا صح أن الذى يبعث له الرسول تعالى هو ما ذكرناه من تعريف المصالح من الوجوه التى بيناها فلا شبهة فى أن ذلك واجب ، كما أنه تعالى إذا كلف فلابد من أن يجب التمكين للمكلف حتى يقوم بما كلف به ، وإزاحة العلل بالألطاف ، وما شاكل ذلك ، فإن كانت البعثة لا تحسن الا لهذا الوجه الذى

---

(١) القاضى عبدالجبار – المغنى الأصلح جـ ١٤ ص٦١ ط الهيئة المصرية للكتاب .

(٢) لا يقال أن الذى يجب أن تبعث إليه الرسل هو الإنسان وحده ، أو الجان وحده ، وإنما هم يسألون عنه من ناحية التكليف ، لا من ناحية الجنس أو النوع .

ذكرناه – وجوب تمكين المكلف وإزاحة العلل بالألطاف –[1] ، التى هى من صفات الله تعالى .

فلابد إذن من أن يقترن الوجوب والحسن فى كل حال ، وان كانت قد تحسن لوجه ، فالواجب أن ننظر فى ذلك ، فربما وجبت مع حسنها ، وربما لم تجب بحسب قيام الدلالة[2] العقلية أيضا .

ثم أن المعتزلة ربما قالوا بظاهر اللفظ من الوجوب تمشيا مع المذهب السائد حكايته عنهم ، من أن أفعال الله تعالى وأحكامه معللة ، وهذه العلل جارية مجرى الاضطراد فى الأفعال الإلهية[3] ، وكذلك الأحكام ، فكل فعل من أفعاله تعالى محكم ، ومعلل بعلة راجعة إلى شيء ما ، بحيث يستحيل ظهور الشيء خاليا عن الحكمة القائمة فى العلة .

يقول العلامة الأصفهانى : اتفقت المعتزلة على أن أفعاله تعالى ، وأحكامه معللة برعاية مصالح العباد ، لأن الفعل الذى لا غرض فيه عبث ، والعبث على الحكيم محال . فثبت أن أفعاله تعالى وأحكامه راجعة إلى رعاية مصالح العباد أنفسهم[4] ، تنزيها لله تعالى عن الغرضية فى فعله تعالى من ناحية رجوع الغرض إليه .

---

(١) راجع فى هذا الشأن : دراسات فى الفكر الاعتزالى ص١١٢ للأستاذ أيمن الطويل .

(٢) القاضى عبدالجبار – المغنى – التنبؤات والمعجزات جـ١٥ ص٦٣ .

(٣) هذا ليس محل اتفاق لدى جمهور المعتزلة ، وإنما يذهب إليه متأخروهم .

(٤) الأستاذ أيمن الطويل – دراسات فى الفكر الاعتزالى ص١١٥ ط أولى ١٩٨١م .

كما يقول مصورا المسألة عند المعتزلى والسنى : أعلم أن المعتزلة يقولون فعل الحكيم لا يخلو عن غرض هو الداعى إلى ذلك الفعل ، وإلا لزم الترجيح بلا مرجح . والفقهاء يقولون :الحكم بالقصاص . إنما ورد من الشارع لينزجر الناس عن القتل[1] ، فهذا هو الغرض منه ، ثم المجتهدون يفرعون على ما ورد عن الشارع من المنع ، والإذن فيما لم يصرح الشارع حكمه فيه على وجه يوافق الغرض .

ومن الناس من يقول : الغرض سوق الأشياء الناقصة إلى كمالاتها ، فإن من الكمالات ما لا يحصل الا بذلك السوق ، كما أن الجسم لا يمكن أن ينتقل من مكان إلى أخر الا بتحريكه ، وهو الغرض من تحريكه ، فبعض الأغراض من غير توسط الفعل الخاص يمتنع تحصيله ، والمتنع ليس بمقدور عليه[2] ، عند من يذهب إلى أنه معدوم لا يتعلق به الخلق ، وهو رأى المعتزلة حسب ما فهمه العلامة الأصفهانى ، وتحقيقا لفائدة أكبر يحسن ذكر رأى أهل السنة فى هذه النقطة لما فيه من فوائد[3] ، باعتبار أنه متى أمكن الوقوف على رأى كل منهما ، فإن الفائدة تكون قائمة .

قال العلامة الأصفهانى : وأهل السنة يقولون أنه تعالى فعال لما يريد ، ليس من شأن فعله أن يتصف بالقبح ، وكثير من الناقصين يعدمهم قبل استكمالهم ، وكثير من المتحركين يحركهم إلى غايات حركاتهم ، ولا يسأل عما يفعل بلم ولا

---

(١) ليست الغرضية هنا إلا من باب اجتهاد صاحب الرأى ، أما نحن فلا نسلم له به .

(٢) العلامة الأصفهانى – مطالع الأنظار ص٤٠٥ .

(٣) العلامة الأصفهانى – مطالع الأنظار على طوالع الأنوار ص٤٠٥ .

كيف[1] . وإلا كان فعله تعالى محل اعتراض لا محل تسليم ، والفـرق بينـهما هـو ذات الفرق بين الإيمان والكفر .

إذن لابـد مـن وضـع مفـهوم الوجـوب الـوارد فـى مفـردات المعتزلـة حسـب العبـارات المنقولـة عنـهم[2] . وإلا كـان اسـتخداما للفـظ فـى غـير مـراد أصحابـه المصطلحين عليه ، ومن ثم لا تأتى النتائج متوافقة مع المقدمات[3].

فإذا فرضنا أن معنى وجوب المعتزلة فى إرسال الرسل قائم على معنى سـابق ثبوته فى العلم الإلهى ، فقد صاروا متكلمة ما وراء النهر فى المسألة سواء[4] ، فإذا حمل المعنى فى وجوب متكلمة المعتزلة على معنى مغاير كان لابد من ضرورة وجود مسوغ له ، بحيث يخرجه عن الذى ذهب إليه مشاركوهم فيه من الماتريدية .

ثم أن متكلمة ما وراء النهر جعلوا إرسال الرسل من مقتضيات حكمه البارى فى العناية الإلهية ، والمعتزلة جعلوا الوجوب حسب ما هو فـى علم الإله ثـابت مكتوب . فأى فرق بين الأمرين حتى يكفر بالقول به أحدهما وهو المعتزلة . ومـا قصد أحدهما بالوجوب الحتمية والضرورة التى تفرض من خارج الذات على ما هو مفهوم الوجوب بالمعنى المعتاد ، وهذا الذى أميـل إليـه ليـس الغـرض منـه تبرئـة متهم ، ولا اتهام برىء ، وإنما الغرض بيان أن خلاف القوم فى بعض المسائل كان مسبوقا بالعداء المذهبى . وهو من الجنايات على الفكر الإسلامى .

---

(١) المصدر السابق ص٤٠٦ .

(٢) المصدر نفسه .

(٣) لأن توافق المقدمات مع النتائج أمر مهم ، وإلا كانت المسائل خارج نطاق المقبولات العقلية .

(٤) حيث يذهب متكلمة ما وراء لنهر إلى أن ما سبق وجوده فى العلم الإلهى يجب إيجاده فى الواقـع علـى وفق ما فى العلم ، ويستحيل عدم وجوده .

قال العلامة البوصيرى [1].

وإذا البينات لم تغن شيئا ∴ فالتماس الهدى بهن عناء

وإذا ضلت العقول على علم ∴ فماذا تقوله النصحاء

رب إن الهدى هداك وآيا ∴ تك نور تهدى بها من تشاء [2]

من ثم فإن الوجوب عن الله فى إرسال الرسل الذى تحدث عنه المعتزلة هنا . لا يجب أن يفهم على المعنى الذى قد يدور فى أذهان الآخرين ، وهو أنه يجب على الله تعالى ذلك على سبيل القهر والغلبة ، أو سبيل الفرض من خارج الذات ، وانما معناه وجوب تعريف العباد بفوائد البعثة ، وما فيه مصالحهم فى المعاد والمعاش ويكون الوجوب على العبد لا على الرب جل علاه [3] ، وتلك مسألة مهمة جدا .

---

(١) هو العلامة شرف الدين العارف بالله ، إمام الشعراء ، وشاعر الأولياء ، أبو عبدالله محمد بن سعيد الصنهاجى ولد بدلاص من المغرب بلد أمه الثلاثاء أول شوال ٦٠٨هـ ، ووالده من بوصير فركبت نسبته إلى بلدى والديه فصار الدلاصيرى ، ثم غلبت نسبته إلى بلد أبيه فصار البوصيرى .
وهو مغربى الأصل كان بحرا من العلوم والمعارف ، رقى العديد من الوظائف حتى عين مباشرا للشرفية ببلبيس ، التقى بقضى الدين الشاذلى مؤسس الشاذلية وبأبى العباس المرسى خليفة الشاذلى ووجد البوصيرى نفسه فى التصوف والصوفية ، وظل على حاله حتى بلغ به ما بلغ فهجر الوظائف ، رغم أنه على قمتها ، وسكن بالروضه بالقاهرة ، واتخذ لنفسه مكتبا يعلم فيه البنين والبنات القرآن وعلوم الدين ، وعاش موفور الكرامة إلى أن توفى ٦٩٦هـ بالإسكندرية .

(٢) ديوان البوصيرى وأمل أن يجد باحث فى نفسه إمكانيات الكتابة عن البوصيرى ، وجهوده فى الأديان فله فيه باع طويل ، وبخاصة قصيدته اللامية – راجع المخرج والمردود على النصارى واليهود .

(٣) لأنا ننزه البارى على أى معنى للوجوب عليه تعالى الا ما أوجبه تعالى على نفسه .

بحيث إذا قيل يجب عند الله تعالى إرسال الرسل وبعثة الأنبياء ، فإن الأمر يكون أقرب قبولا ، وأبعد عن نسبة الشيء إلى غير قائله ، ويكون الوجوب قائما على معنى الإثبات والكتابة في العلم الأزلي ، وهو أمر مقبول على الناحية الشرعية ، جاءت به النصوص المنزلة في القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة الصحيحة .

فإذا سألت ما معنى الكتابة في العلم الأزلي[1] .

كان الجواب : أن علم الله الأزلي فيه تكليف المكلفين بما يتمكنون منه ، من غير إلزام لهم في ما لا يطيقونه ، وهذا الإثبات في العلم الأزلي هو المعبر عنه بالوجوب الكتابي ، فكل مكتوب في علم الله تعالى ، ومن ثم فهو واجب عنده تعالى لا واجبا عليه ، والفرق بين المعنيين كبير جدا[2] لمن تأمل العبارة .

من ثم قرر المعتزلة : أن ثبات النظام في العالم ، واستقرار الأحوال ، بحيث يؤدي إلى صلاح أحوال النوع الإنساني على وجه العموم ، في أمر المعاش الدنيوي من تعريف بما يفيده ويضر ، سواء كان ذلك في الأغذية والأدوية[3] ، أم في المنافع والمضار ، وما يتحقق به كل من الأمن والعمران .

أو كان مما يتعلق بأمر الآخرة ، وهو المعاد وصولا إلى رضوان الله تعالى ، والسعادة في الدار الآخرة ، وإن ذلك كله لا يتم الا ببعثة الأنبياء ، فهي إذن

---

(١) سواء في اللوح المحفوظ ، أو ظل في علم الله على ما يعلمه الله جل علاه .

(٢) فالواجب عنده هو المكتوب في قضائه الأزلي ، وبهذا المعنى يفرق بين الواجب عنده ، والواجب عليه من حيث الألفاظ .

(٣) سبقت الإشارة إلى أن ذلك من فوائد بعثة الرسل .

واجبة عنده تعالى ، لارتباط المصالح بها ، بجانب أن فيها لطفا من الله وصلاحا لعباده ،على ما هو ثابت في علمه الأزلي[1]، وجار في حكمته العليا .

أما الفلاسفة : فقالوا أنها لازمة لحفظ النظام العام ، باعتبار أن الناس يقعون في معارضة ومعاوضة فيحتاجون إلى شخص أعلى من الجميع تكون له الرياسة والزعامة[2]، بحيث يضع لهم القوانين التي تنظم حياتهم ، وتحقق العدل فيما بينهم ، وذلك لا يكون إلا من خلال شخص هو الرسول[3] ، والقانون هو الشرع[4]، من ثم كانت البعثة عندهم لازمة لحفظ نظام العالم لزوما يتعلق بصالح ذات النظام .

ولا شك أن اللزوم نوع اقتضاء ، كما أن الوجوب الذى قال به المعتزلة نوع ملاءمة ، فثبت أنهما قريبان في المعنى ، وان تباعدت المفردات المستخدمة في العبارات . وبناء عليه فلا يكون المعتزلة قد خرجوا على الفكر الإسلامى . وأن الألفاظ التي استخدموها يمكن حملها على معنى يتوافق معهم كمفكرين مسلمين ، لهم دورهم البارز في خدمة الدين الإسلامى ، أبان مرحلة هامة من مراحل وجوده .

---

(١) لأن ما هو مقضى به فى علم الله الأزلى يجرى به القدر الإلهى أيضا .

(٢) فى كافة النواحى ، وهو الرسول الآتى من قبل الله تعالى . راجع منكرو النبوات وموقف الإسلام منهم ص٧٣ .

(٣) سنتعرض لهذه بشىء من التفصيل عند حدثنا عن مثبتات النبوة .

(٤) الأستاذ / فاضل عبدالباقى – النبوات بين المثبتين والمنكرين ص١٠٢ .

الرأى الثانى : القائلون بلزوم بعثة الرسل

يقرر الفلاسفة المسلمون أن هناك علاقة بين بعثة الرسل والعناية الإلهية ، تقوم هذه العلاقة على أن العناية الإلهية هى إحاطة علم الأول جل علاه ، بالكل ، وبالواجب أن يكون عليه الكل ، حتى يكون على أحسن النظام ، وبأن ذلك واجب عنه تعالى لا عليه ، وجوب لزوم ، لا وجوب إلزام .

وعن إحاطته به فيكون الموجود وفق المعلوم الأزلى ، القائم فى علم الله تعالى على أحسن النظام ، من غير انبعاث قصد ، وطلب من الأول الحق[1] ، لأنه تعالى عالم بكل شيء ، علم إحاطة وانكشاف .

ومن هذه الإحاطة كما فهم الفلاسفة المسلمون يأتى أمر إرسال الله تعالي الرسل ، حتى يكونوا الدرة التى تصلح نظام العالم ، وتصون قوامه ، أما لماذا ؟

فلأسباب منها :

[١]أن الإنسانى مدنى بطبعه يحتاج إلى بنى جنسه للمؤاكلة والمشاربة والمؤانسة ، وحتما يقع بينهم كأفراد ما به واقع فى أمورهم فهذا يعمل زارعا ، والثانى مهندسا ، والثالث معلما ، وهكذا كل منهم يقوم بأعمال من شأن جملتها أن يقع التكامل فيما بينها ، على سبيل المعارضة .

[٢]أن هذه الأعمال يقع فيها شيء من الاعتزاز أو الاغترار ، كما يقع فيها الكثير من الاعتداد بالصنعة ، والغلبة فى الجودة ، ولو من وجهة نظر أصحابها ، وكل يغتر بصنعته ، ويرى أنها الأفضل[2] ، من صناعات غيره .

---

(١) الشيخ الرئيس ابن سينا – الإشارات والتنبيهات جـ٣ ص٢٩٨/٢٩٩ – تحقيق د: سليمان دينا – دار المعارف ، وكتابنا : الإلهيات عند ابن سينا .

(٢) وهذا شيء فى طبع أغلب الناس عدا الكاملين ، وهم قلة يمكن تمثيلهم فى الأنبياء ثم الأولياء .

[٣]لابد أن يقع لهؤلاء الأفراد تبادل فى المنافع ، ودفع المضار ، فلا الخباز يعيش بالخبز وحده ، ولا الجزار يعيش باللحم وحده ، ولا الحداد يعيش على قطع الحديد التى يفلح فى استخراجها فى باطن الأرض ، فضلا عن تطويعها ، وإعداد المنافع منها ، من ثم فلابد للزارع والفالح والجازر والتاجر ، من مقايضة تتم فيها مبادلة تلك السلع ، وهو المعروف باسم المعاوضة للشيء بغيره . وهذه المعاوضة تحتاج ميزانا ثابتا ونظاما عادلا[١] . يقوم عليه أمر الناس فيما بينهم .

[٤]إن الأفراد ليس بإمكانهم وضع هذا النظام أو صنع ذلك الميزان ، لأنه سيحمل صفاتهم التى منها الضعف والاعتزاز بالنفس ، والرغبة فى الغلبة ، ومحاولة إجهاض الآخرين إلى أخر ما فى الإنسان من جوانب سلبية[٢] . تنم عنها حياته فى إحدى صورها ، وإذا وصلت الأمور إلى هذا الحد فحتما سيقع التقاتل والتعارك ، وتسيل الدماء ، ويعم الخراب ، ويغلب على الناس الفساد بأوجهه المختلفة بحيث لا يظهر الا الفساد فى كافة ألوانه وأشكاله ، وذلك أمر محتوم .

[٥]حينئذ سيصرخ أولو النهى قائلين نريد نظاما عادلا ، وقانونا عاما نرضى به جميعا ، ونعيش فى رحابه آمنين ، لكن من ذا الذى يصنعه لنا ، والعقول قاصرة عن القيام به[٣] ، مهما كانت الثقة فى إمكانياتها .

---

(١) لأنه سيكون الفيصل فى تقيم تلك المهن والصنائع . راجع للأستاذ رضوان عبداللطيف حسن : منكروا النبوات وموقف الإسلام منهم ص٥٧ .

(٢) كالغدر ، والخسة ، والنفاق ، وحب المال إلى أخر هذه السلبيات .

(٣) الأستاذ فاضل عبدالباقى – النبوات بين المثبتين والمنكرين ص٩٨ .

من ثم فلا يكون هناك من محيص الا وجود البعثة والرسالة ، وعندئذ يتحقق العدل ، ويقام الميزان القسط[1] ، بين الناس جميعا ، وتجرى فيهم روح التعاون ، وتسود المحبة ، ويتحقق الأمن .

[٦]طبقا لهذا فإن البعثة تكون لازمة للكون حفظا للنظام العام الذى يستحيل فى الحكمة الإلهية تركه ، لأن البعثة لو لم تتم لوقع الخسران ، وانهدم العمران ، وتهاوى مشيد البنيان ، وساد الفساد ، وانعدم الأمان .

[٧]أن هذا النظام لا يحفظ إلا بالنبى الفاضل ، الذى يسود كافة المفضولين ، ويرأس جميع الأجناس التى فضلها ، ويكون معه الوحى ، الذى ينزل بالرسالة لصلاح عالمى البقاء والفساد علما وسياسة[2] دنيا وأخرى .

[٨]كما أن الرسول هو المبلغ ما استفاد من الإفاضة المسماة وحيا . على عبارة استصوبت ليحصل بازائه صلاح العالم الحسى بالسياسة ، والعالم العقلى بالعلم[3] ، ومتى تحققت تلك الأمور ، فإن النظام العام سيبقى آمنا .

وذلك كله من لزوم حفظ النظام فى العالم الواجب عند الله تعالى لا الواجب عليه ، ولذا يستحيل فى علم الله تعالى . وحكمته وعنايته الإلهية ترك إرسال

---

(١) الأستاذ رضوان عبداللطيف حسن – منكرو النبوات ص٦١ .

(٢) ابن سينا – تسع رسائل فى الحكمة والطبيعيات – الرسالة السادسة فى إثبات النبوات ، وتأويل رموزهم وأمثالهم ص١٢٣ .

(٣) المصدر السابق ص١٢٤ .

الرسل[1] ، فوجب إرسال الرسل ، وبعثة الأنبياء ، وإنزال الكتب ، لما سبق القول به .

◄◄ الرأى الثالث : القائلون بأن بعثة الرسل من مقتضيات حكمة البارى وهم ماتريدية ما وراء النهر[2]

هنا يفرض للرأى الثالث من القائلين ببعثة الرسل ، لكن على معنى أن إرسال الرسل ، من مقتضيات حكمة البارى عز وجل ، وهم فريق الماتريدية .

حيث يذهبون إلى أنه ثابت فى علم الله الأزلى ، وقائم فى قضائه السابق إرسال الرسل ، وبعث الأنبياء ، فلابد أن يتم فى عالم الواقع مادام قد ثبت فى قضائه السابق ، وإلا انقلب العلم الإلهى جهلا ، وكان عدم الإرسال سفها ، والله منزه عن كل هذا ، فكان إرسال الرسل من مقتضيات حكمته تعالى بناء على ذلك .

لكن من هم متكلمة ما وراء النهر ؟[3] وما معنى مقتضيات حكمة البارى ؟[4].

والجواب : أن متكلمة ما وراء النهر اصطلاح يطلق على الماتريدية ، والأحناف معا عند عدم التخصيص ، فإذا قيل هذا رأى متكلمة ما وراء النهر

---

(١) وإلا وقع الاضطراب والإخلال بالنظام العام الذى لا يحقق مصلحة الخلافة فى الكون .

(٢) الماتريدية على وجه العموم ، سواء ماتريدية سمرقند ، أم غيرها .

(٣) هم الماتريدية ، والسمرقندية ، ويطلق عليهما الأحناف ، وما وراء النهر مصطلح جغرافى باعتبار الموقع وهم أتباع الإمام أبى منصور الماتريدى – رحمه الله – كما أن الأشاعرة أتباع الإمام أبى الحسن الأشعرى – رحمه الله – وهما معا يتكون منهم مذهب أهل السنة والجماعة .

(٤) فإذا لم يعرف القارئ مدلولات الألفاظ فانه يضرب فى فلاة لا يعرف أولها من أخرها .

فهم أنه للماتريدية والأحناف جميعا معا[1] ، باعتبار أنهم يمثلون مذهبا برأسه ، سواء كانوا ماتريدية بخارى ، أو ماتريدية سمرقند .

لأن ما وراء النهر هى البلاد الإسلامية المفتوحة فى فارس ، وما وراءها ممتدة فيما يعرف اليوم باسم آسيا وأوربا . بالجمهوريات الإسلامية التى ضمها رغما عن أهلها الشيوعيون تحت اسم الاتحاد السوفيتى[2] ، وسوف يمكن الله أهل الإسلام من الخروج عن هؤلاء الملاحدة ، وما ذلك على الله بعزيز .

ثم إن هذه البلاد دانت فى الفروع بالمذهب الحنفى[3]، ولذا يقال عليهم الأحناف ، كما يقال على المصريين والعراقيين شافعية ، ويقال على المغاربة مالكيه . ويقال على سكان الجزيرة العربية حنابلة . باعتبار المذهب الفقهى فى الفروع فقط ، أما الأصول العامة فهى واحدة عند الجميع ، وكذا يقال على العمانيين أباضية ، وعلى الإيرانيين زيدية ، وإمامية إلى أخر المذاهب الفقهية .

فإذا قيل الأحناف فى الأصول عرف أنهم مسلمو أهل بلاد ما وراء النهر ، ومنهم متكلمة ، وفيهم مفسره ، وبينهم محدثون ، ومؤرخون ونسابه ، وكذلك نحاة وعلماء بالقراءات وغيرها من العلوم الإسلامية .

---

(١) طالما أنه لم يخصص أحناف سمرقند من أحناف ماتريد ، أو خراسان أو غيرهما .

(٢) والحمد لله أن بعض هذه الجمهوريات الإسلامية بدأ فى استرداد هويته الإسلامية ، وتأمل أن تقف الحكومات الإسلامية مع تلك الدول الإسلامية ، حتى يتحقق لها الاستقلال التام ، ففى ذلك خير كثير .

(٣) المذهب الحنفى أسسه صاحب مدرسة الرأى الإمام الأعظم أبو حنيفة النعمان - راجع كتابنا المدخل التام لعلم الكلام ، وكان الإمام أبو حنيفة على رأس المجتهدين .

ثم أن أغلب علماء الأحناف قد نسبوا إلى محال الميلاد التى نشأوا بها ، والقرية التى ولدوا فيها . وربما تعددوا فى البلد الواحد . ومع هذا كان كل منهم يحمل اسم البلد ذات الذى ولد فيه ، وكان يمايز بينهم بالتواريخ والمدونات العلمية التى صحت لهم ، وظل ذلك إلى يومنا هذا ، كعلامة من علامات التميز لدى المفكرين المسلمين .

فمثلا : قرية ماتريد ، وهى تابعة لسمرقند[1] ، نسب اليها الإمام أبو منصور محمد بن محمد بن محمود الماتريدى ، وهو شيخ الماتريدية التى هى الجناح الثانى لأهل السنة والجماعة مع الجناح الأول لأبى الحسن الأشعرى حتى وصف أبو منصور بأنه أمام المتكلمين ومصحح عقائد المسلمين[2] ، والذاب عن بيضة الإسلام ، إلى غير ذلك من الألقاب التى وصف بها شيخ الماتريدية .

كما نسب إليها العلامة أبو القاسم إسحاق بن محمد الماتريدى ٣٤٢هـ ، مؤلف كتاب نقض المبتدعة عن السواد الأعظم على طريقة الأمام الأعظم أبى حنيفة النعمان فى الفروع والقضايا المذهبية .

وكذلك القاضى الحسين الماتريدى ، فقد كان رفيقا لأبى شجاع واليه انتهت الرئاسة فى أصحاب الأمام[3] ، وكانت له جهود كبيرة فى توضيح بعض أجزاء المذهب الفقهى ، وكذلك حمل دور القيادة لأتباع المذهب .

---

(١) العلامة السمعانى – الأنساب ص٤٩٨

(٢) العلامة التميمى – الطبقات السنية جـ٢ ص٤٩١ .

(٣) الوفاء القرشى – الجواهر المضية جـ٢ ص٣٤٤ .

كما نسب إليها جمع من العلماء ، ومنهم العلامة إسماعيل أبو منصور الماتريدى ، والذى نسب اليه القيام بشرح كتاب الفقه الأبسط لأبى حنيفة ، وله رسالة مخطوطة ، باسم رسالة أصول الإيمان ، ورسالة فى رأى أهل الضلال ومقالاتهم[1] ، وكان نموذجا يحتذى فى عرضه لقضايا العقيدة الإسلامية ، وكذلك مناقشاته لأصحاب العقائد الفاسدة .

ويسمى هؤلاء بماتريدية سمرقند ، كما يطلق عليهم أحناف سمرقند ، وقد انتشر فى بلاد ما وراء النهر العديد من الأفكار والطوائف ، فظهر فى تلك البلاد بعض المعتزلة ، كما ظهر فيها مذهب التجسيم للكرامية ، ومذهب الجهمية ، والقرامطة ، كما انتشرت فيها أراء غير إسلامية كالمانوية والديصانية ، والمرقيونية[2] ، وكلها كان لها وجود فى بلاد ما وراء النهر.

وهذه التيارات الفكرية ويـر الفكرية كان العلامة الماتريدى أبو منصور يقابلها ، ويحاول نقدها ،وتوجيهها نحو الأمثل مقتديا بالكتاب والسنة النبوية المطهرة الصحيحة ، متابعا الاتجاه العام فى فكر الأمام الأعظم أبى حنيفة النعمان ، وعرفوا باسم أحناف سمرقند .

كما ظهر أحناف فى بخارى وما حواليها ، وعرفوا باسم أحناف بخارى لظهورها على غيرها ، وكانت لهم آراء فى المسائل العقدية تميزوا بها عن أحناف

---

(١) الرسالة مخطوطة بجامعة القاهرة – المكتبة المركزية رقم ١٩٤٩٥

(٢) راجع العلامة المؤرخ ابن النديم – الفهرست ص٤٧٢– ٤٧٥ والمانوية نسبة إلى زعيمها مانى كما أن الديصانية نسبة لزعيمهم بن ديصان ، كذلك المرقيونية نسبة إلى زعيمهم مرقيون – راجع التبصير فى الدين ، وبيان الفرقة الناجية للأسفراينى .

سمرقند وأبانت عن جهودهم الفكرية[1] ، وإن كانوا جميعا يجمعهم اسم الأحناف ، مثال ذلك : الحكم على الأفعال بالحسن والقبح .

فأبو منصور ، وأكثر مشايخ سمرقند قالوا أن أكثر الأحكام متوقف على ورود الشرع بها ، والذى استلزمه وصف الحسن والقبح من الأحكام ، وجوب الإيمان بالله تعالى ، ووجوب تعظيمه ، وتنزيهه عن كل نقص ووجوب تصديق النبى ﷺ[2] فى كل ما يرد على لسانه ، أو يقرره باعتبار العقيدة والشريعة والأخلاق .

وقال أئمة بخارى من الحنفية ، لا يستلزم ثبوت وصف الحسن والقبح حكما لله تعالى أصلا فى فعل اختيارى للعبد ، فلا يجب إيمان ، ولا يحرم كفر قبل البعثة ، والأمر موقوف على ورود الشرع ، ومن هذا اتضح لك أن الأشاعرة والمعتزلة والحنفية اتفقوا على أن الحاكم فى كل شىء هو الله تعالى ، وانما النزاع فى انه هل فى فعل العبد الاختيارى حسن وقبح بهذا المعنى الأخير يقتضى أمرا ونهيا[3] ، أم يقع فى معنى أخر غير الوارد هنا .

وبذا نكون قد المحنا إلى أن متكلمة ما وراء النهر هم الأحناف سواء كانوا من سكان سمرقند ، وما حولها ، ويقال عليهم أحناف سمرقند ، أمن كانوا من سكان بخارى ، وما حولها ، ويقال عليهم أحناف بخارى ، وهم يذهبون إلى أن إرسال الرسل من مقتضيات الحكمة الإلهية .

---

(١) الشيخ نور الدين محمد سلطان – الماتريدية ص٥١ – ا لمطبعة الأيمنية بأذربيجان ١٩١٩م .

(٢) الأستاذ / فاضل عبدالباقى – النبوات بين المثبتين والمنكرين ص١٤٥ ، وكذلك القول السديد جـ٢ ص١٤٢ .

(٣) العلامة الشيخ : محمود أبو دقيقة – القول السديد فى علم التوحيد جـ٢ ص١٤٢ .

وأن هذا الفريق من المتكلمين له آراء قد توافق بعض آراء شيوخ المعتزلة الأوائل ، وقد تخالف بعض آراء شيوخ الأشاعرة[1] ، مما يؤكد أن الفكر الإسلامى ما يزال خصبا وسيظل ، سواء فى أثار الماتريدية ، أم فى أثار الأشاعرة وغيرهم ماداموا أهل الإسلام ، قائمين على النقل المنزل .

معنى مقتضيات حكمة البارى :

الأحناف يرون أن إرسال الرسل من لوازم وضروريات الحكمة الإلهية . ويسمى المقتضى الشرعى ، كما قد يسمى المقتضى العقلى[2] ، وإن كان بين المقتضيين فوارق واسعة ، كما بين الشرع والنقل ، باعتبار الصدق والمصدر ، ثم اليقين .

فعلى جهة الاقتضاء الشرعى ورود النصوص القرآنية بإرسال الرسل قطعا للأعذار ، وبيانا لمعرفة الله تعالى ، وتبصيرا بأمور الآخرة ، قال تعالى﴿" رسلا مبشرين ومنذرين لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل وكان الله عزيزا حكيما "﴾[3] ، فهو اقتضاء مشرعى لأنه قائم على أن إرسال الرسل كشف للناس الحقيقة عن معرفة الله تعالى ، كما قطع كافة الأعذار التى يمكن أن يلجأ إليها الكافرون .

وعلى جهة الاقتضاء العقلى أن الناس يحتاجون معلما ، ومرشدا فى أمور الدنيا ، وتبصيرهم بأحوالها من زراعة وتجارة ونجارة وحداده ، لعجز العقل عن

---

(١) وللعلامة ابن أبى عذبة رسالة فى نقاط الخلاف بين الأشاعرة والماتريدية قام بتحقيقها الزميل أ.د/ أحمد محمد على ليلة – رسالة ماجستير بكلية أصول الدين بالقاهرة .

(٢) المقتضى هو : ما لا صحة له إلا بإدراج شيء أخر ضرورة صحة كلامه ، كقوله تعالى ﴿ " واسأل القرية التي كنا فيها والعير التي أقبلنا فيها وإنا لصادقون " ﴾ سورة يوسف الآية ٨٢ – التعريفات للجرجانى ص٢٠٢ .

(٣) سورة النساء الآية ١٦٥ .

معرفة هذه الأمور من غير مرشد يكون مزودا بقدرات أعلى من قدراتهم ، وله اتصال بالملأ الأعلى ، ويتنزل عليه الوحى من عند رب العالمين .

لذا فإن الخلق يحتاجون الأنبياء لتعريفهم بأمور الآخرة ، ومعرفة الله تعالى ، وكيفية القيام بها على النحو الأمثل شرعا ، وهو دور النبى المرسل من حيث التعليم والإرشاد فى أمور الدين والدنيا[1]. وهو مفهوم مقتضى الحكمة الإلهية عندهم ، على جهة الشرع والعقل معا .

والملاحظ أن الماتريدية يقررون فى المسألة ما يلى:

- **أولا : أن إرسال الرسل من الله تعالى لعباده رحمة لهم** إنما هو مما دون فى القضاء الإلهى وسبق القلم بكتابته[2] ، وجار فى الحكمة والعناية ، وليس بمستحيل على الله تعالى أبدا بل هو أحد الجائزات ، إذ لا مستحيل على الله تعالى ، لأن الاستحالة أحد أجزاء الحكم العقلى ، وإنما يستحيل وصف الله تعالى بما لا يوصف به .

- **ثانيا : إن حفظ نظام الكون والتعريف بأمور المعاش والمعاد** ، وما ينفع فى الدنيا والآخرة ، مما هو فى علم الله الأزلى إنما يكون أمرا فيه ذات الحكمة ، والرسول هو المعلم والمرشد من غير تقاتل أو تنازع[3] . فكان إرسال الرسل من مقتضيات ذات الحكمة الإلهية .

---

(١) العلامة ابو منصور الماتريدى – التوحيد ص١٧٩/١٨٠ تحقيق د :خليف . .

(٢) ففى الحديث الشريف « قدر الله المقادير قبل أن يخلق السماوات والأرض بخمسين ألف سنة » صحيح الإمام مسلم ، وراجع كتابنا الإيمان بالغيب وأثره على الفكر الإسلامى .

(٣) راجع الحكمة من إرسال الرسل للشيخ عبدالقوى آدم ص١٤٣ أم درمان .

◄◄ **ثالثا : من ملازمات الحكمة الإلهية إرسال الرسل** حتى يعرفوا الناس الصواب ، وتميزه عن الخطأ ، والحق وكيفية فصله عن الباطل ، وطرق معرفة الله تعالى بالأدلة الصحيحة ، وذلك كله قائم أذلا فى علمه تعالى ، وثابت فى حكمته العليا .

◄◄ **رابعا : أن ما علم الله وقوعه فى الأزل ، ومدون فى كتابه المكنون** ، وجرى به القلم ، لابد من وقوعه على ما هو فى علم الله تعالى قائم ، والا لزم المحال من السفه[1] والعبث ، والله تعالى يستحيل عليه الوصف بالسفه ، أو العبث أو غيرها من النقائض ، تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا .

◄◄ **خامسا : أن ما علم الله تعالي وقوعه فيجب على النحو المدون** وإلا لزم الجهل والسفه والعبث ، وكلها محالات على الله تعالى ، فثبت أن إرسال الرسل من مقتضيات حكمته جل وعلا على كافة أوجه المقتضى ، سواء كان ذلك المقتضى هو الشرع أم العقل .

ربما يقال : ما الفرق بين لزوم الفلاسفة ، ومقتضى الحكمة عند الأحناف ؟ وكلاهما متقارب فى الغاية .

والجواب فيما يلى :

[١] **إن لزوم الفلاسفة** قائم على فكرة أن حفظ النظام العام الأكمل فى الكون الذى تقتضيه العناية الأزلية ، لا يتم بدون النبى المبين لقوانين العدل ، فالرسالة

(١) السفه عبارة عن خفة تعرض للإنسان من الفرح والغضب ، فيحمله على العمل بخلاف طور العقل وموجب الشرع – راجع التعريفات للجرجانى ص١٠٥ .

لازمة[1] ، من هذا الطريق ، واللزوم صادر عنه جل علاه ، طبقا لعلمه وإرادته جل علاه . **أما عند الماتريدية والأحناف** جملة فإن إرسال الرسل من مقتضيات الحكمة الإلهية لأنها مدونه فى العلم الأزلى ، وما فى علم الله غير ما فيه حفظ النظام العام ، **فلزوم الفلاسفة** قائم على حفظ النظام ، أما مقتضيات الحكمة **عند الماتريدية** فقائم على مراعاة ما فى علم الله الأزلى والفرق بينهما كبير جدا[2] ، ومن ثم فلا يقع على الفلاسفة المسلمين الحكم بأنهم خالفوا القواعد الشرعية .

[٢] أن **لزوم الفلاسفة** مبناه مراعاة فكرة الخير العام ، وكون الرسالة سببا لذلك الخير العام سواء فى طريقة تحصيلة أم فى المحافظة على استمراره . أما مقتضى حكمه البارى فجريان الإرسال على وجه الإمكان الذى تسمح به الإرادة الإلهية ، وفرق بين كونه قائما على فكرة الخير العام التى هى أقرب إلى فكرة الأصلح ، وبين فكرة كون الإرسال محكما فى كافة أحواله[3].

[٣] **إن لزوم الفلاسفة** قائم على مفهوم استحالة الترك ، وبالتالى وجوب الإرسال ولزومه ، مع أنه لا يستحيل على الله تعالى شىء . ولا يجب عليه شىء كذلك[4] ، وهنا يجب حمل الألفاظ على المعانى التنزيهية ، مجاراة لفكرتهم العامة . **أما عند الأحناف** فقائم على مطابقة ما فى القدر لما هو مدون فى

---

(١) الشيخ محمود أبو دقيقة – القول السديد جـ٢ ص١٦٠ .

(٢) لكن لمن تأمل المسالة ، أما العجلى فلا حديث لنا معهم ، كما أن هواة السطو على نتاجات غيرهم لا يدركون هذه الدقائق .

(٣) لأن فعل الله محكم كله – راجع كتابنا حصاد الاقتصاد فى الاعتقاد جـ٣ – الأفعال الإلهية .

(٤) وإلا كان عاجزا فى الأول ، ومجبرا فى الثانى ، وكلاهما محال فى حق الله تعالى .

القضاء ، باعتبار أن القضاء حكم ، وان القدر تنفيذ ما فى الحكم من حيث الألفاظ القرآنية التى تحكم بضرورة تفهيم القضاء فى القرآن الكريم على أنه الحكم الأزلى ، والقدر هو التنفيذ العملى[1] ، لما ذات الحكم ، وما جرى به القلم الإلهى .

[٤] **أن اللزوم عند الفلاسفة قائم فى اصله على أن الله تعالى فاعل بالإيجاب** الذاتى[2]. بينما مقتضى الحكمة **عند الماتريدية** ينتهى إلى أن الله تعالى فاعل بالاختيار على وجه الإجمال والتفصيل[3]، وهو المرجح عندنا نحن أهل السنة والجماعة ، كما أن التعبير بألفاظ الوجوب على الله تعالى فيه ضغط على عقيدتنا التى نلقى الله عليها .

فثبت أن إرسال الرسل عن الله تعالى من مقتضيات حكمة البارى جل علاه عند الماتريدية ومتكلمة ما وراء النهر على ما سلفت الإشارة إليه، ثم أنها لطف من الله ورحمة بعباده فى نفس الوقت ، وهو الذى نؤكده ونعتمد عليه .

« أدلة الماتريدية على أن البعثة من مقتضيات الحكمة الإلهية

لا شك أن متكلمة ما وراء النهر ، قد ذكروا العديد من أوجه الاستدلال على أن إرسال الرسل من مقتضيات حكمة[4] البارى جل علاه ، وذلك لما يلى :

---

(١) راجع كتابنا " الإيمان بالغيب " علاقة القضاء والقدر بالغيب ، وكذلك اللمع ، والإبانة ، غاية المرام .

(٢) الإيجاب هنا المراد به العقلى فقط ، ويستشهد له بقول الله تعالى ﴿ " قل لمن ما في السماوات والارض قل لله كتب على نفسه الرحمة ليجمعنكم إلى يوم القيامة لا ريب فيه الذين خسروا أنفسهم فهم لا يؤمنون " ﴾ سورة الأنعام الآية ١٢

(٣) لأنه مراعاة ما هو مكتوب فى علمه تعالى ، وذلك أمر مقرر فى الأفهام .

(٤) وهى غير مقتضى الحكمة عند الفلاسفة أو لزومه عند الفلاسفة ، كما ألمحنا إليه .

[١] بيان منافع خلق الأغذية التى يعيش عليها الإنسان فتؤدى إلى صلاح بدنه لا إلى هلاكه ، كالزراعة ، وكيفية استخراج الأغذية منها ، ومعرفة أنواع الحرف والتجارات التى تخدم هذا الغرض ، وكيفية إقامة وجه الصواب فيها[١].

[٢] معرفة اللغات واللهجات حتى يتمكن الناس من التخاطب بلغة تكون مفهومه للجميع ، مهما تفرق الناس فى الأوطان ، أو تباعدت بهم البلدان ، ويكون ذلك كله بالتعلم للعلم النافع المفيد[٢] ، إذن معرفة العلوم والمعارف أمر مهم جدا . والعقل يعجز عن معرفة هذه وتلك فكان إرسال الرسل من مقتضيات الحكمة الإلهية ، ومراعاة لهذا الجانب .

[٣] معرفة الأدوية المفيدة للإنسان والحيوان والنبات وتميزها عن السموم المهلكة ، التى لو حاول العقل وحده إجراء التجارب عليها لمرت سنوات طوال دون أن يقطع الطريق إليها أو يصل فيها إلى غاية منشودة ، وذلك لا يتمكن منه الا بعض العقلاء[٣]، وأعمارهم لا تكفى حتى يقوموا بتلك التجارب فكان من مقتضى الحكمة الإلهية إرسال الرسل .

[٤] معرفة الأبدان التى خلقت ، وان بقاءها مرهون بالغذاء المفيد لها ، فإذا لم يقع لها التغذى والاغتذاء فإن الفناء يكون هو الخاتمة المأساوية لها[٤] ، وأنى

(١) من حيث الاستخراج لها ، والتعامل فيها ، وكيفية الوقوف بها عند ا لحكم الشرعى .

(٢) وهو من فوائد بعثة الرسل ، وقد عرضت له أثناء الحديث عن فوائد بعثة الرسل .

(٣) الشيخ نور الدين محمد سلطان – الماتريدية ص١٢١ .

(٤) فالإنسان إذا لم ينله غذاؤه هلك ، وكذلك الدواء ، وهو مما يشهد به العقلاء .

للعقل أن يميز غذاء العقل والروح عن غذاء الجسد والجوارح ، فكان من حكمته تعالى اقتضاء إرسال الرسل .

[٥] ما تقرر فى الأعراف السليمة من أن خلق الإنسان ، والمحافظة على النوع الإنسانى ، مما يقتضى بعثة الرسل فكان ذلك من مقتضيات الحكمة الإلهية ، ثم إن الناس قد ألفت الفزع عند النوازل لمن هم محل الثقة فيما بينهم ، حتى يستعينوا برأيهم فى حل النوائب ، وتعليم الفنون والآداب ، من هنا كان العقل أكثر فزعا إلى ناصح أمين صدوق هو النبى المرسل من عند الله تعالى[١].

[٦] إن العقل لا علم له بالشرائع التى لا حيلة فى معرفتها إلا من النقل المعصوم الأتى مع الرسول ، ولا ينتظم الأمر بدونه حتى يكون على وجه معقول[٢] ، ويمكن تطبيقه على ناحية كاملة .

[٧] أن الله تعالى خلق العقول السليمة والفطر النقية وجبلها على النفرة من القبائح والأفعال السيئة ، ولا حيلة لهذا العقل الا فى أن يشرف بالعلم ويتكمل بالمعرفة ، وان يكون قديرا على القيام بأعباء العمل على النحو الذى علمه . ولن يكون ذلك إلا بمعين ممتد بسبب إلى السماء ، وهو الرسول من ثم كانت البعثة من مقتضيات حكمته تعالى[٣] ، وهو الذى ذهب إليه الأشاعرة ، وأكدوا عليه .

---

(١) ولا يحل محله الحكيم ، أو الفقيه أبدا ، راجع شرح المقاصد جـ٢ ص١٣١ .

(٢) وذلك واقع حكمت به العقول الصحيحة – راجع النبوات بين المثبتين والمنكرين ص١٥١ وما بعدها .

(٣) الشيخ عبدالقوى آدم – الحكمة من إرسال الرسل ص١٤٧ وما بعدها .

[٨] إن العقل السليم إذا أمكنه الاقدام على معارف بعينها والاستقلال بها ، فإن تفاصيلها ستكون بالنسبة له غيبا لا معرفة له به ، ولا يتمكن منه وحده ، بل هو فى حاجة إلى من يطلعه على التفاصيل الدقيقة والجزئيات الصغيرة[1] ويضمن له القيام بها ، كما أنه بحاجة إلى معرفة ما تقوم عليه هذه التفاصيل فى حدود الزمان والمكان والأوصاف وسائر ملازماتها ، وذلك لا يكون من العقل نفسه ، إنما يكون بدلائل بينات ممن خلقها وأوجدها ، ودعا الخلق إلى أداء بعضها طبقا لما افترضه عليهم أداء[2] ، وكلفهم القيام عليه بعد الالتزام به ،وفى البعض الأخر مواطأه لما افترضه عليهم نهيا ، سواء كان المأمور به ، أو المنهى عنه على جهة الشرع ، وهو الخطاب التكليفى ، أو جهة الندب ، أو الإباحة . أو كان على جهة الحكم العقلى ، أو الحكم الوضعى الذى تواضع عليه العلماء فى الفن نفسه ، ولا يكون ذلك الا ببعثة الرسل ، من ثم كانت البعثة عند متكلمة ما وراء النهر مما تقتضيه الحكمة الإلهية والعناية الربانية[3] ، وهو أمر مهم لدى الماتريدية .

ويجدر بنا أن نشير إلي أن متكلمة ما وراء النهر ذكروا من فوائد بعثة الله تعالي الرسل إلي الخلق ما يلى :

---

(١) التى تخفى عليه ، أو تذهب بعيدا عنه – راجع شرح المقاصد للعلامة السعد التفتازانى جـ٢ ص١٣١ .

(٢) سواء كان الأداء على سبيل الوجوب أو الندب أو الإباحة – راجع النبوات بين المثبتين والمنكرين .

(٣) راجع فى ذلك الجانب أصول التشريع الإسلامى للدكتور : على حسب الله ط دار المعارف .

[١] **بيان الوظيفة التي يقوم بها النبي**[1] حيث يـقوم النبـى بإرسـاء أنظمـة الشـرع القائمة على العدل والنظام ، ولا يقال أن هذا ربما انتهى إلى القول بأن الرسل أصحاب حرف وصناعات ، إذ ليس ذلك من وظيفة الرسـول بيانـها ، إلا مـن حيث أنها وجه العظـة والاعتبـار ، وان الصناعـات مخلوقـة لله تعـالى ابتـداء واستمرارا .

[٢] **مساندة النبي للعقل** : لا يقال إن العقل يعارض النقل ، بل أن متكلمة ما وراء النهر يذهبون إلى التكامل التام بينهما ، فالعقل لا يفرض شريعة الا وجـاءت ناقصة ، فإذا جاء الشرع فإنـها تكتمـل ، وتتقـارب كافـة أوجـه النقـص بـل وتعالج بالشرع ما عجز عنه العقل فتزول أوجه النقص التى هـى سمـة العقـل البشرى ، وإحدى طبائعه الثابتة[2].

[٣] **أن النبي قائد روحي** : ذلـك أن النبـى المرسـل مـن الله تعـالى يسـن القوانـين الأخلاقيـة والدينية والشرائع ، ويطبق ذلك علـى نفسـه أولا حتـى يكـون هـو القـدوة والمثـال المحتـذى بـه [3]، وحينئـذ سينقاد النـاس لـه ، ويحـاولون تقليده ، وبالتالى كانت بعثة الرسل من مقتضيات حكمته جل علاه .

---

(١) ولا نقصد أنه موظف لأن الوظيفة هى المنصب والخدمة المعينه ، كما أنها ما يقدر من عمل ، أو طعـام ، او رزق ، أو غير ذلك فى زمن معين – المنجد فى اللغة والاعلام ، وراجع قطر المحيط .

(٢) وهذا الوجه ربما اتفق الفلاسفة معهم فيه ، راجع الفصل الرابع من كتابنـا الغزاليـات فى السـمعيات (حول طريقة الفلاسفة فى إثبات النبوات)

(٣) وكان رسولنا ﷺ يعلم الصحابة الصلاة ، والصيام ، والزكاة ، وسائر الأمور التكليفيـة ، وغيرهـا ، فيقول : صلوا كما رأيتمونى أصلى .

[٤] **إن الله خلق العقل وفيه ميل للمحاسن وقبول لها ، ونفرة عن القبائح** ، وهجر لها وذلك نوع من التيسير عليه . إذ أنه حين يطالع إمكانيات نفسه كأنه يقرأ فى كتاب الغيب الأمر والنهى ، والمحاسن ، والقبائح ، ويكون العقل نفسه بمنزلة الخطاب الآمر الناهى[١] ، متى كان العقل صحيحا ، عن الضلال سليما .

[٥] **إن هذا العقل الصحيح المخلوق محبا للمحاسن باغضا القبائح** ، هو عبارة عن رسالة من الله الخالق إلى المخلوق نفسه ، بدليل أن الله تعالى دعا الإنسان من خلال عقله حتى يتعرف على الله تعالى ، وهى دعوة المباشرة للأمر الإلهى بالعقل ، كما هى دعوة للأمر الإلهى بالامتناع عن القبائح[٢] ، وهى دقيقة فنية لمن تأملها .

[٦] **إن العقل نعمة من أنعم الله** به يفكر فى الكون المفتوح ، والتأمل فى ملكوت الله الأعلى ، وكل ما يحيط بالإنسان ، لكن العقول قابلة للتنازع ، والهوى يميل بالعقول إلى الشهوات ، والأمانى الكذوب ، وجيوش الشياطين تقع على العقل وربما أضلته ، فيأتى دور الرسول عونا للعقل ، ومنقذا له من جيوش الشيطان ، فكانت بعثة الرسل لهذا من مقتضيات الحكمة الإلهية[٣].

---

(١) ونسب إلى **CANT** أنه قال : العقل أعدل الأشياء قسمة بين الناس ، كما نسب إلى ديكارت القول نفسه ، وربما كان من توارد الخواطر ، ولكن ذلك لم تقم عليه أدلة .

(٢) وذلك كله فى حدود إمكانيات العقل والآيات القرآنية والأحاديث النبوية فى ذات الشأن كثيرة جدا .

(٣) وهو غير الجانب الذى سبق ذكره ، باعتبار أنه يتحدث هناك عن العقل كملكة ، أما هنا فالحديث عن العقل باعتبار الممارسة .

[٧] **وجود بعض الأفعال المحمودة العاقبة** ، وهى لذلك واجبه ، كما توجد أفعال أخرى مذمومة ، فيحرم القيام بها أو الأداء لها ، كالصوم فإنه ركن الإسلام فى الفرض ، وفعل محمود فى النقل ، وعبادة صحيحة ،إذا جاءت على ناحية الشرع وجوبا فى الفرض ، وندبا فى الصيام المندوب ، وإباحة فى الصوم المباح[١] ، ومع هذا قد يحرم الصوم ، فيذم ، كصوم يوم العيدين مثلا .

ولا حيلة للعقل وحده حتى لا يعرف المحمود فى العبادة من المذموم فيها[٢] ، ومن ثم يكون بحاجة إلى إرسال الرسل ، حتى يبين له الشارع متى تكون العبادة أمرا محمودا فيفعل ، ومتى يكون مذموما فيهجر ، وتلك الأمور كلها من الحكمة التى تجرى حاجة المكلفين بها ، فإذا لم تفعل كانت بعيدة عن الحكمة ، والله منزه عن أن يترك العقل ضياعا[٣] ، ثم يحاسبه على ما لا قدرت له عليه .

ويقرر الأمام السعد إن ما انتهى اليه رأى متكلمة ما وراء النهر هو ما مر ذكره من الوجوه[٤] ، التى تثبت الاحتياج إلى النبى والبعثة وينتهى إلى ان القول بها من مقتضيات حكمة البارى جل علاه[٥] ، وهو اتجاه قوى يؤكد حرص مفكرى الأشاعرة على مكاتفة الماتريدية فى المسألة .

(١) وهو غير المنذور وخلافه – راجع كفاية المحتاج ، المنهاج ، وحاشية ابن عابدين .

(٢) راجع فى هذا الشأن فوائد بعثة الرسل – الفائدة الثالثة من هذا الكتاب الذى بين يديك .

(٣) راجع كتابنا (حصاد الاقتصاد فى الاعتقاد) جـ٣ الأفعال الإلهية .

(٤) سواء التى ذكرها الماتريدية ، أم ذكرها الفلاسفة ، أو الأشاعرة – راجع شرح المقاصد للعلامة السعد التفتازانى جـ٢ ص١٣٢ .

(٥) الإمام السعد – شرح المقاصد جـ٢ ص١٣٢ .

كما تكون بعثة الرسول أمرا مقررا لا يمكن التخلى عنه فى الحكمة الإلهية أبدا . وهو معنى إرسال الرسل من مقتضيات الحكمة الإلهية . فليتدبر الأمر أصحابه ، وليتفهم العلم طالبوه ، ونسأل الله السلامة فى الدين والنجاة فى الآخرة .

موقف الإمام السعد من المسألة عند الماتريدية :

يذكر العلامة السعد ما هو الأقرب للنتائج فى المسألة حيث عرض رأى متكلمة ما وراء النهر ثم قرر سرد نتائج ما انتهى اليه الرأى عندهم ثم قيم المواقف .

[أ] عرض النتائج :-

[١] ضرورة بعثة الرسل فى كل عصر من العصور السالفة ، وان يكون النبى للعقلاء حتى يميز لهم الخير من الشر . والنافع من الضار ويأخذ بأيديهم إلى ما تعجز عنه عقولهم من المعارف الإلهية . والأسرار الكونية والأنظمة المعيشية ، والأمور الأخروية[١]. وقد انتهت كلها بنبوة سيدنا محمد ﷺ النبوة الخاتمة العامة الدائمة إلى يوم الدين .

[٢] ضرورة قيام نبى يكون ناقلا عن الرسول أو النبى السابق[٢] ، مذكرا الناس بالأدلة الشرعية ، ويقيم بينهم الدليل السمعى مذكرا أو محذرا ، مرشدا

---

(١) لأنه لا علم لهم بها ، وهو مما جرى فى علم الله الأزلى ، فمن الحتم جريانه على الوجه الذى يوجد فى العلم الإلهى حتى يطابق القدر القضاء - راجع الحكمة من إرسال الرسل للشيخ عبدالقوى آدم ص١٤٩ .

(٢) هذا باعتبار أن النبى هو من لم يؤمر بالتبليغ ، وليست له رسالة .

وموجها ، فكأنهم يميزون بين النبى والرسول فى الوظيفة ، فالأول - النبى قد لا يؤمر بتبليغ والثانى - الرسول هو مأمور بالتبليغ[1] ، ومعه كتاب ورسالة على النحو الذى سلف ذكره .

[٣] اقتضت حكمة الله تعالى فى كل العصور ، وعلى كر الدهور ، ومر الشهور إن يوجد صنفان :

» **الصنف الأول : المتمسكون بالشرائع الآخذون بالدليل السمعى** ، الثابت فى كل ما جاءهم به النبى ، السالكون طريق الحق الراجون طريق النجاة، الذين لم يشتغلوا الا باكتساب أسباب المعاش ، والاقتداء بالشرع دون أن يجعلوا عقولهم فوق الشرع أو مساوية له[2] ، وليس معنى ذلك أنهم فاقدو العقول ، أو أنهم أهملوها ، وإنما معناه أنهم جعلوها تحت الشرع الذى جاءهم به النبى .

فهم سلموا الأمر لله ، واتبعوا الأنبياء والمرسلين ، وعرفوا طريق الفلاح ، فلم يضيعوا الوقت فى صناعة الأدلة النظرية على وجود خالق الكون مثلا ، أو إثبات قدرته وإرادته ، وسائر كمالاته جل علاه ، وانما تركوا بحث هذه الأمور أخذين بالشرع ، معتبرين النجاة والرشاد فى سلوك طريقه[3] الذى جاءهم من عنده جل وعلا .

---

(١) وهذه المسألة توشك أن تكون محل اتفاق بين غالبية المتكلمين المتقدمين والمتأخرين - راجع كتابنا الغزاليات فى السمعيات .

(٢) الشيخ محمد نصرت الأزميرى - السالكون طريق الله ص٢١ - المطبعة العثمانية ١٩١٧م .

(٣) الأستاذ رضوان عبداللطيف - منكرو النبوات وموقف الإسلام منهم ص١٤ .

كما لم يجهدوا عقولهم ، ويدققوا فـى مسائل عقليـة خالصـة فيـها جوانـب ميتافيزيقية ، ربما لا يضمنوا السلامة عند الخروج منها ، إن هم خـاضوا فيـها ، فاستغنوا بالشرع عن كل ما سواه[1] ، وجعلوا العقـل خادمـا لـه ، سـائرا فـى أمـر هداه .

الصنف الثانى : الفلاسفة الذين تمسكوا بالعقل وأذياله ، وتشبثوا بـه ، حتـى أبعدهم العقل عن الصواب ، ومن يبتعد عن الصـواب حتمـا يقـع فـى الضـلال ، ويستوجب العقاب[2] ، لأنهم ركبوا عقولهم ، وجعلوها أنبياءهم .

ثم ينعى باللائمة على هؤلاء الفلاسفة لوقوعهم فى تلك الوهدات ، والسـقوط فى ذات الكبوات ، مع أنهم أصحاب عقول المفروض فيها أنها راجحة تـأخذ بـهم إلى الصـواب لا إلى الضـلال ، والى الحـق لا إلى البـاطل[3] ، إلى رضـوان الله تعـالى ومحبته ، لا إلى محادته ، كما أن الفلاسفة أصحاب نظر عقلى ، بما له مـن الدقـة بحيث يستخرج النتائج الصحيحة من المقدمات السليمة .

وفى نفس الوقت فإن الفلاسفة أولئك قد بذلوا جهودا كبيرة فـى البحـث عـن المعارف الإلهية بطريق النقل مقلدين فلاسـفة الإسـلام ، سـواء مـن ناحيـة إثبـات

---

(١) لأنهم رأوا فى الانقياد للنبى النجاة ، وبلوغ طريق الخير ، ونعم ما فعلوا ، فهى إحدى سمـات المؤمنـين بالغيب .

(٢) وهم الفلاسفة غير المسلمين ، لأن الحكم ينطبق عليهم وحدهم ، أما فلاسفة المسلمين فكـانوا علمـاء بالدين ، ملتزمين هدى رب العالمين – راجع كتابنا (أوراق منسية فى النصوص الفلسفية) عند حديثنـا عن ابن سينا وابن رشد .

(٣) راجع حاشية الشيخ الشرقاوى على شرح الهدهدى ص١٩ .

الذات الإلهية ، أو ناحية الصفات الإلهية إلى غير ذلك من الكمالات المتعلقة بالله رب العالمين ، وقد وصلوا فيها إلى أدلة قوية[1].

كما أن الفلاسفة أصحاب نظر عقلي في العلوم الرياضية والطبيعية والإلهية التي وصل البحث فيها إلى درجة اليقين ، ومع هذا غلب عليهم العدول عن الصواب إلى الضلال ،وهم ما كان ينتظر منهم مثله أبدا[2] ، مع أن النظر العقلي السليم يلزم صاحبه القيام نحو الحق ، والاهتداء به ، لكنهم عكسوا المسائل .

[ب] تقييم الإمام السعد للمسألة :-

يقيم الأمام السعد فكرة إرسال الرسل عند متكلمة ما وراء النهر ، وكونها من مقتضيات الحكمة الإلهية فينتهي إلي ما يلي :

- **أولا : أنها توسع قاعدة الاعتزال التي تقوم على فكرة وجوب الأصلح[3]** على الله تعالى ، باعتبار ما يترتب عليها من منافع تتعلق بالمكلفين ، وذلك ما لا يرضاه أهل السنة والجماعة ، بناء على مذهبهم العام ، من أنه لا يجب على الله تعالى شيء أبدا ، وإلا لم يكن مختارا ، لأن الوجوب فيه معنى الإلزام ، الذى ينافي الاختيار .

- **ثانيا : أنها تفتح الباب أمام استخدام الألفاظ التي يجب حذفها عند الحديث عن الذات الإلهية والأفعال الإلهية[4]**. قال العلامة الأمير : ونقل عن بعض الماتريدية

---

(١) ومع هذا انصرفوا عن التصديق والإيمان بها ، كما فعل متابعوا فلاسفة اليونان .

(٢) الأستاذ حسانين محمد الأشرم – دراسات في الفكر الفلسفي ص١٧٥ .

(٣) الشيخ يوسف بن خليل المراكشي – أهل السنة والجماعة ص١١٢ ط٢ بالجزائر .

(٤) والألفاظ قد توقع في الأخطاء عند الاستعمال ، وبخاصة لدى العوام ، أو أشباه العلماء .

أن الإرسال توجبه الحكمة ، فقال الكمال فى المسايرة أنه قول أهل الاعتزال . وقيل بل هو وجوب عرضى لتعلق العلم به فلا خلاف[1] ، وما ذهب إليه العلامة الأمير ، إنما يمثل لونا من ألوان الدفاع عن الموقف الذى انتهى فى تصوير رأى الماتريدية[2] ، وهى محاولة كريمة من الشيخ الأشعرى .

◄◄ **ثالثا : أن الترويج لتلك الأفكار لا يخدم الا قضية وجوب شىء ما على الله تعالى** ، وهو مخالف للاتجاه العام عند الأشاعرة[3] ، وفى نفس الوقت فإنى أراه مخالفا لنفس الاتجاه العام عند الماتريدية أيضا ، وأن استخدام الألفاظ ليس معناه اعتقاد المعنى الذى عرضه صاحب الفكرة ، باعتبار أن كل لفظ يحمل العديد من المعانى .

◄◄ **رابعا : أن القول بمقتضى الحكمة ينتهى إلي نفس الفكرة المرفوضة** ، وهى أن الوجوب لا معنى له سوى أن تركه لقبحه مخل بالحكمة ، وفى نفس الوقت مظنه لاستحقاق المذمة[4] المترتبة عليه ، وحصر الوجوب فى معنى بعينه ليس مرادا عند الماتريدية .

◄◄ **وفى تقديرى** : لو أن الأمام السعد المحقق الدقيق تمهل قليلا فى تناول اللفظ عند الماتريدية ، ونظر إلى مفهوم مقتضى الحكمة الذى قال به متكلمة ما وراء النهر ، لجاءت عبارته أخف حدة من غيرها وذلك لما يلى :

---

(١) العلامة الأمير - حاشية الأمير ص١١٣ .

(٢) فهم يرفضون هذا الإطلاق اللفظى والمعنوى معا ، وتصوير الرأى عندهم ، ليس معناه اعتبار رأيا لهم ، لما هو معروف من أن لازم المذهب ليس مذهبا .

(٣) الأستاذ سالم محمد عبدالشافى - الأشاعرة قراءة فى زعمائها ص٢١٣ .

(٤) سواء فى اللغة ، أو غيرها ، وهى معان غير مقبولة عندنا .

[١] أن مقتضى الحكمة معناه عندهم المكتوب فى علم الله الأزلى ، ولا أظن هذا المعنى فيه شيء من الوجوب على الله أبدا[١] . لأن المكتوب فى العلم الإلهى الأزلى ثابت ، فظهوره فى وقت إرسال الرسل فيه معنى الوجوب الذى فرضه الله تعالى .

[٢] إن الوجوب عندهم ، وجوب كتابى فى الأزل ، فإذا سلم به فلاشك أنه يتم ، وإلا كيف يكون مكتوبا فى علم الله منذ الأزل ، أنه سيقع ، وفى نفس الوقت لا يقع ، وإلا لزم الجهل ، والله منزه عنه أو السفه ، والله لا يتصف بشيء من النقائص أبدا[٢] ، فثبت أن الوجوب الذى قالوا به ليس معناه إلزام من خارج عن ذاته جل جلاله .

[٣] أن متكلمة ما وراء النهر لا يتفقون مع المعتزلة فى كل المسألة ، ثم أنهم إذا اتفقوا معهم فى الألفاظ المستعملة ، فإن الفروق تكفى ، كما أن المعانى ليست واحدة ، حتى يقال أنهم يدعون لتوسيع قاعدة الاعتزال ، أو يروجون لأفكارها[٣] ، ثم أن المعتزلة ليسوا قائلين بالوجوب ، إلا بالمعنى الذى يخرج عن دائرة الإلزام أيضا ، فما هى المشكلة إذن ؟

---

(١) قال تعالى ﴿ " الله يعلم ما تحمل كل أنثى وما تغيض الارحام وما تزداد وكل شيء عنده بمقدار عالم الغيب والشهادة الكبير المتعال " ﴾ سورة الرعد الآيتان ٩/٨ .

(٢) الشيخ يوسف بن خليل المراكشى – أهل السنة والجماعة ص١٣١ .

(٣) ويبدو أن الفكرة تحتاج مراجعة ، وأرى أن مسألة خصومة الأشاعرة للمعتزلة هى التى دفعت بالبعض الحكم على المعتزلة بما لا يليق .

الرأى الرابع : أهل السنة والجماعة

وهم الذين يذهبون إلى أنها لطف من الله تعالى ، ورحمة بعباده ، وانه يحسن منه تعالى فعلها ، ولا يقبح تركها ، ويمكن اعتبار الإمام السعد التفتـازانى ممثـلا لرأيهم ، ونحن هنا نشرح رأيه فى المسألة باعتبار أنها منحة من الله للخلق ليست واجبه عليه تعالى ، حيث يقوم رأيه على ما يلى :

[١] **أن البعثة لطف من الله تعالي ورحمة بعباده** ، وهى ممكنة ، كما أنها فعل من أفعال الله يحسن فعلها من جهة الله تعالى ، لأن أفعاله تعالى كلها حسنة[١] ، إذ لا شيء من أفعاله تعالى يوصف بغير الحسن ، سواء باعتبار حقيقتـه . أو باعتبار الناظر إليه ، ومن ذهب إلى غير ذلـك فـلا نلتفت إليـه ، وقـال أهـل السنة اختصاص فرد من النوع الإنسانى بتبليغ شرع الله تعالى لعباده لطف من الله ورحمة للعالمين ، لما يترتب على ذلك من المصالح التى لا تحصى ، واللطف من أفعال الله تعالى الجـائزة ، فالرسـالة فـى ذاتـها ممكنـة[٢]. ثـم أن النبـوة موهبة من الله تعالى ، ونعمة منه على عبده[٣]، وهو عين الجواز .

[٢] **أن البعثة فعل من أفعال الله تعالي ، لا يقبح تركها** ، فلو لو يرسـل الله رسـلا مـا كان قبيحا عليه ، ولا عنده ، لأن الألطاف كلها تقـوم علـى استحسـان الفعـل

---

(١) وهو الرأى الذى نعتقده ، ونلقى الله عليه ، وهو ما أقوم بالتأكيد على بيانه لطلاب العلم .

(٢) الشيخ محمود أبودقيقه – القول السديد فى علم التوحيد جـ٢ ص١٥٩ – تحقيـــق أ.د: عـــوض الله حجازى – ط مجمع البحوث الإسلامية .

(٣) العلامة المرعشى – الشهير بساجقلى زاده – نشر الطوالع ص٣٣٤ .

الإلهى فى الفعل ، وعدم الاستقباح فى الترك[1] . وذلك مما يتعلق بالله وحده .

[٣] **إنها لا تقوم على استحقاق من المبعوث لوجود ملكه فيه** ، أو اجتماع شروط وأسباب ذاتية من نفسه تجعله مستحقا لها ، يقول العلامة الباجورى ، فالذى ذهب اليه المسلمون جميعا هو أن النبوة خصيصة من الله تعالى لا يبلغ العبد أن يكتسبها ، ويفسرونها باختصاص العبد بسماع وحى من الله تعالى بحكم شرعى تكليفى ، سواء أمر بتبليغه ، أم لا . وهكذا الرسالة لكن بشرط أن يؤمر بالتبليغ[2] .

[٤] **أنها تقوم على الاصطفاء الإلهى ، والاختصاص الرحموتى** ، فما كان من هذا القبيل فإن مرده إلى الله تعالى وحده يختص برحمته من يشاء ، ويختار من خلقه من يشاء لما يشاء ، قال تعالى﴿ " الله يصطفي من الملائكة رسلا ومن الناس إن الله سميع بصير " ﴾[3] . إلى غير ذلك من الآيات القرآنية والأحاديث النبوية التى تبين أن البعثة رحمة من الله بعباده ، واصطفاء لذات النبى .

[٥] **أن علمه تعالي عام محيط شامل ، واصطفاءه قائم** ، وهو سبحانه وتعالى أعلم حيث يجعل رسالته فى أى من خلقه فى الزمان الذى يريده ، والمكان الذى يريد ، وذلك من أفعال الله تعالى ، إذن لابد من بيان أن :

---

(١) راجع كتابنا : (حصاد الاقتصاد فى الاعتقاد جـ٣ الأفعال الإلهية) ففيه تفصيل لتلك المسألة .

(٢) العلامة الباجورى – حاشية الباجورى على جوهرة التوحيد ص٧٣ ، وبهامشها تقريرات الأجهورى .

(٣) سورة الحج الآية ٧٥ .

[أ] الاصطفاء من فعل الله .

[ب] الإرسال من فعل الله .

[ج] الرسول والمرسل إليهم من خلق الله وفعله ، وكلها حسنة على الوجه الذى تأتى عليه من جهة الله سبحانه وتعالى ، ولا يجب أو يقبح منها شيء أبدا ، بناء على الأصول التى نؤمن بها نحن أهل السنة والجماعة .

لكن ما هى الألطاف التى تحدثوا عنها ؟

والجواب : أن الألطاف جمع مفرده لطف فى المفرد المذكر ، ومصدره اللطف ، أما لطائف فجمع مفرده لطيفه فى المؤنث ، ثم أن لطيف ولطيفه من صيغ المبالغة المنقولة من الوصفية إلى العلمية عند التسمى بها ، وإلا ظلت على أصلها قائمة يصح الوصف بها[1] ، هذا من الناحية الصرفية .

أما المصدر منها ، وهو اللطف فهو اسم باعتبار أن المصادر هى أصول المشتقات ، ولذا سنحاول تقديم تعريف لكل من الألفاظ الثلاثة المستخدمة على النحو التالي :

[١] **اللطيف : وهو اسم من أسماء الله الحسنى** ، فإن جاء اللفظ اللغوى من اللطف بالضم ، فهو الرفق ، ومعنى اللطيف حينئذ هو اللطيف بعباده ، المحسن إلى خلقه ، بإيصال المنافع إليهم بلطف أى برفق[2] منه جلا علاه .

ويجيء اللطف أيضا بمعنى الدقة والخفاء على ما فى القاموس أيضا ، وعلى هذا فاللطيف على المعنى الأول يرجع إلى صفة الفعل ، وعلى الثانى يرجع إلى صفة

---

(١) راجع السؤال الظريف فى فن التصريف ص١٧ وما بعدها ط الخانجى .

(٢) العلامة المرعشى – نشر الطوالع ص٣١٩ ، وراجع كذلك شرح المواقف للسيد الشريف الجرجانى – الموقف الخامس فى الإلهيات .

العلم[1] ، أو بمعنى أخر يرجع فى الأول إلى ما هو مشترك فى الألفاظ فقط ، وهو صفات الأفعال ، أما الثانى فراجع إلى صفات الذات[2] ، والفرث بين المعنيين واضح .

وفى شرح الحديث : اللطيف هو الذى لطف أى دق ، وأمتنع من أن يدرك بالكيفية ، وهو راجع إلى المعنى الثانى للطف ، ومرجعه إلى السلب[3]، وعدم إمكانية التعرف عليه تعالى من حيث الكنه والحقيقة ، مع إمكانية الترعف بالأدلة عليه سبحانه وتعالى .

[٢] **اللطف : هو الرفق والرقة** ، ويقال على الهواء أنه لطيف لرقته ، كما يقال اللطف على الترفق فى الأمور والاحتيال على الخصوم ، ومنه قوله تعالى : ﴿ "وكذلك بعثناهم ليتساءلوا بينهم قال قائل منهم كم لبثتم قالوا لبثنا يوما أو بعض يوم قالوا ربكم أعلم بما لبثتم فابعثوا أحدكم بورقكم هذه إلى المدينة فلينظر أيها أزكى طعاما فليأتكم برزق منه وليتلطف ولا يشعرن بكم أحدا " ﴾[4].

كما أن اللطف يأتى بمعنى الخفة والنعومة ، ومنه قولهم كلام لطيف ، ويقال على النساء الجنس اللطيف كناية عن النعومة والرقة[5] ، وهذه المعانى كلها لا يصح إطلاقها على الله تعالى من حيث المعنى ، ولكن يصح إطلاق اللطف بمعنى

(١) المصدر السابق ص٣١٩ .

(٢) راجع الفرق بين صفات الذات وصفات الأفعال فى حاشية الجرجانى على الطوالع ص١٤ ، وكتابنا : الإيمان بالغيب وأثره على الفكر الإسلامى .

(٣) العلامة المرعشى – نشر الطوالع ص٣١٩/٣٢٠ .

(٤) سورة الكهف الآية ١٩.

(٥) المعجم الوجيز مادة – ل ط ف – ص ٥٥٨ ، وراجع قطر المحيط ، والمنجد فى اللغة والأعلام .

الدقة والرفق على فعل الله تعالى ، لا على ذاته من حيث الحقيقة ، وإن وصف جل علاه باللطيف على ما جاء به النقل المنزل .

[٣] **الألطاف : هي الطرائق** ، ومجمل أنواع اللطف من الرقة والرأفة والرفق ، والنعومة ، والاحتيال على الخصوم ، والعفو عن المسيء إحسانا وتلطفا به وعطفا عليه[١] ، وهي المعاني التي ترد على لفظ اللطف مفردا .

[٤] **اللطيف : كل إشارة دقيقه المعنى تلوح للفهم** لا تسعها العبارة كعلوم الأذواق ، واللطيفة الإنسانية هي النفس الناطقة المسماة عندهم بالقلب ، وهي في الحقيقة تنزل الروح إلى رتبة قريبه من النفس مناسبة لها بوجه ، ومناسبة للروح بوجه ، ويسمى الوجه الأول الصدر ، والثاني الفؤاد[٢] ، كما أن اللطيف من أسماء الله الحسنى . قال تعالى ﴿ " الله لطيف بعباده يرزق من يشاء وهو القوي العزيز " ﴾[٣] .

هذا عن معاني تلك الألفاظ في لغة العرب ، فما هو اللطف في اصطلاح علماء العقيدة والمتكلمين ، لأنه المراد هنا دون سواه ؟

والجواب :

عرف الشيخ ابودقيقة – رحمه الله – اللطف على المعنى الاصطلاحي بأنه " الفعل الذي يقرب العبد إلى الطاعة ، ويبعده عن المعصية ، مع بقاء اختياره كخلق

---

(١) القاموس المحيط – باب الفاء فصل اللام وما يثالثهما .

(٢) التعريفات للجرجاني – باب اللام ص١٦٨ .

(٣) سورة الشورى الآية ١٩ .

العقل ، ونصب الأدلة ، وإرسال الرسل ، وما أشبه ذلك[1] مما جاء على سبيل الذكر والتخصيص .

غير أنى لأجد علاقة واضحة بين ما ذهب اليه شيخنا أبو دقيقة - رحمه الله -، وبين المعنى اللغوى الذى سلف ذكره فى معاجم العربية ، وربما خفى على مثلى وانكشف له هو ، فذلك من ألطاف الله تعالى ، والأقرب أن يقال اللطف هنا هو :

التكاليف الإلهية ، المتناسبة مع قدر الطاقة للمكلفين بما يقربهم إلى الطاعات ورضوان الله ، ويبعدهم عن المعاصى وغضب الله ، مع الأخذ فى بيانها لهم بالرأفة والرحمة ، مبتدئا بما فيه الخفة والرقة ، وهو طبيعة التكاليف الإلهية .

كما يفهم من اللطف معنى الإحسان ، ويكون اللطف مساويا للإحسان الإلهى[2] فى المفاهيم القائمة ، أو النتائج المترتبة . أما لماذا ؟

فلأن عبارة الشيخ أبى دقيقة ربما فهم منها ذات الفعل الجارى من العبد ، فتقع المسألة فى الأفعال الاختيارية ، ويقف الأمر به على أعتاب الفكرة عند المعتزلة حيث الأفعال العبادية عندهم قسمان :

[١] الأفعال الاضطرارية .

[٢] الأفعال الاختيارية

---

(١) الشيخ محمود أبو دقيقة - القول السديد فى علم التوحيد جـ٢ ص١٤٨ - تحقيق أ.د: عوض الله حجازى

(٢) ويصير المعنيان من باب الترادف فى المعنى ، وان كان التخالف فى اللفظ قائما .

ويقرر القاضى عبد الجبار " اتفاق " كل أهل العدل على أن أفعال العباد من تصرفهم ، قيامهم وقعودهم حادثه من جهتهم ، وان الله عزوجل أقدرهم على ذلك ، ولا فاعل لها ، ولا محدث سواهم .

وأن من قال أن الله سبحانه خالقها ، ومحدثها فقد عظم خطره ، وأحالوا حدوث فعل من فاعلين[1]، ولا شك أن هذا القول منصب على الأفعال الاختيارية كمقتضى كلامى ، وسياق حديثه .

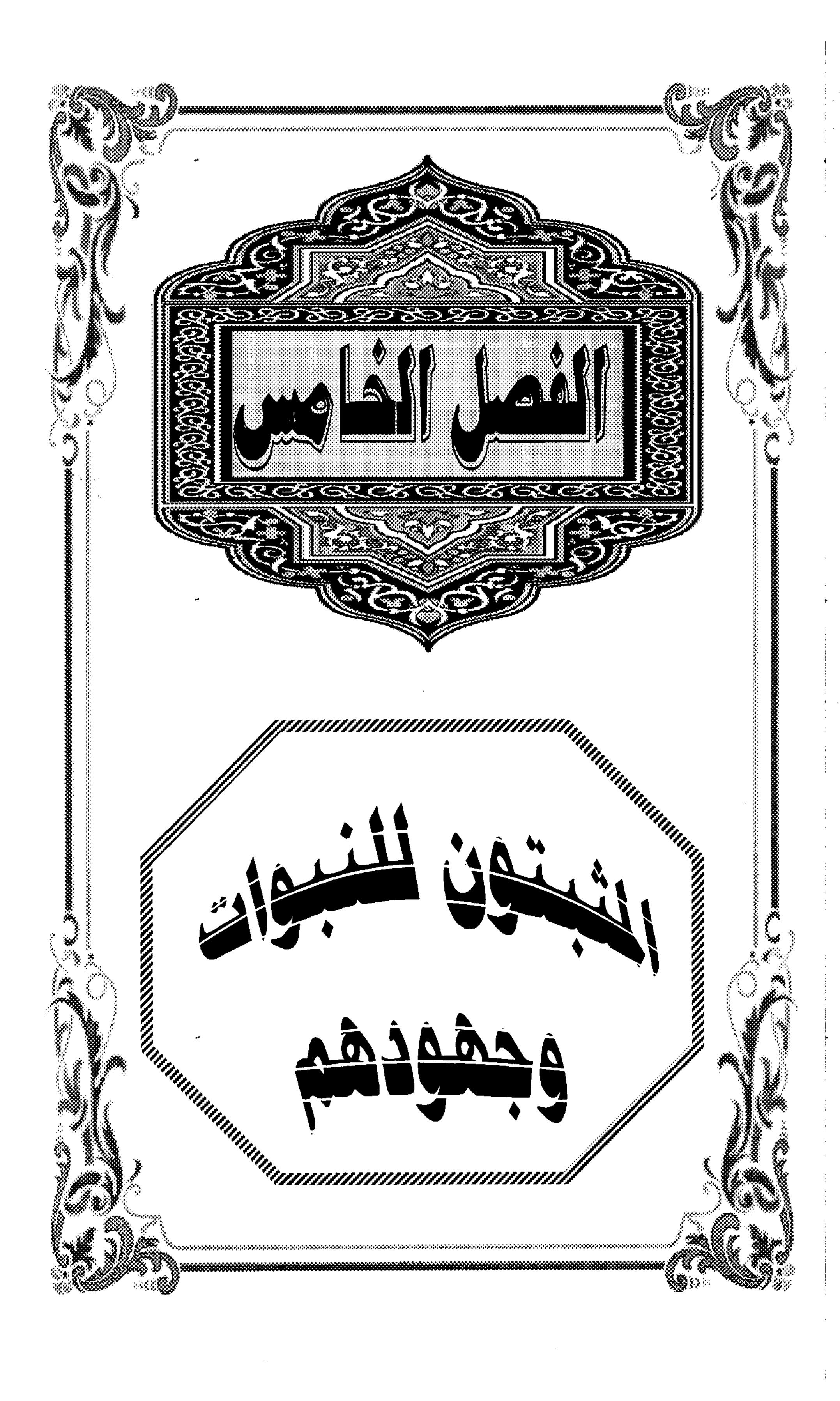
من ثم فإن البعثة حسب ما أميل إليه نوع من أنواع الرأفة ، والرفق والرحمة التى يسوقها الله تعالى لعباده ، وهى فى مجملها الألطاف ، والنعم الإلهية . وهى ممكنة غير واجبه ، ولا مستحيلة عند الأشاعرة[2] على ما سلف بيانه .

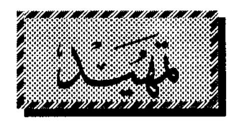
---

(١) القاضى عبدالجبار – المغنى – الجزء الثامن – المخلوق ص٣ تحقيق د: توفيق الطويل ، والأستاذ : سعيد زايد

(٢) راجع كتابنا – الإيمان بالغيب وأثره على الفكر الإسلامى – الباب الثالث ، وكذلك ليست مستحيلة عند الماتريدية أو المعتزلة أو الفلاسفة ، لأنهما جميعا يثبتونها .




الفصل الخامس
المثبتون للنبوات وجهودهم



ألف الكاتبون والباحثون فى علم الكلام الإسـلامى ، أن يغضـوا الطـرف عـن المثبتين للنبوات وجهودهم – أثناء حديثهم عن النبوات – مكتفين بذكر المنكريـن لها ، وإيراد شبههم على وجه تفصيلى ، ودفع تلـك الشـبه ، وتقريـر دليـل كـل شبهـة ، ثم منعهم لتلك الشبه ، مع تقديم سند المنع ، إلى آخر هذه اللـوازم[1] ، مع أن ذكر المثبتين مقدم فى الواقع على ذكر المنكرين ، حتى من المتعارف عليه ، أن المثبت مقدم على المنكر[2] ، والرائى مقدم على السامع ، ومن معه حجة مقـدم على غيره[3] ، ممن ليس معه حجة .

من ثم فقد حاولت أن أبين المثبتين لها أولا – ولو على سبيل الإجمال – عملا بالقاعدة السابق ذكرها – حتـى إذا مـا جـاء دور الحديـث عـن المنكريـن ، كـانت أطراف الحديث واضحة[4] ، بحيـث إذا عرضـت القضيـة علـى العقـل – أى عقـل صحيح – طالع أطرافها وأدلتـهم ، فـإذا مـا صـدر عنـه حكـم قوبـل بالاحـترام ، وبخاصة أن الأحكام فى هذه القضايا لا تخضع لحكم فنان ، كمـا لا ترضـى بقضـاء أديب ، لأنها تحتكم أولا إلى المدركات العقلية ، القائمة على الاسترشاد بالنصوص النقلية – القرآن الكريم ، والسنة النبوية المطهرة الصحيحة – .

---

(١) ذلك المجهود مما يكشف عن ثراء المفكرين المسلمين وقدراتهم العقلية .

(٢) الأستاذ عبدالحمد عبداللطيف – دراسات فى الفكر الإسلامى ص٩٥ .

(٣) ذلك من القواعد المعمول بها عند علماء أصول الفقه .

(٤) استفدت ذلك من كتابنا (عبدالكريم الخطيب وآراؤه الكلامية) أطروحة بجامعة عين شمس ١٩٩٢م

❖ **والمثبتون للنبوات على سبيل العد أنواع :-**

[١]النقل المنزل :

[أ] القرآن الكريم .

[ب] السنة النبوية المطهرة الصحيحة .

وهما معا النص المنزل[١] ، وللنص المنزل[٢] ، قدسيته ، كما له طريقته الاستدلالية على ما يعرض له .

[٢] السلف الصالح – رضوان الله عليهم أجمعين – .

[٣] أهل السنة والجماعة .

[٤] المعتزلة .

[٥] الفلاسفة .

وقد يقترب بعضهم من طريقة القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة الصحيحة – النص المنزل – كالسلف الصالح[٣] – وقد يصلون إلى قريب منه اعتمادا على ذات النص المنزل والمنطق العقلي معا ، كأهل السنة والجماعة[٤] ، وقد يثبتونها بناء على قواعد عقلية محضة ، لا تخرج عن مبادئهم في وجوب الصلاح

---

(١) لقوله ﷺ « تركتم فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا بعدى أبدا ، كتاب الله وسنتى » ، وقوله ﷺ « ألا إنى أوتيت الكتاب ومثله معه » .

(٢) النص هو : لا يحتمل إلا معنى واحدا ، وقيل ما لا يحتمل التأويل – التعريفات للجرجانى ص٢١٥ ، بخلاف الأصل ، فإن الأصل هو (ما يبتنى عليه غيره) المصدر السابق ص٢٢ .

(٣) وهم الذين يعتمدون فى أدلتهم على النقل المنزل وحده ، دون اللجوء إلى العقل ، وهم فى ذات الوقت الملتزمون كتاب الله وسنة نبيه محمد ﷺ – راجع كتابنا (حبو الوليد فى علم التوحيد) .

(٤) هم الأشاعرة والماتريدية الذين هم أهل السنة والجماعة الإسلامية .

والأصلح ، وهم المعتزلة ، وقد يثبتونها بناء على قاعدة النظام العام ، والعناية كالحال مع الفلاسفة ، وسأحاول توضيح ذلك على النحو التالى :-

أولا : النقل المنزل

عنىّ الإسلام ببيان أركانه آيما عناية ، وركز عليها بشكل لا يحتاج إلى مزيد بيان ، ومن هذه الأركان النبوات ، ففى الحديث الشريف « الإيمان هو أن تؤمن بالله ، وملائكته ، وكتبه ، ورسله ، وتؤمن بالقدر خيره وشره».

وقد أخبر القرآن الكريم بالنبوات ، وتحدث كثيرا عن الأنبياء ، إذ هى ركن أساسى من أركان العقيدة الإسلامية ، والإيمان بها جزء من الإيمان كله ، ولا يصح إيمان أحد إلاَّ إذا سلم بجميع النبوات التى بلغته أخبارها الصحيحة[1] ، إما عن طريق النقل المنزل – قرآنا أو سنة – وأعنى به النقل الصحيح ، وأما عن طريق مخاطبة ومناقشة العقل الصريح ، وهو الاستدلال العقلى ، القائم على مقدمات عقلية منطقية أو واقعية أو دلائل كونية ، أو منتزعة منهما ، وها نحن نبين الطريقين .

الطريق الأول : من النقل المنزل : (القرآن الكريم)

تحدث القرآن الكريم عن الإيمان بالأنبياء على وجه العموم ، وجعل الإيمان بهم جميعا كلا لا يتجزأ ، وبين أن اللاحق يؤمن بالسابق ، وأن الأركان الأساسية لدعوة كل نبى هى نفسها التى تقوم عليها دعوة الآخرين من الجانب النظرى –

(١) الأستاذ على الدين منصور – النبوات ص١٥ .

العقيدة -[1] ، قال تعالى ﴿ " قُولُواْ آمَنَّا باللّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَقَ وَيَعْقُوبَ وَالاسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَى وَعِيسَى وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ " ﴾[2] .

والتعبير القرآنى الجميل بلفظ قولوا الحامل للأمر والجمع معا ، يؤدى إلى أنها دعوة واحدة من إله واحد ، إلى قائلين متعددين[3] ، واعنى بهم الأنبياء المرسلين ، فهذا هو دين الله ، الذى حمله الأنبياء والرسل إلى عباد الله ، فمن آمن برسول من رسل الله ، ولم يؤمن بجميع الرسل فليس من المؤمنين بالله رب العالمين ، ومن تمسك بكتاب وكفر بما سواه من كتب الله فهو من الكافرين[4] ، شريطة أن يكون ذلك الكتاب قد أخبر الله تعالى عنه ، باسمه وصفته ، وذكر أنه سالم معصوم ، وأنه من عند الله نزل وسيبقى .

ويؤكد هذا قوله تعالى ﴿ " قل آمنا بالله وما أنزل علينا وما أنزل على إبراهيم وإسماعيل وإسحق ويعقوب والاسباط وما أوتي موسى وعيسى والنبيون من ربهم لا نفرق بين أحد منهم ونحن له مسلمون " ﴾[5] ، والمعنى : « قل يا محمد أنت وأمتك آمنا بالله ، وبالقرآن المنزل علينا ، وما أنزل على إبراهيم وإسماعيل ، وإسحاق ويعقوب والأسباط – أى أمنا بما أنزل على هؤلاء من الصحف والوحى ..

---

(١) هناك رسالة ماجستير بجامعة الأزهر – كليه أصول الدين القاهرة – قسم التفسير بعنوان (الحقائق المشتركة بين رسل الله) ١٩٨٣م مخطوطة بمكتبة الكلية .

(٢) سورة البقرة الآية ١٣٦ .

(٣) راجع فى هذا الشأن كتابنا (لماذا انتشر الإسلام ؟) .

(٤) الأستاذ عبدالكريم الخطيب – التفسير القرآنى للقرآن جـ١ ص١٤٥ .

(٥) سورة آل عمران الآية ٨٤ .

وما أوتى موسى وعيسى ، من التوراة والإنجيل ، والنبيون من ربهم ، أى وما أنزل على الأنبياء جميعهم ، لا نفرق بين أحد منهم ، لا نؤمن بالبعض ونكفر بالبعض ، كما فعل اليهود والنصارى ، بل نؤمن بالكل ونحن مسلمون أى مخلصون فى العبادة ، مقرون بالألوهية والربوبية ، لا نشرك معه أحدا أبدا[1] .

والإيمان بالوحى المنزل ، يقتضى الإيمان بصدق الموحَى إليه ، ولذا جاءت الإشارة فى الآية السابقة إليه[2] ، وحتى تمثل فى الأفهام حقيقة أن الإيمان بالموحى به تستلزم الإيمان بصدق الموحى إليه ، قال تعالى ﴿ " آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِ وَقَالُواْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ " ﴾[3] ، والآية بشكل عام تؤكد على إيمان الرسول محمد ﷺ بكل المنزل إليه من ربه ، وهو القرآن الكريم[4] ، والسنة النبوية المطهرة الصحيحة[5] ، بكل ما فيهما من عقيدة وشريعة وأخلاق ، وقصص وأخبار ، وعالم مشهود وغائب ، وإلهيات ، ونبوات ، وسمعيات ، وكذا شأن المؤمنين .

---

(١) الشيخ محمد على الصابونى – صفوة التفاسير جـ٣ ص٢١٥ ط دار الرشيد – حلب – سوريا .

(٢) الآية ١٣٦ من سورة البقرة ﴿ " قُولُواْ آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَقَ وَيَعْقُوبَ وَالأسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَى وَعِيسَى وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ " ﴾

(٣) سورة البقرة الآية ٢٨٥ .

(٤) القرآن الكريم منزل على قلب الرسول سيدنا محمد ﷺ ، بلفظه ومعناه ، ويعرَّف بأنه كلام الله تعالى ، المنزل على قلب النبى محمد ﷺ ، بواسطة جبريل الأمين ، المتعبد بتلاوته ، المتحدى بأقصر سورة منه ، المعجز للإنس والجن جميعا ، الباقى إلى يوم القيامة .

(٥) والحديث الشريف هو المنزل على الرسول سيدنا محمد ﷺ بمعناه ، أما لفظه فمن عند رسول الله ﷺ.

وإذا كان فيما مضى حديث مجمل عن الأنبياء والمرسلين ، فهناك آيات تُحَدِّثُ عن صدق النبوة ، ومعالم الوحى ، وتبين اشتراك الجميع فى أمر الوحى والنبوة ، قال تعالى ﴿ " إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَى نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِن بَعْدِهِ وَأَوْحَيْنَا إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَقَ وَيَعْقُوبَ وَالاسْبَاطِ وَعِيسَى وَأَيُّوبَ وَيُونُسَ وَهَارُونَ وَسُلَيْمَانَ وَآتَيْنَا دَاوُودَ زَبُورًا وَرُسُلا قَدْ قَصَصْنَاهُمْ عَلَيْكَ مِن قَبْلُ وَرُسُلا لَّمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ وَكَلَّمَ اللّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا رُّسُلا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ وَكَانَ اللّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا " ﴾[1] .

وفى الآية السابقة تحدث القرآن الكريم عن كل من :-

[١] **الوحـــــى** : فى قوله تعالى ﴿ " إِنَّا أَوْحَيْنَا " ﴾

[٢] **الـنبى** : فى قوله تعالى ﴿ " إِلَيْكَ " ﴾

[٣] **الحقيقة المشتركة بين الأنبياء والمرسلين جميعا** فى قوله تعالى : ﴿ " كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَى نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِن بَعْدِهِ وَأَوْحَيْنَا إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَقَ وَيَعْقُوبَ وَالاسْبَاطِ وَعِيسَى وَأَيُّوبَ وَيُونُسَ وَهَارُونَ وَسُلَيْمَانَ " ﴾

[٤] **الموحَى به على سبيل الاستشهاد** : ﴿ وَآتَيْنَا دَاوُودَ زَبُورًا ﴾ ، وكذلك التوراة[2] ،

---

(١) سورة النساء الآيات ١٦٣/١٦٥ .

(٢) قال تعالى ﴿ " إِنَّا أَنزَلْنَا التَّوْرَاةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ يَحْكُمُ بِهَا النَّبِيُّونَ الَّذِينَ أَسْلَمُواْ لِلَّذِينَ هَادُواْ وَالرَّبَّانِيُّونَ وَالاحْبَارُ بِمَا اسْتُحْفِظُواْ مِن كِتَابِ اللّهِ وَكَانُواْ عَلَيْهِ شُهَدَاء فَلا تَخْشَوُاْ النَّاسَ وَاخْشَوْنِ وَلا تَشْتَرُواْ بِآيَاتِي ثَمَنًا قَلِيلا وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ اللّهُ فَأُوْلَـئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ " ﴾ سورة المائدة الآية (٤٤) .

والإنجيل[1] ، والصحف[2] ، والألواح[3] ، ثم القرآن الكريم الذى جعله الله مهيمنا على سائر الكتب .

[٥] **الرسول :** ﴿ " ورسلا قد قصصناهم عليك من قبل ورسلا لم نقصصهم عليك " ﴾ .

[٦] **طبيعة النبى والرسول من حيث المهمة :** ﴿ " رسلا مبشرين ومنذرين لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل وكان الله عزيزا حكيما " ﴾[4] .

[٧] **الغاية من الرسل والرسالة والحاجة إليهما :** ﴿ " لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل وكان الله عزيزا حكيما " ﴾ ، فى كل ما يأمر به ، أو ينهى عنه ، أو يكلف به .

[٨] **بيان بعض الخوارق :** ﴿ " وكلم الله موسى تكليما " ﴾ .

يعضد ما ذهبنا إليه – من ذكر النبى والرسول – قوله تعالى ﴿ " ولقد أرسلنا رسلا من قبلك منهم من قصصنا عليك ومنهم من لم نقصص عليك وما كان لرسول أن يأتي بآية إلا بإذن الله فإذا جاء أمر الله قضي بالحق وخسر هنالك

---

(١) قال تعالى ﴿ " ثم قفينا على آثارهم برسلنا وقفينا بعيسى ابن مريم وآتيناه الانجيل وجعلنا في قلوب الذين اتبعوه رأفة ورحمة ورهبانية ابتدعوها ما كتبناها عليهم إلا ابتغاء رضوان الله فما رعوها حق رعايتها فآتينا الذين آمنوا منهم أجرهم وكثير منهم فاسقون " ﴾ سورة الحديد الآية (٢٧) .

(٢) قال تعالى ﴿ " إن هذا لفي الصحف الاولى {١٨} صحف إبراهيم وموسى " ﴾ سورة الأعلى الآيتان ١٨/١٩ .

(٣) قال تعالى فى موسى عليه السلام ﴿ " ولما سكت عن موسى الغضب أخذ الالواح وفي نسختها هدى ورحمة للذين هم لربهم يرهبون " ﴾ سورة الأعراف الآية (١٥٤) .

(٤) سورة النساء الآية ١٦٥ .

المبطلون " ﴾[1] . بل إن القرآن الكريم قد عبر عن الرسول بالمهمة الموجهة بها الملقاة على عاتقه ، وبين أن طبيعة النبوات إنما هى التبشير الإنذار ، قال تعالى ﴿ " إنا أرسلناك بالحق بشيرا ونذيرا وإن من أمة إلا خلا فيها نذير " ﴾[2] .

وقال تعالى ﴿ " ولقد آتينا موسى الكتاب وقفينا من بعده بالرسل وآتينا عيسى ابن مريم البينات وأيدناه بروح القدس أفكلما جاءكم رسول بما لا تهوى أنفسكم استكبرتم ففريقا كذبتم وفريقا تقتلون " ﴾[3] .

فقد أشارت الآية الكريمة إلي أمور عديدة منها :-

[١] **النبوة : القائمة فى موسى** ﷺ ، ومن جاء قبله وبعده من الأنبياء والرسل ، حتى صارت نبوات عديدة ، كل منها قامت بمهمة كلفها رب العالمين بها ، باعتبار أن الرسول هو إنسان ذكر حر ، من بنى آدم ، أوحى الله تعالى إليه بشرع ، وأمره بتبليغه للخلق ، وإن لم يؤمر بالتبليغ يسمى نبيا فقط[4] .

[٢] **الوحى المنزل : المتمثل فى الكتاب المنزل على موسى** ﷺ ، والكتب التى تلته ، وهى الإنجيل[5] ، والقرآن الكريم ، الذى جعله الله تعالى مهيمنا على كل الكتب السابقة ، من كل النواحى ، بحيث يغنى عنها جميعا .

---

(١) سورة غافر الآية ٧٨ .

(٢) سورة فاطر الآية ٢٤ ,

(٣) سورة البقرة الآية ٨٧ .

(٤) العلامة حسين بن محمد الجسر الطرابلسى – الحصون الحميدية للمحافظة على العقائد الإسلامية ص٣٧ – ط الحلبى الثانية ١٣٧٥هـ/١٩٥٥م .

(٥) أنزل الله على نبيه عيسى ابن مريم إنجيلا واحد ، وانتهى أمره بانتهاء سيدنا عيسى ، ولا علاقة له بالأناجيل الموجودة بأيدى المسيحيين الآن ، وإنما هى منتحلة بأيديهم .

[٣] **المعجزة الدالة على صدق النبى فى دعواه النبوة** ، يشهد لذلك قوله تعالى ﴿ " و آتينا عيسى ابن مريم البينات وأيدناه بروح القدس " ﴾ ، وكذلك الشأن مع كل النبوات والرسالات ، التى جاءت من عند الله تعالى .

[٤] **اصطفاء الله تعالي لموسى ﷺ ، وعيسى ﷺ ، ومحمد ﷺ** ، وكل المرسلين ، [إذ الأنبياء كلهم من طريق واحد يأتون ، ففى الحديث الشريف يقول النبى ﷺ « نحن معاشر الأنبياء ، اخوة لعلات أمهاتهم شتى ودينهم واحد »[١]][٢] .

[٥] **بيان طبيعة المرسل إليهم ، وتفرقهم فى أمر النبى المرسل إليهم** ، والتعاليم الإلهية إليهم ، وانقسامهم حولها ، يبدو ذلك فى قوله تعالى ﴿ " ففريقا كذبتم وفريقا تقتلون " ﴾ ، وتلك طبيعة ثابتة الأقوام مع كل رسول ، والى كل قوم جاءهم ، والآيات التى تكون مع النبى هى « دلائل النبوة وبراهينها -و - هى آيات من الله ، وعلامات منه جل علاه أنه أرسل الرسول ، وكما أن الآيات التى هى كلامه تتضمن إخباره لعباده ، وأمره لهم ، ، ففيها الإعلام والإلزام ، فكذلك دلائل النبوة ، هى آيات منه تتضمن أخباره لعباده ، بأن هذا رسوله ، وأمره لهم بطاعته ، ففيها الإعلام والإلزام »[٣] ، وهذه البينات من الدلائل على النبوة والرسالة هى ذاتها القاسم المشترك بين الأنبياء والمرسلين جميعا فى دلالتها .

---

(١) مسند الإمام أحمد جـ٢ ص٤٠٦ ، ٤٣٧ ، ٤٦٣ ، ٥٤١ .

(٢) الشيخ محمود سالم – من أنوار السنة المطهرة ص١٩ .

(٣) شيخ الإسلام ابن تيميه – النبوات ص١٥٩ (من مجموع فتاوى شيخ الإسلام) .

ولم يكتف القرآن الكريم بالإثبات للنبوات والرسالات علـى وَجـه العمـوم ، ولكنه جعل الإثبات للنبوة على ناحية تخص كل نبـى علـى حـدة ، بحيـث يكـون الإيمان بكل نبى أو رسول منهم على حدة يستتبعه الإيمان بالأنبياء على الجملة ، وتلك طريقة الاستقراء التام[1] – وأكد علـى أن الإيمـان ببعضـهم يسـتلزم الإيمـان بالكل ، وأن الكفر ببعضهم يستتبعه الكفر بالكل ، فقال تعالى ﴿ " يا أيـها الذيـن آمنوا آمنوا بالله ورسوله والكتاب الذي نزل على رسوله والكتاب الـذي أنـزل مـن قبـل ومـن يكفـر باللـه وملائكتـه وكتبـه ورسـله واليـوم الاخـر فقد ضـل ضـلالا بعيدا " ﴾[2] ، وما ذلك إلا للحقيقة المشتركة بينهم جميعا .

وننوه هنا إلى « حقيقة هامة ، وهى وحدة الرسالات السماوية كلها ، فيمـا تهدف إليه من هداية الإنسان وسعادته ، وذلـك بإقامـة الديـن ، فـهى ليسـت إلا حلقات متتابعة فى سلسلة واحدة ، ولبنات متساندة متعاونة يشد بعضها بعضا فى بناء واحد وهو الوحى الإلهى »[3] .

والقرآن الكريم لا يكتفـى بمـا ورد ذكـره فـى التـأكيد علـى إثبـات النبـوات والرسالات ، بل إنه ليقرر النبوة ، ويعيد الحديث عن الرسالة من باب التـأكيد ، وصبغ هالات من الاحترام على الأنبيـاء والمرسـلين ، فيسـمى بعـض سـور القـرآن

---

(١) هذه الطريقة من الطرق العلمية الدقيقة ، التى أقامها مفكروا الإسلام قديما (راجـع فى هـذا الشـأن كتابنا: " قضايا حبيسة فى الفلسفة الحديثة ") .

(٢) سورة النساء الآية ١٣٦ .

(٣) الدكتور صلاح عبدالعليم إبراهيم – العقيدة فى ضوء القرآن الكريم ص٢٥٦ جـ١ ط الأولى عـام ١٤٠٢هـ/١٩٨٢م – مكتبة الأزهر الشريف

الكريم ، بأسماء بعض الأنبياء ، وذلك لحكمة يعلمها الله تعالى ، فهناك سورة الأنبياء[1] ، وفيها حديث قرآني عن عدد من الأنبياء المرسلين .

ومن سور القرآن الكريم ، ما جاء على اسم نبي الله ، أو رسول من رسله ، من ذلك سورة: يونس[2] ، وسورة هود[3] ، وسورة يوسف[4] ، وسورة إبراهيم[5] ، وسورة محمد[6] ، وسورة نوح[7] ، إلى غير ذلك من السور القرآنية .

ومع هذا فقد ذكر القرآن الكريم عددا من الأنبياء والمرسلين على سبيل العد والحصر في الآية الواحدة ؛ للتأكيد على وحدة الهدف ، والغاية بالنسبة لهم جميعا . قال تعالى ﴿ " وتلك حجتنا آتيناها إبراهيم على قومه نرفع درجات من نشاء إن ربك حكيم عليم ووهبنا له إسحق ويعقوب كلا هدينا ونوحا هدينا من قبل ومن ذريته داوود وسليمان وأيوب ويوسف وموسى وهارون وكذلك نجزي المحسنين وزكريا ويحيى وعيسى وإلياس كل من الصالحين وإسماعيل واليسع ويونس ولوطا وكلا فضلنا على العالمين " ﴾[8] .

---

(١) سورة الأنبياء وترتيبها فى المصحف رقم ٢١ ، وهى مكية .

(٢) ترتيبها فى المصحف رقم ١٠ وهى مكية .

(٣) ترتيبها فى المصحف ١١ ، وهى مكية .

(٤) ترتيبها فى المصحف ١٢ ، وهى مكية .

(٥) ترتيبها فى المصحف ١٤ ، وهى مكية .

(٦) تريبها فى المصحف ٤٧ ، وهى مدنية .

(٧) ترتيبها فى المصحف ٧١ ، وهى مكية .

(٨) سورة الأنعام الآيات ٨٦/٨٣ .

ولما كان ذكرهم – صلوات الله عليهم ، وعلى نبينا محمد ﷺ – قد ورد على سبيل التفصيل ، فقد صارت معرفتهم – على وجه التفصيل – أمرا حتميا في العقيدة الإسلامية ، قال الناظم :

حتم على كل ذى التكليف معرفة ∴ بأنبياء على التفصيل قد علموا

في تلك حجتنا منهم ثمانية ∴ من بعد عشر ويبقى سبعة وهموا

أدريس هود شعيب صالح وكذا ∴ ذو الكفل أدم بالمختار قد ختموا[1]

إذن القرآن الكريم ، يقر بالنبوات جميعا ويثبتها ، ويعترف بالرسالات الإلهية كلها ويبينها ، ويؤكد على أنها فضل من الله ورحمة ، من ثم قال « بعض المتكلمين الأصول الأولى هى : معرفة البارى تعالى بواحدنيته وصفاته ، ومعرفة الرسل بآياتهم وبيناتهم »[2] .

ما سلف كان رأيا لبعض المتكلمين ، وبمثله قال المحدثون ، فيذكر العلامة البغوى قوله : « العلوم الشرعية قسمان : علم الأصول ، وعلم الفروع ، أما علم الأصول : فهو معرفة الله سبحانه وتعالى بالوحدانية والصفات ، وتصديق الرسل ، فعلى كل مكلف معرفته ، ولا يسع فيه التقليد ، لظهور آياته ، ووضوح دلائله »[3] ، أما علم الفروع ، فإن التقليد فيه يمكن أن يتم ، باعتبار أن علم الفروع هو ما يتعلق بالشرعيات ، كالصلاة ، والزكاة ، والصوم ، والحج ،التى قد تكون « تقليدا للوالدين ، أو موزونة بشيء من هذه الموازين ، فإن كل علم ليس

---

(١) العلامة الباجورى – حاشية الباجورى المسماه (تحفة المريد على جوهرة التوحيد) ص٢٦ .

(٢) العلامة عبدالكريم الشهرستانى – الملل والنحل جـ١ ص٤١ (تحقيق الأستاذ عبدالعزيز محمد الوكيل) ط الحلبى .

(٣) العلامة البغوى – شرح السنة ص٢٨٢ – مطبعة دار الكتب لسنة ١٣٩٦هـ / ١٩٧٦م .

أوليا ، فبالضرورة يكون حاصلا عند صاحبه بقيام هذه الموازين فى نفسه ، وإن كان هو لا يشعر به »[1] .

يقول الإمام الغزالى : « اعلم أن العلم على قسين: أحدهما شرعى ، والأخـر عقلى ، وأكثر العلوم الشرعية عقلية عند عالمها ، وأكثر العلوم العقلية شرعية عند عارفها ، أما القسم الأول ، وهو العلم الشرعى ، فيتنوع إلى نوعين :-

أحدهما : فى الأصـول ، وهـو علـم التوحيـد ، وننظـر فيـه أدلـة وجـود الله تعالى ، وصفاته القديمة ، وصفاته العقلية ، وصفاته الذاتية المتعددة بالأسامى على الوجه المذكور »[2] عند أهل النظر والاستدلال العقلى ،إلى أخر ما ينظرون فيه من تلك الناحية ، وهو علم علمى ، كما يسميه الإمام الغزالى .

ثانيها : فى الفروع ، وهو العلمى ، ويشتمل على ثلاثة حقوق ، أولهـا حـق الله تعالى ، وهو أركان العبادات ، مثل الطهارة ، والصـلاة ، والزكـاة ، والحـج ، والجهاد ، والأذكار ، والأعياد ، والجمعة ، وزوائدها مـن النوافـل والفرائـض ، ثانيها: حق العبادة ، وهو أبواب العادات فى المعاملة ، مثل: البيع ، والشركة ، والهبة ، والقرض ، والدين ، والقصاص ، وجميع أبواب الديـات والمعـاقدة مثـل: النكـاح ، والطـلاق ، والعتـق ، والـرق ، والفرائـض ولواحقـها . وثالثـــها: حــق النفس ، وهو علم الأخلاق المحمـودة ، التـى يجـب تحصيلـها ، وتحليـة النفـس

---

(١) الإمام أبو حامد الغزالى – القصور العوالى من رسائل الإمام الغزالى القسطاس المتقيم ص٥٧ – مطبعـة الجندى .

(٢) الإمام أبو حامد الغزالى – الرسائل اللدنية ص١٠٦ .

بها ، والأخلاق المذمومة التى يجب رفضها وقطعها »[1] ، وهـا ذكـر هـو مجمـل العلوم الشرعية مطلقا ، وكلها أرشدت إليها النبوات ، وأخبرت بها الرسالات .

ما سلف ذكره هو الطريق الأول – القرآن الكريم فى إثبات النبوات –فما هـو الطريق الثانى من النقل المنزل حتى تثبت به النبوات ؟

» الطريق الثاني: السنة النبوية المطهرة الصحيحة

جاءت السنة النبوية المطهرة الصحيحة ، فتحدثت عن النبـوات والرسـالات ، وبينت أنه ركـن العقيـدة الإسـلامية ، وأن الإيمـان بـها واجـب ، ففـى الحديـث الشريف :

[١] ما رواه « عن عبدالله بن عمر بن الخطاب ﷺ [2] ، قال: حدثني أبي عمر بـن الخطاب، قال: بينما نحن عند رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يـوم، إذ طلع علينا رجل شديد بياض الثياب. شديد سواد الشعر. لا يـرى عليـه أثـر السفر. ولا يعرفه منا أحد. حتى جلس إلى النبي صلى الله عليه وسـلم. فاسـند ركبتيه إلى ركبتيه. ووضع كفيه على فخذيه. وقال: يـا محمـد! أخـبرني عـن الإسلام ؟[3]

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "الإسلام أن تشـهد أن لا إلـه إلا الله وأن محمدا رسول الله صلى الله عليه وسلم. وتقيم الصلاة. وتؤتي الزكاة. وتصوم رمضان.

---

(١) المصدر السابق ص١٠٩ .

(٢) هو الراوى الأعلى ، ويعرف الحديث باسم حديث عمر ، كما يعرف باسم حديث عبدالله بن عمـــر ، وكذلك يعرف باسم حديث جبريل أيضا .

(٣) ليس المراد أن سيدنا جبريل يسأل سيدنا محمد ﷺ ليعرف ، وإنما سأل ليعلم الناس .

وتحج البيت، إن استطعت إليه سبيلا"[١] ، قال: صدقت. قال فعجبنا لـه. يسـأله ويصدقه. قال: فأخبرني عن الإيمان ؟

قال: "أن تؤمن بـالله، وملائكتـه، وكتبـه، ورسـله، واليـوم الآخـر. وتؤمـن بالقدر خيره وشره"[٢] ، قال: صدقت. قـال: فأخـبرني عـن الإحسـان. قـال: "أن تعبد الله كأنك تراه. فإن لم تكن تراه، فإنه يراك"[٣] . قال: فأخبرني عن الساعة؟

قال: "ما المسؤول عنها بأعلم من السائل" قال: فأخبرني عن أمارتها ؟

قال: "أن تلـد الأمـة ربتـها. وأن تـرى الحفـاة العـراة العالـة رعـاء الشـاء، يتطاولون في البنيان". قال ثم انطلق. فلبثت مليا. ثم قال لي: "يا عمر! أتـدري مـن السائل؟" قلت: الله ورسوله أعلم. قال: "فإنه جبريل أتاكم يعلمكم دينكم" »[٤] .

---

(١) تلك هى أركان الإسلام الخمسة ، وفى الحديث الشريف : « حدثنا محمد بن عبدالله بن نمير الهداني. حدثنا أبـو خالد (يعني سليمان بن حيان الأحمر)، عن أبي مالك الأشجعي، عن سعد بن عبيدة، عن ابن عمر، عن النبي صلـى الله عليه وسلم قال: "بني الإسلام على خمسة. على أن يوحد الله. وإقام الصلاة. وإيتاء الزكاة. وصيام رمضان. والحج" فقال رجل: الحـج وصيـام رمضـان؟ قـال: لا. صيـام رمضـان والحـج. هكـذا سمعتـه مـن رسـول الله صلـى الله عليـه وسلم » صحيح الإمام مسلم - كتاب الإيمان. - باب بيان أركان الإسلام ودعائمه العظام. الحديث رقم: ١٩ - (١٦)

(٢) هى أجزاء العقيدة الإسلامية ، وليست عقائد مستقلة - راجع كتابنا: (المدخل التـام لعلـم الكـلام) ففيـه تفـاصيل دقيقة حول المسألة .

(٣) ولذا يرى السادة الصوفية من العلماء أن مقام الإحسان أعلى مقام (راجع فى هذا الشـأن " زبـدة التصـوف " للشـيخ محمد عبداللطيف السمنودى ط الأولى ١٩٢٣م) .

(٤) صحيح الإمام مسلم - باب بيان الإيمان والإسلام والإحسان ووجوب الإيمان بإثبات قـدر الله سبحانه وتعـالى جـ١ ص٣٨/٣٦ ، من رواية « أبو خيثمة زهير بن حرب. حدثنا وكيع، عن كهمس، عن عبدالله بن بريدة، عن يحيى بن يعمر. ح وحدثنا عبيدالله بن معاذ العنبري. وهذا حديثه: حدثنا أبي. حدثنا كهمس، عن ابن بريدة، عن يحيى بن يعمر؛ قال: كان أول من قال في القدر بالبصرة معبد الجهني. فانطلقت أنا وحميد بن عبدالرحمن الحميري حـاجين أو معتمرين فقلنا: لو لقينا أحد من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فسألناه عما يقول هؤلاء في القدر. فوفق لنا عبدالله بن عمر بن الخطاب داخلا المسجد. فاكتنفته أنا وصاحبي. أحدنا عن يمينـه والأخـر عـن شمالـه. فظننـت أن صاحبي سيكل الكلام إلي. فقلت: أبا عبدالرحمن! إنه قد ظهر قبلنا ناس يقرؤون القرآن ويتقفرون العلم. وذكـر مـن شأنهم وأنهم يزعمون أن لا قدر. وأن الأمر أنف. قال: فإذا لقيت أولئك فأخبرهم أني بريء منهم، وأنهم برآء مني. والذي يحلف به عبدالله بن عمر! لو أن لأحدهم مثل أحد ذهبا فأنفقـه، مـا قبـل الله منـه حتـى يؤمـن بـالقدر . ثـم حدثنى أبى عمـر بـن الخطـاب » وأخرجـه الشـيخان مـن روايـة أبـى هريـرة ، وأخرجـه الأجـرى فـى الشـريعة ص١٠٨/١٠٧ ، أما من رواية أبى هريرة فى كتاب صحيح مسلم باب بيان الإيمان والإسلام والإحسان جـ١ ص٣٩ ، والبغوى فى المصابيح جـ١ ص٣ .

والسنة النبوية فى هـذا الحديـث ترينـا إلى أى حـد اهتمـت بشـأن النبـوات والرسالات ، إذ بينت – السنة النبوية – إنها جزء مـن أجـزاء الإيمـان ، جـاءت متآخية مع الكتب ، على معنى أنه كلما كانت هناك كتـب منزلـة ، كـانت هنـاك نبوات قائمة ، إذ لا معنى لإنزال كتب من غير حامليها ، والمعروف أن الرسل هم سفراء الله تعالى إلى خلقه[1] ، وبالتالى بينت السنة النبوية المطهرة الصحيحـة: أن النبوات ركن الإيمان الصحيح المشـار إليـه ، وهـى تثبـت النبـوات وتعـترف بـها وتقر ، وتجعل الحديث عن النبوات أمرا دينيـا سـواء فـى شـأن الرسـول ، أو فـى شكل الرسالة على ما مر ، وطبقا لما سيأتى إن شاء الله تعالى :

[٢] « حدثني عمرو بن محمد بن بكير الناقد. حدثنا هاشم بن القاسم أبو النضـر. حدثنا سليمان بن المغيرة، عن ثابت، عن أنس بن مالك؛ قال:

نهينا أن نسأل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن شـيء[2]. فكـان يعجبنـا أن يجيء الرجل من أهل البادية. العاقل. فيسأله ونحن نسمع[3]. فجاء رجل من أهل البادية.

– فقال: يا محمد! أتانا رسولك. فزعم لنا أنك تزعم أن الله أرسلك؟ قال: "صدق"

– قال: فمن خلق السماء؟ قال الله .

– قال: "فمن خلق الأرض؟ قال: "الله" .

– قال: فمن نصب هذه الجبال[4]، وجعل فيها ما جعل. قال: "الله" .

---

(١) الأستاذ عبدالحميد محمود – النبوات والرسالات ص١٢٣ .

(٢) ذلك من باب الأدب مع الله ورسوله ، وقد حرص الصحابة الأوائل على ذلك .

(٣) سؤال النبى ﷺ عن الأمور الدينية أمر مشروع ،دلت عليه الدلائل النقلية والعقلية .

(٤) نصب الجبال هو إقامتها على ما هى عليه بالشكل الذى هو من طبيعتها .

- قال: فبالذي خلق السماء وخلق الأرض ونصب هذه الجبال آلله أرسلك. قال: "نعم" .

- قال: وزعم رسولك أن علينا خمس صلوات في يومنا وليلتنا. قال: "صدق"[1]

- قال: فبالذي أرسلك. آلله أمرك بهذا؟ قال: "نعم" .

- قال: وزعم رسولك أن علينا زكاة أموالنا . قال: "صدق" .

- قال: فبالذي أرسلك. آلله أمرك بهذا؟ قال: " نعم" .

- قال: وزعم رسولك أن علينا صوم شهر رمضان في سنتنا. قال "صدق" .

- قال: فبالذي أرسلك. آلله أمرك بهذا؟ قال: " نعم" .

- قال: وزعم رسولك أن علينا حج البيت من استطاع إليه سبيلا. قال: "صدق" .

- قال: ثم ولى قال: والذي بعثك بالحق! لا أزيد عليهن ولا أنقصّ منهن. فقال: النبي صلى الله عليه وسلم "لئن صدق ليدخلن الجنة" »[2] .

وعلى الرغم من طول هذا الحديث النبوى الشريف إلا أننى نقلته لأمرين :

▣ **الأمر الأول : تأكيده على النبوات ، وتوثيق الرسالات** ، يبدو ذلك من قو ل الأعرابى للنبى ﷺ « تزعم أن الله أرسلك ، وسؤال الأعرابى للنبى ﷺ عن خالق السماء ، وخالق الأرض ، ناصب الجبال ، ثم قسم الأعرابى بخالقها جميعا ، واستفهامه للنبى آلله أرسلك ، ويأتى جواب سيدنا محمد ﷺ للرجل بنعم ، ثم

---

(١) هنا يبدأ السائل فى التعرف على أركان الإسلام المفروضة عليه ، حتى يقوم بها ، فدل الأمر على أنه حديث عهد بالإسلام .

(٢) صحيح الإمام مسلم – كتاب الإيمان – باب السؤال عن أركان الإسلام جـ١ ص٤٢ ، وقال البغوى حديث صحيح – شرح السنة ص٢١/٢٢ – ط مجمع البحوث الإسلامية .

انتهى الأعرابى من هذا التـأكيد القسمى علـى أن الرسـالات حـق ، وأن النبـى الخاتم سيدنا محمد ﷺ مرسل من عند ربـه .

▣ **الأمر الثاني : أخباره بأن الرسالة معها الوحي بشرعته ، وأحكامه** ، كما هو في عقيدته وأخلاقه ، وذلك بين من سؤال الأعرابى عن أركان الإسلام مـن صلاة ، وزكاة ، وصوم ، وحج[1] ، والمعروف أنه متى سلم بصدق صحة الرسالة؛ سلم بصدق الرسالة ذاتها ، أو على معنى آخر ، متى ثبت الأمر على وجود الرسالة والإيمان بالنبوة ، فقد لزم الإقرار بالرسول والوحى معا ، وهو ما كشفت السنة النبوية المطهرة النقاب عنه فى الحديث الذى نحن بصدده .

غير إن السنة النبوية المطهرة الصحيحة تشير إلى حقيقة شاملة هنا ، وهـى أن الأنبياء جميعا اخوة فى تبليغ الناس ما حملوا به من الحق جـل وعـلا ، يقـول النبـى ﷺ « نحـن معاشـر الأنبيـاء ، اخـوة لعـلات أمهاتـهم شـتى ودينـهم واحد »[2] ، من هنا بات واضحا أن : القرآن الكريـم ، والسـنة النبويـة المطـهرة الصحيحة – النص المنزل – يثبتان النبوات ، ويؤكدان عليها .

ولعل بعض السـنة النبويـة المطهرة الصحيحة ، قد بينت نوعا آخر من البيان ، حين تحدثت عن الأنبياء ، ثم تحدثت عن الموحى به ، وعينت بعض الموحى إليهم من ذلك :

---

(١) وهى جوانب عملية كلها ، ولذلك تعرف الشريعة بأنها الجانب العملى ف ديـن الإسـلام ، وراجـع الرسالة اللدنية للإمام الغزالى ص١٠٩/١١١ ضمن مجموعة القصور العوالى .

(٢) مسند الإمام أحمد جـ٢ ص٤٠٦ ، ٤٣٧ ، ٤٦٣ ، ٥٤١ .

[أ] قوله ﷺ « ما من نبى من الأنبياء إلا وقد أوتى من الآيات مـا آمـن علـى مثلـه البشر ، وإنما كان الذى أوتيته وحيـا أوحـاه الله إلى ، فـأرجو أن أكـون أكـثرهم تابعا يوم القيامة »[1] .

[ب] ما روى « عن همام بن منبه. قال: .. حدثنا أبو هريرة عن رسول الله صلـى الله عليه وسلم. فذكر أحاديث منها:

وقال أبو القاسم صلى الله عليه وسلم "مثلي ومثل الأنبياء من قبلي كمثل رجل ابتنى بيوتا فأحسنها وأجملـها وأكملـها. إلا موضـع لبنـة في زاويـة مـن زواياهـا. فجعل الناس يطوفـون ويعجبـهم البنيـان فيقولـون: ألا وضعـت هـهنا لبنـة فيتـم بنيانك" فقال محمد صلـى الله عليـه وسـلم "فكنـت أنـا اللبنـة »[2] ، وأنـا خـاتم النبيين ، كما ورد الحديث برواية أخرى هى « مثل ومثل الأنبياء قبلـى ، كمثـل رجل بنى بيتا ، فأكمله وجمله ، إلا موضع لبنة فـى زاويـة مـن زوايـاه ، فجعـل الناس يطوفون ، ويعجبون له ، ويقولون هلا وضعت هـذه اللبنـة ، فأنـا اللبنـة ، وأنا خاتم الأنبياء »[3] .

---

(١) صحيح الإمام مسلم ، وراجع من أنوار السنة النبوية ص١٣٣ .

(٢) صحيح الإمام مسلم – كتاب الفضائل – باب ذكر كونه ﷺ خاتم النبيين .

(٣) والنصوص القرآنية تؤكد الروايتين من ذلك قوله تعالى ﴿ " ما كان محمد أبا أحد من رجالكم ولكـن رسول الله وخاتم النبيين وكان الله بكل شيء عليما " ﴾ سورة الأحزاب الآية (٤٠) .

الثانى : السلف الصالح[1]

» **نبذة عن السلف الصالح :**

[أ] من هم السلف الصالح ؟

» **أولا : كلمة السلف فى اللغة** : هى اسم جمع لا واحد له من لفظه ، ومعناه « الآباء المتقدمون » ، و يجمع على أسلاف ، وسلاف[2] ، على صيغة منتهى الجموع ، وتطلق السلف فى اللغة أيضا على من لهم خلف ، وهم سلف لمن وراءهم[3] ، وتحمل اللغة من معانى السلف المادى ، والمعنوى ، ومنه القول تاريخ سلف ، بمعنى مضى ، وعمل سلف ، بمعنى انتهى ، سالف العمر ، أى المتقدم منه .

من ثم فإن كلمة السلف فى اللغة تطلق على المتقدم بشكل عام ، ماديا كان أو معنويا ، ومنه قوله تعالى ﴿ " ولا تنكحوا ما نكح آباؤكم من النساء إلا ما قد سلف إنه كان فاحشة ومقتا وساء سبيلا " ﴾[4] ، والمعنى أن الله تعالى حرم عليكم نكاح النساء اللاتى نكحهن أحد من آبائكم ، اعتبارا من وقت التحريم ، أما الذى مضى منكم فى العصور التى سلفت فأمرها موكول إلى الله تعالى على النحو التالى :

---

(١) تعرضت للحديث عن السلف الصالح من حيث التعريف والآراء (راجع كتابنا: حبو الوليد فى علم التوحيد) .

(٢) مختار الصحاح مادة سلف ص٣٣١ .

(٣) أساس البلاغة مادة سلف ص٤٥٤ .

(٤) سورة النساء الآية ٢٢ .

» ثانيا : السلف في الاصطلاح :

للسلف الصالح في الاصطلاح تعاريف متنوعة طبقا لاتجاهات القائلين به ، والمتناولين له نذكر بعضا منها :-

▣ الأول : باعتبار الفترة الزمانية :-

[أ] **السلف هم الصحابة والتابعون** « من أهل القرون الثلاثة الأولى ، فأصبح مذهب السلف علما على ما كان عليه هؤلاء ، ومن تبعهم من الأئمة ، كالأئمة الأربعة ، وسفيان الثورى ، وسفيان بن عيينة ، والليث بن سعد ، وعبدالله بن المبارك ، والبخارى ، ومسلم ، وسائر أصحاب السنن الذين أتبعوا طريق الأوائل جيلا بعد جيل »[1] ، يتوارثونه عن بعضهم من غير تقليد فيه ، إنما عن نظر عقلى ، وإلزام لما في القرآن الكريم ، والسنة النبوية المطهرة الصحيحة .

[ب] **السلف هم** : « ما قبل الخمسمائة ، وقيل هم الصحابة ، والتابعون ، وتابعو التابعين »[2] ، ما داموا داخلين في نطاق الخمسمائة سنة .

[ج] « كلمة السلف ذات ذيول طويلة – إن صح التعبير – قد تمتد إلى القرن السابع الهجرى ، وكل فرقة تدعى لآرائها سلفية ، لا تتمتع بها آراء غيرها من

---

(١) العلامة ابن حجر – العقائد السلفية ص١ .

(٢) الشيخ حسن السيد متولى – مذكرة التوحيد ص٣٨ .

الفرق »[1] الأخرى ، مع أن الجميع يتنازع على مفهوم السلفية ، ومحاولة وصف نفسه بها ، مع نزعها عن الآخرين .

◄ **وفى تقديرى** : أن تعريفهم بالسبق أو الفترة الزمانية لا يكفى ، لأنهم يمثلون فكرا قائما على أصول دينية ، وهذا الفكر يمتد ما بقيت أصوله ، ثم إن الفترة الزمانية يدخل فيها من كان على عهده مع الله ورسوله ، فلما انتقل الرسول ﷺ ارتدوا عن الإسلام ، وبالتالى يدخلون فى التعريف السابق ، على أساس أنهم وجدوا فى ذات الفترة الزمانية ، ولذا أميل إلى أن اعتبارهم سلفية بناء على الناحية الزمانية غير مقبول .

▣ الثانى : تعريفهم بالمنهج :

السلف هم الذين تتضح أصول العقيدة الإسلامية عندهم « فى الإيمان بصفات الله تعالى ، وأسمائه من غير زيادة عليها ، ولا نقص منها ، ولا تأويل لها ، بما يخالف ظاهرها ، ولا تشبيه لها بصفات المخلوقين »[2] ، ويقول الإمام الغزالى: « حقيقة مذهب السلف عندنا ، أن كل من بلغه حديث من هذه الأحاديث من عوام الخلق ، فيجب عليه سبعة أمور: التقديس ، ثم التصديق ، ثم الاعتراف بالعجز ، ثم السكون ، ثم الإمساك ، ثم الكف ، ثم التسليم لأهل المعرفة »[3] ، وهى تعريفات مقبولة على ناحية المنهج الذى يستخدمونه .

---

(١) الدكتور / محمد السيد الجليند – الإمام ابن تيميه وموقفه من التأويل ص٥٢ – ط مجمع البحوث الإسلامية .

(٢) شيخ الإسلام أحمد بن عبدالحليم الشهير بابن تيميه – نقض المنطق ص٢ ، وكذلك مجموع الفتاوى .

(٣) الإمام أبو حامد الغزالى – الرسالة الوعظية ص٢٤٠ ، ضمن مجموعة القصور العوالى من رسائل الإمام العزالى .

■ **الثالث : تعريفهم بالغاية :**

قال الشيخ الجمل « السلف الذين يفوضون علم المتشابه إلى الله بعد صرفه عن ظاهره »[1] ، فهم لا يجادلون فى المتشابهة ، وإنما يفوضون علمه وحقيقته إلى الله تعالى ، من غير تعطيل لظاهر اللفظ .

■ **الرابع : قال العلامة الزرقاني** « مذهب السلف ، ويسمى مذهب المفوضة ، وهو تفويض معانى هذه المتشابهات إلى الله وحده ، بعد تنزيهه عن ظواهرها المستحيلة »[2] ، باعتبار أن التفويض فى هذه الأمور سلم بالنسبة لعقيدة المسلم ، وأصوب عند الله تعالى .

ويمكن تعريفهم بأنهم الذين يتعاملون مع « النص المنزل بدون أفكار مسبقة ... تؤدى إلى إخراج النص عن حقيقته ، وبعبارة أخرى : إعطاء مكان الصدارة والأولوية للنص المنزل ، ليكشف عن مضمونه من واقع الفهم اللغوى للألفاظ ، مع الاستعانة بالنصوص المنزلة الأخرى »[3] .

وربما يعرف السلف : « بأنهم الذين استجابوا لله ورسوله ، وهم خيرة الخلق من الصحابة والتابعين ، والذين اتبعوهم بإحسان ، فقالوا بشريعته ، وتمسكوا بسنته ، وعضوا عليها بالنواجذ ، عقيدة وعبادة ، وخلقا وأدبا ، فصاروا

---

(١) الشيخ سليمان بن عمر الشافعى الشهير بالجمل – حاشية الجمل على تفسير الجلالين جـ٢ ص١٤٩ المعروف بالفتوحات الإلهية .

(٢) الشيخ محمد عبدالعظيم الزرقانى – مناهل العرفان فى علوم القرآن جـ٢ ص١٨٥ .

(٣) الدكتورة / فوقية حسين محمود – مقدمة كتاب الإبانة ص٩٤ ط دار الكتاب .

هم الطائفة الذين لا يزالون على الحق ، ظاهرين ، لا يضرهم من خالقهم ، حتى يأتى أمر الله »[1] .

كما يمكن القول بأن السلف هم: « الذين ينطلقون فى أصولهم الدينية « من دلالة النص المنزل ، ويحرصون على استجلاء المعانى من كلمات الله تبارك وتعالى »[2] ، فى القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة الصحيحة .

▣ **وشيخ الإسلام ابن تيميه يقدم للسلف الصالح تعريفات عدة باعتبار الغاية ، نذكر منها :-**

[١]قال شيخ الإسلام ابن تيميه فى تعريف السلف من خلال المذهب الذى يعتنقه هو بأن « مذهب السلف أجراؤها – الصفات الخبرية – على ظاهرها ، مع نفى الكيفية والتشبيه عنها[3] ، وابن تيميه من أحرص الناس – من وجهة نظره – على تصوير فكر السلف وإعلاء شأن السلفية حيث ينسب هو أيضا إليها[4] ، رغم أن أهل الإسلام كلهم سلف ، فمن تمسك بالكتاب والسنة ، والتزم القيام عليهما ، فهو صالح .

[٢]قال شيخ الإسلام ابن تيميه : اتفق سلف الأمة وأئمتها على أن يوصف الله تعالى بما وصف به نفسه ، وبما وصفه به رسول من غير تحريف ، ولا

(١) الشيخ محمد الصابونى القيمين – عقيدة أهل السنة والجماعة ص٨ ط وزارة الشئون الإسلامية والأوقاف بالمملكة العربية السعودية ١٤١٩هـ .

(٢)الدكتورة / فوقية حسين محمود – مقدمة كتاب الإبانة ص١١٠ ط دار الكتاب .

(٣) شيخ الإسلام ابن تيميه – الفتاوى – المجلد الخامس ص١٢٦ .

(٤) ابن تيميه السلفى للدكتور محمد خليل هراس ١٩٥٢م ط أولى .

تعطيل ، ومن غير تكييف ، ولا تمثيل[1] ، وبالتالى عرف السلف بأنهم الذين يؤمنون بما أنزل الله فى كتابه ، وعلى قلب نبيه محمد ﷺ من قرآن أو سنة ، وقالوا سمعنا وأطعنا ، معتبرين منطوق النقل المنزل فوق العقل ، مؤكدين على أن الشرع أعلى من العقل ، وما أتى به الشرع يقبل ، وإن ناقضه العقل فليتهم العقل .

▣ **ولعل ابن خلدون قد صور هذا** حين قال « فأما السلف فغلبوا أدلة التنزيه لكثرتها ، ووضوح دلالتها ، وعلموا استحالة التشبيه ، وقضوا بأن هذه الآيات من كلام الله فآمنوا بها ، ولم يتعرضوا لمعناها ببحث من باب أن تكون ابتلاء ، فيجب الوقف عنده والإذعان له »[2] ، وهى وجهة نظر قائمة على تعريف السلف ، باعتبار نظرهم فى الآيات الخبرية ، وموقفهم من المتشابه ، أو هو من التعاريف القائمة على مواضع الأدلة .

▣ **الشيخ أبو الحسن البغدادى :** عرف السلف من خلال عقيدتهم فى قصيدة له فقال :-

عقيدة ذات سلام واحدة ∴ هى التى لها النصوص شاهدة

ما جاءهم فى محكم الكتاب ∴ وسنة الهادى إلى الصواب

من الصفات واضحا معناه ∴ واجب الاعتقاد لا سواه

وما أتاهم فيهما من مشكل ∴ اعتقدوا تنزيه مولانا العلى

---

(١) راجع فى هذا الشأن (شرح العقيدة الأصفهانية ص٨) .

(٢) العلامة ابن خلدون – المقدمة ص٥٠٨ ، ص٣٤٦ ط محمد عاطف – بدون تاريخ .

إلي أن يقول :

والمذهب الذى به دأب السلف ∴ وبالذى يليق أول الخلف[1]

يقول أحد الباحثين : « ولابد أن نفهم من هذا السياق طريقتهم فى إخضاع العقل للنص ، لا العكس ، مخالفين بذلك قواعد المتكلمين من المعتزلة والأشاعرة ، الذين قدموا العقل ، وأولوا النصوص تبعا له[2] ، ولست أوافقه على النتائج التى انتهى إليها ، لما هو ثابت عند الأشاعرة والماتريدية من إخضاع العقل للنقل المنزل ، متى كان النقل صحيحا متواترا ، وهم حين يذهبون إلى التأويل ،لا يزجون عن مفهوم النقل المنزل أيضا .

▣ **تعريف الإمام محمد عبده** : يعرف السلف بأنهم الذين « يفهمون إشارات الكتاب ونصوصه ، ويعتقدون بالتنزيه ويفوضون فيما يوهم التشبيه ، ويرون أن له معنى غير ما يفهم من ظاهر اللفظ[3] ، وقد ظن الباحثون أن مذهب السلف الصالح لا يوجد إلا فى المتشابه من الآيات القرآنية ، والخبرى من الصفات الإلهية ، وهذا فى حد ذاته تحجيم لمذهب السلف ، وتضييق عليه ، وحصر لفكرهم كله فى عدد من الآيات التى وقع فيها اللفظ المتشابه ، والواقع غير ذلك ، لأن من السلف محدثين ، وفقهاء ، وأصوليين ، كما أن منهم صحابة وتابعين .

---

(١) أبو الحسن البغدادى المالكى بن عبدالستار – إيقاظ الوسنان فى العمل بالسنة والقرآن ، مخطوط نقلا عن ابن تيميه ليس سلفيا للشيخ منصور محمد محمد عويس ص١٣ ط أولى – دار النهضة العربية ١٩٧٠م .

(٢) الدكتور مصطفى حلمى – قواعد المنهج السلفى ص٣٦ دار الأنصار – الطبعة الأولى ١٩٧٦م .

(٣) الأستاذ الإمام محمد عبده – رسالة التوحيد ص٢٦ – تحقيق الدكتور أبورية ط ٤ دار المعارف .

فكان منهم أصحاب مذهب أبى حنيفة ، ومالك ، والشافعى ، وأحمد بن حنبل ، وسفيان الثورى ، وسفيان بن عينة ، وزفر ، وغيرهم من أئمة الحجاز والشام والعراق ، وأئمة خراسان ، وما وراء النهر – ومذهبهم جميعا – هو مذهب الصحابة والتابعين ، وأتباع التابعين »[1] ، وهو التزام القرآن الكريم ، والسنة النبوية المطهرة الصحيحة .

كما أنهم لم يقتصروا على تفهم الآيات المتشابهات – على ما سلف بيانه – وإنما اشتغلوا بالأحكام الشرعية أيضا ، وسلكوا فيها مسالك القرآن الكريم ، والسنة النبوية المطهرة الصحيحة ، لأنه « لم يعهد من الصحابة التصرف فى أسماء الله تعالى وصفاته بالظن[2] ، وإنما عملوا بالظنون فى تفاصيل الأحكام الشرعية ، لا فى المعتقدات الإيمانية ، وسلكوا طريق السلامة »[3] ، ولذا عرفوا بالصفة الغالبة ، كما عرفوا بالمنهج الذى ساروا عليه أيضا .

▣ **تعريف الإمام ابن القيم : للسلف ومذهبهم** ، فيقول :

« تنازع الناس فى كثير من الأحكام ، ولم يتنازعوا فى آيات الصفات وأخبارها فى موضع واحد ، بل اتفق الصحابة والتابعون على إقرارها ، وإمرارها مع فهم معانيها ، وإثبات حقائقها ، وهذا يدل على أنها أعظم النوعين بيانا ،

---

(١) العلامة أبو المظفر الأسفرينى – التبصير فى الدين وبيان الفرقة الناجية من الفرق الهالكين ص١١٣ مطبعة الأنوار .

(٢) الظن هو : « " إدراك الطرف الراجح " ، " والظن هو الاعتقاد الراجح من احتمال النقيض ، وهو غير الشك ، وغير اليقين أيضا " » التعريفات للجرجانى ص١٢٥ .

(٣) الدكتور على محمد جبر – محاضرات فى علم الكلام ص٦٥ ، صون المنطق والكلام عن فنى المنطق والكلام للسيوطى جـ١ ص١٨٢ – تحقيق الدكتور للنشار .

وأن العناية ببيانها أهم ، لأنها من تمام تحقيق الشهادتين ، وإثباتها من لوازم التوحيد ، فبينها الله ورسوله ، بيانا شافيا ، لا يقع فيه لبس يوقع الراسخين فى العلم »[1] ، وهو الذى عليه أهل العلم بالله تعالى ؛ السلف الصالح .

غير أن هناك من وصفهم بأنهم أهل الحديث ، وسماهم به ، متناسيا أن السلف الصالح هم أهل القرآن الكريم وأهل الحديث الشريف ، وأن فصل أحد المصدرين عن الأخر ، ثم وصف السلف به ، لا يؤدى إلى أنهم سلف ، وإنما يؤدى إلى أنهم أصحاب صنعة فى الحديث[2] ، أو الفقه ، أو غيرهما ، وليسوا أصحاب عقيدة ، وهذا ما نبعده عن السلف الصالح – رضوان الله عليهم أجمعين – ونبعدهم عنه أيضا .

▣ **يقول الشيخ الصابونى عنهم** « إنهم أصحاب الحديث – حفظ الله أحياءهم ، ورحم أمواتهم – يشهدون لله تعالى بالوحدانية ، وللرسول ﷺ بالرسالة والنبوة ، ويعرفون ربهم عز وجل بصفاته التى نطق بها وحيه وتنزيله ، أو شهد له بها رسوله ﷺ ، على ما وردت الأخبار الصحاح به ، ونقله العدول الثقاة عنه ، ويثبتون له جل شأنه ، ما أثبته لنفسه فى كتابه ، وعلى لسان رسوله ﷺ ، ولا يعتقدون تشبيها لصفاته بصفات خلقه »[3] ، أو يعملون على

---

(١) الإمام ابن القيم – مختصر الصواعق المرسلة جـ١ ص٢١ نقلا عن الدكتور عوض الله جاد حجازى – ابن القيم وموقفه من التفكير الإسلامى – مجمع البحوث ط ٩١م .

(٢) لست أوافق على أنهم أصحاب صنعة ، وإنما أراهم أهل تقوى وعرفان بالله تعالى ، مع التسليم الكامل لمراده جل علاه .

(٣) العلامة أبو عثمان إسماعيل الصابونى – عقيدة السلف ص٢٣٩ مخطوطة ضمن مجموعة بدار الكتب المصرية تحت رقم ٨١٣ توحيد .

الدخول فى تأويلات ، تكون مقبولة من جانب فريق ، أو مرفوضة من جانب فريق أخر .

وطبقا لما سبق من تعاريف اتضح أن « مدلول السلفية أصبح اصطلاحا جامعا ، يطلق على طريقة السلف فى تلقى الإسلام وفهمه وتطبيقه ، ولذا فلم يعد – مدلول السلفية – محصورا فى دور تاريخى معين »[1] ، ويؤيد هذا الرأى ما شاع عن أحوال السلف الصالح – رضوان الله عليهم أجمعين – ، بيد أن الاعتماد على التاريخ وحده فى تعريف السلف الصالح لا يكفى ، وإنما « لابد أن يضاف إلى السبق الزمنى ، موافقة الرأى – الذى يدعى صاحبه السلفية ، أو ينسبه أحد إليها – للكتاب والسنة نصا وروحا ، فمن خالف رأيه الكتاب والسنة فليس بسلفى ، وإن عاش بين أظهر الصحابة والتابعين »[2] ، أو أعلن انتسابه إلى أى منهما .

وأنوه إلى أن حوادث التاريخ نفسه تدفع الرأى القائل بالمدة الزمنية ، واعتبارها المعرف للسلف ، لأن جماعة التأويل والبحث عن التشابه ، وأصحاب القول بالرأى ، كان ظهور بعضهم فى القرن الأول الهجرى ، بل وفى النصف الأول منه[3] ، حيث إن واقعة ابن صبيغ المشهورة كانت فى عهد الخليفة الثانى سيدنا عمر بن الخطاب ﷺ ، التى بدأت فى السنة الثالثة عشر للهجرة ، وانتهت

---

(١) المصدر السابق ص٤٦ .

(٢) الدكتور محمد السيد الجليند – الإمام ابن تيميه وموقفه من قضية التأويل ط مجمع البحوث الإسلامية ص٥٢ .

(٣) الشيخ منصور عبدالعاطى نصر الله – التفكير الإسلامى فى مراحله الأولى ص٣١ .

في الثالثة والعشرين منها »[1] ، وكذلك جدل سيدنا عمر بن الخطّاب ﷺ للقدرية والجبرية ، ومحاورات الصحابة للمرتدين ، وجدل الفقهاء في الأحكام الشرعية .

من هنا فالحصر الزمني لا يصلح دليلا على السلف يعرفون به ، كما أن إطلاق لفظ السلف دون وصفه بالصالح ، يؤدي إلى المعنى اللغوي فقط ، والمعلوم أن كل سلف له لاحق ، واللاحق خلف السابق ، وعلى هذا الوجه اللغوي فالسلف أمر نسبي ، يبدأ منذ بدء الخليقة إلى يومنا هذا على الناحية اللغوية ، وليس على الناحية الاصطلاحية أو الشرعية .

إذن لابد من تحديد لفظ السلف بالوصف ، فإذا لم يمكن وصفه ، فإن اللفظ يصير عاما يحمل كل دلالاته ، إذ المعلوم عند اللغويين أن اللفظ إذا أطلق انصرف إلى أكمل معانيه ، ما لم تكن هناك قرينة تحدد المعنى المراد[2] ، كما أن السلف بالاسم فقط يحمل سلف اليهودية ، والبوذية ، والمسيحية ، والإسلام ، وغيرها من الألفاظ اللغوية ، كما يحمل سلف الأشاعرة ، والمعتزلة ، والفلاسفة ، والكرامية ، وغيرها ، دون تخصيص للسلف الذي نبحث فيه .

من ثم فقد وجب وصف السلف بالصالح ، عند الحديث عنه ، وكيف لا يكون كذلك ؟! وهم جميعا على كتاب الله قائمون ، وعلى هدى سنة رسوله ﷺ

---

(١) وكان إسلام عمر بن الخطاب ﷺ « في السنة السادسة من مبعث الرسول ، وعمره ٣٣ عاما إلا ٢٦ يوما ، واسلم بعد ٣٩ رجلا ، ٢٢ امرأة على الراجح ، ومدة خلافته ابتدأت من (١٣-٢٣هـ) / (٦٤٣- ٦٤٤م) » الدكتور عبدالفتاح على شحاته - تاريخ الأمة العربية جـ١ - دراسات في عصر الخلفاء الراشدين ص١١٩ لسنة ١٣٩٢هـ/١٩٧٢م .

(٢) الدكتور توفيق محمود - دراسات في أصول البلاغة ص١٣٩ .

ملتزمون ، لذلك وصفته فى تلك الدراسة بالصالح(١) ، وقد جرى عليه العرف بين الناس فى مشافها تهم ، وإن لم يكن بين العلماء فى مدوناتهم .

■ تعريف الباحث للسلف :

السلف هم كل من صدق بكل ما انزل الله فى القرآن الكريم ، وما صح من سنة الرسول الكريم ﷺ ، المحكم على أنه محكم ، والمتشابه على أن علمه عند الله رب العالمين ، ولا يبطلون حكما ، ولا يعطلون منزلا ، ولا يشبهون الله بأحد من خلقه ، معتبرين النص المنزل أساسا ، والعقل تابعا ، وما ورد به النص ، فالعمل به بعد العلم واجب ، وما لم يرد به النص ، فليعمل العقل قدر طاقته – حتى يجد لمدرك العقل أساسا من النص ، لأن ثقافتهم ومذهبهم هو القرآن الكريم ، وسنة رسوله ﷺ (٢) ، وما صح عن الصحابة الأعلام والتابعين ، أو انتهى إليه أهل العرفان من العلماء العاملين ، مع تفويض العلم فيها لله عز وجل .

[ب] جهودهم فى إثبات النبوات :-

ما دام السلف الصالح هو المتمسكون بالقرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة الصحيحة ، وهما معا قد أثبتا النبوات على ما سلف بيانه(٣) ، تكون النتيجة المنطقية هى : أن السلف الصالح يثبتونها بنفس طريقة القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة الصحيحة ، ولنزد هذا الأمر بيانا فيما يلى :

---

(١) هذا الوصف هو الذى أميل إليه ، وأتمسك به على الناحية الشرعية .

(٢) الدكتور على محمد جبر – محاضرات فى علم الكلام ص٦٣/٦٤ من الهامش .

(٣) ذلك ما سجلته أثناء حديثى عن إثبات النبوات بالنقل المنـزل راجعه فى كتابنا (عبدالكريم الخطيب وآراؤه الكلامية) .

قال الشيخ الصابونى : السلف « يشهدون لله تعالى بالوحدانية . وللرسول ﷺ بالرسالة والنبوة »[1] ، على طريقة القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة الصحيحة . لأن العامل الأساسى فى وحدة الجماعة - جماعة السلف - من الناحية العقدية هو اتباعهم المنهج النصى « فى تقرير العقيدة ، سواء كان ذلك النص قرآنا كريما ، أم سنة نبوية صحيحة »[2] ، أما هما معا على سبيل التواتر .

وقد اعتبرهما الإمام أحمد أصلا من أصول الدين ، فيما نقله عنه شيخ الإسلام ابن تيميه حيث يقول : « وفى الكلام المأثور عن الإمام أحمد : أصول الإسلام أربعة : (دال . ودليل ، ومبين ، ومستدل) ، فالدال هو الله ، والدليل هو القرآن الكريم ، والمبين هو الرسول ﷺ ، قال تعالى ﴿ " وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ " ﴾[3] ، والمستدل هم أولوا العلم ، وألوا الألباب ، الذين أجمع المسلمون على هدايتهم ودرايتهم »[4] بالنصوص الشرعية .

إذن السلف الصالح يثبتون النبوة كما وردت فى القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة الصحيحة ، من ذلك ما روى عن « عبدالله بن بريدة ، عن يحيى بن يعمر - فى حديث الإيمان - حينما سأل جبريل الأمين النبى محمدا ﷺ عن الإيمان . فقال : أن تؤمن بالله ، وملائكته ، وكتبه ، ورسله ، وبالموت ، والبعث من بعد

---

(١) الشيخ الصابونى - عقيدة السلف ص٢٣٩ .

(٢) الدكتور محمد عبدالستار نصار - المدرسة السلفية وموقف رجالها من المنطق وعلم الكلام ص٥٠٠ - دار الأنصار .

(٣) سورة النحل الآية ٤٤ .

(٤) شيخ الإسلام ابن تيميه - النبوات ص٣٩ ط دار الفتح بدون تحقيق .

الموت ، والحساب ، والجنة ، والنار ، والقدر كله »[١] ، بما فيه من خير وشر ، باعتبار أن أفعال الله تعالى كلها خير .

على هذا النحو كان إثبات السلف الصالح للنبوة على وجه العموم ، ولسيدنا محمد ﷺ على وجه الخصوص ، وربما استشعر ذلك من قوله ﷺ « مثلي ومثل الأنبياء من قبلي كمثل رجل ابتنى بيوتا فأحسنها وأجملها وأكملها. إلا موضع لبنة في زاوية من زواياها. فجعل الناس يطوفون ويعجبهم البنيان فيقولون: ألا وضعت ههنا لبنة فيتم بنيانك" فقال محمد صلى الله عليه وسلم "فكنت أنا اللبنة ، وأنا خاتم النبيين »[٢] .

إذن الحديث الشريف ذكر الأنبياء والنبوات ، والرسالة والرسالات على وجه إجمالى ، وأكد على نبوة سيدنا محمد ﷺ على وجه الخصوص فيما يتعلق بكل من كونها نبوة ، وخاتمة أيضا .

ويقول المقريزى فى خططه عن السلف الصالح ، وطريقتهم فى إثبات العقيدة الإسلامية بما فيها من النبوات « لم يكن عند واحد منهم ما يستدل به على وحدانية الله تعالى ، وعلى إثبات نبوة سيدنا محمد ﷺ سوى كتاب الله ، ولا عرف واحد منهم شيئا من الطرق الكلامية ، ولا مسائل الفلسفة »[٣] فى ناحية

---

(١) الإمام البيهقى – الاعتقاد ص١٢٣ ط السلام العالمية ، ولا يتعارض مع حديث سيدنا عمر ﷺ باعتبار أن حديث عمر فيه إجمال ، بينما الثانى فيه بعض التفصيلات .

(٢) صحيح الإمام مسلم – كتاب الفضائل – باب ذكر كونه ﷺ خاتم النبيين . ، وروايته (حدثنا محمد بن رافع. حدثنا عبدالرزاق. حدثنا معمر عن همام بن منبه. قال: هذا ما حدثنا أبو هريرة عن رسول الله ﷺ) .

(٣) العلامة المقريزى – الخطط جـ٣ ص٣٨٢ لسنة ١٩٦٨م .

الاستدلال ، والاستعمال لها ، أما المعرفة المجردة بها ، فذلك محل خلاف بين الباحثين .

والباحث أشد ميلا إلي أن تعبير المقريزى فيه الكثير من ألون القصور لما يأتى :-

[١] إن استدلالهم لمن يكن قاصرا على إثبات الوحدانية لله ، بل شمل إثبات كل صفاته جل علاه ، وما يجب له ، وما يجوز عنده ، وما يستحيل اتصافه به ، لكن بآيات قرآنية وأحاديث نبوية ، وهو طريق من طرق الاستدلال على ذات الله وصفاته .

[٢] إن استدلالهم على إثبات النبوة لسيدنا محمد ﷺ قول فيه قصور شديد . بل هم قد آمنوا بنبوة جميع الأنبياء والرسل ، وعلى رأسهم خاتمهم سيدنا محمد ﷺ ، ولذا كان الأولى إدخال القيدين ، بمعنى أن يقال كان استدلالهم على وحدانية الله وسائر كمالاته تعالى ، وعلى الأنبياء ، وفيهم سيدنا محمد ﷺ بالنقل المنزل .

من هنا فإن السلف الصالح يعترفون بالنبوة والأنبياء على سبيل الإثبات ، ويقرون بالرسل والرسالة ، وكما اعترفوا بها ابتداء – طبقا للنص المنزل – . فانهم يقرون به انتهاء ، ويعترفون بأن الأنبياء قد ختموا بخير الخلق سيدنا محمد ﷺ . حسبما جاء ذكره فى القرآن الكريم فى قوله تعالى ﴿ " ما كان محمد أبا أحد من رجالكم ولكن رسول الله وخاتم النبيين وكان الله بكل شيء عليما " ﴾[١] .

(١) سورة الأحزاب الآية ٤٠ .

▣ **ومن السنة النبوية المطهرة أيضا** قوله ﷺ « حدثني محمد بن بشار: حدثنا محمد بن جعفر: حدثنا شعبة. عن فرات القزاز قال: سمعت أبا حازم قال: قاعدت أبا هريرة خمس سنين، فسمعته يحدث عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (كانت بنو إسرائيل تسوسهم الأنبياء، كلما هلك نبي خلفه نبي، وإنه لا نبي بعدي، وسيكون خلفاء فيكثرون). قالوا: فما تأمرنا؟ قال: (فوا ببيعة الأول فالأول. أعطوهم حقهم. فإن الله سائلهم عما استرعاهم). »[1] .

« ولهذا فقد كانت أدلة السلف – من الصحابة والتابعين وتابعيهم ، وكبار الأئمة – على وجود الله تعالى ووحدانيته ، وأسمائه ، وصفاته ، ونبوة أنبيائه ، وملائكته ، واليوم الآخر ، والقدر هى أدلة القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة »[2] . وهو الذى أميل إليه ، ويقوم التأكيد عندى عليه .

وكذلك ما رواه سيدنا جابر ﷺ عنه قال « فأنا موضع اللبنة جئت فختمت الأنبياء » ، وقوله ﷺ فيما رواه الإمام احمد بسنده إلى أبى الطفيل ، أن رسول الله ﷺ قال « لا نبوة بعدى إلا المبشرات ، قالوا وما المبشرات يا رسول الله ؟ قال

---

(١)صحيح البخاري – باب: ما ذكر عن بني إسرائيل. ، وأخرجه مسلم في الإمارة، باب: وجوب الوفاء ببيعة الخلفاء الأول فالأول، رقم: ١٨٤٢. (تسوسهم) تتولى أمورهم، والسياسة القيام على الشيء بما يصلحه. (فيكثرون) أي يكون أكثر من حاكم واحد للمسلمين في زمن واحد. (فوا) من الوفاء. (ببيعة الأول فالأول) أي إن الذي تولى الأمر وبويع قبل غيره هو صاحب البيعة الصحيحة التي يجب الوفاء بها، وبيعة الثاني باطلة يحرم الوفاء بها مطلقا. (أعطوهم حقهم) أطيعوهم في غير معصية. (سائلهم) محاسبهم بالخير والشر عن حال رعيتهم .

(٢) الدكتور عبدالعزيز سيف النصر – تقديم كتاب الاقتصاد فى الاعتقاد ص١٠ ط أولى ١٤٠٩هـ/١٩٨٨م مطبعة الجبلاوى .

الرؤيا الحسنة . أو قال: الرؤيا الصالحة » (١) . وفى بعض الزيادات . يراها الرجل الصالح ، أو ترى له .

ومنها أيضا ما رواه أنس بن مالك ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ « إن الرسالة والنبوة قد انقطعت فلا رسول بعدي ولا نبي ، قال فشق ذلك على الناس ، قال: قال: ولكن المبشرات ، قالوا يا رسول الله وما المبشرات ، قال: رؤيا الرجل المسلم وهي جزء من أجزاء النبوة » (٢) .

ومنها كذلك ما رواه عبدالله بن عمر ﷺ ، قال : خرج علينا رسول الله ﷺ يوما كالمودع ، فقال : « أنا محمد النبى الأمى – ثلاثا – ولا نبى بعدى » (٣) .

ومنها ما رواه أبو هريرة ﷺ من أن رسول الله قال « وأرسلت إلى الخلق كافة وختم بى النبيون » (٤) .

(١) مسند الإمام أحمد . للإمام أحمد ابن حنبل -- حديث أبي الطفيل عامر بن واثلة رضي الله عنه. وروايته « حدثنا عبد الله حدثني أبي حدثنا يونس بن محمد حدثنا حماد يعني ابن زيد حدثنا عثمان بن عبيد الراسبي قال: سمعت أبا الطفيل قال: ... » .

(٢) مسند الإمام أحمد . للإمام أحمد ابن حنبل – أنس بن مالك رضي الله تعالى عنه. ، ورواية « حدثنا عبد الله حدثني أبي حدثنا عفان حدثنا عبد الواحد بن زياد حدثنا المختار بن فلفل حدثنا أنس بن مالك قال: ... » .

(٣) رواه الترمذى فى سننه .

(٤) مسند الإمام أحمد – للإمام أحمد ابن حنبل – مسند أبي هريرة رضي الله عنه. « حدثنا عبد الله حدثني أبي حدثنا عفان قال عبد الرحمن بن إبراهيم عن العلاء عن أبيه عن أبي هريرة قال -كان النبي صلى الله عليه وسلم يسير في طريق مكة فأتى على جمدان فقال هذا جمدان سيروا سبق المفردون قالوا وما المفردون قال الذاكرون الله كثيرا ثم قال اللهم اغفر للمحلقين قالوا والمقصرين قال اللهم اغفر للمحلقين قالوا والمقصرين قال والمقصرين وبهذا الإسناد قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لتؤدن الحقوق إلى أهلها حتى يقاد للشاة الجلحاء من الشاة القرناء وبهذا الإسناد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يسوم الرجل على سوم أخيه المسلم ولا يخطب على خطبته وبهذا الإسناد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال أن هذا الحر من فيح جهنم فأبردوا بالصلاة وبهذا الإسناد قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا سمع الشيطان الأذان ولى وله ضراط حتى لا يسمع الصوت وبهذا الإسناد قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فضلت على الأنبياء بست قيل ما هن أي رسول الله قال أعطيت جوامع الكلم ونصرت بالرعب وأحلت لي الغنائم وجعلت لي الأرض مسجدا وطهورا وأرسلت إلى الخلق كافة وختم بي النبيون مثلي ومثل الأنبياء عليهم الصلاة والسلام كمثل رجل بنى قصرا فأكمل بناءه وأحسن بنيانه إلا موضع لبنة فنظر الناس إلى القصر فقالوا ما أحسن بنيان هذا القصر لو تمت هذه اللبنة ألا فكنت أنا اللبنة ألا فكنت أنا اللبنة »

إلى غير ذلك من الأحاديث النبوية التي ذكرت النبوات[1] ، والرسالات - الإلهية - ، وأكدت عليها ، وبينت أن الخاتم لها جميعا ؛ هو نبوة سيدنا محمد ﷺ .

---

(١) من ذلك : ما جاء في صحيح مسلم. - باب من فضائل علي بن أبي طالب. رضي الله عنه. في الحديث رقم: [٣٢ - (٢٤٠٤)] « عن عامر بن سعد بن أبي وقاص، عن أبيه، قال: أمر معاوية بن أبي سفيان سعدا فقال: ما منعك أن تسب أبا التراب؟ فقال: أما ذكرت ثلاثا قالهن له رسول الله صلى الله عليه وسلم، فلن أسبه. لأن تكون لي واحدة منهن أحب إلي من حمر النعم. سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول له، خلفه في بعض مغازيه، فقال له علي: يا رسول الله! خلفتني مع النساء والصبيان؟ فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم "أما ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى. إلا أنه لا نبوة بعدي". وسمعته يقول يوم خيبر "لأعطين الراية رجلا يحب الله ورسوله. ويحبه الله ورسوله" قال فتطاولنا لها فقال "ادعوا لي عليا" فأتى به أرمد. فبصق في عينه ودفع الراية إليه. ففتح الله عليه. ولما نزلت هذه الآية: فقل تعالوا ندع أبناءنا وأبنائكم [٣/ آل عمران/٦١] دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم عليا وفاطمة وحسنا وحسينا فقال "اللهم! هؤلاء أهلي » .

وكذلك ورد في صحيح البخاري، - باب: المبشرات، في الحديث رقم: [٥ - ٦٥٨٩] « حدثنا أبو اليمان: أخبرنا شعيب، عن الزهري: حدثني سعيد بن المسيب: أن أبا هريرة قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: (لم يبق من النبوة إلا المبشرات). قالوا: وما المبشرات؟ قال: (الرؤيا الصالحة). » .

وفي سنن الترمذي (وشرح العلل) - لإمام الترمذي - باب ما جاء لا تقوم الساعة حتى يخرج كذابون. في الحديث رقم: [٢٣١٦] « حدثنا قتيبة أخبرنا حماد بن زيد عن أيوب عن أبي قلابة عن أبي أسماء عن ثوبان قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (لا تقوم الساعة حتى تلحق قبائل من أمتي بالمشركين وحتى يعبدوا الأوثان وإنه سيكون في أمتي ثلاثون كذابون كلهم يزعم أنه نبي وأنا خاتم النبيين لا نبي بعدي) » .

وفي رياض الصالحين - للإمام أبو زكريا يحيى بن شرف النووي - باب أمر ولاة الأمور بالرفق برعاياهم ونصيحتهم والشفقة عليهم والنهي عن غشهم والتشديد عليهم وإهمال مصالحهم والغفلة عنهم وعن حوائجهم - في الحديث رقم: [٦٥٦] « وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " كانت بنو إسرائيل تسوسهم الأنبياء. كلما هلك نبي خلفه نبي. وإنه لا نبي بعدي. سيكون بعدي خلفاء فيكثرون" قالوا: يا رسول الله فما تأمرنا؟ قال: "أوفوا ببيعة الأول فالأول. ثم أعطوهم حقهم. واسألوا الله الذي لكم فإن الله سائلهم عما استرعاهم » متفق عليه.

وفي تهذيب سنن أبي داود - لابن القيم - باب ذكر الفتن ودلائلها . في الحديث رقم: [٤٢٤٥] « حدثنا سليمان بن حرب و محمد بن عيسى قالا أخبرنا حماد بن زيد عن أيوب عن أبي قلابة عن أبي أسماء عن ثوبان قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "إن الله تعالى زوى لي الأرض، أو قال: إن ربي زوى لي الأرض فأريت مشارقها ومغاربها. وإن ملك أمتي سيبلغ ما زوى لي منها، وأعطيت الكنزين الأحمر والأبيض، وإني سألت ربي تعالى لأمتي أن لا يهلكها بسنة بعامة ولا يسلط عليهم عدوا من سوى أنفسهم فيستبيح بيضتهم، وإن ربي قال لي: يا محمد إني إذا قضيت قضاء فإنه لا يرد ولا أهلكهم بسنة بعامة ولا أسلط عليهم عدوا من سوى أنفسهم فيستبيح بيضتهم ولو اجتمع عليهم من بين أقطارها أو قال بأقطارها- حتى يكون بعضهم يهلك بعضا وحتى يكون بعضهم يسبي بعضا. وإنما أخاف على أمتي الأئمة المضلين، وإذا وضع السيف في أمتي لم يرفع عنها إلى يوم القيامة. ولا تقوم الساعة حتى تلحق قبائل من أمتي بالمشركين وحتى نعبد قبائل من أمتي الأوثان. وإنه سيكون في أمتي كذابون ثلاثون، كلهم يزعم أنه نبي، وأنا خاتم النبيين، لا نبي بعدي. ولا تزال طائفة من أمتي على الحق. قال ابن عيسى: ظاهرين - ثم اتفقا - لا يضرهم من خالفهم حتى يأتي أمر الله تعالى » .

وفي سنن ابن ماجه - للإمام ابن ماجه - باب الرؤيا الصالحة يراها المسلم أو ترى له. - في الحديث رقم: [٣٨٩٦] « حدثنا هارون بن عبد الله الحمال. حدثنا سفيان بن عيينة عن عبيد الله بن أبي يزيد، عن أبيه، عن سباع بن ثابت. عن أم كرز الكعبية. قالت: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم : يقول (ذهبت النبوة وبقيت المبشرات) » .

وفي سنن الترمذي (وشرح العلل) - للإمام الترمذي - باب ذهبت النبوة وبقيت المبشرات. . الحديث رقم: [٢٣٧٤] « حدثنا الحسن بن محمد الزعفراني أخبرنا عفان بن مسلم أخبرنا عبد الواحد أخبرنا المختار ابن فلفل أخبرنا أنس بن مالك قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (إن الرسالة والنبوة قد انقطعت فلا رسول بعدي ولا نبي قال فشق ذلك على الناس فقال لكن المبشرات. فقالوا يا رسول الله وما المبشرات قال رؤيا المسلم وهي جزء من أجزاء النبوة) »

من ثم اتضح لنا أن السلف الصالح أثبتوا النبوات كما أثبتوا بقية مسائل العقيدة الإسلامية ، وأنهم أخذوا عقيدتهم « من الكتاب والسنة . وكانت أدلتهم على تلك العقائد الإيمانية ، هى نصوص آيات القرآن الكريم ، وأحاديث الرسول ﷺ ، الذى بلغ الرسالة وأدى الأمانة »[1] ، ونصح للأمة ، وان الله تعالى كشف به الغمة ، حتى ترك الأمة الإسلامية على المحجة البيضاء . ليلها كنهارها . لا يزيغ عنها إلا ضال ، أو هالك .

من كل ما سبق اتضح ما يلى :-

[١] إن السلف الصالح كانوا يثبتون النبوات ، ويقرون بالرسل و الرسالات ، من لدن سيدنا آدم إلى سيدنا محمد خاتم الأنبياء ﷺ .

[٢] إن طريقتهم كانت نصية ملتزمة بالقرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة الصحيحة فى باب الاستدلال ، وأنهم لم يذهبوا فى إثبات العقيدة الإسلامية ، إلا ما ذهب إليه النصوص الشرعية .

[٣] أنهم يقرون بنبوة الأنبياء على وجه العموم ، ونبوة سيدنا محمد ﷺ على وجه الخصوص ، باعتبارها النبوة القائمة الخاتمة ، التى أثبتت ما سبقها من نبوات .

[٤] أنهم يؤمنون بأن النبى محمدا ﷺ خاتم الأنبياء والمرسلين ، وإن رسالته عامة خالدة أبدية . قائمة للإنس والجن جميعا حتى قيام الساعة .

---

(١) الدكتور عبدالعزيز سيف النصر - كتاب الاقتصاد فى الاعتقاد ص١١/١٢ .

[٥]أنهم على طريقة أمنها مضمون بداية نهاية ، ولذا قيل إن طريقة السلف الصالح أسلم في كل القضايا العقدية ، التي تعرضوا لها ، ومن سلك طريقة السلف الصالح ؛ نجا مما يقع فيه الآخرون .

◈ **تساؤل وارد :-**

ربما يقول آحاد الناس ، إذا كانت طريقة السلف الصالح هي تقديم النقل المنزل ، وتأخير العقل السليم ، بل وبسط جناح النص على كل مقدرات العقل . أفلا يعتبر ذلك نوعا من الإخلال بقيمة العقل وغبنا لها ، بل ربما كان هذا مخالفا لتوجيهات القرآن الكريم والحديث الشريف للعقل الإنساني ؛ حتى يجتهد بعين التأمل والاعتبار ؟

▣ **والجواب :**

إن العقل السليم « ميزان صحيح ، فأحكامه يقينية ، لا كذب فيها . غير أنك لا تطمع في أن تزن به أمور التوحيد والآخرة ، وحقيقة النبوة ، وحقائق الصفات الإلهية ، وكل ما وراء طوره ، فإن ذلك طمع في محال »[1] ، باعتبار أن ذلك ليس من إمكانيات العقل ، كما أنه لا يستطيع التعرف على تلك الأمور وحده . والله تعالى رفع عنه التكليف في بحث تلك المسائل الغيبية .

---

(١) العلامة عبدالرحمن ابن خلدون – المقدمة ص٣٩٢ .

ثالثا : أهل السنة والجماعة

[أ] نبذة عن أهل السنة والجماعة :-

[١] من هم أهل السنة والجماعة ؟

يرى البعض من الباحثين « إن مدرسة أهل السنة والجماعة ، قد كان لها جناحان متعاصران ، أحدهما يمثل الجانب المحافظ (التفويضى) ، ولا يباشر علم الكلام إلا فى نطاق النصوص الدينية ، والثانى يمثل الجانب المدافع عن المذهب بمنهج كلامى ، يتخذ من العقل أساسا للدفاع عن النص ، ويمثل الجناح الأول الإمام أحمد ، ومن سار على نهجه فى هذا المجال ، ويمثل الجانب الآخر ابن كلاب ، والقلانسى ، والمحاسبى ، وهذا الجناح يمثل السلفية المتطورة ، التى تدعم النقل بالعقل فى دفاعها عن العقيدة »[١] الإسلامية فى مواجهة الذين تسلحوا بالمناهج الفلسفية ، والألفاظ الجدلية ، إلى غير ذلك مما يقوم على غير النقل .

ومعنى ذلك: أن أهل السنة والجماعة خليط من السلف الذين يمثلون جانب التزام النصوص الدينية ، وتغليبها على العقل[٢] . وهم الذين تعرضنا لهم فيما

---

(١) الدكتور محمد عبدالستار أحمد نصار – المدرسة السلفية وموقف رجالها من علم المنطق والكلام ص٥٦٣ توزيع دار الأنصار ، وهو كتاب جيد فى عرضه لقضايا أصحاب الاتجاه السلفى ، ومناقشتها على العديد من النواحى التى كشفت عدم التوفيق ، بين دعاوى القدم السلفية وبين السلفية الحقة .

(٢) الأستاذ عبدالعظيم محمود حسن – دراسات فى العقيدة الإسلامية ص١٣١ .

سبق . وبين الخلف الذين يتمسكون بمنطق العقل بجانب النقل . بغرض الدفاع عن النص .

وفى تقديرى : أن هناك ملاحظة أراها على قدر من الأهمية ، وهى أن السلف كانوا يباشرون علم الكلام ، فى نطاق النصوص الدينية ، وأرى أن هذا الحكم قد لا تستقيم أسبابه ، وذلك لما يأتى :

[١] معلوم أن السلف الصالح – رضوان الله عليهم – كانوا مفوضين ، وعلماء الكلام مؤولين على أوسع نطاق ، وذلك حكم عام فى جميعهم ، فإذا قلنا أن السلف الصالح كانوا يباشرون علم الكلام ، كان معناه أن السلف مأولون على أوسع نطاق ، كالحال مع علماء الكلام . وهذا لم يعرف عنهم أبدا . بل لا يتفق مع تسميتهم ، لأنهم ما أولوا إلا فى حدود ضيقة جدا ، وبشكل معين(١) ، ولغرض خدمة العقيدة الدينية ذاتها .

يبدوا ذلك فيما اشتهرت نسبته إلى الإمام مالك ، حين سأله واحد من الناس عن معنى الاستواء ، فقال الإمام مالك للرجل ، الاستواء معلوم ، والكيف مجهول ، والسؤال عنه بدعة(٢) ، ولا أراك إلا ضالا ، ثم أمر بإخراجه من مجلسه(٣) ؛ حتى لا يسبب ضعفا وحرجا للإمام مالك والمترددين عليه .

---

(١) راجع ابن تيميه وموقفه من التأويل للدكتور محمد السيد الجليند ، والدكتور عوض الله جاد حجازى – ابن القيم وموقفه من التفكير الإسلامى .

(٢) الشيخ فوزى محمد عبدالعاطى – الإمام مالك فقيها مفكرا ص١٥٢ .

(٣) راجع كتابنا : (المدخل التام لعلم الكلام) عند الحديث عن الشبه الواردة حول الاشتغال بعلم الكلام .

[٢] إن السلف هم القائمون على الالتزام بنصوص الكتاب والسنة النبوية المطهرة الصحيحة . وهو أصل المصادر الإسلامية . واشملها . فهل مدرسة أهل السنة والجماعة . أوسع فى مفهومها من السلف . حتى تكون السلف جزءا من أهل السنة والجماعة ؟ إن ذلك على مفهوم التاريخ لا يصح ، وعلى المعنى الاصطلاحى لا يصح أيضا[١] .

إذن لم يبق إلا القول بأن مدرسة أهل السنة والجماعة استفادت من السلفية منهجها ، ثم عدلت فى المنهج ، بما يتفق ومقدرات عصرها ، فأضافت ملكات العقل ، وعملها فى النص ، وتكون جماعة أهل السنة والجماعة قد استخدمت منهجين معا[٢] ؛ هما : منهج السلف . ومنهج الاستعانة بالعقل السليم . وهو المقبول فنيا وتاريخيا لما ذكر .

[٣] إن الاستشهاد بما ذهب إليه العلامة الشهرستانى غير مستقيم . باعتبار أن الشهرستانى يذكر على سبيل حكاية الحال التى وقف عليها فى شأن السلف ، ومن نسب إليهم « وعد منهم مالك بن أنس ، وأحمد بن حنبل ، وسفيان الثورى . وداود بن على الأصفهانى . حتى انتهى الزمان إلى عبدالله بن سعيد الكلابى . وأبو العباس القلانسى . والحارث بن أسد المحاسبى . وهؤلاء كانوا من جملة السلف »[٣] . فهو يعرض من عدوا فى جملة السلف

---

(١) صاحب الرأى : أ.د/ محمد عبدالستار نصار ، وهو شيخى ، ولكنى أذكر وجهة نظر .

(٢) الشيخ توفيق محمود - جهود أهل السنة فى الدفاع عن العقيدة ص١٣٩ .

(٣) العلامة الشهرستانى - الملل والنحل جـ١ ص٩٣ - تحقيق الأستاذ عبدالعزيز الوكيل - مؤسسة الحلبى ، وبمثله قال شيخ الإسلام ابن تيميه ،فيقول « وأبو الحسن الأشعرى ، لما رجع عن مذهب المعتزلة ، وسلك مذهب ابن كلاب ، مال إلى أهل السنة والجماعة والحديث » موافقة صحيح المنقول لصريح المعقول جـ٢ ص٢٠ .

فقط ، وليس على منهج السلف فى التفويض الإجمالى والتفصيلى إلى هذا الحد .

فهم من جملة السلف والتعبير بلفظ كانوا يؤدى إلى انقطاع الحالة عن الكلام المستأنف بعد الاستثناء الوارد فى قول الشهرستانى ، إذ يقول : « إلا أنهم باشروا علم الكلام ، وأيدوا عقائد السلف بحجج كلامية ، وبراهين أصولية »[1] ، فتأييد عقائد السلف كالحجج الكلامية ، ويراهين أصولية ، يخرج القوم عن كونهم سلفا ، من ناحية المنهج الفكرى .

إذن هؤلاء الذين انتهى الزمان إليهم مثل (الكلابى ، والفلانسى ، والمحاسبى) كانوا سلفيين فى الأصل ، ثم خرجوا على السلفية ، وصاروا متكلمين ، يستعملون فى البرهنة الحجج الكلامية بدل النصوص القرآنية ، والبراهين الأصولية ، بدل السنة النبوية[2] ، من ثم فهؤلاء لا يمثلون المذهب السلفى ، بقدر ما يمثلون الاتجاه الكلامى ، حتى إذا وصفوا قيل فيهم متقدمهم سلفى ومتأخرهم خلفى ، وأعنى أنهم كانوا سلفيين أولا ، ثم صار حالهم إلى التعويل على العقل والحجج الكلامية ، وتلك سمة الخلف ، ويكون إطلاق السلف

(١) الإمام الشهرستانى – المصدر السابق جـ١ ص٩٣ .

(٢) وقد استغل تلك المفردات أحد خصوم الأشاعرة ، فشنع عليهم ، واتهمهم بما لم يصح عندهم – راجع منهج الأشاعرة فى العقيدة لسفر الحوالى ص٨ وما بعدها – ط الكويت ، ولا أوفقه فى شيء مما ذهب إليه ، لأنه تجنى على القوم ، ونسب إليهم ما لم يصح ، أو يذكر عندهم .

عليهم بعد مباشرتهم الكلام ، إطلاق باعتبار ما كان ، وهو نوع من المجاز المرسل ، علاقته قائمة فى اعتبار ما كان [1] .

ولست أوافق على أن الأشاعرة قد خالفوا السلف الصالح فى المنهج ، بل من يقرأ كتب الإمام الأشعرى نفسه ؛ يجد فيها التفويض المطلق . حيث يذكر فى المسألة العقدية الآيات القرآنية ، والأحاديث النبوية[2] ، ثم يتركها إلى غيرها . أما من جاءوا بعده فمنهم الذى توسع فى الأمر ، وأضاف إلى استدلالات الأشعرى ، ولذا يكون من الواجب الفصل بين اتجاهات الأشعرى ، وبين بعض من اختاروا المذهب الأشعرى .

وأبو الحسن الأشعرى كان معتزليا . ثم صار صاحب مذهب الأشعرية . وبالتالى فلم يكن سلفيا منذ طفولته[3] ، والمعلوم أن الأشاعرة أتباع الإمام أبى الحسن الأشعرى ، والماتريدية أتباع الإمام أبى منصور الماتريدى ، ويطلق عليهما معا ، مصطلح أهل السنة والجماعة ، ورغم أنه لا مشاحة فى الإطلاق . إلا أننا نبحث

---

(١) الدكتور على البدرى - البيان بين عبدالقاهر والسكاكى - حيث يقول « تتحقق هذه العلاقة - باعتبار ما كان - بأن يطلق على الشيء اسم ما كان عليه - من قبل - كقوله تعالى ﴿ " وآتوا اليتامى أموالهم ولا تتبدلوا الخبيث بالطيب ولا تأكلوا أموالهم إلى أموالكم إنه كان حوبا كبيرا " ﴾ (سورة النساء الآية ٢) » فاليتيم فى اللغة من بنى آدم من مات أبوه وتركه دون البلوغ ، والله تعالى لا يأمر بإتيان الأطفال أموالهم - وهم أطفال - إنما يأمر بإعطائها لهم بعد أن يصلوا إلى سن الرشد ، لأنهم كانوا يتامى ، فكلمة اليتامى هنا مجاز مرسل علاقته باعتبار ما كان ، إذ لا يتم بعد البلوغ - ص١٤٥/١٤٦ - الطبعة الأولى ١٣٧٩هت/١٩٧٧م ،

(٢) راجع الإبانة ، وكذلك اللمع للأشعرى ، وكذلك تجريد مقالات الأشعرى للشيخ إسماعيل ، وما كتبه ابن فورك . أما مقالات الإسلاميين ؛ فإن الشيخ الأشعرى يعرض الآراء التى قال بها أصحابها ، فهو فى المقالات مؤرخ عارض لفكر غيره .

(٣) الدكتورة فوقية حسين محمود - مقدمة الإبانة ص٣٨ .

أصل التسمية ، وما إذا كانت تنطبق على ناحية مقبولة ، إما أصلا ، أو إطلاقا ، أو نقلا ، أو نحتا ، أو اشتقاقا ، إلى غير ذلك ، وجوه الإطلاق .

والذى أميل إليه : أن أهل السنة والجماعة من أشاعرة وماتريدية ؛ كانوا متمسكين بالنقل المنزل[1] ، من غير أن يهملوا العقل السليم ، وتلك ميزة لهم على غيرهم ، ولا أظن أن تلك الميزة غلبت على غيرهم ، ولذا فهم أقرب إلى كتاب الله وسنة رسول الله ﷺ .

[٢] صحة التسمية من عدمها :

إن إطلاق كلمة أهل ، يوحى بخصوصية الأهل على ما تنطبق عليه ، فإذا قيل أهل المال انصرف الفهم إلى تجارة الدنيا ، وإذا قيل أهل الجنة ، انصرف إلى أصحابها ، وإذا قيل أهل الحديث ، انصرف إلى القائلين به القائمين عليه .

من هنا فإطلاق كلمة أهل يعنى التخصيص ، فإذا أضيفت إليها – السنة – كان التخصيص على وجه الدقة ، إنهم القائمون عليهم العاملون بها ، سواء كانت السنة – بمعنى العادة ، أو الطريقة – صحيحة أو خاطئة ، **وهذا كله من ناحية اللغة العربية فقط**[2] ، ومعروف أن الكلمات أثواب المعانى ، فلا تظهر المعانى إلا من خلال المنطوق اللفظى . وأهل السنة والجماعة من المتكلمين ، يطلق عليهم أصحاب عادة ، أو طريقة أو منهج عند تناول القضايا الإسلامية .

---

(١) الشيخ توفيق محمود – جهود أهل السنة والجماعة فى الدفاع عن العقيدة ص١٤٣ .

(٢) هذا الإطلاق اللغوى قد يكون غير مراد من ناحية الاصطلاح ، عندنا نحن أهل السنة والجماعة .

أما من ناحية الاصطلاح:

فلفظ السنة فى الاصطلاح يختلف باختلاف المستعملين له ، من فقهاء ، أو محدثين ، أو علماء أصول أو دعاة ، أو غير ذلك ، وسأورد طرفا منه على النحو التالى :

[١] فى اصطلاح المحدثين - وهم أهل مذاكرة السنة - :

فيعرفونها « كل ما أضيف إلى النبى ﷺ من قول أو فعل أو تقرير أو صفة »[١] ، وهى أقوال النبى ﷺ ، وأفعاله وتقريراته ، وصفاته الخلقية والخلقية ، وسيرته سواء كان ذلك قبل البعثة أو بعدها»[٢] .

وهذه التعاريف قائمة على ناحية الدراسة والمذاكرة ،لا على ناحية الالتزام بها ، والفرق بين المذاكرة والالتزام كبير جدا[٣] ، والمراد فى هذا المجال هو الالتزام الشرعى .

[٢] فى اصطلاح الأصوليين :-

السنة هى « كل ما صدر عن النبى ﷺ ، غير القرآن الكريم ، من قول أو فعل ، أو تقرير ، مما يصلح أن يكون دليلا لحكم شرعى »[٤] .

---

(١) الإمام السيد علوى المالكى – فتح القريب المجيب على تهذيب الترغيب والترهيب ص٥ – ط الرابعة ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م – مطابع سحر بجدة – تحقيق محمد بن علوى المالكى .

(٢) الدكتور محمد الأحمدى أبو النور شذرات من علوم السنة ص٤٤ ط وزارة الأوقاف ١٤٠٦هـ .

(٣) فالمستشرقون يدرسون السنة من ناحية التعريف بها ، وكتابتها وتدريسها عندهم ، وكلنهم لا يلتزمون بها ، لأنهم ليسوا من أهل الإسلام ، أما المسلمون فهم يلتزمون بكل ما فيها .

(٤) شرح المحلى على جمع الجوامع جـ٢ ص٩٩ – مطبعة مصطفى محمد التجارية .

وهذا التعريف منصب على جانب الاستدلال بالنص الحديثى على حكم من الأحكام الشرعية ، بمعنى أن الحكم يكون بحاجة إلى دليل عليه ، فإن أمكن الوصول إليه من القرآن الكريم ، فقد حصل المطلوب ، وإن لم يكن ذلك ، فلابد من الوصول إليه فى السنة النبوية المطهرة الصحيحة .

[٣] فى اصطلاح علماء الشريعة :

السنة هى « مشترك بين ما صدر عن النبى ﷺ من قول ، أو فعل ، أو تقرير ، وبين ما واظب النبى ﷺ عليه بلا وجوب »(١) ، وإنما كان من خصوصياته ﷺ .

إذن تعريف السنة النبوية المطهرة من ناحية الدراسة ، أو الوصول للحكم الشرعى من خلالها ، على ما ذهب إليه المحدثون ، والأصوليون ، وغيرهما ؛ لا ينطبق على المتكلمين أبدا ، فمن أين جاءت التسمية إذن للإمام الأشعرى ، ومن معه من المتكلمين بانهم أهل السنة ، إلا أن تكون اللغة ، واللغة وحدها لا تكفى لإطلاق مسمى على قوم مخصوصين ، حتى تصير اصطلاحا خاصا عليهم وحدهم(٢) .

يذهب العلامة الشهرستانى الأشعرى إلى أن هذه التسمية بذات الاصطلاح قد جاءت للأشعرى ، من انحيازه لمذهب المتكلمين الذين كانوا من قبل سلفيين ، يقول الشهرستانى « وانحاز الأشعرى إلى هذه الطائفة ، فأيد مقالتهم بمناهج كلامية .

---

(١) التعريفات للجرجانى باب السين - ط محمد على صبيح .

(٢) راجع فى هذا الشأن - منهج الأشاعرة فى العقيدة لسفر الحوالى ، وأنا لا أوافقه على تلك الشبهات التى يعتمد عليها .

وصار ذلك مذهبا لأهل السنة والجماعة . وانتقلت سمة الصفائية إلى الأشعرية »[1] بعد ذلك ، فصار أهل السنة والجماعة علامة عليهم .

لكن الشائع هو أن إطلاق مصطلح أهل السنة والجماعة على الأشاعرة ، إنما جاء بعد دمج طائفة الأشاعرة ، وطائفة الماتريدية فى فرقة واحدة ، ثم اختيار اسم لها يجمع بين الأصول المتفق عليها من ناحية ، ويهدف إلى تكوين جماعة تطبق هذه الأفكار[2] القائمة على التزام القرآن الكريم ، والسنة النبوية المطهرة الصحيحة ، فى واقع الناس ، متى كانت ذات قابلة لهذا التطبيق ، وربما كان هذا التعليل مقبولا من هذه الناحية .

وأميل إلى : أن تسميتهم بأهل السنة والجماعة ، إنما هو إطلاق خاص . تم الاتفاق عليه بين رؤسائهم ، والغرض منه تأكيد التزامهم بالقرآن الكريم ، والسنة النبوية المطهرة الصحيحة نصا ، وروح الجماعة تأليفا وسلوكا ، فى كل ما يعن لهم ، فيدخل فيه ، والقضايا الرئيسية المطروحة فى ساحة علم الكلام أيضا[3] ، وهو من الإطلاقات التى صحت نسبتها إليهم .

---

(١) الإمام الشهرستانى – الملل والنحل جـ١ ص٩٣ – ط الحلبى – تحقيق الأستاذ عبدالعزيز محمد الوكيل والشهرستانى كمؤرخ يذكر ما تصوره له معلوماته ، ولكنه هنا أحد أفراد فريق الأشاعرة ، وبالتالى فهو يحكى ما يعتقده .

(٢) الشيخ توفيق محمود – جهود أهل السنة فى الدفاع عن العقيدة ص١٦١ .

(٣) بمعنى أنهم التزموا فى كل قضاياهم النقل المنزل ، وغرضهم تأليف المسلمين ، وجمعهم على كلمة واحدة .

[ب] جهودهم فى إثبات للنبوة :-

المعروف أن « النبوة عند أهل السنة والجماعة - ليست راجعة إلى نفس النبى ، ولا درجة يبلغ إليها أحد بعلمه ، وكسبه ، ولا استعداد نفسى يستحق به اتصالا بالملك كيفما يشاء ، ووقتما يشاء ، لكن النبوة تجىء رحمة من الله تعالى »[1] .

◈ **لكن ما هى طريقتهم فى إثبات النبوة** ؟ هل النقل ، كما هى طريقة القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة الصحيحة ، وبهما أخذ السلف الصالح ، أم أنها طريقة العقل ، أم النقل والعقل معا ؟ وهى الطريقة التى تميز أهل السنة والجماعة وحدهم ، وتمايزوا بها عن كل ما سواهم .

▣ **والجواب** : أنها طريقة مزدوجة ، ذات نقل ، وعقل ، لأن الإمام أبا الحسن الأشعرى - رحمه الله - قد درج بعد خروجه عن مذهب أهل الاعتزال على مذهب أهل الفقه والحديث - لكنه - زاد عليهم من أقوالهم[2] ، وهذه الزيادة تمثلت فى التدليل على ما ذهب إليه النقل بحجج وبراهين أصولية ، وصار ذلك مذهبا لأهل السنة والجماعة[3] ، من هنا فإن إثبات النبوات عن أهل السنة والجماعة سيعتمد على منهج ذى شقين هما النقل والعقل معا ، وبخاصة عند الأشعرى نفسه مع إعطاء الأولوية للنص المنزل فى كل الحالات .

---

(١) الدكتور عبدالعزيز سيد النصر - التأويل الإسماعيلى الباطنى ومدى تحريفه للعقائد الإسلامية ص ١٢١ الطبعة الأولى ١٤٠٤هـ/١٩٨٤م - مطبعة الجبلاوى بالقاهرة .

(٢) العلامة أبو إسحاق المغربى - نكت الإرشاد جـ٣ ص٧٥ مخطوط بدار الكتب المصرية .

(٣) العلامة الشهرستانى - الملل والنحل جـ١ ص٩٣ - تحقيق أ/ عبدالعزيز محمد الوكيل - ط الحلبى .

أما عن النقل فقد سلف بيانه[1] ، وأما عن العقل فإن « انبعاث الرسل من القضايا الجائزة ،لا الواجبة ولا المستحيلة[2] على الله تعالى ، كما ان الأشعرى جعل الإيمان بالنبوات جزءا من عقيدته التى يقر بها ، كما هو الحال مع أهل الإسلام الملتزمين بالنقل المنزل كله ، فيقول « وجملة قولنا أنا نقر بالله ، وملائكته ، وكتبه ، ورسله ، وبما جاءوا به من عند الله ، وما رواه الثقات عن رسول الله ﷺ ، لا نرد من ذلك شيئا »[3] .

وإذا كان إقرار الأشعرى بالنبوات إثباتا ، دلل عليه النقل المنزل ، فإنه قد ثنى عليه بالعقل أيضا ، حيث إن ما جاء به الرسل ، هو من مدركات العقول ، ومنازع الأفهام ، فإذا تم التدليل عليه بالمعطى العقلى من جانب شيخ الأشاعرة ، فمعناه أنه يأخذ فى استدلالاته طريق النقل ، ومعه العقل أيضا .

وربما هذا ما دفع بالشهرستانى إلى القول - وهو يحكى مذهب الأشعرى - بأن : « انبعاث الرسل من القضايا الجائزة ، لا الواجبة ، ولا المستحيلة . لكن بعد الانبعاث تأييدهم بالمعجزات وعصمتهم من الموبقات من جملة الواجبات[4] على الله تعالى ، ولذا فإن المراد من جملة الواجبات هنا هو اللازمة للإيمان ببعثة الرسل[5] .

---

(١) يراجع المثبتين - القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة ، والسلف الصالح من هذا المبحث .

(٢) الإمام الشهرستانى - الملل والنحل جـ١ ص١٠٢ - تحقيق أ/ عبدالعزي الوكيل .

(٣) الإمام أبو الحسن الأشعرى - الإبانة عن أصول الديانة ص٢١ تحقيق دكتورة فوقية حسين محمود .

(٤) الملل والنحل جـ١ ص١٠٢ .

(٥) ومعناه نصب الأدلة التى تجعل الصدق فى جانبهم ، وتطرح الشك عن دعاواهم ، وتبعد الظنون عن نبواهم ، فيكون ذلك من الواجبات فى العقل ، لأن الله تعالى لا يؤيد بالمعجزات الكاذبين .

◇ **وربما يقال : هل ما حكاه الشهرستانى ، واعتبره من جملة الواجبات التى يجب الإيمان بها ، أم من جملة الواجبات اللازمة للإيمان ببعثة الرسل ؟**

◄◄ **أميل إلى الرأى الأول** ، لأنه الأليق بالأشعرى ، لكن عبارة الشهرستانى تؤيد الثانى ، إذ يقول « إذ لابد من طريق للمستمع يسلكه ليعرف به صدق المدعى . ولابد من إزاحة العلل . فلا يقع فى التكليف تناقض »[1] . لأنه لو لم يتأيد النبى بالمعجزات ، لما عرف صدق المدعى للنبوة الصادق من الدعى الكاذب .

وأرى أن التعبير الوارد فى عبارة الشهرستانى لا يحسب على الأشعرى ، لا فى مضمونه ولا عبارته ، إذ خالف عقيدة الأشعرى ، وصدر عبارة الشهرستانى يؤيد ما ذهبنا إليه من قوله « وانبعاث الرسل من القضايا الجائزة . فلماذا يعتبر المعجزة واجبة على الله ، والله لا يجب عليه شيء ، كما أنه على أصل الإمام الأشعرى نفسه لا يصح ، باعتبار أن الواجبات كلها سمعية »[2] .

وما لم يرد به السمع فى الوجوب ، لا يكون واجبا ، بل أن لفظ الوجوب إذا ورد فى القرآن الكريم ، أو السنة النبوية المطهرة الصحيحة ، منسوبا لله تعالى ، فيجب حمله على أن الله تعالى هو الذى أوجبه عنده ، رحمة منه تعالى ، لا أوجبه عليه ، وهو المعتقد الذى ألقى إليه تعالى عليه .

فإذا قيل : أن المعجزة واجبة ، فلابد من دليل سمعى بوجوبها ، وإن كنت أميل إلى أن الوجوب هو وجوب التصديق بها[3] . لأنها تابعة للنبوة . وقد وجب

---

(١) الإمام الشهرستانى – الملل والنحل جـ١ ص١٠٢ .

(٢) العلامة الشهرستانى – الملل والنحل جـ١ ص١٠١ .

(٣) والآيات القرآنية والأحاديث النبوية فى هذا الشأن كثيرة – راجع ما ذكرناه فى هذا الشأن .

الإيمان بالرسالة . فكذلك يجب الإيمان بالمعجزة[1] ، وبهذا يمكن التوفيق بين أصل الأشعرى . وعبارة الشهرستانى السالف ذكرها .

وإذا اعتبرنا الشهرستانى من أتباع الفكر الأشعرى وهو أمر اعتراف الشيخ به ، فإنا نستشهد بقوله فى إثبات النبوة ، حيث يقول « الأنبياء خيرة الله فى خلقه . وحجة الله على عباده ، والوسائل إليه . وأبواب رحمته . وأسباب نعمته »[2] . ثم يستشهد بقوله تعالى ﴿ " الله يصطفي من الملائكة رسلا ومن الناس إن الله سميع بصير " ﴾[3] .

وبقوله تعالى ﴿ " إن الله اصطفى آدم ونوحا وآل إبراهيم وآل عمران على العالمين " ﴾[4] . ثم يقول الإمام الشهرستانى: « فكما يصطفيهم من الخلق قولا بالرسالة والنبوة . يصطفيهم من الخلق فعلا بكمال الفطرة . ونقاء الجوهر . وصفاء العنصر . وطيب الأخلاق ، وكريم الأعراق ، فيرقيهم مرتبة مرتبة »[5] . ويستند فى قوله إلى النقل المنزل من قوله تعالى ﴿ " ووصينا الانسان بوالديه إحسانا حملته أمه كرها ووضعته كرها وحمله وفصاله ثلاثون شهرا حتى إذا بلغ أشده وبلغ أربعين سنة قال رب أوزعني أن أشكر نعمتك التي أنعمت علي وعلى والدي

---

(١) إذا وقعت بالمشاهدة فى ينكرها إلا جاحد لرؤيتها ، أما إذا نقلت بالتواتر كالحال مع ما ذكره القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة الصحيحة ، فإن منكرها يكون كافرا بالله تعالى .

(٢) العلامة الشهرستانى – نهاية الإقدام فى علم الكلام ص٤٦٣ .

(٣) سورة الحج الآية ٧٥ .

(٤) سورة آل عمران الآية ٣٣ .

(٥) العلامة الشيخ عبدالكريم الشهرستانى – نهاية الاقدام ص٤٦٣ .

وأن أعمل صالحا ترضاه وأصلح لي في ذريتي إني تبت إليك وإني من المسلمين " ﴾[1] .

ولا يقف الإمام الشهرستانى عند هذا الحد ، وإنما يضيف إلى ما سبق من الاصطفاء والترقية ، الكمال النفسى ، فيقول حتى إذا « كملت قوى النبى النفسانية ، وتهيأت لقبول الأسرار الإلهية ، بعث إليه ملكا ، وأنزل عليه كتابا »[2] ، وربما أنزل كتبا ، كالحال مع سيدنا موسى بن عمران – عليه وعلى نبينا وسائر الأنبياء أفضل الصلاة وأتم السلام – حيث أنزل الله عليه التوراة ، والألواح ، والصحف[3] .

كما أن الأشاعرة فى مناقشاتهم لمنكرى النبوة ، كانت لهم أدلة على إبطال دعاوى الخصوم بالنقل والعقل ، مما يعتبر بحق وجها من وجوه إثباتها بالنسبة لهم ، ويؤكد تميزهم على غيرهم فيها ، حتى أنها لتوضع جميعها فى رصيدهم العقلى لإثبات النبوة ، وقد نورد بعضا منها على الوجه الذى يحتاج إليه هذا الكتاب متى أمكن لنا ذلك .

◈ **لكن ما هو دور المعجزات فى إثبات النبوات عند مفكرى المسلمين ؟**

▣ **الجواب** : إن المعجزة هى العلامة الدالة على صدق النبى فى دعواه النبوة والرسالة ، وبالتالى فإن الأمر المعجز هو الذى يدل على أن « إثبات النبوة

(١) سورة الأحقاف الآية ١٥ .

(٢) العلامة الشهرستانى – نهاية الاقدام ص٤٦٣ .

(٣) راجع كتابنا : الإيمان بالغيب وأثره على الفكر الإسلامى (عند الحديث عن الغيبيات التى يجب الإيمان بها) وكذلك راجع الآيات القرآنية ، والأحاديث النبوية ، التى جاءت بهذا الخصوص .

يبنى عليه »[1] ، وتكون المعجزة أساسا من الأسس التى يتم عليها إثبات أمر النبوة ، يقول الإمام الطحاوى « لا ريب أن المعجزات دليل صحيح ، ولكن الدليل غير محصور فى المعجزات »[2] ، باعتبار أن النبوات تثبت بكل من المعجزات ، ومجمل صفات النبى ، وما أخبرت عنه النبوات السابقة .

لأن الإمام الطحاوى يضيف إلي المعجزة كلا من :-

[١] قرائن الأحوال المرافقة للأنبياء ، بداية من نشأتهم إلى ما يتميزون به من خلال ، بجانب نسب معين ، وصفات خاصة بهم ، وهى فى مجملها التى تكشف أمر النبوة ، وتؤكدها بالنسبة لمن يعلنها أمام الناس ، ويطلب منهم التصديق به .

[٢] التواتر المنقول من إرسال الله للرسل ، وإنزال الكتب ، وصدق هذه الأخبار المنقولة بالتواتر ، يعتبر طريقا من طرق إثبات النبوة[3] ، على ما هو وارد فى كتب الأشاعرة ، وبخاصة ما يتعلق بالمتقدمين منهم ، من هنا كان تعريفه للمعجزة « بأنها خارق للعادة »[4] .

واعتبر شيخ الإسلام ابن تيميه[5] المعجزة من الخارق للعادة ، حين قسم الخوارق إلي :-

(١) العلامة نصير الدين الطوسى – تلخيص المحصل ص٢٠٧ هامش المحصل – تحقيق طه عبدالرؤف سعد – مكتبة الكليات الأزهرية .

(٢) الإمام الطحاوى – شرح العقيدة الطحاوية ص٦٥ وما بعدها – على بن على بن محمد بن أبى العز .

(٣) يراجع شرح العقيدة الصحاوية ص٦٩ .

(٤) المصدر السابق ص٢٣٥ .

(٥) شيخ الإسلام أحمد بن عبدالحليم الحرانى ، شهرته ابن تيميه – راجع للشيخ محمد أبو زهرة – ابن تيميه

[أ] الخوارق التى تقع على أيدى الأنبياء والرسل لإثبات رسالتهم . وهو المعجزات[1] . إذن المعجزة تعتبر طريقا من طرق إثبات النبوة ، ولهذا عول عليها من المتكلمين ، وقدموا حولها بحوثا عديدة ، وجاء فيها قيد مقرون بالتحدى ، مع تصديق النبى فى دعواه .

[ب] الخوارق التى تقع لغير الأنبياء والمرسلين ، وهى فى جملتها كرامات تابعين . ولما كان المعروف أن كل كرامة لتابع نبى هى امتداد لمعجزة النبى الذى جاءه . فقد صح القول: بأن كرامات الأولياء معجزات الأنبياء .

◈ **وقد يبدوا استشعار مؤداه ما تعريف المعجزة عند أهل السنة والجماعة ؟ وما وجه دلالتها على صدق الرسول على النحو الذى سلكه أهل تلك الطائفة ؟**

▣ **والجواب عن الأول :-**

إن المعجزة عند جمهور الأشاعرة هى « أمر خارق للعادة ، يخلقه الله تعالى ، على يد مدعى النبوة ، أو الرسالة ، تصديقا له فى دعواه ، مقرون هذا الأمر بالتحدى ، مع عدم المعارضة ، وعجز جميع الناس عن الإتيان بمثله . وأن يكون المعجز موافقا لدعوى النبى فى دعواه ، وأن يتم ذلك فى زمن التكليف[2] قبل يوم القيامة .

◈ **أما لماذا فى زمن التكليف ؟ فالجواب :-**

لأن ما يقع فى الآخرة من الخوارق ليس معجزة ، وكما أن ما يظهر عند اشراط الساعة ، وانتهاء التكاليف لا يشهد بصدق الدعوى ، لكونه زمان نقض

---

(١) شيخ الإسلام ابن تيميه – المعجزة وكرامات الأولياء ص٤٠ – تحقيق مصطفى عبدالقادر عطا .

(٢) الإمام البغدادى – أصول الدين ص١٧٠ ، والإمام السعد التفتازانى – شرح المقاصد جـ٢ ص١٧٦ .

العادات ، وتغير الرسوم[1] ، ومثله لا يكون خارقا للعادة ، وإنما يكون معلما من معالم انهدام الكون القائم ، وابتداء عالم جديد .

من ثم فإن المعجزة ترجع إلى الله سبحانه وتعالى ، وإرادته المطلقة ، ومشيئته المحكمة ، وقدرته وحده ، وليس لأى نبى تظهر على يديه القول بأنها من فعله ، إلا أنها تصديق له فى دعواه ، وأنه لا يأتى بها ، ولا يستطيع أن يكتسبها ، ولا أن يغير فيها أو يبدل ، يشهد لذلك قوله تعالى ﴿ " وإذا تتلى عليهم آياتنا بينات قال الذين لا يرجون لقاءنا ائت بقرآن غير هذا أو بدله قل ما يكون لي أن أبدله من تلقاء نفسي إن أتبع إلا ما يوحى إلي إني أخاف إن عصيت ربي عذاب يوم عظيم قل لو شاء الله ما تلوته عليكم ولا أدراكم به فقد لبث فيكم عمرا من قبله أفلا تعقلون " ﴾[2] .

▣ **وعن الثانى : وجه الدلالة** :- فقد ذهب أهل السنة إلى أن وجه الدلالة للمعجزة على صدق النبوة ، أنه وجه عادى ، أعنى دلالة عادية ، لأنها إجراء الله عادته ، بخلق العلم بالصدق بعد ظهور المعجزة ذاتها ، وإن « المعجزة عند التحقيق تكون منزلة صريح التصديق لما جرت به العادة ، من أن الله يخلق عقبها العلم الضرورى بصدقه »[3] ، فيكون جريان المعجزة على يديه هو الدليل العملى على تصديقه فى دعواه النبوة ، والتأكيد على أنه من قبل الله تعالى مرسل .

---

(١) الإمام السعد التفتازانى – شرح المقاصد جـ٢ ص١٧٧ .

(٢) سورة يونس الآيتان ١٦/١٥ .

(٣) الإمام السعد التفتازانى – شرح المقاصد جـ٢ ص١٣١ .

ولا تدل المعجزة على النبوة بدلالة الوضع ، أو العقل ، أما لماذا ؟ فلأن الدليل العقلى يتعلق بمدلوله بعينه ، ولا يقدر فى العقل غير دال عليه ، وليس كذلك سبيل المعجزات[1] . وقد أفاض أهل الفكر الإسلامى فى عرض تلك الوجوه ومناقشتها ، والتأكيد عليها ، مما يدل على ثراء القوم فى الأفكار والمضامين .

رابعا : المعتزلة أصحاب التوحيد والعدل[2]

المعتزلة كما كان لهم رأى فى الذات والصفات ، ورأى فى الإرادة والمشيئة ، وغيرها من الآراء التى تدعم موقفهم ، وتبين مقدار ثقافتهم ، فإن لهم فى النبوات رأيا ، قد يتفقون عليه أو يختلفون حوله ، أو يضيفون إليه ، أو يعدلون فيه ، ألا وهو إثبات النبوات[3] ، فهم على جملتهم لا ينكرون النبوات ، وإنما يثبتونها بكل ما فى وسعهم ، ولهم فى الإثبات طريقتهم التى تنقل عنهم من خلال مبادئهم العامة ، وبخاصة نظرتهم فى الصلاح والأصلح ، التى عمادها أن الله عادل ، ولا يفعل إلا ما فيه صلاح العبد وخيره[4] . فما هى ؟

(١) إمام الحرمين – الإرشاد إلى قواطع الأدلة فى أصول الاعتقاد ص٢٢٤ – تحقيق الدكتور محمد يوسف موسى وآخر .

(٢) المعتزلة الأوائل أصحاب جهاد فى سبيل الله ،ولهم بالمعرفة الدينية اهتمام كبير .

(٣) حتى أن القاضى عبدالجبار بن أحمد الهمذانى ألف المغنى فى أبواب التوحيد والعدل ، وجعل جزءا كاملا منه خاصا بالتنبؤ والمعجزات .

(٤) الشيخ أبو لبابة حسين – موقف المعتزلة من السنة النبوية ص٦٤ – منشورات دار اللواء بالرياض .

الباحث فى الآراء الاعتزالية يجد أحد رءوسهم وهو القاضى عبدالجبار ، قد جعل النبوات ضمن الأصل الثانى من أصول المعتزلة الخمسة أيضا[١] ، وبين وجه اتصال النبوة بالعدل فقال « ووجه اتصال النبوة بباب العدل ، هو أنه كلام فى أنه تعالى إذا علم أن صلاحنا يتعلق بهذه الشرعيات ، فلابد من أن يعرفنا إياها لكيلا يكون مخلا بما هو واجب عليه . ومن العدل أن لا يخل بما هو واجب عليه »[٢] ، لأن من أسمائه الحسنى العدل ، وما دام الأمر كذلك ؛ فقد ثبت وجه اتصال النبوة بالعدل . إذن هم يثبتون النبوة بناء على أصلهم الثانى ، ألا وهو العدل .

لكن إذا كان هذا هو الأصل فى الإثبات ، فما هى طريق الإثبات نفسه ، هل النقل ، كما هى طريقة السلف الصالح[٣] ، أم النقل والعقل كطريقة الأشاعرة والماتريدية ، أم النقل فقط ، أو العقل فقط على الجهات الأربعة فى المسألة ؟

■ **الجواب** : أنه العقل فقط ، يدل على ذلك قولهم « والأصل فى هذا الباب - إثبات النبوات - أن تقول : إنه قد تقرر فى عقل كل عاقل وجوب دفع الضرر عن النفس ، وثبت أيضا أن ما يدعو إلى الواجب ويصرف عن القبيح . فإنه واجب لا محالة ، وما يصرف عن الواجب ، ويدعو إلى القبيح ، فهو قبيح لا

---

(١) الأصول الخمسة هى : ١- التوحيد ، ٢- العدل ، ٣- الوعود والوعيد ٤، - المنزلة بين المنزلتين ، ٥- الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ، راجع الأصول الخمسة - تحقيق د: عثمان .

(٢) القاضى عبدالجبار بن أحمد - شرح الأصول الخمسة - تعليق أحمد بن الحسين بن أبى هـام - تحقيق الدكتور / عبدالكريم عثمان - مكتبة وهبة ص٥٦٣ - الطبعة الثانية ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م ، واستغرق حديثه عن النبوات ص٥٦٣/٦٠٨ .

(٣) راجع فى هذا الشأن ما سبق ذكره عند حديثنا عن السلف الصالح .

محالة »[1] ، وما يؤدى إلى الطاعات ، فهو طاعة ، وقس على ذلك سائر الأمور.

وحيث إن ملكة العقل الإنسانى وحدها لا تكفى ، حتى يعرف المرء الضرر فيدفعه ، والقبيح فيبتعد عنه ، فترك الناس على هذه الحال يخل بحقيقة العدل الإلهى ، ومن ثم فلابد من إرسال الرسل ، على أن يكون مع كل رسول منهم ما يدل على صدقه ، ويعجز الآخرون عن مجاراته ، أو دفعه[2] ، يدل عليه أن فعل الواجبات ، وترك المقبحات لا يستقل العقل وحده بها .

« ولم يكن فى قوة العقل ما يعرف به ذلك ، ويفصل بين ما هو مصلحة ولطف[3] ، وبين ما لا يكون كذلك ، فلابد من أن يعرفنا الله تعالى حال هذه الأفعال ، كى لا يكون عائدا بالنقص على غرضه بالتكليف »[4] .

« وإذا كان لا يمكن تعريفنا ذلك إلا بأن يبعث إلينا رسولا ، مؤيدا بعلم معجز دال على صدقه ، فلابد من أن يفعل ذلك ، ولا يجوز الإخلال به »[5] . لا إخلال تكليف ، لأن الله لا يكلف بشيء ، إنما إخلال مراعاة الأصلح[6] ، وفعل

---

(١) القاضى عبدالجبار – شرح الأصول الخمسة ص٥٦٤ .

(٢) الشيخ عبدالمتعال منصور – المعتزلة واتجاهاتهم العقلية ص٢٥١ .

(٣) راجع فى معنى اللطف فيما سبق عرضه ، مع الأخذ فى الاعتبار الفوارق بين اللطف فى اللغة والاصطلاح .

(٤) راجع فى هذا الشأن فوائد بعثة الرسل من هذا الكتاب ، وكذلك راجع كتابنا الغزاليات فى السمعيات ففيه عرض وتفصيل للمسألة .

(٥) القاضى عبدالجبار – شرح الأصول الخمسة ص٥٦٤ .

(٦) راجع فى هذا الشأن كتابنا : حصاد الاقتصاد فى الاعتقاد – الجزء الثالث – الأفعال الإلهية . ففيه عرض للمسألة .

الألطاف « لأن البعثة لابد من أن تكون لطفا للمكلفين ، وأن يكون مفعولا على أبلغ الوجوه »[1] من جانب الرسول ، والمرسل - من وجهة نظرهم ، لأن الغرض بالبعثة . ليس إلا لطف العباد ومصالحهم »[2] . وبهذا صارت البعثة واجبة على الله تعالى عندهم ، وجوبا قائما على ما ثبت عنده ، لا وجوبا ملزما له قائما عليه من خارج عنه .

ورغم أنه كانت للمعتزلة « جولة وصولة فى الدفاع عن الإسلام وإلزام بعض خصومه الكافرين ... الحجة . وكانت لهم بهذا الصدد مواقف مشهورة فى إقناع الخصوم ، والرد على شبهاتهم ، وإيقافهم عند حدودهم ، واشتهر منهم مجادلون مشاهير فى المناظرات بقوة الحجة والبيان »[3] .

◈ إلا أنهم فى فكرتهم القائمة على وجوب شيء على الله تعالي ولو من حيث المعطى اللغوى لم يخالفهم التوفيق . أما لماذا ؟

فلأنهم فى إثباتهم للنبوات قد أقروا أن مصدرها هو الله تعالى وحده . ومن ثم فهو فاعل مختار ، وهم قد نفوا زيادة الصفات على الذات تنزيها لله تعالى على حد قولهم . فلماذا قبلوا الإرسال وجوبا عليه ؟ . وها هى نصوصهم التى تشهد عليهم . يقول القاضى عبدالجبار « اعلم أن الرسول من الألفاظ المتعدية . أى لابد من أن يكون هناك مرسل ومرسل إليه . وإذا أطلق فلا ينصرف إلا إلى المبعوث من

(١) القاضى عبدالجبار - شرح الأصول الخمسة ص٥٧٣ .

(٢) المصدر السابق ص٥٧٣ .

(٣) الشيخ ناصر عبدالكريم - العقل مجلة كلية أصول الدين بالرياض العدد الثانى ص١٧٩ .

جهة الله تعالى دون غيره »[1] لأنه المراد من لفظ الرسول على الناحية الشرعية الاصطلاحية .

إذن هم يقرون بأن الرسول مبعوث من جهة الله وحده ، وبالتالى فهو الفاعل المختار إن شاء أرسل ، وإن لم يشأ لم يرسل ،ولا مشاحة[2] فى ذلك ، ورغم أنهم يجعلون النبى والرسول على معنى واحد يتواردان ، حتى قال القاضى عبدالجبار نفسه « أعلم أنه لا فرق فى الاصطلاح بين الرسول والنبى »[3] ، إلا أن منهجهم العقلى جذبهم إلى تحميل النصوص الدينية ، ما حبلت به الأفكار العقلية ، وهنا تكون الخطورة . لأن النصوص الدينية لها قداستها . أما الأفكار العقلية . فليس لها شيء من ذلك .

من ثم فقد اتضح أن « أسلوب المعتزلة يقوم على ذهنيات لا تنطلق إلا من فكرة ذهنية ، أو نسق ذهنى لا يصدر عنه أى نص منزل ، وإنما هو مبنى على معان ومفاهيم مصدرها العقل فقط لا غير . وهو ما لا يتفق وطبيعة الحقائق العلمية ، المنزلة التى يجب أن يكون مصدرها النص المنزل »[4] نفسه ، وعليه قام اتجاه أهل السنة والجماعة .

وإذا كانت فكرة إرسال الله الرسل قد استوحوها من أصلهم الثانى . وهو العدل ، فهو بنفسه يمثل جورا على حق الله سبحانه وتعالى ، كما يمثل سلبا

(١) القاضى عبدالجبار بن أحمد – شرح الأصول الخمسة ص٥٦٧ .

(٢) لا مشاحة معناها لا ممانعة ، أو منازعة فى الألفاظ ، ما دامت المعانى المرادة مما يخص كل طائفة بعينها .

(٣)القاضى عبدالجبار بن أحمد – شرح الأصول الخمسة ص٥٦٧ .

(٤) مقدمة الإبانة عن أصول الديانة للدكتورة فوقية حسين محمود ص١٠٧ ط٢ جـ١ .

لاختياره جل علاه ، مع انه القائل ﴿ " وربك يخلق ما يشاء ويختار ما كان لهم الخيرة سبحان الله وتعالى عما يشركون " ﴾[1] ، وقال تعالى ﴿ " لا يسأل عما يفعل وهم يسألون " ﴾[2] . ولست أوافق المعتزلة على إيجاب شيء على الله تعالى ، كما لا أوافق الماتريديه على استخدام الألفاظ بهذا الشكل فى حق الله تعالى .

إذن المعتزلة يثبتون النبوة بناء على قاعدتهم فى العدل . وكذلك إذا كانت النبوة سوف تدفع الضرر ، وتحقق السعادة ، فإنها تكون مطلوبة ، لأن فيها صلاحا للخلق ، وتركها مخل بالحكمة الإلهية . بناء على قاعدتهم فى الصلاح والأصلح ، وقد يعبرون عن الصلاح بالخير وعن الأصلح بالعدل »[3] ، وأيما كان الأمر فإن فكرة وجوب العدل ، أو الصلاح والأصلح . أو غيرها على الله تعالى غير مقبولة عندنا نحن أهل السنة والجماعة .

وقد صور الإمام الباجورى هذا فقال « ومبنى كلام المعتزلة على قاعدة وجوب الصلاح والأصلح . فيقولون النظام المؤدى إلى صلاح حال النوع الإنسانى على العموم فى المعاش والمعاد ، لا يتم ببعثة الرسل ، وكل ما هو كذلك فهو واجب على الله تعالى »[4] ، وقد رد عليهم أهل السنة والجماعة: بأن الفاعل المختار لا يجب عليه شيء أبدا ، لما جاءت به النصوص الشرعية ، على ما مر بيانه .

◈ لكن ما هو دور المعجزة بالنسبة للنبوة عندهم ؟

---

(١) سورة القصص الآية ٦٨ .

(٢) سورة الأنبياء الآية ٢٣ .

(٣) العلامة الشهرستانى – الملل والنحل جـ٣ ص٤٥ – تحقيق الأستاذ عبدالعزيز محمد الوكيل .

(٤) شيخ الإسلام إبراهيم الباجورى – شرح الجوهرة ص٦٨ .

■ **الجواب** : أنهم يقرون بأن « الرسول المصدق بالمعجز »[1] . والمعجـزة « هـى الدالة على صدق الرسول . لأنه إذا بعث الله للناس رسولا ليعرفهم بالمصـالح . فلابد أن يدعى النبوة . ويظهر عليه العلم المعجز الدال على صدقه عقيب دعواه النبوة »[2] . وبعيدا عن الألفاظ المستعملة . فإن المعجزة هى المصدق للرسول فى دعواه . عند من يرى أن المعجـزة أحـد مثبتـات النبـوة . وليسـت هـى الدليـل الوحيد . فإن الأمر معه يقع فيه التنازع .

◈ **فما هو تعريف المعجزة عندهم ؟**

■ **الجـــــواب :-**

هو أن المعجزة عندهم لغة هى « من يعجز الغير . كما أن القدر هو من يقدر الغير . وأما فى المصطلح عليه . فهو الفعل الذى يدل على صدق المدعـى للنبـوة ... فالفعل لا يدل على صدق المدعـى للنبـوة . إلا إذا كـان علـى أوصـاف وشـرائط »[3] تثبت أنه النبى المرسل من جهة الله تعالى .

■ **والشرائط هى :-**

[١] إن يكون – الفعل – من جهة الله تعالى فعلا . أو فى الحكم كأنـه مـن جهتـه جل وعز . لأن من جهة غيره . بحيث يتميز به عن سـواه[4] . باعتبـار أنـه من أفعال الله تعالى . على وجه الحقيقة والإضافة أيضا .

---

(١) القاضى عبدالجبار – شرح الأصول الخمسة ص٥٦٦ .

(٢) المصدر السابق ص٥٦٨ – وراجع النبوات والمعجزات له أيضا من أجزاء المغنى .

(٣) المصدر السابق ص٥٦٩/٥٦٨ .

(٤) الشيخ محمود عبدالخالق – موقف المعتزلة من المعجزات ص١٢١ .

[٢] أن يكون – المعجز – واقعا عقيب دعوى المدعى للنبوة ، لأنه لو تقدم المعجز على الدعوى لم تتعلق به[١] . كما أن شرائط المعجزة فى مقارنة الدعوى .

[٣] أن يكون المعجز – مطابقا لدعواه ، فإنه لو لم يكن كذلك ، وإنما جاء مخالفا لم يتعلق بدعواه ، فلا يدل على صدقه[٢] . كما لو كان مكذبا لدعواه ، أو كان متعلقا بدعوة نبى أخر سبق له القول به ، أو جريانه على يديه .

[٤] أن يكون ناقضا لعادة من هو بين ظهرانيه . لأنه لو لم يكن كذلك . لم يكن ليدل على صدق من ظهر عليه أصلا ، فمتى حصل المعجز على هذه الأوصاف والشرائط ، التى راعيناها ، كان دالا على صدق المدعى للنبوة[٣] ، ومتى لم يحدث على تلك الأوصاف والشرائط ، لم يكن دالا عليها ، ولا تكون هى الأخرى ثابتة به .

◈ **ويبقى سؤال وارد ، وهو ما وجه دلالة المعجزة على النبوة عند المعتزلة ؟**

▣ **والجـــواب:**

إن المعتزلة يؤمنون بعلاقة السبب بالمسبب ، بناء على قاعدتهم فى الإرادة والمشيئة ، وقدرة العبد على خلق أفعاله . من ثم فقد رأوا أن دلالة المعجزة على النبوة دلالة عقلية ، كما أن ظهور الأمر الخارق على وفق الدعوى ، مع العجز عن المعارضة يدل دلالة عقلية ، على إرادة الله تصديق من ظهرت على يديه[٤] ، فإذا لم

---

(١) لأنه سيكون خارجا عن ذات الدعوى ، بل سيكون وقوعه لأمر أخر .

(٢) الشيخ محمود عبدالخالق – موقف المعتزلة من المعجزات ص١٢٣ .

(٣) القاضى عبدالجبار بن أحمد – شرح الأصول الخمسة ص٥٦٨/٥٧٢ ، ففيها تفصيلات كثيرة .

(٤) الشيخ عبدالمتعال منصور – المعتزلة واتجاهاتهم العقلية ص٢٥٣ .

يظهر الأمر الخارق على وفق الدعوى ، لم يدل العقل على أن المدعى للنبوة صادق ، وإنما تأكد له أن المدعى للنبوة كاذب لا محالة .

وقد أقاموا دليلهم على العلاقة بين السبب والمسبب ، وأنها ضرورية لا تتخلف ، ولم يرتض الإمام التفتازانى وجهة قولهم . فقال « ولا عبرة بكلامهم ، لأن الأمور الخارقة قد توجد دون أن تدل على الصدق ، كالكرامات ، وأحوال الآخرة ، فلو كان ارتباط السبب بالمسبب ضروريا – كما يدعى المعتزلة – لدلت هذه الخوارق على الصدق ، وهو لا يحدث »[1] ،إلا فى حالة المعجزة ، ومقارنتها لدعوى من ظهرت على يديه ، وفى حالة تصديق المعجزة له على وفق مراده .

ولا عبرة بقول المعتزلة ، لأن الله وحده هو الخالق للأسباب والمسببات وغيرها ، وقادر على إيجاد الأسباب كلها من غير سبب واحد ، كما أوجد العالم كله من لا شيء ، والمعجزات كلها لو وقعت من غير اقترانها بدعوى النبوة ، ما كانت دالة على صدق أحد[2] ، وهو الفرق الجوهرى بين المعجزات وغيرها من الدلالات العقلية ، ورأى أهل السنة والجماعة أقوم طريقا من غيره .

---

(١) الإمام السعد التفتازانى – شرح المقاصد جـ٢ ص١٣١ .

(٢) وإنما كانت دالة على أن أفعال الله تعالى تأتى على وفق علمه تعالى وإرادته .

خامسا : الفلاسفة

نعني بالفلاسفة هنا الفلاسفة المسلمين ، الذين قاموا بمحاولة التوفيق بين النقل والعقل ، أو بين الدين والفلسفة[1] ، لأنهم نظروا في الأفكار الفلسفية اليونانية ، وتأثير بعضهم بمصطلحاتها ، حتى بدت بعضهم الفلسفة أقرب موردا من ظواهر نصوص دينية ، وأيسر قبولا من بعض التعاليم الأخرى .

ولذا حاول أن يحافظ على واجهته الفكرية ، وأعنى بها الفلسفة أو التفكير العقلى ، وفى نفس الوقت يحافظ على مروياته الدينية التى صحت عنده ، ولذا عمل على التأويل الذى رآه ضرورة دينية ، لكنه تأويل يقوم على إخضاع النقل للعقل عند المفكر المسلم ، وليس العكس .

والفلاسفة المسلمون يؤمنون بالنبوات لأنهم مسلمون ، ولكنهم يرون أن إرسال الرسل واجب عند الله تعالى ، بناء على قاعدة التعليل ، أو النظام العام ، أو الطبيعة[2] ،فيقولون « يلزم من وجود الله ، وجود العالم بالتعليل أو بالطبع ،

---

(١) راجع فى هذا الشأن جهود العلماء فى مسألة التوفيق بين الدين والفلسفة ، التى سار فيها مفكروا المسلمين .

(٢) هذه المفردات التى قامت عليها فكرة وجوب إرسال الرسل من عند الله تعالى محل المناقشة بين العلماء .

ويلزم من وجود العالم وجود من يصلحه»[1] ، واللزوم هنا لزوم إيجاب ، زيادة على لزوم الوجوب ، لأن الفلاسفة يقولون بالوجوب[2] ، والإيجاب[3] معا .

وبيان ذلك أن النوع الإنسانى تقع بين أفراده المعارضة والمعاوضة . وهما معا محط النزاع بين الأفراد ، وتصارع الأفكار بين أصحابها ، فلا يستقل واحد من الناس بكل ما يحتاج إليه فى شئون حياته من مأكل يعده ، وملبس ينسجه ثم يحيكه ، وطبيب يعالجه ، ومهندس يقوم على تقدمه ، من ثم فهو فى حاجة إلى معاوضة ، تقوم على مبادلة الطبيب بمهنته للخابز ، والمهندس للزارع والمفكر للبناء[4] ، وأن يكون على ذلك كله على وجه المعاوضة التى هى والمعارضة من ضروريات الحياة ولوازمها .

وما دامت توجد معاوضة فى المنافع ومعارضة فى الأعمال ، فإنه تبعا لهما توجد معاملة ، تقيم أجر كل ، فليس ما يقوم به الطبيب يماثل ما يقوم به الخابز ، وليس ما يقوم به المهندس ، مثل ما يقوم به المزارع ، إذن لابد فى المعاملة من قانون يلزم الطرفين ، ويقع الجميع تحته موقعا واحدا .

---

(١) العلامة الباجورى – حاشية الباجورى على الجوهرة ص٦٨ ، وأود الرجوع إلى مصادرهم أنفسهم .

(٢) الوجوب أنواع منها الوجوب الشرعى ، وهو ما يكون تاركه مستحقا للذم والعقاب ، والمراد هنا الوجوب الثانى ، الوجوب العقلى ، وهو ما لزم صدوره عن الفاعل ، بحيث لا يتمكن من الترك بناء على استلزامه محالا – التعريفات للجرجانى ص٢٢٣ .

(٣) الإيجاب أقوى من الاقتضاء ، لأنه إنما يستعمل فيما إذا كان الحكم ثابتا بالعبارة أو الإشارة أو الدلالة – التعريفات للجرجانى ص٣٥ .

(٤) راجع فى هذا الشأن ما ذكرته لك فى فوائد بعثة الرسل من هذا الكتاب ، وراجع كتابنا : الغزاليات فى السمعيات – عند حديثنا عن طريقة الفلاسفة فى إثبات النبوات .

من ثم فلابد أن يكون هناك واحد من جنسهم ، وهو الإنسان الرسول ، فيشرع لهم ويقضى بينهم ، وهو الذى يؤكد ضرورة وجود النبى وإرساله . لأن عدم وجوده مضرة ناجزة[1] ، إذ كيف يجوز أن لا يوجد - النبى - وما هو متعلق بوجوده . ومبنى على وجوده موجود . فلابد من نبى . الذى هو إنسان متميز من بين سائر الناس بآيات قاهرة تدل على أنها من عند ربه تعالى[2] ، يدعوهم إلى التوحيد ، ويمنعهم من الشرك ، ويسن لهم الشرائع والأحكام ، ويحثهم على مكارم الأخلاق . وينهاهم عن التباغض والتحاسد ، ويرغبهم فى الآخرة وثوابها »[3] .

▣ **ويتكرر عندهم لفظ الوجوب على الله تعالى أو عنده جل شأنه ، وما يؤدى إلى الإيجاب من ناحية الألفاظ المستعملة ، حتى ينتهى القول بهم إلى أن :**

[١] النبى من عند الله تعالى ، وبإنباء الله تعالى ، وإرساله جل شأنه .

[٢] واجب فى الحكمة الإلهية إنباؤه وإرساله .

[٣] جميع ما سنه ، فإنما هو مما أوجبه الله فى أن يسنه .

[٤] أنه متميز عن سائر الناس بخصائص بالغة ، وواجب له الطاعة بآيات ومعجزات دلت على صدقه[4] .

---

(١) الدكتورة تمانى عبدالعاطى - دراسات فى الفلسفة الإسلامية ص١٢٩ .

(٢) ذلك شأن المعجزات ، لأنها دالة على تصديق الله للنبى المرسل من قبل ربه .

(٣) العلامة عبدالكريم الشهرستانى - الملل والنحل جـ٣ ص٤٤ - تحقيق الأستاذ عبدالعزيز الوكيل .

(٤) الملل والنحل جـ٣ ص٤٥ .

إذن لا محالة من القول بأن الفلاسفة المسلمين يقولون ببعثة الرسل من عند الله تعالى ، ويقرون بالنبوة ، ويعترفون بالوحى ، وإن كان سبيلهم إلى إثبات ذلك كله هو العقل ، وليس النقل على ما حكى عنهم[1] ، بل يقال عليهم إنهم صاغوا أدلتهم فى إثبات النبوات بعيدا عن كل سند دينى ، وركزوها على المصالح العامة ، وحسن النظام الأكمل[2] . والعناية السارية فى الكون كله .

◈ ويبدو سؤال لا محالة وارد على من يتعرض لتلك المسألة عندهم ، وهو إذا كانت تلك طريقتهم فى إثبات النبوة ، فما هى النبوة عندهم ؟ وما علاقة المعجزة بالنبوة ؟

▣ والجواب على الأول : تعريف النبوة عندهم .

إن « النبوة مختصة فى روحها بقوة قدسية ، تذعن لها غريزة عالم الخلق الأكبر ، كما تذعن لروحك غريزة عالم الخلق الأصغر ، فتأتى بمعجزات خارجة عن الجبلة والعادات[3] ، هذا عند الفارابى ، ولما كانت النبوة بحاجة إلى الوحى ، وجدنا ابن سينا يعرف الوحى بأنه « إفاضة العقل الكلى على نفس النبى ، الذى ينتهى إليه التفاضل فى الصور المادية . وفيضان العلوم منه على لوح قلب النبى . بواسطة العقل الفعال »[4] ، الذى يمثل مرحلة هامة ، بالنسبة للعقول الفلكية عند القائلين بها .

---

(١) والحق أنى وقفت على نصوص لبعضهم ، فرأيتهم يرفعون من شأن النقل المنزل ، ويستدلون به ، ويقدمونه على غيره – راجع كتابنا: أوراق منسية فى النصوص الفلسفية .

(٢) الدكتورة فمانى عبدالعظيم – دراسات فى الفلسفة الإسلامية ص١٣١ .

(٣) الفارابى – نصوص الحكم من مجموع الرسائل ص٣٧ .

(٤) ابن سينا – رسالة فى إثبات النبوات ص٨٥ ضمن مجموعة طبعة الجوائب فى القسطنطينية لسنة ١٣٩٨هـ .

والمتأمل فيما سلف ذكره من نصوص ، يرى أن بعض الفلاسفة المسلمين ، قد ارتضعوا من ألبان الفكر اليونانى حتى الثمالة من حيث استعمال الألفاظ . ووقعوا فى غرام أفلاطون وأرسطو إلى أبعد حد من حيث القراءة . وبخاصة الفارابى وابن سينا ، حتى أن الفارابى عبر عن هذا الحب الدفين ، لما تركه هؤلاء من أثار علمية ، فيقول:

« لو لا ما أنقذ الله به أهل العقول والأذهان ، بهذين الحكيمين أفلاطون وأرسطو . ومن سلك سبيلهما – لكان الناس فى حيرة ولبس »[1] . ولو أنه قصد بالحكيمين ما أنشأه قبل أن يأتيهما وحى ، ربما لكان فى جانبه النظرى مقبولا عندى ، أما على الإطلاق فغير مقبول لأسباب عديدة لست فى مجال بيانها .

وإن كنت أميل إلى أن ما ذهب إليه الفارابى؛ إنما يعبر عن رأيه فيهما من الناحية العلمية ، لا الناحية الدينية ، وذلك أمر لا شيء فيه[2] ، ولا يتناقض مع القواعد الشرعية .

■ **والجواب على الثانى: النبى:**

إن النبى هو « إنسان متميز من بين سائر الناس ، بآيات تدل على أنها من عند ربه تعالى »[3] ، من حيث مضمونها من توحيد ، وأمر بمعروف . وحث على الفضائل . وبعد عن الرذائل ، ولا يكون النبى كاملا ، إلا إذا كملت قوته النفسانية . ومتى بلغت نفس ذات النبى من القوة حد الكمال ، فإنها تتصرف فى

---

(١) الفارابى – الجمع بين رأى الحكيمين ص٢٩/٣٠ – مطبعة السعادة عام ١٩٠٧م .

(٢) راجع فى هذا الشأن كتابنا : المدخل لدراسة الحكمة الإسلامية ، فقد ذكرت فيه موقف مفكرى الإسلام من أرسطو وغيره من ١٩٧ : ٢٠٩ – الطبعة الأولى .

(٣) الشيخ عبدالكريم الشهرستانى – الملل والنحل جـ٣ ص٤٤ .

أجسام أخر غير بدنها ، بل في كلية العناصر ، كأنها نفس لعالم العناصر ذاتها »[1] .

من ثم فإن بإمكان النبى أن يتسلط على العالم الخارجى بالتأثير فيه ، حتى أنه ليحدث أمورا خارقة لما اعتاده الناس ، وأفعالا ليس لهم بها عهد ، لأنه صار من عند الله نبيا إليهم ، ولاحت له المعجزة التى تمكنه من إنزال مطر ، وهبوب ريح ، وتغير فى معالم يرى غيره أنها تستعصى على غيره من البشر ، هذا عن النبى .

أما الرسول فابن سينا يرى أنه « المبلغ ما استفاد من الإفاضة المسماة وحيا ، على عبارات استصوبت ليحصل بآرائه صلاح العالم الحسى بالسياسة ، والعالم العقلى بالعلم »[2] ، وإذا كان ما يقول به الفلاسفة مقبولا عندهم ، من أن الرسول يتلقى المعانى عن العقل الفعال ، ويعبر عنها بألفاظ من عنده ، فإن هذا ليس مقبولا عندنا ، لأن الله تعالى بين أن ذلك يأتى عن طريق الوحى الإلهى ، وليس عن طريق العقل الفعال . قال تعالى: ﴿ " والنجم إذا هوى ما ضل صاحبكم وما غوى وما ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى علمه شديد القوى " ﴾[3] .

كما أن التعبير عن الملك – الذى جعله الله للوحى – بالعقل الفعال ، غير مقبول عندنا . لأن – المسلم يلتزم بنص دينه – متى كان النص لا يحتمل معان أخرى ، ولئن قبل منهم القول بأن النبى يعبر عن الوحى بألفاظ من عنده ،

---

(١) يمكن مراجعة شرح المقاصد للعلامة السعد التفتازانى جـ٢ ص١٨١ .

(٢) ابن سينا – الرسالة العرشية ص٨/٩ ط حيدر أباد ١٣٥٤هـ ضمن مجموعة .

(٣) سورة النجم الآيات ١/٥ .

بالنسبة للحديث الشريف . فإنه لا يقبل فى القرآن الكريم الذى أنزله الله قرآنا عربيا ، قال تعالى ﴿ " ولقد ضربنا للناس في هذا القرآن من كل مثل لعلهم يتذكرون قرآنا عربيا غير ذي عوج لعلهم يتقون " ﴾[1] ، وقوله تعالى ﴿ " ولقد نعلم أنهم يقولون إنما يعلمه بشر لسان الذي يلحدون إليه أعجمي وهذا لسان عربي مبين " ﴾[2] .

■ **والجواب عن الثالث : علاقة المعجزة بالنبوة :**

يقول العلامة ابن خلدون عن علاقة المعجزة بالنبوة عند الفلاسفة « إن المعجزة قوة إلهية ، تبعث فى النفس ذلك التأثير . فهو مؤيد بروح الله على فعله ذلك »[3] . وكون المعجزة معه ، إنما هى تمثل الآيات الدالة على صدقه . والتى بها يتميز عن غيره . فهو يسمع كلام الله ، ويرى ملائكته المقربين ، وقد تحولت على أشكال وصور يراها »[4] . وكذلك منحه الله آيات تدل على أنه رسول من عند الله . وبذا تتم العلاقة بين المعجزة والنبوة عند الفلاسفة المسلمين المثبتين للنبوات على النحو الذى سلف بيانه ، ونستطيع أن نقول : إن الفلاسفة يميلون إلى أن المعجزات تجرى على سنن الله تعالى وأسبابها التى يعلمها جل شأنه ، لأنها راجعة لأمره جل علاه ، إنما أمره ﴿ " إنما أمره إذا أراد شيئا أن يقول له كن فيكون فسبحان الذي بيده ملكوت كل شيء وإليه ترجعون " ﴾[5] .

---

(١) سورة الزمر الآيتان ٢٧/٢٨ .

(٢) سورة النحل الآية ١٠٣ .

(٣) ابن خلدون – المقدمة ص٥٠٢ دار القلم بيروت ط الرابعة ١٩٨١م .

(٤) راجع للعلامة الشهرستانى الملل والنحل جـ٣ ص٤٤

(٥) سورة يس الآيتان ٨٢/٨٣ .



الفصل السادس

مثبتات النبوة



لا شك أن النبوة عند أهل السنة والجماعة . لطف من الله تعالى . ورحمة بعبادة . من حيث هي نبوة ورسالة . [1] . كما أنها اصطفاءٌ من الله تعالى واختيارٌ باعتبار من يقوم بها . وهو النبي أو الرسول[2] . لكن ليس كل من يدعى النبوة والرسالة يمكن تصديقه بمجرد دعواه. وإنما لابد من ظهور آيات[3] .وبراهين[4] . تقف معه مؤكدة مدعاه . وأنه مرسل من قبل الله جل علاه .

والناظر في آيات الذكر الحكيم وما صح عن سيدنا رسول الله ﷺ في سنته المباركة يجد أن مثبتات النبوة قد جاءت مع كل واحد منهم ببراهين ساطعة على تصديقه . ودلائل مؤكدة على تأييده . فهي علامات وبراهين . ودلائل وآيات بينات يجريها الله تعالى على يدى النبى الصادق [5] . تكون فوق إمكانيات المرسل فيهم . من حين محاولتهم تقليدها . أو الإتيان بمثلها . أو معارضته فيها .

---

(١) ذلك هو مذهب أهل السنة والجماعة ، وهو الذى نعتمده ونعول عليه في المسألة ، ولا عبرة بالمخالف .

(٢) راجع في هذا الكتاب ما ذكرناه عن النبي والرسول والعلاقة بينهما ، ففيه كفاية لمن يريد .

(٣) قال تعالى ﴿ "وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى تِسْعَ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ فَاسْأَلْ بَنِي إِسْرَائِيلَ إِذْ جَاءَهُمْ فَقَالَ لَهُ فِرْعَوْنُ إِنِّي لَأَظُنُّكَ يَا مُوسَى مَسْحُورًا " ﴾ سورة الإسراء الآية ١٠١ ، وقال تعالى :﴿ " لَقَدْ رَأَى مِنْ آيَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرَى" ﴾ سورة النجم الآية ١٨ إلى غير ذلك من الآيات القرآنية التى جاء التعبير فيها عن المثبتات للنبوة بلفظ الآية .

(٤) من ذلك قوله تعالى ﴿ " اسْلُكْ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ تَخْرُجْ بَيْضَاءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ وَاضْمُمْ إِلَيْكَ جَنَاحَكَ مِنَ الرَّهْبِ فَذَانِكَ بُرْهَانَانِ مِن رَّبِّكَ إِلَى فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ " ﴾ سورة القصص الآية ٣٢

(٥) لم يؤيد الله نبياً كاذباً أبداً ، لأن ذلك مستحيل في حق الله تعالى ، ولم يجر العادة به ، فل على أن تصديق الكاذب غير وارد عندنا نحن المسلمين ، فما بالك إذا ادعى ذلك الكاذب النبوة .

باعتبار أنها تجيء من جنس ما برعوا فيه ، وأجادوه ، فتاتى أعلى مما برعوا فيه وأجادوه . فيقع الإعجاز له ، والعجز عليهم .

تلك البراهين هى الخوارق للعادات ، وصفات النبى أو الرسول ، وخلق الله العلم الضرورى فيمن بعث فيهم حتى يعلنوا عن يقين أنه النبى الصادق .والرسول الكريم المبلغ عن الله رب العالمين[1] ، باعتبار انطباق ما صح فى النبوات السابقة من حديث عنه ، أو علامات دالة عليه ، بحيث يكون من عرفها ورآه ، أو بلغه خبره على يقين . من أن ذلك هو النبى ، وآية ذلك أنه لما بعث سيدنا محمد ﷺ : أعلن وريقة بن نوفل أنه النبى الذى أخبرت الكتب بصدق نبوته . وزمان بعثته .

إذن مثبتات النبوة ، هى ذاتها مؤكدات الرسالة ، وفى نفس الوقت هى علامات الإرسال الصادق من الله تعالي ، ويمكن إجمالها فيما يلى :

[١] خوارق العادات[2] :

ويسميها البعض بالمعجزات [3] . بينما يذهب آخرون إلى تسميتها دلائل النبوة وبراهينها [4] ، وفى نفس الوقت قد يطلق عليها البعض اسم مثبتات

---

(١) يذهب البعض إلى أن كل واحد منها تثبت به النبوة ،بينما يذهب آخرون إلى أن مجملها هو الذى تثبت به النبوة ، وذلك أمر له أهمية سنعرض لها فى حينه إن شاء الله تعالى .

(٢) هذه التسمية للفصل بين خوارق الطبيعة ، وخوارق الأعراف ، وغيرها من الخوارق ، والمراد هنا خوارق العادات ، لما سوف أعرض له إن شاء الله تعالى .

(٣) هم أهل السنه والجماعة ، ومن يوافقهم التسمية والإطلاق من غير منازعة .

(٤) كما فعل شيخ الإسلام ابن تيمية باعتبار وجودها فى القرآن الكريم كألفاظ دالة على تصديق النبى ، ومعه من يوافقه الرأى فى ذات التسمية .

النبوة[1] ، وهي في مجملها لا تخرج عن كونها خوارق عادات تجئ مع النبي على غير مألوف القوم ، مع عجزهم جميعاً او فرادى عن معارضته فيما أجراه الله تعالى على يديه ،أو الإتيان بمثله هو لا بمثل آخر في محاولة منهم لتجميد موقفه ، أو إبطال دعوته[2] .

[٢] إخبار النبوات السابقة به من خلال غلبتهم على معجزته :-

وقد كان ذلك قائما في كل نبوة سبقت من لدن سيدنا آدم ﷺ . إلى سيدنا محمد ﷺ . باعتبار أنها جميعا كانت نبوات خاصة . ورسالات محددة لطائفة معينة فكانت كل رسالة تعلن غالبا عن النبي الآتي بعد[3] ، وظل الأمر كذلك حتى النبوة الخاتمة ، الرسالة العالمية العامة الخالدة ، نبوة سيدنا محمد ﷺ . ولما لم تكن بعده نبوة . فإنه ﷺ تحدث عن كل الأنبياء السابقين . للتأكيد على انه والمرسلين جميعاً من منبع واحد قد جاءوا ، ونحن نؤمن بأنه لا نبي بعد سيدنا محمد ﷺ ، ومن ادعى النبوة بعده ، أو صدق من ادعاها ؛ فهو كافر ، لأنه مكذب لله ورسوله وإجماع المسلمين[4] .

من ثم فإن المحققين من العلماء يذهبون إلى أن كل الأنبياء قد بشروا أممهم بالأنبياء الذين سيخلفون النبوة القائمة بدءاً من آدم أبي البشرية ﷺ حتى أخرهم

---

(١) صنع ذلك بعض المحدثين الذين يحاولون تفادى بعض الملاحظات على غيرهم ، ومع ذلك فإن بعض متكلمي المحدثين يسمونها دلائل النبوة ، كما فعل الإمام البيهقي .

(٢) كما فعل فرعون السحرة مع سيدنا موسى بن عمران ﷺ .

(٣) الشيخ محمود نصر الدين – النبوة في القرآن الكريم ص١٩ .

(٤) الشيخ محمد الصالح العثيمين – عقيدة أهل السنة والجماعة ص٣٥ .

في النبوات الخاصة[1] . وهو عيسى ابن مريم ﷺ الذي أخبر بنبوة سيدنا محمد ﷺ وليس بعد نبوة خاتم الأنبياء والمرسلين سيدنا محمد ﷺ نبوة أخرى أبدا .

﴿ قال تعالى﴿ " وإذ قال عيسى ابن مريم يا بني إسرائيل إني رسول الله إليكم مصدقا لما بين يدي من التوراة ومبشرا برسول يأتي من بعدي اسمه أحمد فلما جاءهم بالبينات قالوا هذا سحر مبين " ﴾[2] ، فقد أخبر سيدنا عيسى ابن مريم بأنه رسول الله إلى قوم مخصوصين . وأنه يمهد لخاتم الأنبياء سيد المرسلين . سيدنا محمد بن عبدالله الصادق الوعد الحق الأمين .

وليس بعد نبوة سيدنا محمد ﷺ نبوة ، لقوله ﷺ « لا نبى بعدى »[3] . وقوله ﷺ « لو كان موسى بن عمران حيا ، ما وسعه إلا أن يتبعنى ، ولو كان عيسى ابن مريم حسا ما وسعه إلا اتباعى » ، وقوله ﷺ « تركت فيكم أمرين لن تضلوا ما تمسكتم بهما : كتاب الله وسنة رسول الله ﷺ »[4] .

وعن زيد بن أرقم ﷺ ؛ عن النبى ﷺ أنه قال : « إنى تارك فيكم ما إن تمسكتم به ؛ لن تضلوا بعدى: أحدهما أعظم من الأخر ، كتاب الله حبل ممدود من السماء إلى الأرض . وعترتى أهل بيتى . ولن يتفرقا حتى يروا على الحوض

(١) الشيخ محمد نصر الدين – النبوة فى القرآن الكريم ص٨ .

(٢) سورة الصف الآية (٦)

(٣) سنن الترمذي (وشرح العلل) – لإمام الترمذي – باب ما جاء لا تقوم الساعة حتى يخرج كذابون. في الحديث رقم: [٢٣١٦] ونص الحديث: « حدثنا قتيبة أخبرنا حماد بن زيد عن أيوب عن أبي قلابة عن أبي أسماء عن ثوبان قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (لا تقوم الساعة حتى تلحق قبائل من أمتي بالمشركين وحتى يعبدوا الأوثان وإنه سيكون في أمتي ثلاثون كذابون كلهم يزعم أنه نبي وأنا خاتم النبيين لا نبي بعدي) » .

(٤) رواه الإمام مالك بن أنس ﷺ ورواياته طرقها متعددة

فانظروا كيف تخلفونى فيهما »[1] ، يمكن تفسير أهل بيتى على أنهم الملتزمون شرع الله وسنة نبيه ﷺ فى سيدنا سلمان الفارسى – سمان منا آل البيت –[2] .

إلى ير ذلك من الآيات القرآنية ، والأحاديث النبوية ، التى تحدثت كلها عن نبوة سيدنا محمد ﷺ ، وختمها لكافة النبوات والرسالات السابقة ، وتأكيده ﷺ من قوله « نحن معاشر الأنبياء ، اخوة لعلات أمهاتهم شتى ودينهم واحد »[3] .

[٣] الصفات الشخصية للنبى نفسه :

وهى الصفات التى يتحلى بها النبي قبل دعواه النبوة ، بحيث تكون تلك الصفات علامة مميزة له . وآية ذلك أن سيدنا محمد ﷺ وصف عند العرب فى الجاهلية قبل إبلاغه النبوة من الله تعالى بأنه الصادق الأمين[4] ، ذو الرأي الراجح ، والعقل الحصيف[5] ، والعفة والكرم ، بجانب الشجاعة والرحمة[6] ، وهى صفات خاصة به ﷺ لم تتوفر لواحد غيره في زمانه ، حتى أن العرب كانوا

---

(١) الشيخ منصور على ناصف – التاج الجامع للأصول – كتاب الإسلام والإيمان جـ١ ص٣٧ . وقال رواه الترمذى ومسلم – ملحق صوت الأزهر . وقد ورد الحديث برواية أخرى فى مسند الإمام أحمد – للإمام أحمد ابن حنبل – مسند أبي سعيد الخدرى رضي الله عنه.

« حدثنا عبد الله حدثني أبي حدثنا أسود بن عامر أخبرنا أبو إسرائيل يعني إسمعيل بن أبي إسحق الملائي عن عطية عن أبي سعيد قال: –قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إني تارك فيكم الثقلين أحدهما أكبر من الآخر كتاب الله حبل ممدود من السماء إلى الأرض وعترتي أهل بيتي وإنهما لن يفترقا حتى يردا على الحوض » .

(٢) راجع كتابنا : لماذا انتشر الإسلام جـ١ ص١٩٨ .

(٣) مسند الإمام أحمد جـ٢ ص٤٠٦ ، ٤٣٧ ، ٤٦٣ ، ٥٤١ .

(٤) الشيخ عبدالحكيم فرحات – النبى الخاتم ص٤٥ .

(٥) الدكتور كمال محمود عبدالباقى – سيدنا محمد ﷺ فى منظور الجاهلين ص٨٧ .

(٦) تلك بعض صفاته ﷺ ، وكلها حسنة ، جعلها الله تعالى له قبل النبوة ، فما بالك به فى النبوة .

ينظرون إليه نظرة مخالفة لنظراتهم التى كانوا يطلقونها على أترابه من غير استثناء . أضف إلى ذلك من الصفات التى أبرزها الله تعالى للعيان . من كونه ﷺ قد خلقه الله تعالى على أتم وجوه الكمال والجمال البشرى ، وتخصيصه بالمحاسن الجميلة. والأخلاق الحميدة ، والمذاهب الكريمة ، والفضائل العديدة ، وتأييده بالمعجزات الباهرة والبراهين الواضحة. والكرامات البينة . التى شاهدها من عاصره ، ورآها من أدركه . وعلمها علم اليقين من جاء بعده ، حتى انتهى علم حقيقة ذلك إلينا ،وفاضت أنواره ﷺ من ربه علينا[1] .

ونحن سنحاول التعرض لتلك المثبتات على وجه تفصيلي في النقاط الآتية :-

أولاً : خوارق العادات

المعروف عندنا نحن أهل السنة والجماعة ، أن ذات الله تعالى مخالفة لذوات غيره ... وصفاته تعالى كذلك . وبالتالى فكلام الله مخالف لكلام الناس . باعتبار أن كلام الناس يسمع بالأذن وحدها . التى يمكنها أن تسمع . أما كلامه سبحانه وتعالى فلا يسمع بالأذن وحدها بل بالروح كلها . فيظهر أثر وقعه في البدن كله . فكأن البدن كله أذن لسماع كلامه سبحانه وتعالى [2] ، وأفعال الله تعالى كصفاته ، مما لا يمكن مشابهتها بأفعال أحد أبدا .

(١) القاضى عياض بن موسى اليحصبى الأندلسى – تهذيب الشفا بتعريف حقوق المصطفى جـ١ ص١٧/١٨ – تحقيق وتهذيب جمال الدين سيروان ، نور الدين قره على – مطابع الروضة بجدة – الناشر شركة النهضة الطبية .

(٢) الشيخ أحمد محمد حجاب – العظة والاعتبار – أراء فى حياة السيد البدوى ص١٦ ط المجلس الأعلى للشئون الإسلامية بالقاهرة ١٣٨٩هـ .

ولما كان أمر المثبتات للنبوة والرسالة من الأفعال الإلهية ،فإنها تجئ خارقة للعادات التى ألفها الناس فى جريان موضوع الأفعال الإلهية ، بمعنى أن سنة الله تعالى فى الكائنات ثابتة مطردة . قال تعالى ﴿ " اسْتِكْبَارًا فِي الارْضِ وَمَكْرَ السَّيِّئ وَلا يَحِيقُ الْمَكْرُ السَّيِّئُ إلا بِأَهْلِهِ فَهَلْ يَنظُرُونَ إلا سُنَّتَ الاوَّلِينَ فَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَبْدِيلا وَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَحْوِيلا " ﴾[1] .

ولكنها من حيث النظر إليها تجيء على غير مألوف الناظر إليها . وفي نفس الوقت فإن كل المتحدثين بها يعجزون عن الإتيان بمثلها ، أو الوقوف على وجه يظن به المماثلة فيها على أية ناحية من النواحى .

ولا شك أن خوارق العادات [2] ، من أنواع الخارق على وجه الإجمال ، باعتبار أن الخارق فى مجمله أنواع :-

النوع الأول : الخارق للعقل : وهو محال ، لأن التكليف لا يكون إلاَّ للعقل ، فإذا ما جاءت المعجزة خارقة له ، فوق إمكانياته ؛ فقد ضاعت إمكانياته كلها ، وتلاشت قدراته ، فيحتاج إلى عقل جديد ، حتى يكون هو المخاطب بالتكليف ، ويتسلسل الأمر ولا ينتهى ، فلا تأتى المعجزة خرقا للعقل أبدا[3] . لهذه الناحية . وإلا بطلت على الناحية التى جاءت منها . وعليه

(١) سورة فاطر الآية ٤٣ .

(٢) العادات جمع عادة ، وتعرف العادة بأنها كل ما اعتيد حتى صار يفعل من غير جهد – المعجم الوجير باب العين ص٤٣٩ .

(٣) كما أن خرق العقل مما لا يطاق للنبى نفسه ، لأنه من نفس ذات البشرية ، فما لا يطاق لها لا يطاق أيضا له .

فيمكن تعريف الخارق للعقل: بأنه قد يأتى فوق إمكانياته ، ولا تقبله القواعد البدهية على نحو معقول من جهة العقل ذاته .

◄ **النوع الثاني: الخارق للشرع** : وهو محال لأن معناه : أن النبى سيقول للناس إنى رسول الله إليكم الآن ، وآية صدقى أن أغير ما ذكرته لكم من قبل ، كأن يطلب منهم صلاة العصر مثلا اثنتين ، وقد شرعها الله لهم أربعا ، فإذا قال: معجزتى أن أخرق الشرع ، كاستقباح المحرم ، واستحلال الحرام ، فقد خرق الشرع ، وصار كذابا بدل أن يكون نبيا صادقا ، والمعجزة لهذا لا تأتى خارقا للشرع أبدا[1] ، وإلا كان النبى المشرع خارقا لذات الشرع ، وهو محال .

ولذا يعرف الخارق للشرع : بأنه يأتى مخالفا للشرع ، المأمور به ، والمنهى عنه ، من قبل الله تعالى فى العزائم والرخص ، وغيرها مما ورد به الشرع نفسه .

◄ **النوع الثالث: الخارق للعرف** . وهو ما يجيء على غير أعراف الناس الصحيحة والقواعد الثابتة المستقرة ، كالتعاملات التى تجري بين شخصين أو أكثر مما هو غير جار في العرف السليم[2] ، ثم يعلنان عن ذلك الفعل الذى يرفضه العرف السليم[3] ، متى نظر إليه فى حدود قاعدة شرعية ، مثال ذلك الأكل الكثير الذي يؤدى إلى استهلاك الطعام في غير فائدة ، واستهلاك وقت المسلم في غير منفعة عائدة بالخير عليه ، أو على أحد من إخوانه المسلمين[4] .

---

(١) الشيخ مصطفى صبرى – مواقف العقل والعلم والعالم من رب العالمين وعباده المرسلين جـ١ ص٩٧ .

(٢) الأستاذ فؤاد السيد عطوة – العرف الصحيح وروده فى القواعد الشرعية ص٧٣ .

(٣) كالبيوع المحرمة ، والعلامات غير المباحة فى النواحى المالية والاجتماعية .

(٤) وإن تعارف عليه بعض الناس ، فيمكن دخوله فى دائرة العرف الفاسد ، وليس داخلا فى دائرة العرف الصحيح أبدا

والأحاديث التى لا يقصد أصحابها بذكرها إلا إضاعة الوقت ، واستنفاذه مما لا يقره العرف السليم أبداً[1] ، فإتيان الفعل على شئ من ذلك يكون خارقاً للعرف ، ومثله لا يكون مقبولاً ، ،إن كان ممكن الوقوع .

» **النوع الرابع : الخارق للعادة** : ومعناه أن العادة التى خلق الله الشيء عليها تخلفت عنه . فعادة نرى الشمس تشرق فى الصباح من ناحية المشرق . وتغرب فى المغرب ، وتلك عادتها التى خلقها الله تعالى عليها ، فإذا عكست وتأخرت فقد انحرفت عن العادة[2] التى استقرت معارف الناس عليها بهذا الخصوص .

كذلك إذا طلعت الشمس من مغربها . فقد خرقت عادتها . وكذلك الأكل فقد تعود الناس بعده الشبع . فإذا شبع إنسان من غير أن يأكل فقد انخرقت عادته[3] التى ألفها هو ، ومن تعامل معه ، باعتبار أن عادته الأكل الكثير حتى يشبع ، فإذا شبع من غير أكل فقد خالف الثابت عنه .

والمرأة التى يأتيها العذر الشرعى الشهرى . وهى من ذوات الحيض . وقد عرفت مدة حيضها ، فإذا تأخرت الدورة . أو اقتربت من التأخر ، قالت المرأة : تخلفت العادة عنها ، وهى أمر ممكن تخلفه[4] ، فتتقدم حينا أو تتأخر بعض الوقت . وهكذا فإن كل المعجزات تأتى على هذه الناحية ، وبالتالى يعرف الخارق

---

(١) الشيخ محمود خليل الطوانسى – نظرات فى الفقه الإسلامى ص٧١ .

(٢) الأستاذ فؤاد السيد عطية – العرف الصحيح والعادة الثابتة ص٣١ .

(٣) وقد تعرض لهذه الناحية الإمام أبو حامد الغزالى فى كتابه (تهافت الفلاسفة) .

(٤) الدكتور ماكس هورتن – الطمث عند المرأة صحة لا مرض ص٢٥ – ترجمة الأستاذ رزق صبرى .

للعادة: بأنه ما يأتي على غير معهود الناس . وليس جاريا في مألوفاتهم . وما تحكم به عاداتهم .

◄ **فمثلا** : النار من العادة التي خلقها الله عليها أنها إذا اقتربت من جسم قابل للاحتراق ، فإنها تحرقه[1] ، فإذا أراد الله تخلف عادتها منعها من ذات الإحراق . ولذا لما ألقى الخليل سيدنا إبراهيم في النار التي أوقدها الأسفلون بغرض إحراقه . تخلفت العادة في النار . ولم تحرقه . معجزة لسيدنا إبراهيم عليه السلام.

قال تعالى ﴿ " قال أفتعبدون من دون الله ما لا ينفعكم شيئا ولا يضركم أف لكم ولما تعبدون من دون الله أفلا تعقلون قالوا حرقوه وانصروا آلهتكم إن كنتم فاعلين قلنا يا نار كوني بردا وسلاما على إبراهيم وأرادوا به كيدا فجعلناهم الاخسرين ونجيناه ولوطا إلى الارض التي باركنا فيها للعالمين " ﴾[2] .

◄ **مثال أخر** : الحجر الأصم من عادته أنه إذا ضر به أحد بعصا غليظة ، أو حديد ، أو حجر أكبر منه . فإن الحجر المضروب ينفجر منه الشرر وتتناثر أجزاؤه . وتلك عادته . فإذا ضرب سيدنا موسى الكليم عليه السلام الحجر الصلب فانفجر منه الماء ، كان ذلك مخالفا لعادة الحجر ، وجريانا للشيء على خلاف العادة .

---

(١) الشيخ محمود عبدالباقي – النبوات والمعجزات ص٧٢ .

(٢) سورة الأنبياء الآيات ٦٦/٧١ .

ﷻ قال تعالى ﴿ " وإذ استسقى موسى لقومه فقلنا اضرب بعصاك الحجر فانفجرت منه اثنتا عشرة عينا قد علم كل أناس مشربهم كلوا واشربوا من رزق الله ولا تعثوا في الارض مفسدين " ﴾[1] .

◄◄ **مثال ثالث** : عادة البحر أنه إذا ضرب بعصا فيخرج منه رزاز يتطاير ، يصيب القريب منه بالبلل ، إما أن يضرب البحر فينشق فى البحر الطريق اليبس ، بمقدار العابرين نحوه من جماعات[2] ، فذلك جريان للبحر على غير عادته ، وهو المراد عند أهل السنة والجماعة بخرق العادة ، وإثبات المعجزة[3] التى بها يتأكد صدق النبى فى دعواه .

من ثم بان لنا أن المعجزات تأتى مع الأنبياء والمرسلين تفضلا من الله تعالى ، وأنها تجيء خارقة للعادة التى جرت الأشياء عليها ، وأنها لا تحدث شيئا من التغيير فما خلق الله تعالى ، لأنها ذاتها من خلق الله جل علاه ، فى نفس الوقت فإنها لا تخرق العقل من حيث أحكامه[4] ، ولا تخرق الشرع من حيث تكاليفه وتعاليمه[5] ، ولا تخرق العرف السليم من حيث قواعده القائمة .

---

(١) سورة البقرة الآية ٦٠ .

(٢) قال تعالى ﴿ " فلما تراءى الجمعان قال أصحاب موسى إنا لمدركون قال كلا إن معي ربي سيهدين فأوحينا إلى موسى أن اضرب بعصاك البحر فانفلق فكان كل فرق كالطود العظيم وأزلفنا ثم الاخرين وأنجينا موسى ومن معه أجمعين ثم أغرقنا الاخرين " ﴾ سورة الشعراية الآيات ٦١/٦٦ .

(٣) ومجرد خرق العادة مع النبى يكفى للتأكيد على أنه نبى صادق فى دعواه ما داموا موافقا لغرضه .

(٤) الشيخ محمود نصر الدين – النبوة فى القرآن الكريم ص٧١ .

(٥) راجع فى هذا الشأن كتابنا : الغزاليات فى السمعيات عند الحديث عن المعجزة .

في نفس الوقت فإن خوارق العادات تجيء متعددة باعتبارات مختلفة ، بعضها راجع لمن جرت على يديه[1] . وبعضها متعلق بالصورة التي جاء عليها الخارق[2] ، والبعض الثالث متعلق بالتسمية[3] ، وقد ذكر علماء الإسلام تلك الخوارق للعادات نظما ونثرا . بجانب العرض والتفصيل :

فمن شعرهم فيها :

إذا ما رأيت الأمر يخرق عادة	∴	**فمعجزة أن من نبى له صدر**
وإن بان منه قبل وصف نبوة	∴	**فالإرهاص سمة تتبع القوم فى الأثر**
وإن جاء يوما من ولي فإنه الكـ	∴	**ـرامة فى التحقيق عند ذوى النظر**
وإن كان من بعض العوام صدوره	∴	**فكنوه حقا بالمعونة واشتهر**
ومن فاسق إن كان وفق مراده	∴	**يسمى بالاستدراج فيما قد استقر**
وإلا فيدعى بالإهانة عندهم	∴	**وقد تمت الأقسام عند الذى اختبر[4]**

ومن النثر أيضا :

قال الشيخ محمد الأمير : « اعلم أن خوارق العادات سبعة :-

الأول : المعجزة المقارنة للتحدى : وهى تأتى بما لا يمكن لأحد الإتيان به ، سوى النبى ، ولا يتأيد بها إلا الله ، المبلغ عن الله تعالى .

---

(١) فالنبى تجرى على يديه المعجزات ، بينما الولى تجرى على يديه الكرامات ، وهكذا تتعدد الخوارق بتعدد من جرت على يديه .

(٢) من كونها حسية أو عقلية ، وكونها إظهار شيء ما ، أو إخفاء شيء ما ، وهكذا .

(٣) هناك تسميات للخوارق بلغت عند البعض من أهل الإسلام تسعا – راجع حاشية الأمير فى المسألة .

(٤) العلامة الشيخ أحمد الصاوى – حاشية على شرح الخريدة البهية ص٥٩ ط الحلبى

الثانى : الإرهاص قبل النبوة من رهص الجدار وهو أساسه : وهو يجيء مع ذات النبى قبل إعلانه النبوة ، بحيث يكون إحدى العلامات الدالة عليه .

الثالث : الكرامة للأولياء ، باعتبار أن ذلك مميز لهم عن غيرهم .

الرابع : المعونة لعامى حتى تخلصه من شدة ، لكنه صالح على عهد الله قائم . وبشرعه تعالى ملتزم . مع متابعته للنبى .

الخامس : الاستدراج للفاجر على طبق دعواه ، وهو يحصل لمدعى الألوهية ، كالدجال دون المتنبى ، وذلك لوضوح أدلة نفى الألوهية عن الدجال . ومدعى الألوهية ، لأن تلك الدعاوى من سمات الحدوث باعتبار مدعيها ، فلا يخاف اللبس .

السادس : الإهانة للفاجر على خلاف دعواه : من حيث أنه يعلن عن قدرته على خرق العادة . فيتم له فعل الخرق ، لكنه يكون على غير مقصود . فيقع التكذيب له .

السابع : السحر ، ومنه الشعوذة . وقيل ليس من الخوارق . لأنه معتاد عند تعاطى أسبابه[1] ، فهو كأى فن من الفنون ، أو علم من العلوم ، وبالتالى فيمكن تعلمه والتعرف عليه ، فهو خارق للعادة بالنسبة لمن يحصل قواعده . لكنه عادى لمن ألفه ، وتعرف عليه .

وعدها البعض ثمانية مضيفا إليها :-

---

(١) العلامة الشيخ محمد بن محمد بن الأمير - حاشية الأمير على شرح عبدالسلام لجوهرة التوحيد ص١٢١ - ط الحلبى الأخيرة ١٣٦٨هـ/١٩٤٨م .

۞ **الثامن: المغوثة** : وعرفت بأنها أمر خارق للعادة يقع لعبد صالح على وجه الإنقاذ له ، وليس التخليص[1] ، فالمعونة تجيء تخليصا للعبد الصالح من الشدة التى وقع فيها ، وبالتالى فالمغوثة والمعونة يفترقان من ناحية التسمية والموضوع .

وعدها البعض تسعا ، مضيفا إليها :-

۞ **التاسع: الفراسة** : وهى أمر خارق للعادة ، وخاطر يهجم على القلب ، ينفى ما يضاده .يثب على القلب وثوب الأسد على الفريسة[2] ، وقد يبقى أمر ذلك الخارق بع الوقت ، وقد يزول .

ثانيا : المعجزة

لما كانت المعجزة هى إحدى مثبتات النبوة عند أهل السنة والجماعة . فمن الضرورى تناولها في اللغة والاصطلاح وهو ما يعرف بالتعريف ، حتى يكون المرء على معرفة بما يستعمل م مفردات على جهة المعنى والمفهوم :

أولا: تعريفها:

(أ) في اللغة :-

وردت مادة الكلمة (ع ج ز) فى لغة العرب على أنحاء شتى ، كما جاءت على العديد من المعانى ، كما جاءت على ناحية المشتقات المختلفة ، ولذا يقال :-

[١]أن مادة – ع ج ز – يأتى المصدر منها العجز ، وهو الذى يقابل القدرة ، يقال : عجز الرجل عن احتمال الشيء ، وعجزت المرأة عن الاحتفاظ بما فى

(١) الشيخ محمود نصر الدين – النبوة فى القرآن الكريم ص٩٣ .

(٢) العلامة ابن القيم الجوزية – مدارج السالكين جـ٢ ص٥٠٤ والطحاوية ص٤٤٦ .

أحشائها من جنين ، ومعناه : أن الضعف أصابهم ، والوهن غلبهم ، ولم تعد لديهم القدرة على الاحتمال[1] ، فحصل العجز منهم على ملاقاة الظرف المحيط بهم .

كما أن – ع ج ز – تفيد الوهن فى العقل أيضا ، والضعف عن تفهم الفكرة المعروضة[2] . ومنه المعجزة ، لأنها تأتى اعلى من إمكانيات الآخرين فتعجزهم عن الإتيان بالمثل ، سواء كان الإعجاز واقعا فى القدرات المادية الجسدية ، أم العقلية وغيرها[3] . مما يقع عليه الإعجاز ، أو يأتى فيه .

من ثم فإن الحقيقة اللغوية للكلمة هو إثبات العجز لوهن الجسم . أو ضعف العقل والإمكانيات النفسية عن مجاراة الغير ، فيما يعرض له ، أو يكون ملزما بمواجهته .

[٢] إن لفظ (ع ج ز) استعير لإظهار العجز ، حيث أن الأمر متعلق بالمعقولات . فلا يكون اللفظ حينئذ جاريا على أصله اللغوى . وإلا وقعت الاستحالة التى نبه إليها البلاغيون . والمعروف أن :

[أ] <u>الحقيقة اللغوية</u> : وهى استعمال اللفظ فيما وضع له حقيقة[4] .

---

(١) المعلم بطرس البستانى – قطر المحيط ، وراجع محيط المحيط أيضا .

(٢) المعجم الوجيز مادة (ع ج ز) ص٤٠٧ .

(٣) المعجم الوسيط باب العين ، وراجع أساس البلاغة للعلامة الزمخشرى .

(٤) العلامة الشيخ محمد داود الأفريقى – نظرات فى علوم البلاغة ص٧٣ – ط أولى ١٩٢١م .

[ب] **الحقيقة العرفية** : وهى استعمال اللفظ فيما تعارف عليه القوم كاصطلاح خاص بهم[1] ، فإذا تم استعمال اللفظ عند غير المتفقين عليه ، فإنه لا يكون حقيقة عرفية ، وإن أمكن إطلاق تسميات أخرى عليه .

[٣] أسند فعل العجز على سبيل المجاز إلى ما هو سبب العجز ، وصار اسما له ، وهذا يصح على أساس جواز استعمال اللفظ فى الحقيقة ، واستعماله فى المجاز ، طالما كانت العلاقة بينهما قائمة[2] ، وسبب العجز معناه : ضعف العقل والإمكانيات فى الذى يقع عليهم التحدى ، وهو المراد بالعجز والإعجاز معا .

[٤] إن المعجزة مذكر معنوى ، دخلت عليه التاء ، حتى تفصل بين الوضعين بالنسبة للكلمة ، وبالتالى فإن دخول التاء على لفظ المعجز إنما جاء لنقل الكلمة من الوصفية ، حيث كان المعجز وصفا لمن عجز عن القيام ، لما كلف به على نحو ما ، إلى الاسمية لأنه صار معروفا لدى الدارسين باسم المعجز[3] ، وليس باعتباره وصفا . وتلك الصيرورة قائمة فى مفهوم لفظ المعجز . وهى من الدقائق التى تحتاج الالتفات إليها .

فإذا قلت لآحاد الدارسين ما هى المعجزة ؟ فأنت تسأله عن صفات ذلك المسمى بهذا الاسم ، وليس الموصوف به ، ولذا سماها البعض المعجز بالتذكير ، وسماها الغالب منهم بالتأنيث . فقال المعجزة . وكلاهما يردان على شيء واحد .

---

(١) الشيخ أبو الوفا عبدالحكم رضوان – بين اللغة والاصطلاح فى الألفاظ والمفاهيم ص١٣ .

(٢) الشيخ محمد بن داود الأفريقى – نظرات فى علوم البلاغة ص٩١ .

(٣) وهو الشائع فى كتب العلم ، لأنه نقل من الوصف إلى الاسم .

۞ **مثال ذلك** : لفظ الحقيقة . فإن مادة الكلمة الأصلية (ح ق ق) وحقيقة بمعنى ثابتة على وجه الصواب والتأكيد . ومذكرها من الكلمة هو لفظ يأتى الحق . فإذا جاء المؤنث منه فإن الإدغام فى الكلمة يفك ، ثم تضاف التاء فاصلة بين مؤنث اللفظ ومذكره ، فيقال الحقيقة ، ولكنه فى هذه الحال لا يمنع من استعمال لفظ الحق أيضا .

وقد صار لفظ الحقيقة اسما لمعنى معين يتمايز عن لفظ الحق من هذه الناحية الاسمية ، فالتاء فى المعجزة كالتاء فى لفظ الحقيقة للانتقال باللفظ من الوصفية إلى الاسمية على ما هو مدون فى كتب العلم ، كما فعل الإمام الفخر الرازى . حيث يستعمل لفظ المذكر ، ولا يستعمل لفظ المعجزة المؤنث ، فيقول الركن الرابع م هذا الكتاب[١] فى السمعيات . وهو مرتب على أقسام : الأول فى النبوات مسألة العجز ، وأنه أمر خارق للعادة ، مقرون بالتحدى ، مع عدم المعارضة[٢] ، وكثيرا من الأشاعرة يستعملون اللفظ بدون التاء .

ومال بعض الدارسين إلى أن التاء الداخلة على لفظ المعجز ، إنما هى للمبالغة[٣] فى المعنى ، كأن المعجز يتم وقوعه مرة واحدة ، أما المعجزة فمعناه أنها تكرر بها التحدى والوقوع ، وطلب المعارضة ، فلم يتمكن القوم من دفعها ، أو التعرض لها ، رغم كثرة تكرارها ، واستمرار التحدى بها ، وهى غير قياسية .

---

(١) يقصد كتابه – محصل أفكار المتقدمين والمتأخرين ، وهو أحد كتب الشيخ المهمة فى المسألة .

(٢) العلامة فخر الدين الرازى – محصل أفكار المتقدمين والمتأخرين ص٢٠٧ – تحقيق الأستاذ طه عبدالرؤف سعد .

(٣) لأن ألفاظ صيغ المبالغة مشهورة ، وهى : فعال ، ومفعال ، وفعول ، وفعيل ، وفعل .

قال العلامة ابن مالك :

علامـة التـأنيث تـاء أو ألـف ∴ وفى اسام قدروا التاء كالكتف

ويعرف التقدير بالضمير ∴ ونحوه كالرد فى التصغير

ولا تلى فارقة فعولا ∴ أصلا ولا المفعال والمفعيلا

كذاك مفعل وما تليه ∴ تا الفرق من ذى فشذوذ فيه

ومن فعيل كقتيل إن تبع ∴ موصوفه غالبا التا تمتنع[1]

إذن دخول التاء على لفظ المعجز فى الوضع القائم هنا ، يقصد به أحد أمرين :-

الأمر الأول : النقل من الوصفية للاسمية فى لفظ المعجزة قياسا على لفظ الحقيقة . والقاسم اسم المشترك بين اللفظين . وهو الاستعمال عن النقل من الوصف للاسم .

الأمر الثاني : المبالغة فى المعنى . كما فى لفظ العلامة . فإن مذكرها علم . ومؤنثه علامة . ومعناها أنها تكررت عدة مرات فصارت دالة عليه لا تفارقه[2] ، ويكون إطلاقها اسما من باب الاستعمال الخاص ، أو الوصف القائم فى معنى المبالغة .

أما إذا ضعف العلامة فإنها يستوى فيها المذكر والمؤنث من حيث الوصف بها . فيقال : فلان علامة زمانه ، كما يقال : فلانة علامة زمانها ، وهو المقصود بمعنى المبالغة فى كل ما ذكر من المذكر والمؤنث . بل غالبا يقع الاستعمال بها وصفا للمذكر والمؤنث ، من غير منازعة بين المستخدمين له .

---

(١) العلامة ابن مالك – الألفية ص٣٦٥ – مجموع أمهات المتون .

(٢) الشيخ محمد بن داود الأفريقى – نظرات فى علوم البلاغة جـ١ ص٨٧ .

ويرى إمام الحرمين الجويني[1] « أن لفظ المعجزة قد استعمل استعمالا مجازيا أخر ، غير النقل من الوصفية للاسمية وهو التجوز ، والمبالغة في المعنى ، وهذا التجوز الأخير الذى ذكره إمام الحرمين بناء على راى استقاه من الإمام الأشعرى . حسب ما نقله عنه الإمام السعد التفتازاني .

يقوم هذا التجوز على استعمال لفظ العجز فى عدم القدرة ، وليس على معنى الضعف والوهن ، قياسا على استعمال لفظ الجهل في الدلالة على عدم العلم[2] ، ويعرف بالاستدلال على الشيء بإبطال نقيضه ، كما يذكر بتعريف النقيض . على ما يقول به المناطقة[3] ، فى الموضوعات المتعلقة بالتعريفات .

والعدم المراد هنا هو نفى الملكة ، وانعدامها فى نفس صاحبها . فالمعجزة على هذا المعنى مراد بها ملكة المتحدى ، وانعدامها بالكلية فيه كأنها غير موجودة البتة ، أو أنها موجودة ، لكنها لا تعمل ، وهو انعدام أيضا ، وإليه ذهب جمع من أصحاب المذهب الأشعرى .

ويقرر إمام الحرمين الجويني ومن شايعه الرأى: أن لفظ المعجزة ضد للفظ القدرة ، لأن المعجزة لفظ يتعلق بالموجود ، من حيث أنه غير مقدور عليه ،

---

(١) وهو العلامة أبو المعالى عبدالملك الجويني ، أحد شيوخ أهل السنة والجماعة ، ولقب بإمام الحرمين ، لأنه تفرغ للعمل بالتدريس فيهما فترة من الزمان ، وله أراء ربما استقل فيها عن كثير من الأشاعرة – راجع إمام الحرمين وأثره فى بناء المدرسة الأشعرية للدكتور على جبر .

(٢) ويعبر عنها بالملكة وعدمها هو عدم ملكة ، والفرق بين الملكة من حيث الوجود والعدم كبير ، راجع فى ذلك إيضاح المبهم على معانى السلم للشيخ أحمد الدمنهورى .

(٣) راجع فى هذا الشأن كتابنا : الغزاليات فى منطق التصورات ، والغزاليات فى منطق التصديقات ، ففيهما شرح وتفصيل .

ولا يتعلق بالمعدوم أو المستحيل ، وإلا فإن التحدى لو وقع فيهما ، أو فى أى منهما – لكان غير واقع على المتحدين به[1] . والحجة غير قائمة . وكذلك المعجز فإنه يكون فى المقدور عليه .

◄◄ مثالـه: عجز المريض من فترة طويلة . وهو الزمن[2] . إنما هو عجز عن القعود لا عن القيام . بمعنى أن العجز موجود فيه على سبيل الاضطرار . وسلب الإمكانيات عنه قائم به على هذه الناحية التى لا اختيار له فيها ، فعجزه مفروض عليه من خارج عنه ، وهو العلة المرضية ، أما فى المعجزة فإن الأمر يكون مفروضا عليه فى العجز من داخل نفسه هو .

وعلى هذا فإذا تحقق العجز عن المعارضة . وجدت المعارضة الاضطرارية[3] ، إذا قيل بعدم وجود المعارضة الاختيارية .

(ب) في الاصطلاح :

عرفت المعجزة فى اصطلاح أهل الفن نفسه بتعريفات عديدة ، نذكر منها :-

[١]أنها فعل من أفعال الله تعالى ، أو قائم مقام الفعل ، يقصد بمثله التصديق[4] ، لمن ادعى أنه رسول من قبل الله تعالى ، بالشريعة التى جعله الله تعالى قائما عليها ، مبلغا إياها ، فالتعبير بالفعل يفيد وقوع الشيء على جهة الإيجاب لا السلب ، كإحياء الموتى ، وإبراء الأكمه والأبرص ، وتسليم الشجر والحجر

---

(١) الشيخ محمود نصر الدين – النبوة فى القرآن الكريم ص٩٧ .

(٢) الزمن : هو المريض الذى أقعده المرض ، فلم يتمكن من الحركة ، وهذا العذر اضطرارى .

(٣) ويفرق بين الاختيارية والاضطرارية ، بأن الاختيارية يصرف صاحبها عنها بإرادته ، أما الاضطرارية فهى التى يعجز عنها رغما عنه .

(٤) العلامة السعد التفتازانى – شرح المقاصد جـ٢ ص١٣٢ ، ونسب هذا التعريف إلى الإمام الأشعرى .

والمدر ، أما الذي يقوم مقام الفعل في التصديق بخبر النبوة ، وتأكيد أمرها فهو القول ، متى تعلق بذات المعجز المرسل[1] ، وكذلك الترك فإنه فعل . وإن لم يكن على سبيل الإيجاب فهو قائم على سبيل السلب ، ويعرف بأنه فعل أيضا كعدم إحراق النار لخليل الرحمن سيدنا إبراهيم ﷺ[2] . وعدم تأثير السم الذى كان موضوعا من اليهودية في الذراع المسمومة على سيدنا محمد ﷺ[3] . بل أن الله تعالى أنطق تلك الذراع المسمومة . حتى حدثت رسول الله ﷺ بما فيها . وهو من الأدلة على أن الله تعالى أحيا الموتى لسيدنا محمد ﷺ .

[٢]أنها أمر خارق للعادة ، مقرون بالتحدي ، مع عدم المعارضة[4] . وقد تصدى الكثيرون لتعريف الرازي بالمناقشة ، وبيان بعض الجهود الفكرية في المسألة ، وفي نفس الوقت حاول الكثيرون أيضا الدفاع عن تعريف الفخر

---

(١) الشيخ محمد عبدالباقي – المعجزة دليل النبوة ص٩٥ ط أولى ١٩٤٣م .

(٢) قال تعالى ﴿ " قال أفتعبدون من دون الله ما لا ينفعكم شيئا ولا يضركم أف لكم ولما تعبدون من دون الله أفلا تعقلون قالوا حرقوه وانصروا آلهتكم إن كنتم فاعلين قلنا يا نار كوني بردا وسلاما على إبراهيم وأرادوا به كيدا فجعلناهم الاخسرين ونجيناه ولوطا إلى الارض التي باركنا فيها للعالمين " ﴾ سورة الأنبياء الآيات ٦٦/٧١ .

(٣) الإمام القرطبي – الاعلام بما فى دين النصارى من الفساد والأوهام جـ٣ ص١٥ ، وما بعدها ، ففيه تفصيل لتلك المعجزات .

(٤) العلامة الفخر الرازى – محصل أفكار المتقدمين والمتأخرين ص٢٠٧ – تحقيق الأستاذ طه عبدالرءوف – ط الكليات الأزهرية ، وكثير من مؤلفات الرازى الكلامية فيها ذات المسألة .

الرازى ، مما يؤكد ثراء الفكر الإسلامي وخصوبته[1] ،وتلك مما يتمتع بها المفكرون المسلمون أيضا.

[٣]أنها فعل يظهر على يدى مدعى النبوة بخلاف العادة ، في زمان التكليف ، موافقا لدعواه ، وهو يدعو الخلق إلى معارضته ، ويتحداهم أن يأتوا بمثله فيعجزوا عنه ، فيتبين به صدق من يظهر على يديه ، وما من رسول من رسل الله تعالى إلا وقد كان مؤيدا من الله تعالى بمعجزة ، أو معجزات كثيرة دالة على صدقه[2] ، فى دعواه أنه مرسل من قبل الله تعالى .

وهذا التعريف فيه جوانب مهمة باعتبار أن أبا المظفر[3] ، أحد أقطاب الفكر الأشعرى ، وفى نفس الوقت فإن التوسعة القائمة فى ألفاظ التعريف الذى أورده ، قد جاءت لصالحة ، وبالتالى فالاعتراضات التى كانت تساق على تعريف المعجزة لدى الأشاعرة لم يعد لها وجه مقبول بعد تعريف الأسفرينى ، وكذلك التعريفات التى تماثله ، تنتفى عنها أوجه الاعتراضات ، التى ترد على التعريفات الأخرى .

[٤]أنها « أمر خارق للعادة ، يخلقه الله تعالى على يد مدعى النبوة أو الرسالة ، تصديقا له فى دعواه ، مقرون هذا الأمر بالتحدى ، مع عدم المعارضة ، وعجز

---

(١) راجع فى ذلك الشأن كتابنا : الغزاليات فى السمعيات ص٢٦٧/٢٩٦ ، فقد عرضت فيها الاعتراضات الواردة على تعريف الإمام الرازى ، ثم دفاعات الأشاعرة عن تعريف الرازى ، وهى كلها تمثل صورة رائعة لحرية الفكر الإسلامى وثرائه .

(٢) العلامة أبو المظفر الأسفرينى – التبصير فى الدين ، وبيان الفرقة الناجية ص١٠٤ .

(٣) هو العلامة أبو المظفر الأسفرينى ، صاحب الجهود العلمية الواسعة ، وأحد شيوخ المذهب الأشعرى ، كما أنه صاحب اتجاه متميز فى مجال مقارنة الأديان .

جميع الناس عن الإتيان بمثله ، وأن يكون ذلك المعجز موافقا لدعوى النبي في دعواه ، وأن يكون في ذلك كله زمان التكليف[1] ، لا في زمان غيره . لأنه إن وقع الخارق في غير زمان التكليف ، لا يكون خارقا للعادة . وإنما يكون ابتداء لعادة جديدة في عالم جديد . قدر الله تعالى خلقه وإيجاده . ولا يكون ناقضا لعادة . لأن الثوابت في ذلك الزمان ستزول .

ولاشك أن تعريف الإمام البغدادي للمعجزة قد فتح المجال لجملة من التعريفات المطولة للمعجزة[2] ، بحيث تكون شاملة لها من كل وجه . فاصلة بينها ، وغيرها من الخوارق الأخرى التي ترد على ناحية غير تلك التي تجيء منها المعجزة . والقاسم المشترك بينها جميعا هو جريانها خرق للعادة فقط . أما لماذا ؟

فلما هو معروف من أن من جرت على يديه الخوارق للعادات ، إن كان من أولياء الله المعدودين المؤمنين بالله وملائكته وكتبه ورسله . والقدر خيره وشره . مقيما لما أوجب الله عليه ، تاركا لما نهاه الله عنه ، مستكثرا من طاعاته ، فهو من أولياء الله سبحانه وتعالى ظهرت عليه الخوارق للعادات ، التي لم تخالف الشرع . فإنها تكون هبة من الله عز وجل[3] له . وأنعم الله لا تحصى . قال تعالى ﴿ " وآتاكم

---

(١) العلامة البغدادي – أصول الدين ص١٠٧ .

(٢) راجع في ذلك الجانب كتابنا : عبدالكريم الخطيب وأراؤه الكلامية ، ففيه تعاريف كثيرة للمعجزة .

(٣)الإمام الشوكاني – قطر الولي على حديث الولي ص٢٧٢ – تحقيق الدكتور / إبراهيم إبراهيم هلال – دار الكتب الحديثة .

من كل ما سألتموه وإن تعدوا نعمت الله لا تحصوها إن الانسان لظلوم كفار" ﴾[١] .
وقال تعالى ﴿ " وإن تعدوا نعمة الله لا تحصوها إ ن الله لغفور رحيم " ﴾[٢] .

من ثم فإن الأنبياء والمرسلين تجرى على أيديهم خوارق العادات معجزات لهم . كما تجرى على أيدى أتباعهم المخلصين لله رب العالمين كرامة لأولئك الأتباع الصالحين . أو إعانة أو مغوثة ، وهى فى ذات الوقت امتداد لمعجزات الأنبياء على ما هو معروف لدى الأشاعرة وأهل السنة والجماعة على وجه الإجمال . بأن كرامة الولى هى امتداد لمعجزة النبى[٣] ، ما دام ذلك الولى مؤمنا بالله ، متابعا لذات النبى المرسل ، المبلغ عن الله تعالى ؛ تعاليمه إلى خلقه جل شأنه .

إذن تعريف الإمام البغدادى شامل ، فى نفس الوقت فإنه جامع مانع . بحيث يصعب التعرض له بوجه قوى من أوجه النقد ، بحيث تنال منه . كما أن ما يظهر مع مقدم الآخرة من أمور مخالفة لمألوف الناس لا يعتبر خارقا للعادة ، كانفطار السماء ، وانشقاقها ، وسقوط الكواكب والأنجم من عليانها ، ومور السماء ، وتصدعاتها[٤] . وزلزلة الأرض ، وتسيير الجبال ، وتعطيل العشار . وحشر الوحوش الضارية مع الأغنام والأبقار ، فذلك كله من مقدم يوم القيامة . ولا تكليف فيه . ومن ثم فليس واقع معه التحدى . ولا يأتى فى تلك الآونة نبى أبدا . لأن الله تعالى ختم النبوات بسيدنا محمد ﷺ .

---

(١) سورة إبراهيم الآية ٣٤ .

(٢) سورة النحل الآية ١٨ .

(٣) العلامة الشيخ تقى الدين أحمد النووى – كرامات الأولياء ومعجزات الأنبياء ص٢٣ – تحقيق الأستاذة قمالى أبو النصر – ط دار مختار ١٩٤٧م .

(٤) فإن هذا من معالم انهدام الكون ن فلا يكون من المعجزة ، وإن ادعاه مدع .

فإذا ادعى شخص أنه نبى أو رسول ، أو أن هذه العلامات الاشتراطية للساعة هى خوارق له . الغرض منها تأييد نبوته . والتأكيد عليها لم تسمع دعواه[1] . لأن الخوارق مع النبى تأتى بتكاليف شرعية . وزمن اشراط الساعة لا تكليف فيه ، فما قيمة مجيء النبى إذا جاء والساعة قامت ، بل أين هى تلك التكاليف التى يأتى بها . وما قيمتها من الناحية الإيمانية ، والكون كله قد انهدمت أصوله . وضاعت أركانه .

لذا اشترط علماء العقيدة الإسلامية أن يكون ذلك الخارق مع النبى ظاهرا فى زمن التكليف ، لأن ما كما يظهر من الخوارق فى مقتبل الآخرة لا يعتبر معجزة ، بل هو واقع قائم على ناحية مستجدة[2] .

ثم أن المعجزات لابد أن تقارن الدعوى التى يعلن صاحبها معها أنه نبى بحيث يطلق التحدى على دعوى الرسالة لفظا أو حكما . أو هما معا . ومضمون بالحكم هو تلبسه بمنصب الرسالة ، فإن الخوارق التى ظهرت على يديه لم تقارن دعواها . لكنها قارنت تلبسه بذلك المنصب . ويطلق على دعوته كون الخارق دليلا على الصدق[3] فى الدعوى القائمة . التى يكون صاحبها من عالم الشهادة . بينما دعواه تكون من عالم الملكوت الذى تقع أدلته فى النقل ذاته . باعتبار أن عالم

---

(١) الأستاذ عبدالصادق محسن – النبوة والأدعياء ص١٢١ .

(٢) الشيخ محمود عبدالمتعال سلامة – خوارق العادات والمعجزات ص١٣٩ .

(٣) الشيخ عبدالله الشرقاوى – حاشية الشرقاوى على شرح الهدهدى ص١١٦ .

الشـهادة بالإضافـة إلى عـالم الملكـوت كالقشـرة . بالإضافـة إلى اللـب ، وكـالصورة والقالب . وبالإضافة إلى الروح[1] .

كما أن ما يقع من اشراط الساعة مثل طلوع الشمس من مغربها . لا يعتبر من معجزات النبى ، لما هو معلوم من أنه إذا طلعت الشمس من مغربها ، « لا ينفـع نفسا إيمانها لم تكن آمنت من قبل أو كسبت فى إيمانها خـيرا »[2] ، وهـو الـذى أعتقده ، وأتمسك به ، مع التأكيد عليه .

◄◄ **أضـف إلي مـا سبق** : أن اشـراط السـاعة مـن زمــن نقــض العــادات . لا زمــن التكاليف . فمتى ظهر شيء من ذلك فلا يمكن اعتباره خارقا للعـادة . بـل هـو العادة الجديدة للعالم الجديـد بظروفـه المستجدة . قـال تعـالى ﴿ " يـوم تبـدل الارض غير الارض والسماوات وبرزوا لله الواحد القهار " ﴾[3] .

إذن ظهور الخارق للعادة فى ثلاث مواضع ، لا يكـون دليـلا علـى صدق مـن يدعى النبوة أو الرسالة . حتى لو ادعاها ، أو لنفسه زعمها .

❁ **الموضع الأول : انقضاء زمان التكليف :-**

لأنــه متــى انقضــى زمـن التكليـف ، لا تكـون هنــاك حاجــة إلى النبــوة أو الرسالة ، باعتبار أن النبى والرسول يأتى لتعليم الناس ، وتعريفهم بالله تعـالى ، وطرق عباده[4] .

---

(١) الإمام أبو حامد الغزالى – مشكاة الأنوار ص١٩١ – مكتبة الجندى ضمن القصور العوالى من رســائل أبى حامد الغزالى .

(٢) سورة الأنعام الآية ١٥٨ .

(٣) سورة إبراهيم الآية ٤٨ .

(٤) راجع فى هذا الشأن فوائد بعثة الرسل من هذا الكتاب ، ففيما ذكرناه كفاية .

۞ **الموضع الثاني : زمان نقض العادات ، وتغير رسوم الكائنات** .

لأن العادات المنقوضة فيه ستكون أكثر من الثابتة ، ثم هي في ذات الوقت تمثل طبيعة جديدة ، وبالتالى فهى عادة مستجدة ، وليست نقض عادة .

۞ **الموضع الثالث : ظهور اشراط الساعة كلها أو بعضها** . متى كانت العلامات الكبرى[١] ، ومنها ظهور النهدى ، وخروج الدجال ، ونزول سيدنا عيسى ابن مريم ، وخروج يأجوج ومأجوج ، وخروج الدابة التى تكلم الناس ، وطلوع الشمس من مغربها ، وظهور الدخان الذى يصيب الكافر ، حتى يكون كالسكران[٢] .

وذكر الشيخ عبدالسلام المالكى على جوهرة التوحيد : إن المعجز عرفا : هى أمر خارق للعادة ، مقرون بالتحدى ، مع عدم المعارضة ، وذكر أن التحدى هو دعوى الرسالة[٣] التى يقوم بالإعلان عنها النبى نفسه .

ثم قرر أن هذا التعريف هو المعتبر عند المحققين ، لاشتماله على القيود الضرورية فى التعريف ، ومنها :-

۞ **الأول : أن يكون فعلا لله** ، أو ما يقوم مقامه من الترك ، ليتصور كونه تصديقا منه تعالى للأتى به ، أو قولا ، أو ما يقوم مقام القول ، مما يدل به النبى على صدق دعواه فى أنه رسول من عند الله تعالى .

---

(١) علامات الساعة قسمان : صغرى ، وكبرى ، ولكل أنواع عنى بها المتخصصون فى المسألة .

(٢) الشيخ حسين بن محمد الجسر – الحصون الحميدة للمحافظة على العقائد الإسلامية ص١٠٣/١٠٤ .

(٣) العلامة الشيخ عبدالسلام بن الشيخ إبراهيم اللقانى – شرح الشيخ عبدالسلام على جوهرة التوحيد بحاشية الشيخ محمد الأمير ص١٢١ ، وقد ذكرته لك لنفاسته ، فاحرص عليه ، والله يعطى الفضل منه .

❀ **الثاني: أن يكون خارقا للعادة** ، لأن الإعجاز لا يكون بدونه ، وقد سبق القول بأن الخارق لا يكون للشرع ، ولا للعقل[1] ، وإنما يجيء فقط خرق للعادة .

❀ **الثالث : أن يكون ظهوره على يد مدعي النبوة** ، ليعلم أنه تصديق له من الله تعالى . فلو ظهر على يد غير مدعي النبوة . فإنه لا يكون معجزة له . حتى لو ادعى الصلاح أو زعمه[2] ، كما أن زمن النبوات انقضى بالنبوة الخاتمة على نبينا أفضل الصلاة وأتم التسليم .

❀ **الرابع : أن يكون مقارنا للدعوى حقيقة أو حكما** ، لأنه شهادة . وهي لا تكون قبل الدعوى ، بل هي تقاربها ، متى كان ذلك ادعى لتأكيد النبوة ، لكنها – المعجزة – قد تأتى متأخرة عنها[3] ، وهو الغالب الذى جاءت به الرسالات .

❀ **الخامس : أن يكون موافقا للدعوى** ، فالمخالف لدعوى النبوة لا يعد تصديقا ، كفلق الجبل عند قول مدعي الرسالة: (معجزتي فلق البحر) ، لأنه حينئذ جاء مخالفا .

❀ **السادس : أن لا يكون مكذبا له** . إن كان مما يعتبر تكذيبه . كقوله: (معجزتي نطق هذا الجماد) فنطق الجماد ، بأن قال أن هذا المدعى مفتر

---

(١) راجع فى هذا الشأن ما كتبته لك فى در هذا الفصل ، والله صاحب الفضل والأنعام .

(٢) الشيخ محمد محب الدين الأندلسى – النبوات ص١٩٣ .

(٣) التأخير هنا المراد به التأخير فى إعلان المعجزة ، والإتيان بها ، وذلك يلحق النبوة .

كذاب[1] ، فلم يكن نطق الجماد فى حد ذاته إلا تكذيبا لمن ادعى النبوة . وهو الاستدراج أو الإهانة .

- **السابع : أن تتعذر معارضته إلا من نبي مثله** . كما هو فى حقيقة الإعجاز ، ولن تقع المعارضة بين الأنبياء ، لأنهم جميعا يعلن لاحقهم تأكيده على ما ذهب إليه سابقهم ، كما يبشر سابقهم بمن سيأتى بعده من لاحقهم .

- **الثامن : أن لا يكون الخارق واقعا فى زمان نقض العادات** ، فما يقع عند قيام الساعة ، أو أثناءها لا يعد مصدقا لمن يدعيه لما سبق القول به من ضرورة اشتراط وقوع الخارق فى زمان التكليف .

وقد انطبق عليها قول العلامة السعد بأنها : أمر يظهر بخلاف العادة . على يد مدعى النبوة عند تحدى المنكرين له على وجه يعجز المنكرون عن الإتيان بمثله فى كل حالة من حالاته ، أو صورة من صوره .

تعريف الدارس للمعجزة :-

بعد استعراض الآراء فى المسألة أجد فى نفسى ميلا لتقديم تعريف للمعجزة يقوم على ما مر من تعاريف ، وهو أن المعجزة أمر خارق ، لما جرت به العادات ، يظهره الله تعالى على يد رجل يدعى النبوة ، تصديقا له فى دعواه ، مع عجز جميع الخلائق القادرين على المعارضة عن معارضته . أو الإتيان بمثله . وأن يكون ذلك

---

(١) كالحال مع مسليمة الكذاب والخوارق التى جاءت على يديه كلها مكذبة له . راجع كتابنا : الغزاليات فى السمعيات .

فى زمن التكليف ، الذى تجرى فيه العادة ، وأن يكون ذلك الخارق للعادة واقعا على سبيل التحدى فى الإمكانيات المتاحة لهم[1] ، بغض النظر عن نوع ذلك التحدى .

وبهذا نقف على نهاية هذا الفصل ، مؤكدين أن جهود علماء المسلمين – وبخاصة أهل السنة والجماعة – محل التقدير والاهتمام ، كما أقرر أنه كما ثبت أن النبوة ممكنة عقلا وشرعا ، وواقعة فعلا على أيدى الأنبياء والمرسلين . وقد ختمت كلها بنبوة سيدنا محمد ﷺ .

فكذلك المعجزة واقعة ، وهى أيضا ممكنة ليست مستحيلة ، ولا واجبة . وقد انقضى زمن المعجزات ، ولم إلا يبق المبشرات ، أما ما بقى من خوارق للعادات[2] ، فيمكن التعرف عليها ، والرجوع إليها فى مواضعها ، من كتب علم الكلام فى الإسلام[3] ، والله تعالى أعلم .

ثانيا : وجه دلالة المعجزة على صدق الرسول :

تحدثنا عن كل من النبوة والرسالة ، كما ألمحت إلي مثبتات كليهما ، ومنها المعجزة ، والآن جاء دور الحديث عن علاقة المعجزة بالنبوة ، أو بعبارة أخرى وجه دلالة المعجزة على إثبات النبوة ، وتصديق الرسول . هل هى :-

(١) راجع كتابنا عبدالكريم الخطيب وآراؤه الكلامية ص٢٩٥/٣٩٤ .

(٢) ومنها الكرامة ، والفراسة ، والمغوثة ، والمعونة ، والإهانة ، والاستدراج ، والسحر ، وغيرها مما يجيء على ناحية من نواحى ذلك الخارق

(٣) كالمطالب العالية ، والأربعين ، والمحصل للفخر الرازى ، والمقاصد للسعد التفتازانى ، والمواقف للأيجى ، وحاشية الأمير ، وحاشية الباجورى ، فإنها تناولت خوارق العادات على وجه التفصيل .

[١] دلالة عادية ؟ [٢] دلالة عقلية ؟

[٣] أم دلالة وضعية ؟ [٤] دلالة عقلية ؟

الأول : رأى أهل السنة والجماعة ، ويقوم على أنها دلالة عادية :-

بمعنى أنه يمكن تخلفها كعادة ، فيأتى المخالف لها خارقا لذات العادة ، حيث :-

[١] **يرى العلامة الايجى أنها دلالة عادية ،** ومعناها : « إجراء الله عادته بخلق العلم بالصدق عقيبه[١] ، فإن إظهار المعجزة على يد الكاذب ، و إن كان ممكنا عقلا ، فمعلوم انتفاؤه عادة كسائر العاديات ، لأن من قال أنا نبى ، ثم نتق الجبل وأوقفه على رءوسهم[٢] ، وقال : إن كذبتمونى وقع عليكم . وإن صدقتمونى انصرف عنكم[٣] ، فكلما هموا بتصديقه بعد عنهم ، وإذا هموا بتكذيبه قرب منهم ، عُلِم بالضرورة أنه صادق فى دعواه ، والعادة قاضية بامتناع ذلك على الكاذب »[٤] ، وإذا حكمت العادة بامتناع تصديق الكاذب ، فإنها حكمت بتأييد الصادق فى دعواه ، وأنه مبلغ تعاليم الله ، لمن بعثه فيهم من عباده .

[٢] **يرى العلامة السعد التفتازانى أنها دلالة عادية ،** فقال : « وأما وجه دلالة المعجزة على صدق الرسالة ، فإنها عند التحقيق بمنزلة التصديق ، لما جرت

---

(١) باعتبار أنه متى ظهر الخارق فقد تحقق صدق من جرت على يديه ، فى أنه مبلغ عن الله تعالى ، وصارت فيما يبلغ .

(٢) قال تعالى ﴿ " وَإِذ نَتَقْنَا الْجَبَلَ فَوْقَهُمْ كَأَنَّهُ ظُلَّةٌ وَظَنُّواْ أَنَّهُ وَاقِعٌ بِهِمْ خُذُواْ مَا آتَيْنَاكُم بِقُوَّةٍ وَاذْكُرُواْ مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ " ﴾ سورة الأعراف الآية ١٧١ .

(٣) هذا الشرط ليس مرادا بذاته ، وإن كان مراد على أساس المعنى -

(٤) العلامة عضد الدين الأيجى - المواقف ص٣٤١ .

به العادة ، من أن الله يخلق عقبيها العلم الضرورى بصدقه» ، وضرب لذلك مثلا فقال: « كما إذا قام رجل فى مجلس ملك بحضور جماعة . وادعى انه رسول هذا الملك إليهم ، فطالبوه بالحجة ، فقال هى أن يخلف هذا الملك عادته ، ويقوم عن سريره ثلاث مرات ، ويقعد ففعل ، فإنه يكون تصديقا له ، ومفيدا للعلم الضرورى بصدقه من غير ارتياب»[1] ، ففى إعلانه الأمر بأنه رسول الملك دعوى ، فإذا قام الملك وفعل ما نسبه إليه رسول الملك مخالفا الملك ذاته عادته ، فإنه يكون على غير عادته .

ولا شك أن جعل الدلالة عادية قائمة عند الأشاعرة خصوصا ، وأهل السنة والجماعة عموما ، على أن ربط الأسباب بالمسببات ، إنما هو ربط عادى . وليس ربطا عقليا ، كما أنه قائم على أصل أهل السنة والجماعة ، من أن الله جل علاه هو الخالق للأفعال جميعها[2] ، وهو الخالق أيضا للأسباب والمسببات ، وقادر على إيجاد السبب دون المسبب ، كما هو قادر على وجود المسبب من غير سببه ، حتى فعل الإنسان نفسه ، لا تؤثر قدرته ذاته من غير استناد إلى غيرها ، وهو الذى يعول عليه أهل السنة والجماعة[3] . يقول إمام الحرمين :« أن المؤثر فى فعل العبد قدرته التابعة لمشيئته ، إن وافقتها المشيئة القديمة وإلا فلا »[4] تأثير ، لأن العبد لا يؤثر فى النقل الصادر عنه استقلالا .

(١) العلامة السعد التفتازانى – شرح المقاصد جـ٢ ص١٣١ .

(٢) الدكتور توفيق محمد عبدالبديع – دراسات فى العقيدة الإسلامية ص٨٧ .

(٣) راجع فى هذا الشأن الفعل الإلهى ، والفعل الإنسانى للشيخ : محمود بن محمد الحاكم .

(٤) الشيخ إبراهيم بن مصطفى الحلبى المذارى – اللمعة ص٥٤ تحقيق الشيخ محمد زاهد الكوفرى – مطبعة الأنوار سنة ١٣٥٨هـ/١٩٣٩م .

۞ **وبناء عليه** : فإن العلاقة القائمة بين السبب والمسبب – عند أهل السنة والجماعة – تكون عادية ، يمكن تخلفها ، ولذا رأينا إمام الحرمين يميل إلى أن وجه دلالة المعجزة عادية . ويرفض القول بأنها عقلية . فيقول : « إن المعجزة لا تدل على صدق النبى حسب دلالة الأدلة العقلية على مدلولاتها ، فإن الدليل العقلى يتعلق بمدلوله بعينه ، ولا يقدر فى العقل وقوعه غير دال عليه ، وليس كذلك سبيل المعجزات »[1] ، لأنها تأتى على طريق العادة فاخرقها ، بحيث يأتى الفعل المعجز خارقا لها .

۞ **من هنا** : فإن رأى أهل السنة والجماعة ، يفتح الباب بالمعجزات للأنبياء ، مستندا إلى نص دينى ، وهو كون الوجود كله من خلق الله تعالى. قال تعالى: ﴿ " هذا خلق الله فأروني ماذا خلق الذين من دونه بل الظالمون في ضلال مبين" ﴾[2] . وهذا الرأى أقرب إلى القبول من غيره . بل أن خوارقا العادات من كثرة تكرارها صارت عادة عند الناس يتوقعونها[3] ، فكم من نبى خرقت له عادة ، وجاء الخبر المتواتر بصدقها ، وقوعها إمكانا ، وفعلا ، وعادة ، وعقلا .

ومما يجعل الباحث يعتمد رأيا لأهل السنة والجماعة فى المسألة : هو أن الأشاعرة قالوا به ، الماتريدية أيضا قالوا به[4] ، وأضيف ما ذكره الإمام القاضى الباقلانى من أن « اقتران ظهور المعجزة بالصدق إحدى العاديات . فإذا جوزنا

(١) إمام الحرمين الجوينى – الإرشاد إلى قواطع الأدلة ص٢٢٤ – تحقيق الدكتور محمد يوسف موسى .

(٢) سورة لقمان الآية ١١ .

(٣) وآية ذلك أن كل أمة بعث فيها رسول كانوا يطلبون منه أن يأتيهم بمعجزة دالة على تصديقه .

(٤) الشيخ محمود بن محمد الحاكم – الفعل الإلهى والعقل الإنسانى ص١٤٥ .

انحرافها عن مجراها ؛ جاز إخلاء المعجزة عـن اعتقـاد الصـدق . وحينئـذ يجـوز إظهارها على يد الكاذب »[1] ، وهو محال عند الله تعـالى ، ومـن ثـم فـهى دلالـة عادية .

۞ الفرق بين الدلالة ووجه الدلالة :

الدلالة عند جمهور المتكلمين على صدق الرسـول ؛ دلالـة يقينيـة قطعيـة . وبتعبير علماء الأصول قطعية الدلالة[2] ، ولا خلاف فى ذلك ، والثانى : هو وجه الدلالة ، ومعناه الجهة التى يستدل بها على إثبات صدق المعجـزة ، علـى دعـوى النبى فى نبوته . وطالما أن الوجوه عديدة[3] ، فإن العادة هـى الأقـرب . هـذا هـو محل الخلاف عند القائلين بوجه الدلالة . على النحو الذى نوضحه هنا .

وأنوه أيضـا إلى أن المعجـزة فـى حـد ذاتـها ؛ أمـر ممكـن وقوعـه . وبالتـالى فالقائلون بوقوعها على سبيل الإمكان فى نفسها ، إنما ينظرون إليها من حيث هى أمر ممكن ، والقائلون بالاستحالة . فانهم ينظرون إليها من حيث هى . وإنما من حيث عدم تعلق قدرة الله بالمستحيل . وهـذا وهـم[4] ؛ لأن قـدرة الله تعـالى تتعلـق بكافة الموجودات والمعدومات ، على وجه سواء ، وبالتحديد تتعلق قدرة الله بكل ما

---

(١) الإمام السعد التفتازانى – شرح المقاصد جـ٢ ص١٨٨ ، وراجع للعلامة الأيجى : المواقـف ص٣٤٢ ، حيث يقول : أن العلم يصدق الكاذب محال .

(٢) لأنها لا تحتمل سوى هذا الوجه من إثبات النبوة ن فمتى ظهرت المعجزة على يد النبى ، فقد دلت علـى يقينا على انه صدق .

(٣) أعنى : العادة ، أو العقل ، أو الفعل ، أو الوضع على ما ذهب إليه العلماء فى المسألة .

(٤) الأستاذ محمد خير الدين بن سليمان العقبى – دراسات فى المعجـزات ص٤٧ ط الأولى ١٩٣١م – دار توفيق بالعراق .

سوى الله عز وجل ، فإن قدرته جل وعلا تتعلق به إيجادا أو عدما ، ومن ثم فلا عبرة لقول المنكرين للمعجزة على سبيل الاستحالة . ولهذا نوهت .

يقول الشيخ حسين الجسر : « ظهر أن الله تعالى هو الذى أحدث هذه الكائنات ، وأنه تعالى قادر على إحداثها ، بدون شرط أو سبب ، أو زمن موضوع لتكونها ، فيجوز أن يوجد الله تعالى نباتا مثلا ، فى لحظة أو أقل ، بدون تلك الأسباب ، وكذلك قادر على إعدامها »[1] .

۞ **كما أشير إلى أن المعجزة تثبت بأحد أمرين :-**

- **الأمر الأول : المشاهدة** : وهى تقع لمن شاهد المعجزة ، وعاصر النبوة ، وعاين خرق العادة ، وكان سليم النظر ، صحيح العقل ، بلغ حد التكليف ، سواء وقع منه التحدى ، أم وقع من غيره أو عليه ، وجاءت المعجزة قاضية على تحديه من كل ناحية ، طالبة معارضته فى ذلك الخارق على سبيل الإتيان به ، فرادى أو مجتمعين .

- **الأمر الثاني : النقل المتواتر** :- وهو يقع بالنسبة للغائبين ، موقع المشاهدة بالنسبة للحاضرين[2] . والمعلوم أن النقل الصحيح لا يعارض العقل الصريح ، كما أن التواتر هو أحد أقسام العلم الضرورى ، والضرورى لا يجادل فيه إلا مختل ، ولا يعارضه إلا جاحد ، لأن الضروريات بدهية ، ومن هنا ذهب العلماء إلى أن المعجزة تثبت إما بالمشاهدة ، أو النقل المتواتر .

---

(١) الشيخ حسين بن محمد الجسر – الحصون الحميدية للمحافظة على العقائد الإسلامية ص٤٤ – مطبعة الحلبى ١٣٧٥هـ/١٩٥٥م .

(٢) راجع فى ذلك كتابنا : الغزاليات فى السمعيات ، فقد تعرضت للمسألة بالتفصيل .

❁ الثاني : رأى أصحاب القول بالدلالة العقلية :-

وأصحاب القول بالدلالة العقلية[1] ، يذهبون إلى أن خلق الله للأمر الخارق للعادة ، حالة مقارنة لدعوى الرسالة ، وتحديه للقوم المرسل إليهم ، مع عجزهم عن معارضته ، وتخصيص الله الرسل وحدهم بذلك يدل عليه من جهة العقل . على أن الله تعالى أراد تصديق من ظهر على يديه المعجز ، ويستحيل عقلا صدور المعجزة على يد الكاذب[2] ، كما يستحيل تصديق الله للكاذب أصلا .

وهى لذلك عندهم دلالة عقلية . كما أنها قائمة على أساس أن علاقة السبب بالمسبب ضرورية لا تتخلف ، فإذا وجد السبب فلابد من وجود المسبب المتعلق به[3] .وهو غير مستقيم عندنا باعتبار أن خوارق العادات يسلم العقل المسلم بوجودها ، ولكن ليس له الحق فى الحكم عليها ، من حيث ارتباطها بالأسباب ارتباطا عقليا ، لأن ذلك ربما ينفى الاختيار عن الفعل الإلهى ، ولا يقول به مفكر مسلم أبدا .

إلا أن صاحب (محاضرات السمعيات) يرفض أن يكون وجه الدلالة العادة ، فيقول : « ومعنى كون الدلالة عادية أنها ليست يقينية ، بل فيها شك من جهة العقل . ولست أدرى كيف تثبت واجبات الشرائع بدليل مشكوك فى صحته .

---

(١) لا يهمنى أن أذكر من هم أصحاب الرأى ، فذلك شأن المؤرخ ، ولكن يهمنى ذات الرأى ، ومعالجته فى المسألة .

(٢) الدكتور توفيق محمد عبدالبديع – دراسات فى العقيدة الإسلامية ١٧١ .

(٣) الأستاذ حسن محمد مصطفى – دراسات فى الفكر الإسلامى ص١٥٧ .

وكيف يعذب الله تعالى من كفر بالأنبياء ، ويدخلهم النار خالدين فيها أبدا ، ما دام لم يقم عليهم حجة قاطعة على صدق الأنبياء »[1] .

وإذا نوقش هذا القول ؛ لم يسلم ، لأنه بنى على أساس غير قائم ، ألا وهو اعتباره الدلالة العادية غير يقينية . مع العلم بأن الجمهور من أهل الفكر الإسلامى متفقون على أن دلالة المعجزة على صدق الرسول دلالة يقينية[2] ، والاختلاف فى وجه الدلالة فقط ، وهو ما لم يلتفت إليه القول السابق ، حيث أنه جعل الدلالة ووجه الدلالة أمرا واحدا ، بينما هما أمران ، والأول محل اتفاق ، أما الثانى فهو محل الخلاف . وبالتالى فقوله هذا عند المناقشة لا يسلم .

❁ **من هنا** : رأيناه يتبنى القول بأن وجه الدلالة العقلية هو الدال على صدق الرسول ، فيقول : « فدلالة المعجزة على صدق الرسول ، لابد أن تكون دلالة عقلية يقينية ، لأن المعجزة هى الدليل الوحيد على صدق الرسول[3] ، فيستحيل عقلا أن يظهرها الله تعالى على يد الكاذب ، لأنه يختلط بالصادق ، وهذا إضلال لا هداية »[4] ، وقول المعتزلة القائلين بأن « خلق المعجز على يد الكاذب ممتنع ، لأن فيها إيهام صدقه ، وهو إضلال قبيح من الله »[5] . والله عز وجل منزه عن ذلك كله .

---

(١) الدكتور محيى الدين الصافى – محاضرات فى السمعيات ص٣١ ط١ سنة ١٣٩٤هـ/١٩٧٤م .

(٢) راجع كتابنا : الغزاليات فى السمعيات ، وراجع القول السديد فى علم التوحيد للشيخ محمود أبو دقيقة .

(٣) القول بأن المعجزة هى الدليل الوحيد لم يسلم لأصحابه . راجع كتابنا : الإيمان بالغيب وأثره على الفكر الإسلامى .

(٤)الدكتور محيى الدين الصافى – محاضرات فى السمعيات ص٣١ ط١ سنة ١٣٩٤هـ/١٩٧٤م .

(٥) الإمام عضد الدين الإيجى – المواقف ص٣٤٢ .

والاستحالة العقلية هنا مرفوضة ، لأنها تحد من سلطان القدرة الإلهية . ولذا رفضها العلامة السعد التفتازانى ، فقال : « إن ظهور المعجزة على يد الكاذب ، لأى غرض فرض ، وإن جاز عقلا بناء على شمول قدرة الله ، فهو ممتنع عادة ، معلوم الانتفاء قطعا ، كما هو سائر العاديات »[1] ، وهذا يدل على سعة الفكر الأشعرى ، وخروج أصحابه عن الألفاظ والمفاهيم ، التى قد يفهم منها تعرضها لأفعال الله جل علاه ، ونيلها من ذات الفعل الإلهى .

من ثم ، فإن الدلالة العقلية لا تنهض أدلة القائلين بها ، كما أنها تجعل العلاقة بين الأسباب والمسببات راجعة إلى الضرورة العقلية ، وليست إلى قدرة الله تعالى ، بالإضافة إلى أنها تحد من سلطان هذه القدرة الإلهية ، وتجعلها قادرة فى وقت غير قادرة فى وقت أخر ، وبخاصة فيما يستحيل عقلا ، بينما لا يستحيل على الله شيء ، وهو الذى أعتقده وأتمسك به ، فثبت أن الدلالة العادية أقوى .

۞ الثالث : دلالة الوضع[2] :

وهى أن دلالة المعجزة على صدق الرسول ، مثل دلالة الألفاظ على معانيها ، باعتبار أن اللغة تواضعية[3] ، لأنها بمنزلة قوله « صدق عبدى فيما يبلغ

---

(١) العلامة السعد التفتازانى جـ٢ ص١٣٢ ، وغاية المرام ص٣٣٧ .

(٢) دلالة الوضع هى : « دلالة اللفظ على المعنى بحسب وضع الواضع ، والدلالة اللفظية الوضعية : هى كون اللفظ بحالة بحيث يلزم من العلم به العلم بالمعنى ، والوضع اللفظى : هو إن يكون اللفظ بازاء المعنى ، ليدل عليه ، بحيث يلزم من العلم به العلم بالمعنى ، وذلك مثل دلالة لفظ تفاحة على الفاكهة المعروفة . الدكتور عوض الله جاد حجازى - المرشد السليم فى المنطق الحديث والقديم ط٣ ص٤٠ - دار الطباعة المحمدية بالقاهرة .

(٣) راجع دلائل الإعجاز للعلامة عبدالقاهر الجرجانى ص٨ ، حيث أكد على أن الألفاظ تواضعية ، وبالتالى فدلالتها تواضعية أيضا .

عنى » ، فمتى وجد الموضوع – وهو المعجزة – لزم عنه وضعا وجود الموضوع له ، وهو النبوة ، لا على سبيل الدعوى ، وإنما على سبيل الثبوت . فمتى ظهرت المعجزة ثبتت النبوة وضعا عندهم ، إذ لا يمكن صرف اللفظ عن ذات المعنى .

غير أن هذا الرأى القائل: بأن وجه دلالة المعجزة على صدق الرسول هو الوضع ، ينتهى إلى نفس القول الذى ذهب إليه القائلون : بأن وجه الدلالة هو العقل ، لأن اللفظ الدال على المعجزة ، متى وجد لفظ المعجزة وجدت النبوة لا عن طريق الوضع ، وإنما يقوم بهذه العملية العقل أيضا[1] ، الذى يلاحظ العلاقة بين الموضوع والموضوع له ، وعلى هذا يعود الأمر إلى العقل ، كما هو الحال فى طريق الدلالة العقلية . أما لماذا ؟

فلأننا إذا قلنا : أن لفظ المعجزة موضوع لصدق النبى فى دعواه ؛ فإنه يلزم من ذلك ألا يتخلف اللفظ الموضوع ، عما وضع له ، لأن اللفظ الموضوع يدل عقلا على ما وضع له[2] ، بعد ملاحظة الوضع ، وبذلك يرد على القول بالوضع ، ما ورد على أصحاب القول: بأن وجه الدلالة العقلية هو الذى يستدل به على إثبات النبوة[3] ، من مناقشات انتهت بعدم قبول الرأى القائل : بأن وجه الدلالة هو الوضع .

ولم لا نعتبر الدلالة العادية هى الأقوى قبولا ، وبخاصة أنه قد جرت عادة الله تعالى ، بخلق العلم بصدق الرسول عقب ظهور المعجزة ، وليس هذا فقط . بل

---

(١) الأستاذ محمد خير الدين العقبى – دراسات فى المعجزات ص٥١ .

(٢) راجع فى ذلك الشأن تعليق الشيخ محمد رشيد رضا على رسالة التوحيد بهامش الكتاب عند حديث الإمام محمد عبده حول المعجزات .

(٣) الدكتور توفيق محمد عبدالبديع – دراسات فى العقيدة الإسلامية ص٩١ .

إن الله تعالى أجرى عادته بظهور المعجزة على يد الرسول ، ولم يجرها عـادة علـى يد غير الرسول ، بل ربما جرت بعكس ما طلب من ادعى النبوة أو الرسالة . وهو كاذب ؛ فكان فضيحة له ، كما حدث لمسيلمة الكذاب ، حين تفل في عـين الأعـور لتبرأ ففسدت السليمة[1] . من هنا نقول :

إن الله أجرى عادتـه بافتضـاح أمـر الكذابـين ، المدعـين للنبـوة ، لا تصديقـا لهم ، وإنما تكذيبا ، ولهذا صح القول بأن العادة التي لم تتخلف من مبدأ الإرسال الإلهي لرسله ، إلى منتهاه ببعثة الحبيب المصطفى – سيدنا محمد ﷺ – هي التي تصبح دالة على صدق الرسول ، ولا عبرة بغيرها من الأقوال .

الرابع : القائلون بأن وجه الدلالة هو الفعل :-

ووجه دلالة المعجزة الفعلية – عند هؤلاء – على صدق الرسول ، هو أن تدل المعجزة فعلا على صدق من ادعى الرسالة ، فإن خلق الله تعالى لها على وفق دعـوى ذات النبي ، وتحديه بذلك مع العجز عن معارضته ، وتخصيصه بذلك يـدل فعـلا على أن الله تعالى أراد تصديقه فـي دعـواه ، وعلـى ذلـك ، فيسـتحيل عقـلا ظـهور المعجزة على أيدي الكذابين ، لئلا يلزم وجود الدليل العقلي ، ولا يوجد مدلوله ، وهو محال »[2] في العقل الذي يحكم الواقع أو يحتكم إليه .

---

(١) هي من الخوارق التي جاءت إهانة لصاحبها ؛ لأنه من المدعين الكاذبين .

(٢) الدكتـور سـليمان سـليمان خميـس – محـاضرات في العقيـدة ص١٠٨/١٠٩ ط١ لسـنة ١٣٨٣هـ/١٩٦٣م – مطبعة عطايا بالقاهرة .

وهذا القول ينتهى بقصر دلالة المعجزة على إيجادها فى الفعل . بينما هى تشمل الفعل والترك . فمثلا انفلاق البحر لسيدنا موسى عليه السلام(١) . وإحياء الموتى لكل من سيدنا إبراهيم عليه السلام(٢) ، وسيدنا موسى بن عمران عليه السلام(٣) ، وسيدنا عيسى ابن مريم عليه السلام(٤) ، وسيدنا محمد ﷺ(٥) ، هو فعل . وعدم إحراق(٦) النار لسيدنا إبراهيم عليه السلام ، وعدم إغراق الماء لنوح(٧) ، ويونس(٨) – عليهما السلام – وبالتالى:

---

(١) قال تعالى ﴿ " فأوحينا إلى موسى أن اضرب بعصاك البحر فانفلق فكان كل فرق كالطود العظيم " ﴾ سورة الشعراء الآية ٦٣ .

(٢) قال تعالى ﴿ " وإذ قال إبراهيم رب أرني كيف تحيي الموتى قال أولم تؤمن قال بلى ولكن ليطمئن قلبي قال فخذ أربعة من الطير فصرهن إليك ثم اجعل على كل جبل منهن جزءا ثم ادعهن يأتينك سعيا واعلم أن الله عزيز حكيم " ﴾ سورة البقرة الآية ٢٦٠ .

(٣) قال تعالى ﴿ " فقلنا اضربوه ببعضها كذلك يحيي الله الموتى ويريكم آياته لعلكم تعقلون " ﴾ سورة البقرة الآية ٧٣ .

(٤) قال تعالى ﴿ "إذ قال الله يا عيسى ابن مريم اذكر نعمتي عليك وعلى والدتك إذ أيدتك بروح القدس تكلم الناس في المهد وكهلا وإذ علمتك الكتاب والحكمة والتوراة والانجيل وإذ تخلق من الطين كهيئة الطير بإذني فتنفخ فيها فتكون طيرا بإذني وتبرئ الاكمه والابرص بإذني وإذ تخرج الموتى بإذني وإذ كففت بني إسرائيل عنك إذ جئتهم بالبينات فقال الذين كفروا منهم إن هذا إلا سحر مبين " ﴾ سورة المائدة الآية ١١٠ .

(٥) من ذلك : حديث ذراع الشاة المسمومة – راجع الاعلام بما دين النصارى من الفساد والأوهام للعلامة القرطبى ، ففيه تفصيل تلك المسألة وأدلتها الشرعية .

(٦) قال تعالى ﴿ " قلنا يا نار كوني بردا وسلاما على إبراهيم " ﴾ سورة الأنبياء الآية ٦٩ .

(٧) قال تعالى ﴿ " فكذبوه فأنجيناه والذين معه في الفلك وأغرقنا الذين كذبوا بآياتنا إنهم كانوا قوما عمين" ﴾ سورة الأعراف الآية ٦٤ .

(٨) قال تعالى ﴿ " وإن يونس لمن المرسلين إذ أبق إلى الفلك المشحون فساهم فكان من المدحضين فالتقمه الحوت وهو مليم فلولا أنه كان من المسبحين للبث في بطنه إلى يوم يبعثون فنبذناه بالعراء وهو سقيم وأنبتنا عليه شجرة من يقطين وأرسلناه إلى مئة ألف أو يزيدون فآمنوا فمتعناهم إلى حين " ﴾ سورة الصافات الآيات ١٣٩/١٤٨

فالدلالة العادية هى المقبولة عندنا ، وعليها راى أهل السنة والجماعة ، ودلالة الفعل لا تشمل القرآن الكريم ، مع انه أعظم المعجزات على الإطلاق .

ثالثا : أنواع المعجزات

تتعدد المعجزات بتعدد الأنبياء ، وتتنوع بتنوع الأمم والشعوب ، وقد تأتى مع نبى واحد معجزات كثيرة ، فموسى بن عمران عليه السلام كانت يده بما يصدر عنها معجزة حسية ، تحدث القرآن الكريم عنها ، فقال تعالى: ﴿ " واضمم يدك إلى جناحك تخرج بيضاء من غير سوء آية أخرى " ﴾[1] ، وقال تعالى: ﴿ " اسلك يدك في جيبك تخرج بيضاء من غير سوء واضمم إليك جناحك من الرهب فذانك برهانان من ربك إلى فرعون وملئه إنهم كانوا قوما فاسقين " ﴾[2] ، وكما كانت يده معجزة فقد كانت عصاه ، وهى معجزات حسية ، ومع هذا فقد أنزل الله عليه التوراة . قال تعالى ﴿ " إنا أنزلنا التوراة فيها هدى ونور يحكم بها النبيون الذين أسلموا للذين هادوا والربانيون والاحبار بما استحفظوا من كتاب الله وكانوا عليه شهداء فلا تخشوا الناس واخشون ولا تشتروا بآياتي ثمنا قليلا ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولـئك هم الكافرون" ﴾[3] ، وأتاه الألواح قال تعالى ﴿ " وكتبنا له في الالواح من كل شيء موعظة وتفصيلا لكل شيء فخذها بقوة وأمر قومك يأخذوا بأحسنها سأريكم دار الفاسقين" ﴾[4] ، ومنحه الصحف . قال تعالى ﴿ " إن هذا لفي الصحف

---

(١) سورة طه الآية ٢٢ .

(٢) سورة القصص الآية ٣٢ .

(٣) سورة المائدة الآية ٤٤ .

(٤) سورة الأعراف الآية ١٤٥ .

الاولى صحف إبراهيم وموسى" ﴾[1] ، كما كان له انشقاق البحر. قال تعالى ﴿ " فأوحينا إلى موسى أن اضرب بعصاك البحر فانفلق فكان كل فرق كالطود العظيم " ﴾[2] ، وانفلاق الحجر . قال تعالى ﴿ " وإذ استسقى موسى لقومه فقلنا اضرب بعصاك الحجر فانفجرت منه اثنتا عشرة عينا قد علم كل أناس مشربهم كلوا واشربوا من رزق الله ولا تعثوا في الارض مفسدين" ﴾[3] .

وذكر الإمام الغزالي أن المعجزات على ثلاثة أقسام :-

القسم الأول : المعجزات الحسية : وهو أن يخلق الله العلم والحياة ، والقدرة فى الحصى بحيث يتكلم ، وفى البهيمة العقل والقدرة والنطق ، وذلك ليس بمحال ؛ فإن الله تعالى قادر على أن يخلق من نوى النبق عقربا ، ومن لوم البقر النحل ، ومن النطفة الإنسان وسائر الحيوانات[4] .

القسم الثاني : المعجزات العقلية : وهو شهادة كل مخلوق ومحدث على خالقه وموحده ، كشهادة البناء على البانى ، والكتابة على الكاتب ، ويقال لذلك

(١) سورة الأعلى الآيتان ١٨/١٩.

(٢) سورة الشعراء الآية ٦٣

(٣) سورة البقرة الآية ٦٠ .

(٤) أطال الإمام الغزالى فى ذكر أمثلة لهذا القسم بعضها بأسماء غريبة ، وبعضها الأخر بأسماء فارسية ، وقد رفعتها حتى لا أرهق القارئ غير الفارسى بها ، أو هى كلمات قاموسية كالباذروج ، والنضناضة ، مما يحتاج من القارئ لها مجهودا فى التعرف عليها .

النوع لسان الحال . والمتكلمون يقولون هذه دلالة الدليل على المدلول . والحمقى من الناس لا يعرفون هذه الرتبة ، ولا يقرون بها[1] .

❁ **القسم الثالث : المعجز الخيالي** : وهو أن يصير لسان الحال مشاهدا محسوسا على سبيل التمثيل ، وهذه خاصية الأنبياء والرسل - عليهم الصلاة والسلام - كما أن لسان الحال يتمثل في المنام لغير الأنبياء ، ويسمعون صوتا وكلاما . كمن يرى في منامه أن جملا يكلمه ، أو فرسا يخاطبه ، أو ميتا يعطيه شيئا[2] ، ... أو غير ذلك مما يراه النائم في منامه .

فالأنبياء - عليهم الصلاة والسلام - يرون ذلك في اليقظة . وتخاطبهم هذه الأشياء وفي اليقظة : فإن المتيقظ لا يميز بين أن يكون نطقا خياليا . أو نطقا حسيا من خارج .والنائم إنما يعرف ذلك بسبب انتباهه ، والتفرقة بين النوم واليقظة ، ومن كانت له ولاية تامة تفيض تلك الولاية أشعتها على خيالات الحاضرين ، حتى أنهم يرون ما يراه ، وتسمعون ما يسمع ، والتمثيل الخيالي أشهر هذه الأقسام . والإيمان بها كلها وأجمعها واجب[3] .

إذن معجزات سيدنا موسى بن عمران ﷺ منها ما هو حسي . كاليد والعصا ، وانشقاق البحر ، وانفلاق الحجر ، وإحياء القتيل ، ومنها ما هو وصفي

---

(١) لست أدرى من هم الحمقى الذين عناهم الإمام الغزالى ، لأن ما ذكره من أمثلة يشترك فيها الدليل الفطرى مع العقلى ، بل هو فى الفطرى أغلب . راجع الموقف الخامس من شرح المواقف للشيخ الشريف الجرجانى على المواقف للعلامة الايجى .

(٢) لست أدرى ما علاقة هذه الأمثلة بالمعجزات فى ناحية القسم الخيالى ، إلا إذا كان التمثيل مرادا على حقيقته .

(٣) الإمام الغزالى - إلجام العوام عن علم الكلام ص٣٢٦/٣٢٧ ضمن القصور العوالى .

للفعل الإلهى كالتوراة ، والألواح ، والصحف ، والأول فعل من أفعال الله . والثانى وصف لذلك الفعل الذى أجراه الله . فلما انتهى أمر دعوة سيدنا موسى انتهت معجزاته ، لأنها – المعجزات – « فعل من أفعال الله .. وفعل الله من الممكن أن ينتهى بعد أن يفعله الله »[1] .

وليس نبى الله موسى عليه السلام وحده الذى منحه الله المعجزات الحسية . بل أن عيسى ابن مريم عليه السلام منحه الله من المعجزات إحياء الموتى بإذن الله ، وإبراء الأكمه والأبرص بإذن الله ، وتلك معجزات حسية ، ثم تأتى معجزة الإنجيل[2] . وهى البشارة بالتفصيل لشريعة عيسى ابن مريم عليه السلام ، التى تخالف فى بعض شريعة موسى عليه السلام ، فكان الإنجيل معجزة توصيفية ، يستفاد هذا من قول الله تعالى ﴿ " ومصدقا لما بين يدي من التوراة ولاحل لكم بعض الذي حرم عليكم وجئتكم بآية من ربكم فاتقوا الله وأطيعون " ﴾[3] .

أما النبى الخاتم محمد ﷺ ، فكانت معجزاته الحسية قبل النبوة[4] وبعدها كثيرة : كإظلال الغمام ، وانشقاق القمر ، وتكثير الطعام ، وتسبيح الحصى ، وإحياء الموتى ، وتكليم الحيوانات كالضب وغيره[5] ، وكانت معجزته العقلية

---

(١) الشيخ محمد متولى الشعراوى – معجزة القرآن الكريم ص٢٠ جـ١ كتاب اليوم .

(٢) الإنجيل يطلق على البشارة سواء كانت بخير أو غيره ، ويذهب المسيحيون إلى تسمية الأناجيل بشارات

(٣) سورة آل عمران الآية ٥٠ .

(٤) يذهب البعض إلى أن : ما يجرى على يدى النبى ، من خوارق للعادات قبل البعثة ، يعتبر معجزة ، وه لا يشترطون فى المعجزة مقارنتها لدعوى النبوة . راجع دراسات فى العقيدة الإسلامية للدكتور صبرى أبو المجد حسن ص١٤٧ .

(٥) راجع فى ذلك الشأن : الاعلام بما فى دين النصارى من الفساد والأوهام للعلامة القرطبى ، ففيه حديث طويل عن تلك المعجزات .

التى هى أرقى المعجزات على الإطلاق ، وهى معجزة القرآن الكريم . أما لماذا هو أرقى المعجزات ؟

فلأن القرآن الكريم كلام الله ، والكلام صفة من صفات الله . والصفة باقية ببقاء الفاعل نفسه . وهو الله عز وجل[1] . حتى إن الله تعالى أرشد إلى هذا الرقى والبقاء ، فقال تعالى ﴿ " إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون " ﴾[2] . فالقرآن الكريم معجزة باقية ، إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها ، بل كل حرف من القرآن الكريم ، أو كلمة منه أو آية هى معجزة كاملة مستقلة أيضا .

مما سلف نخلص إلي أن :

[١] **المعجزة الحسية** : وهى وقتية ثانوية ، تنتهى بانتهاء النبى نفسه . ولا تكون حجة على غير من شاهدها ، إلا إذا نقلت إليه نقلا متواترا . وكان لها تأثير على المؤمنين به . كالحال مع معجزات الأنبياء السابقين[3] . بالنسبة لنا نحن المسلمين . حيث نقلها لنا القرآن الكريم .

[٢] **المعجزة العقلية** : وهى أساسية ودائمة أبدا الدهر ، ما دام الليل والنهار ، وهى القرآن الكريم ، بكل ما فيه من فصاحة ، وبلاغة ووجوه إعجاز[4] ، تعجز عن الوفاء بها صفحات هذا البحث ، وهى معجزة للنبى الخاتم سيدنا محمد بن عبدالله ﷺ .

(١) الشيخ محمد متولى الشعراوى – معجزة القرآن ص٢٠

(٢) سورة الحجر الآية ٩ . .

(٣) الأستاذ فؤاد عبدالكريم خليل – العقيدة الإسلامية ص١٤٣ .

(٤) راجع فى هذا الشأن : اعجاز القرآن للعلامة الباقلانى ، وكتابنا : الغزاليات فى السمعيات .

[٣] **المعجزة الوصفية** : وهى التى تجىء وصفا للمعجزات الحسية . بحيث تصورها على وجه تفصيلى ، وتعرضها فى صورة يقينية مؤكدة . وبالتالى فكل معجزة حسية تأتى الوصفية بجوارها ، لتؤكد عليها ، وينطبق ذلك على كل المعجزات السابقة ، أما القرآن الكريم : فإنه معجزة عقلية وحسية[١] ، ثم وصفية أيضا .

عرضت فيما سبق لنوع واحد من مثبتات النبوة ، أو دلائلها : وهو المعجزة ، وسأرجى الحديث عن باقى المثبتات الأخرى ، لوقت يتاح فيه الفرصة ، إن أمد الله فى العمر ، وبارك فى الصحة ، ويسر فى الأسباب ، وما ذلك على الله بعزيز .

---

(١) راجع فى هذا الشأن : الإتقان فى علوم القرآن للعلامة السيوطى ، والبرهان فى علوم القرآن للزركشى ، ومناهل العرفان فى علوم القرآن للزرقانى ، وغيرهم كثير .



الفصل السابع

المنكرون للنبوات والرد عليهم



تعتبر النبوات من الأمور الهامة فى الدين ، كما تعتبر مبحثا من المباحث الكلامية التى كثر القول حولها ، وتشعبت الآراء فيها نفيا للمنكرين الكافرين ، أو إثباتا لأهل الإيمان بالله رب العالمين ، اعتقادا أو إنكاراً ، والنبوات تعبير يشمل الرسل والأنبياء مع ما بينهما من عموم وخصوص[1] ، ويشمل كذلك معجزات الأنبياء .

ولما كافث الإلهيات يعتبر طريق تفهمها وإثباتها مع الوصول إليها هو العقل مع الاهتداء إلى اليقين بما فى النقل المنزل[2] ، فقد كان طريق النبوات السمع – والوحى – والعقل معا ، وذلك هو طريق إثبات النبوات على وجه العموم . أما لماذا ؟

فلأن المعجزة من حيث الإثبات أمر عقلى ، والله تعالى يتنزه عن تصديق الكاذب ، وهى أيضا أمر سمعى فيما يتعلق بتبليغ المرسل إليهم شريعة الله تعالى[3] ، من ثم فإن النبوات تثبت بالسمع والعقل معا ، بل هما معا طريقها ، ولذا اعتبر كثير من العلماء النبوات من السمعيات مراعاة لذات الجانب .

بيد أن أبحاثا كثيرة قد تناولت مسألة النبوات من حيثيات عدة منها :-

---

(١) الشيخ محمد زهران – العقيدة الإسلامية وخصائصها ص١٢١ .

(٢) لما هو معروف من أن العقل السليم أحد طرق إثبات وجود الله تعالى ، بجانب دليل الفطرة وغيرهما من الأدلة – راجع كتابنا حبو الوليد فى علم التوحيد ، حيث ذكرت هناك قرابة الأربعين من الأدلة على إثبات

(٣) الدكتور لطفى عبدالمقصود الطويل – الوحى فى الإسلام ص١٥٧ .

[١] من ناحية إثباتها أو إنكارها[١] .

[٢] من ناحية وجوبها[٢] .

[٣] من ناحية استحالتها[٣] .

[٤] من ناحية جواز وقوعها ، أو عدم جواز الوقوع[٤].

[٥] من ناحية نسخها بغيرها ، أو لغيرها ، أو عدم وقوع النسخ[٥].

[٦] من ناحية عمومها ، أو خصوصها[٦] .

هذا عن النبوة من حيث هى نبوة أو رسالة ، أما فى النبوات من حيث هى نبى أو رسول ، فقد وقع الخلاف بين المتناولين لها أيضا على نواح عدة منها :-

[١] من ناحية الفضل البشرى فى الإنسان النبى ذاته قالته الكرامية .

[٢] من ناحية الاكتساب لها من ذات النبى ، وأصحاب النفوس الذاكية[٧] .

---

(١) المثبتون أهل السنة والجماعة ، والمعتزلة ، والفلاسفة ، على خلاف فى جهات الإثبات ، والمنكرون طوائف ، ولك وجهة هو موليها .

(٢) أوجبها كل من المعتزلة والفلاسفة ، مع الاختلاف فى مفهوم الوجوب ، فالمعتزلة لقولهم بالصلاح والأصلح ، والفلاسفة بناء على قاعدة التعليل ، أو النظام العام .

(٣) ذهب إلى ذلك البراهمة والسمنية ، ونسب هذا القول إلى بعض الفلاسفة غير المسلمين أيضا ذكره شمس الدين السمرقندى ، وفرق بين الإحالة والاستحالة ، حتى تتم التفرقة بين أقوال الفلاسفة ، وأقوال الإحالة والاستحالة .

(٤) وهم أهل السنة والجماعة ، القائلون بجوازها عقلا ، ووقوعها فعلا ، وهم المثبتون لها ، المؤكدون على أنها ختمت جميعها بالرسالة الخاتمة مع سيدنا محمد ﷺ .

(٥) القائلون بالنسخ نوعان : نوع يقبله ويقول به ، وهم أهل السنة وغالبية المسلمين ، ونوع يقبله فى الشريعة فقط ، وهم جماعة من المسلمين أيضا ، وأنكر اليهود النسخ فى النبوة ورفضوا قبول النسخ فى الأحكام ، وهم محجوجون ، ولا عبرة بإنكارهم .

(٦) عموم رسالة سيدنا محمد ﷺ عندنا نحن المسلمين ، وخصوص ما سبقه من رسالات .

(٧) قال به بعض الفلاسفة ، ولهم فى إثبات ذلك طرق .

[٣] الفضل والاكتساب معا .

[٤] الاصطفاء الإلهى[١] .

كذلك وقع الخلاف بين مفكرى الإسلام فى تفهم سلوك النبى والرسول ، من حيث الأوامر الإلهية والأحكام والشرعية إلي :-

[١] وقوع المعاصى فى الصغائر منه عمدا قبل البعثة .

[٢] وقوع المعاصى منه سهوا ثم أن الله تعالى ينبهه إليها[٢] .

حتى قتل موسى ﷺ للمصرى قال عنه الأستاذ عبدالكريم الخطيب: « إنه لم يكن ذلك القتل عن عمد »[٣] ، لأن المصرى كان يريد قتل العبرانى ، فلما همّ موسى ﷺ بالفصل بينهما ، هجم عليه المصرى يريد إيذاؤه ، فدفعه موسى ﷺ من باب الدفاع عن النفس ، وكان اجل المصرى قد انتهى ؛ فمات . وليس موسى ﷺ قاتلا له . قال تعالى ﴿ " وَدَخَلَ الْمَدِينَةَ عَلَى حِينِ غَفْلَةٍ مِّنْ أَهْلِهَا فَوَجَدَ فِيهَا رَجُلَيْنِ يَقْتَتِلَانِ هَذَا مِن شِيعَتِهِ وَهَذَا مِنْ عَدُوِّهِ فَاسْتَغَاثَهُ الَّذِي مِن شِيعَتِهِ عَلَى الَّذِي مِنْ عَدُوِّهِ فَوَكَزَهُ مُوسَى فَقَضَى عَلَيْهِ قَالَ هَذَا مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ عَدُوٌّ مُّضِلٌّ مُّبِينٌ قَالَ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي فَاغْفِرْ لِي فَغَفَرَ لَهُ إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ قَالَ رَبِّ بِمَا أَنْعَمْتَ عَلَيَّ فَلَنْ أَكُونَ ظَهِيرًا لِّلْمُجْرِمِينَ" ﴾[٤] .

---

(١) قاله أهل السنة والجماعة ، ومعهم المعتزلة وسبقهم فى القول به السلف الصالح .

(٢) للأشاعرة فى هذين الأمرين تفصيل ، من حيث جواز وقوعها سهوا ، أو عمدا قبل البعثة .

(٣) عبدالكريم الخطيب – قضية الألوهية جـ٣ ص٤٣٨ ، وبالتالى فهو سلفى النزعة ، حيث لم يصف مقام النبوة ، إلاّ بما يليق به ، بل ودفع تلك الشبهات ، على وجه يدل على تمكنه من المسألة . راجع أيضا (التفسير القرآنى للقرآن) ، وبخاصة الآيات التى تعرضت للأنبياء على سبيل حياتهم الخاصة ، كالحال مع نبى الله أيوب ﷺ ، ونبى الله داود ﷺ .

(٤) سورة الشعراء الآيات ١٥/١٧ .

[٣] وقوع المعاصى من النبى قبل البعثة .

[٤] وقوع المعاصى من النبى بعد البعثة .

[٥] وقوعه فى الكبائر .

[٦] وقوعه فى الصغائر .

[٧] تركه الأولى فى المسائل التى يكون فيها أول وأولى .

إلى غير هذه الوجوه التى يطول فيها البحث ، ويكثر حولها الجدل . وربما يقع الباحث فى زلة لا يجبر بعدها ، نعوذ بالله أن نكون من هؤلاء الزالين ، إلا أننا سنضرب صفحا عن كل هذه المباحث ، ونأخذ بعين الاعتبار أمرين هما . :

❁ **الأمر الأول : النبوة بين الإثبات والإنكار .**

❁ **الأمر الثاني : الفضل البشرى والاصطفاء الإلهى .**

وإن كانت تلك خطة أسير عليها ، فقد سبقنى عليها سلف فى العلم قد تميزوا . قال الإمام محمد عبده . وهو معترك الأفهام . ومذلة الأقدام . ومزدحم الكثير من الأفكار والأوهام ، ولسنا بصدد الإتيان بما قال الأولون . ولا عرض ما ذهب إليه الآخرون[١] ، إلا أن يكون لهذا الإتيان غرض ، وفائدة تلزم المرء تذكر ما عرض عند السابقين ، فإذا أمكنه الإضافة فذلك خير ، وإذا أمكنه الشرح والتفصيل فذلك خيرا أيضا .

يقول – الأستاذ عبدالكريم الخطيب – :« والرسل عليهم الصلاة والسلام هم ممن اصطفاهم الله لحمل رسالته إلى عباده ، فجعلهم سفراءه إلى الناس بالرحمة ،

---

(١) الأستاذ الإمام محمد عبده – رسالة التوحيد ص٩٤ – تحقيق محمود أبورية – دار المعارف ط٤ الأصلية .

والهدى ، وهؤلاء الرسل – على علو مقامهم ، وشرف منزلتهم – هم درجات عند الله فى الفضل »[1] .

من ثم فإن مسألة إثبات النبوات ، متعلقة بأحد أجزاء العقيدة الإيمانية ، كما هى قائمة فى صدور وضمائر أهل الإيمان ، بالله رب العالمين ، وأن الأنبياء والمرسلين لابد أن يكونوا :-

(١) **من الذكور** . واستعمال اسم الإشارة فى قوله تعالى﴿ " تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ مِّنْهُم مَّن كَلَّمَ اللَّهُ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَاتٍ " ﴾[2] . التى تستعمل للمؤنث ، لبيان الغاية التى يتجه إليها الأنبياء والمرسلون ، وهى « هداية الناس واستنقاذهم من الضلال »[3] ، وليست الإشارة بتلك للذكور من حيث هم ذكوراً . وإنما هى للوصف بالرسالة ، فكل رسالة يشار إليها بهذه . أما إذا تعددت وكثرت – فإن الإشارة إليها باسم الإشارة الدال على الجمع ، وهو تلك وذلك من أوجه الإعجاز القرآنى .

(٢) **أنهم من البشر** .

(٣) **أنهم مصطفون من الله تعالى** .

(٤) **إن بينهم تقع وفيهم المفاضلة** ؛ فألوا العزم يسبقون الجميع ، وربما هذا ما يمكن فهمه من قوله تعالى﴿ " تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ مِّنْهُم مَّن كَلَّمَ اللَّهُ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَاتٍ وَآتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّنَاتِ وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ وَلَوْ

---

(١) الأستاذ عبدالكريم الخطيب – التفسير القرآنى للقرآن جـ٢ مجلد ١ ص٣١٣ .

(٢) سورة البقرة الآية ٢٥٣ .

(٣) الأستاذ عبدالكريم الخطيب – التفسير القرآنى للقرآن جـ٢ مجلد ١ ص٣١٣ .

شَاء اللَّهُ مَا اقْتَتَلَ الَّذِينَ مِن بَعْدِهِم مِّن بَعْدِ مَا جَاءتْهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَلَـكِنِ اخْتَلَفُواْ فَمِنْهُم مَّنْ آمَنَ وَمِنْهُم مَّن كَفَرَ وَلَوْ شَاء اللّهُ مَا اقْتَتَلُواْ وَلَـكِنَّ اللّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ " ﴾[1] .

إذن إثبات النبوات ، والإيمان بها على ما جاء به الخبر المنزل من عند الله تعالى ، يعتبر جزء العقيدة الإيمانية ، والمفاضلة بين الأنبياء ليس من شأن القول به ، وإنما ذلك مما يخبر به الله تعالى ، وليس لأحد الحق فى القول بتعليل ذلك التفضيل ، أو بيانه بعيد عن الأذهان .

أولا : دوافع المنكرين للنبوات

ها أنذا سأتحدث عن منكرى النبوات ، لا باعتبار أشخاصهم ، والجهات التى ينسبون إليها ، وإنما سأعمد إلى ذكر دوافعهم ، مناقشا كل دافع على حدة ، مقسما أولئك إلى المنكرين إلى :-

القسم الأول : المنكرون من أقوام المرسلين :

المتتبع للمنكرين يرى أن هناك دوافع كانت تقود هؤلاء المنكرين لمعارضة الأنبياء ، وإنكار نبوتهم ، وعدم الاعتداد بمعجزاتهم ، وهذه الدوافع - رغم اختلاف المنكرين ، وتعدد شعبهم ، وتخالف أوطانهم ، وتباعد أزمانهم - يمكن إجمالها فيما يلى :-

---

(١) سورة البقرة الآية ٢٥٣ .

۞ الدافع الأول : الكبر :

الكبر مرض نفسى متى أصاب أحدا أعماه ، حتى يقوده ذلك العمى إلى الهلاك ، ولذا فإن الرسول ﷺ حذر منه ، ففى السنة النبوية « عن عياض بن حمار ﷺ أنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "إن الله أوحى إلي أن تواضعوا حتى لا يبغي أحد على أحد ولا يفخر أحد على أحد". »[1] . لأن التواضع يرفع درجة صاحبه عند الله تعالى ، أما الكبر فإنه يهلك صاحبه . « وعن أبي هريرة ﷺ ، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال "ما نقصت صدقة من مال وما زاد الله عبدا بعفو إلا عزا. وما تواضع أحد لله إلا رفعه الله »[2] . وقال ﷺ « من تواضع لله رفعه ، ومن تكبر أذله الله وخفضه »[3] ، ونوه القرآن الكريم إلى أن المتكبرين لا يؤمنون بشيء له سلطان أعلى منهم ، فيقول ربنا عز وجل ﴿ " وقال موسى إني عذت بربي وربكم من كل متكبر لا يؤمن بيوم الحساب " ﴾[4] . وقال جل وعلا ﴿ " إن الذين يجادلون في آيات الله بغير سلطان أتاهم إن في صدورهم إلا كبر ما هم ببالغيه فاستعذ بالله إنه هو السميع البصير " ﴾[5] .

وفى الحديث القدسى « قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "قال الله [عزوجل]: الكبرياء ردائي. والعظمة إزاري. فمن نازعني واحدا منهما قذفته في

(١) الإمام أبي داود – سنن أبي داود – باب في التواضع. – الحديث رقم: ٤٨٩٥ .

(٢) صحيح مسلم – للإمام مسلم – باب استحباب العفو والتواضع – الحديث رقم: ٦٩ – (٢٥٨٨)

(٣) شرح العلامة الفشنى ص١٧٥ .

(٤) سورة غافر الآية ٢٧ .

(٥) سورة غافر الآية ٥٦ .

النار" »[1] ، وفى الحديث القدسى أيضا « قال رسول الله صلى الله عليه وسلم "العز إزاره. والكبرياء رداؤه. فمن ينازعني، عذبته" »[2] .

ومن هنا كان كِبْرُهم دافعا لهم إلى عدم الإيمان بالرسل ، وإنكارهم للنبوات ، بل إنهم غالبا كانوا يتهمون أنبياءهم بالسفه والضلال وخفة العقل أيضا . ويقذفون أصحابهم الذين أمنوا بالله .

يشير القرآن الكريم إلى ذلك فى قوله تعالى ﴿ " وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُواْ لِرُسُلِهِمْ لَنُخْرِجَنَّكُم مِّنْ أَرْضِنَآ أَوْ لَتَعُودُنَّ فِي مِلَّتِنَا فَأَوْحَى إِلَيْهِمْ رَبُّهُمْ لَنُهْلِكَنَّ

---

(١) العلامة عبدالرؤف المناوى – الاتحافات السنية بالأحاديث القدسية ص١١١ ، والحديث من سُنَنُ أبي دَاوُد – للإمام أبي دَاوُد – باب ما جاء في الْكِبْرُ – رقم: ٤٠٩٠، وراويته (عن الأغر أبي مسلم، عن أبي هريرة) ، ورواه للإمام ابن ماجه فى سننه – باب البراءة من الكبر والتواضع – فى الحديث رقم: ٤١٧٤ – عَنِ الأَغَرِّ، أَبِي مُسْلِمٍ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ؛ قَالَ: قَالَ رَسُولَ الله صلى الله عليه وسلم: (يَقُولُ اللهُ سُبْحَانَهُ: الْكِبْرِيَاءُ رِدَائِي وَالْعَظَمَةُ إِزَارِي. مَنْ نَازَعَنِي وَاحِداً مِنْهُمَا. أَلْقَيْتُهُ فِي جهنّم).

(٢) مسند الإمام أحمد – للإمام أحمد ابن حنبل – مسند أبي هريرة رضي الله عنه ، عن الأغر عن أبي هريرة ، ورواه الإمام مسلم فى صحيحه – باب تحريم الْكِبْرُ – الحديث رقم: ١٣٦ – (٢٦٠٢) عن أبي سعيد الخدري وأبي هريرة قالا (قال رسول الله صلى الله عليه وسلم "العز إزاره. والكبرياء رداؤه. فمن ينازعني، عذبته") ، [(العز إزاره) هكذا هو في جميع النسخ. فالضمير في إزاره ورداؤه يعود إلى الله تعالى، للعلم به. وفيه محذوف تقديره: قال الله تعالى: ومن ينازعني ذلك أعذبه. ومعنى ينازعني، يتخلق بذلك فيصير في معنى المشارك. وهذا وعيد شديد في الكبر، مصرح بتحريمه. وأما تسميته إزار ورداء فمجاز واستعارة حسنة. كما تقول العرب: فلان شعاره الزهد ودثاره التقوى. لا يريدون الثوب الذي هو شعار أو دثار. بل معناه صفته كذا. قال المازري: ومعنى الاستعارة هنا أنه الإزار والرداء. يلصقان بالإنسان ويلزمانه، وهما جمال له. قال فضرب ذلك مثلا لكون العز والكبرياء بالله تعالى أحق وله ألزم. واقتضاهما جلاله. ومن مشهور كلام العرب: فلان واسع الرداء وغمر الرداء، أي واسع العطية] ، ورواه الطبرانى فى الأوسط ، والصغير عن عليّ .

الظَّالِمِينَ " ﴾[1] ، فـهم يـهددون رسـلهم ويتوعدونـهم ،ولا يتوقفـون عـن كيدهـم والإساءة لهم .

ومن صور قذفهم للأنبياء ،ومعهم أصحابهم ما ذكره القرآن الكريم فى قولـه تعالى عن نوح عليه السلام ﴿ " فَقَالَ الْمَلأُ الَّذِينَ كَفَرُواْ مِن قِوْمِهِ مَا نَرَاكَ إلا بَشَرًا مِّثْلَنَا وَمَا نَرَاكَ اتَّبَعَكَ إلا الَّذِينَ هُمْ أَرَاذِلُنَا بَادِيَ الرَّأْيِ وَمَا نَرَى لَكُمْ عَلَيْنَا مِن فَضْلٍ بَلْ نَظُنُّكُمْ كَاذِبِينَ " ﴾[2] ، ولم يكتفوا بهذا ، وإنما نسبوا نبى الله نوحا إلى الضلال . وليـس الضلال العارض الذى قد يبرأ منه صاحبه ، وإنما نسبوه إلى الضلال المبين . يشهد لذلك قوله تعالى ﴿ " قَالَ الْمَلا مِن قَوْمِهِ إِنَّا لَنَرَاكَ فِي ضَلالٍ مُّبِينٍ قَالَ يَا قَـوْمِ لَيْـسَ بِي ضَلالَةٌ وَلَكِنِّي رَسُولٌ مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ " ﴾[3] ، فهو قد رد عليهم بأن الذين فـى ضلالة هو من لا يعتبر بشرع الله تعالى ، بل ويحارب رسله ، ويجحد آياته . ومن كان ذلك شأنه ؛ فهو السفيه ، الذى على ضلال مقيم ، كالحال مع مكذبى نوح .

والرمى بالسفه والضلال والكذب ، والسحر والجنون ، وسائر الصفـات التـى تحط من قدر صاحبها ، هى التى كان المنكرون للنبـوات يعتبرونـها المـادة الأولى ، التى يعبرون بها عن كبرهم ، ومرضهم ، وسـوء طويتـهم[4] ، وقـد صـور القـرآن الكريم ذلك فى كثير من آياته .

---

(١) سورة إبراهيم الآية ١٣ .

(٢) سورة هود الآية ٢٧ .

(٣) سورة الأعراف الآيتان ٦١/٦٠ .

(٤) يبدو ذلك واضحا فى كل المواقف التى انتهى إليها أعداء المرسلين ، وخصوم أنبياء الله رب العالمين .

وجاءت آيات القرآن الكريم تحدثنا عن هـذا الْكِبْرُ الـذى يـورث الجحـود ، حـين اتجـه أتجـه فرعـون إلى إنكــار ذات الله تعــالى﴿ " قَــالَ فِرْعَــوْنُ وَمَــا رَبُّ الْعَالَمِينَ " ﴾[1] ، ﴿ " وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَا أَيُّهَا الْمَلا مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَهٍ غَيْرِي فَـأَوْقِدْ لِي يَا هَامَانُ عَلَى الطِّينِ فَاجْعَل لِّي صَرْحًا لَّعَلِّي أَطَّلِعُ إِلَى إِلَهِ مُوسَى وَإِنِّي لاظُنُّهُ مِـنَ الْكَاذِبِينَ " ﴾[2] ؛ فهو يكبر على الله تعالى ، كما تكِبْرُ على أنبياء الله جل عـلاه ؛ وبالتالى قاده ذلك الْكِبْرُ إلى إنكار الخالق العظيم – جل شأنه – ، مع أنه فى قرارة نفسه معتقد أنه تعالى موجود ، لكن الْكِبْرُ يؤدى إلى الجحود ؛ الذى يورث الكفـر والإلحاد ، ويجعل صاحبه فى أسوأ عاقبة .

۞ الدافع الثانى : الحقد والحسد

يعبر عن ذلك قوله تعالى ﴿ " وَقَـالُوا لَـوْلا نُـزِّلَ هَـذَا الْقُـرْآنُ عَلَـى رَجُـلٍ مِّـنَ الْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ " ﴾[3] ، ولما كان حقدهم يسوقهم إلى الجحود ؛ فقـد صـور القـرآن الكريم بعض مواقفهم . قال تعالى ﴿ " فَلَمَّا جَاءَتْهُمْ آيَاتُنَا مُبْصِرَةً قَـالُوا هَـذا سِـحْرٌ مُّبِـينٌ وَجَحَـدُوا بِـهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنفُسُـهُمْ ظُلْمًـا وَعُلُـوًّا فَـانظُرْ كَيْـفَ كَـانَ عَاقِبَـــةُ الْمُفْسِدِينَ " ﴾[4] ، لقد حقد أعداء الحق على أنبيــاء الله وحسـدوهم ، حـين تمنـى جمعهم الهلاك لأنبياء الله ، مع أن أهــل الضـلال هم الهـالكون ، وأنبيـاء الله هـم الناجون . قال تعالى ﴿ " إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُـومُ

---

(١) سورة الشعراء الآية ٢٣ .

(٢) سورة القصص الآية ٣٨ .

(٣) سورة الزخرف الآية ٣١ .

(٤) سورة النمل الآيتان ١٣/١١٢ .

الاشْهَادُ" ﴾[١] . وقال تعالى ﴿ " كَتَبَ اللَّهُ لأغْلِبَنَّ أَنَا وَرُسُلِي إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ" ﴾[٢] .

وأسوأ ما فى الحقد أنه يضع على قلب صاحبه عصابة ، حتى يطبع بالران ، فيعمى منه العقل ، ويختفى لديه نور القلب ، ويبدو هذا فى رد المكذبين من قوم نبى الله هود عليه السلام عليه ﴿ " قَالُواْ يَا هُودُ مَا جِئْتَنَا بِبَيِّنَةٍ وَمَا نَحْنُ بِتَارِكِي آلِهَتِنَا عَن قَوْلِكَ وَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ إِن نَّقُولُ إِلا اعْتَرَاكَ بَعْضُ آلِهَتِنَا بِسُوَءٍ قَالَ إِنِّي أُشْهِدُ اللّهِ وَاشْهَدُواْ أَنِّي بَرِيءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ مِن دُونِهِ فَكِيدُونِي جَمِيعًا ثُمَّ لا تُنظِرُونِ " ﴾[٣] . فهم تمسكوا بالباطل ، وأنكروا الحق ، وأعلنوا رفضهم لآلهتهم التى يصنعونها بأيديهم . زاعمين أن نبى الله لم يأتهم ببينة ؛ تكشف لهم بطلان عبادة آلهتهم ، ثم نسبوا إليه الوقوع فى السوء ، الذى صنعته به ألهتهم . وهم فى كل ما زعموا كاذبون .

وإذا كان الحقد هذا شأنه ؛ فإن الحسد يؤاخيه فى علته المرضية . وينزل بصاحبه أسوأ العواقب . وربما لا يدرى أن ما ينزل به سببه الحسد . بزعم أن الله لا يرسل النبى ضعيفا . وقد عبر القرآن الكريم عن موقف المتكبرين من أهل مدين ، حين وقفوا من نبى الله شعيب ﴿ " قَالُواْ يَا شُعَيْبُ مَا نَفْقَهُ كَثِيرًا مِّمَّا تَقُولُ وَإِنَّا لَنَرَاكَ فِينَا ضَعِيفًا وَلَوْلا رَهْطُكَ لَرَجَمْنَاكَ وَمَا أَنتَ عَلَيْنَا بِعَزِيزٍ قَالَ يَا قَوْمِ أَرَهْطِي أَعَزُّ عَلَيْكُم مِّنَ اللّهِ وَاتَّخَذْتُمُوهُ وَرَاءكُمْ ظِهْرِيًّا إِنَّ رَبِّي بِمَا تَعْمَلُونَ

---

(١) سورة غافر الآية ٥١ .

(٢) سورة المجادلة الآية ٢١ .

(٣) سورة هود الآيات ٥٣/٥٥ .

محيط " ﴾[١] . إذن الحقد والحسد كانا من أسباب إنكار النبوة التى أعلن عنها المنكرون ، كما كان الكبر طريقا إلى نفس الإنكار .

ومن المؤكد أن الحقد نار تخرق صاحبها ، وأن الحسد جمر تلك النار ، أما حصبها والأحطاب التى لابد منها ، فهى حسد ذلك الحاقد ، وضمير ذلك الحاسد ، والله عز وجل كشف خصوم الأنبياء أمام أنفسهم ، كما بين باطلهم أمام الآخرين .

۞ الدافع الثالث : العناد واللجج :

ومصدر العناد والجج قائم على أن المرسلين بشر ، وما داموا بشرا : فلا أفضلية لهم على غيرهم ، ومن هنا فلا تقبل دعوتهم ، ولا يتم الإيمان بهم . وقد صور القرآن الكريم ما فى نفوس أصحاب هذا الدافع السيئ فى قوله تعالى ﴿ " وقال الملا من قومه الذين كفروا وكذبوا بلقاء الاخرة وأترفناهم في الحياة الدنيا ما هذا إلا بشر مثلكم يأكل مما تأكلون منه ويشرب مما تشربون ولئن أطعتم بشرا مثلكم إنكم إذا لخاسرون" ﴾[٢] .

وللعناد واللجج صدى واسع مع كل المتكبرين ، وبخاصة فرعون اللعين . وقص القرآن الكريم موقفه مع نبى موسى بن عمران عليه السلام ، وبين أن كفره بنبوة سيدنا موسى عليه السلام قائم على أنه بشر مثلهم ، ولا أفضلية له عليهم . قال تعالى ﴿ " ثم أرسلنا موسى وأخاه هارون بآياتنا وسلطان مبين إلى فرعون وملئه فاستكبروا وكانوا قوما عالين فقالوا أنؤمن لبشرين مثلنا وقومهما لنا عابدون

---

(١) سورة هودالآيتان ٩١/٩٢ .

(٢) سورة المؤمنون الآيتان ٣٣/٣٤ .

فكذبوهما فكانوا من المهلكين" ﴾[1] ؛ الذين احتسوا من مشارب الضلال ، واقتسموا غنائم الكفر والإلحاد ، وباتوا فى ضلال مبين لا يخرجون عنه أبدا .

ويتمكن العناد من نفس فرعون أيما تمكن ، حتى أنه لينكر نبوة سيدنا موسى ﷺ على الجملة والتفصيل ، ويستولى كل من: العناد واللجج عليه . فتراه يذكر نبى الله موسى ﷺ بأنه كان صغير ، وقد تربى فى بيت فرعون . ثم أنه فى نفس الوقت قاتل مرتكب الجريمة ، فكيف يؤمن فرعون به نبيا ؟ ورغم أن كل ما فعله موسى ﷺ كان قبل النبوة . وقتله للمصرى كان على سبيل الخطأ . وليس العمد ، ولم يتوفر حوله شيء من العمد ، لكن فرعون يذكره به ، ويعاند ويلج ، ولا يؤمن به نبيا .

يقول الله تعالى ﴿ " فأتيا فرعون فقولا إنا رسول رب العالمين أن أرسل معنا بني إسرائيل قال ألم نربك فينا وليدا ولبثت فينا من عمرك سنين وفعلت فعلتك التي فعلت وأنت من الكافرين قال فعلتها إذا وأنا من الضالين ففررت منكم لما خفتكم فوهب لي ربي حكما وجعلني من المرسلين " ﴾[2] ، وتلك اللغة ، التى جاءت فى سياق الآيات ، تعرف باسم العنف الأدبى[3] ، مع أن فرعون لم يكن مؤدبا أبدا ، وإنما كان على الضلال قائما ، ولتعاليم الحق جل علاه منكرا ، وعليها وأنبياء الله مستكبرا .

---

(١) سورة المؤمنون الآيات ٤٥/٤٨ .

(٢) سورة الشعراء الآيات ١٦/٢١ .

(٣) الشيخ محمد صفى الدين عبدالواحد – نظرات فى سور القرآن الكريم ص١٧٣ .

ويمكن اعتبار المكذبين من أقوام المرسلين داخلين ضمن المنكرين للنبوة ، لأن الرسول حين يأتى لقوم وينكرونه ؛ يكونون قد كفروا به ، وربما أرسل به أيضا ، ولا تكون لهم مندوحة إلا فى اللجوء للجدل غير المنتج[1] ، والعناد الذى يدل على ظلام فى القلب . وعقم فى العقل . الذى يفترض أنه منتج . واختلال فى القوى النفسية ، وقد صور القرآن الكريم موقف عاد ، وثمود ، وقد من الله عليهم برسله الذين كثروا ، وكانوا لا يطلبون منهم إلا عبادة الله ، لكن العناد الذى اعتنقوه أصم عقولهم ، وكانت نهايتهم أليمة .

يقول الله تعالى﴿ " فإن أعرضوا فقل أنذرتكم صاعقة مثل صاعقة عاد وثمود إذ جاءتهم الرسل من بين أيديهم ومن خلفهم ألا تعبدوا إلا الله قالوا لو شاء ربنا لانزل ملائكة فإنا بما أرسلتم به كافرون فأما عاد فاستكبروا في الارض بغير الحق وقالوا من أشد منا قوة أولم يروا أن الله الذي خلقهم هو أشد منهم قوة وكانوا بآياتنا يجحدون فأرسلنا عليهم ريحا صرصرا في أيام نحسات لنذيقهم عذاب الخزي في الحياة الدنيا ولعذاب الاخرة أخزى وهم لا ينصرون وأما ثمود فهديناهم فاستحبوا العمى على الهدى فأخذتهم صاعقة العذاب الهون بما كانوا يكسبون" ﴾[2] ، وتلك عاقبة المكذبين بما أنزل الله .

هذا عن أقوام المرسلين ، الذين وقع الإنكار بين صفوفهم ، وتسامع به كل من أطلع على أخبارهم ، وقصة القرآن الكريم عنهم ، باعتبار أن ذلك من قصصه .

(١) المصدر السابق ص١٧٧ .

(٢) سورة فصلت الآيات ١٣/١٧ .

التى قال الله تعالى فيها ﴿ " وكلا نقص عليك من أنباء الرسل ما نثبت به فؤادك وجاءك في هذه الحق وموعظة وذكرى للمؤمنين " ﴾[1] .

وأنباء الرسل لا تقتصر على سيرتهم الشخصية - حتى يكون تكذيبهم أو تأييدهم أمرا خاصا بهم - وإنما شملتهم ذوات وتعليمات: رسلا ورسالة . أنبياء ونبوة . من هنا كانت قصصهم شاملة للمكذبين بهم والمصدقين معا . لاتباعهم المؤمنين بالله رب العالمين ، والمعاندين الكافرين المكذبين ، ولما كان القرآن الكريم قد تعرض لهؤلاء المنكرين - فقد ذكر شبه المنكرين قديما فى الماضى السحيق ، وحديثا فى عصر نزول القرآن الكريم ، كما ألمح إلى ما سيأتى منها فى المستقبل باعتبار أن ذلك من أوجه إعجاز القرآن الكريم[2] ، مما يجعلنا نعتبرها بحق من وجوه إعجاز القرآن الكريم - كتاب الله الحق - . الذى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه .

أجل إن القرآن الكريم لم يذكر كل المنكرين بالاسم ، ولم يعلق على عناوينهم كطوائف ، وإنما أبرز المضمون الذى حوله يلتفون ، والمحتوى الذى منه يفرخون . ولم يهتم القرآن الكريم بهم كأفراد ، لأن ما ذكره عن أقوام المرسلين فيه كفاية[3] . كما أن اتفاقهم فى الإنكار يجعلهم جهة واحدة ، وتماثلهم فى الدوافع ، وتقريرهم للشبه؛ يؤكد على أنهم صاروا قلة معروفة ، رائدها الهوى ،

---

(١) سورة هود الآية ١٢٠ .

(٢) من أوجه إعجاز القرآن الكريم : الإخبار بالماضى ، والحاضر ، والمستقبل أيضا . راجع مناهل العرفات للعلامة الزرقانى ، والإتقان للعلامة السيوطى ، وكتابنا : مطاعن أعداء الإسلام على القرآن وردها ، وكتابنا : الغزاليات فى السمعيات .

(٣) وعلى النظائر تقاس باقى الأشباه ، والمسألة عندهم جميعا واحدة .

ومصدرها عجز الإدراكات البشرية عن تفهم الإرادة الإلهية ، وسوف أتعرض لهم استقلالا فى كتاب أخر ؛ إن شاء الله تعالى .

القسم الثانى : المنكرون من غير أقوام المرسلين :-

يذكر كثيرين من مفكرى الإسلام أهم هذه الطوائف ، فيظهر للدارس أنها :-

(١) **طائفة البراهمة** : قال إمام الحرمين « أنكرت البراهمة النبوات وجحدوها عقلا . وأحالوا انبعاث بشر رسولا »[١] ، باعتبار أن العقل فيه كفاية . وأنه الذى يستطيع ، أن يفعل ما فيه صالح الإنسان .

(٢) **طائفة الصابئة .**

(٣) **طائفة المعطلة من العرب .**

(٤) **طائفة أهل الإباحة**[٢] .

(٥) **السمنية .**

ويرى صاحب شرح المقاصد أن طائفة أهل الإباحة: هم أفراد تم تلفيقهم من كل ناحية ، فهم أحاد وأوباش من الطوائف ، وليسوا طائفة معينة ، بحيث يكون لها ملة ونحلة ، كما انهم يصرون على الخلاعة واللامبالاة . والقول بنفى التكاليف ، وإن المعجزات لا دلالة لها على صدق النبى ، من ثم فهم نشاز من طوائف ، وأشتات من مجتمعات كثيرة مختلفة[٣] .

---

(١) إمام الحرمين – الإرشاد إلى قواطع الأدلة ص٣٠٢ .

(٢) العلامة السيد الشريف الجرجاني – شرح المواقف جـ٨ ص١٨٤ .

(٣) راجع شرح المقاصد للعلامة السعد التفتازانى جـ٢ ص١٢٩ .

هـم أشبه بصعـاليك العـرب قديمـا ، ودعـاة العبـث واللامعقـول حديثـا ، يتحللون من كل شيء ، ولا هدف يقودهم ، كما لا فكـرة صحيحـة تجمعـهم[1] . إنهم فقدوا القدرة على التميز بين الطيب والخبيث بين الحلال والحرام . بين الصواب والخطأ ، مع أن لهم عقولا واعية ، ومدركات قوية .

(٦) **لازم مذهب الفلاسفة** : وذكرت لازم المذهب نفسه ، لأنه سبق أن بينت رأى الفلاسفة المسلمون فى النبوات وهم حكماء الإسلام ، وأنهم يثبتونها بناء على قاعدة النظام العام عندهم ، وهو المذهب الذى ساروا عليه ، والاتجاه العام الذى يلتفون حوله ، وليس فيه إيجاب أو وجوب على الله تعالى ، متى تعرضنا للمسألة عندهم ، وبيانها من مؤلفاتهم أنفسهم ، لا من أحاديث خصومهم عنهم .

أما لازم مذهبهم فيعرضه أحد الباحثين قائلا « يلزم من مذهبهم فى الإلهيات ، إنكار النبوات على النحو الذى جاء به الدين[2]، لأنهم يقولون بصدور العالم عن الله بطريق الفيض[3] ، فهم ينكرون اختيار البارى تعالى . وينكرون علمه بالجزئيات[4] ، لأن العناية بالعالم الأرضى – فى زعمهم – هى من اختصاص العقل الفعال ، فلا علم للبارى بآحاد الرسل ، وهم ينكرون ظهور الملك للبشر .

---

(١) يراجع فى هذا الصدد : الإرشاد ص٣٠٢ للإمام الجوينى ، وأصول الدين للبغدادى ص١٥٤/١٥٦/وما بعدها ، والسمعيات من شرح المقاصد للعلامة السعد التفتازانى .

(٢) هذا الزعم غير صحيح ، فهم لم ينكروا النص الدينى ، وإنما كانت لهم فى فهمه وجهة نظر ، لا تبعد عن قول المتكلمين ، إلا فى الألفاظ المستعملة .

(٣) هم يصورون أراء الآخرين فى نظريتى الفيض ، أو الصدور ، وليس ذلك اعتقادهم .

(٤) هذا لم يثبت عنهم . راجع كتابنا : أوراق منسية فى النصوص الفلسفية .

ونزوله من السماوات . لأن الملائكة هي عقول الأفلاك – في زعمهم – وهي من المجردات ، فما يقولونه من وجوب الإرسال على الله كلام مزخرف ، يريدون به إخفاء باطلهم ، وترويجه على الناس »[1] .

وهذا القول غير مقبول على إطلاقه بالنسبة لحكماء المسلمين . أما لماذا ؟

فلأن لازم المذهب ليس مذهبا ، ومن ثم فإن نسبة هذه الأقوال إلى الفلاسفة من أهل الإسلام غير مقبولة . كما أن هذا القول يحتوى على دعاوى واسعة . لم يقم دليل على صدقها ، بل قام العكس ، فالنقل المنزل نصوص مقدسة ، قرآنا كان أو سنة نبوية مطهرة . والفلاسفة لم ينكروا نصا منها ، من ثم فهم لا ينكرون ما جاء به الدين . وكون فهمهم يخالف فهم غيرهم . لا يعتبر جريمة .

كما أن إنكارهم للنبوات ليس واردا على الجميع ، والدعوى أن الفلاسفة جميعا – المسلمون وغيرهم – لا ينكرون ما ذكره ، فلو كان هناك تعين – لكانت المصادر التى أمكنه الوقوف عليها ، وبناء حكمه عليهم من خلالها واضحة[2] . لكن بقية دعاوى هذا الرأى من جنس ما سبق ، لا دليل عليها ، ولا مصادر يمكن أن تدعمها .

وقد كان شيخ الإسلام ابن تيميه أكثر وضوحا ودقة حين قال : « والمتفلسفة من اليونان والهند ، منازعون فى وجود كمال الجنس – أى الجنس البشرى – وإن

---

(١) الدكتور محيى الدين الصافى – محاضرات فى السمعيات ص٩ ط أولى ١٣٩٤هـ/١٩٧٤م – دار الطباعة المحمدية .

(٢) راجع كتابنا : حصاد الاقتصاد فى الاعتقاد جـ٣ ص٧٥ .

أقروا ببعض صفات الأنبياء؛ فإنما أقروا منها بما لا يختص بالأنبياء . بل هو مشترك بينهم وبين غيرهم فلم يؤمن هؤلاء بالأنبياء البتة »[1] .

ونحن مع ابن تيميه ، لأن كلامه لا ينصب على فلاسفة المسلمين . وإنما ينصب على المتفلسفة من أهل اليونان والهند ، ونحن ينصب حديثنا على حكماء أهل الإسلام المسلمين ، الذين يؤمنون بالله ، ويثبتون النبوات ، دون غيرهم ، وأرى من الحق دفع الاتهام عنهم ، طالما أنهم لم يقولوا بشيء من ذلك . يفيد إنكارهم للنبوات . أو القول بالوجوب على الله تعالى .

وبمثله قال الأستاذ عبدالكريم الخطيب حيث ذهب إلى :« أن كثيرا من الفلاسفة الأقدمين أمنوا بالله ، ولكنهم لم يؤمنوا برسل الله ، ولم يرتضوا لإنسان أن يلتقى بالملأ الأعلى ، ويتعامل معه ، وكان هؤلاء الفلاسفة الذين يذهبون هذا المذهب ، قد نظروا فيه إلى أنفسهم ، فحين وجدوا أنهم وهم الفلاسفة – وأكمل الناس عقلا – لم ترفعهم عقولهم إلى الملأ الأعلى ، ولم تتح لهم الوصول إليه ، فكيف يكون ذلك لإنسان ليس له عقل الفيلسوف ، ولا فلسفته؟ »[2] .

وعبدالكريم الخطيب هنا على غير عادته – يلقى الكلام على عواهنه . دون أن يعرفنا من هم أولئك الفلاسفة ؟ ولا ما هى المصادر التى استقى منها المعلومات التى انتهى بعدها إلى الحكم السابق ذكره .

۞ **وفى تقديرى** : أن الإجمال فى القضايا التى تتعلق بعقيدة الناس ، يمثل اتهاما مباشرا بغير دليل . وهروبا من أرض الواقع إلى عالم الخيال . وعلى

(١) شيخ الإسلام ابن تيميه –النبوات ص٢٥ – المطبعة المنبرية ١٣٤٦هـ .

(٢) الأستاذ عبدالكريم الخطيب – النبى محمد ص٤٨ .

مثله لا تقوم العقيدة ، إلا أن يكون القصد بالفلسفة والفلاسفة عند ابن تيميه ، أهل اليونان ، وعند الأستاذ عبدالكريم الخطيب : الفلسفة الحديثة . وبالتالى يكون لنا معها رأى ليس ههنا ، وها هو تفصيلهم ، والشبه التى استندوا عليها .

ثانيا : شبه المنكرين للنبوات عرضها ومناقشتها

» أولا : البراهمة :-

قال الإمام الشهرستانى « من الناس من يظن أنهم سموا براهمة ، لانتسابهم إلى إبراهيم عليه السلام ، وذلك خطأ ، فإن هؤلاء هم المخصوصون بنفى النبوات أصلا ورأسا »[1] .

وقال الإمام ابن حزم « البراهمة قبيلة بالهند ،فيهم أشراف الهند ، ويقولون أنهم ولد برهمى ، ملك من ملوكهم قديم ، ولهم علامة ينفردون بها ، وهى خيوط حمراء ملونة بحمرة وصفرة ، يتقلدونها تقلد السيوف ، وهم يقولون بالتوحيد وأنكروا النبوات »[2] ، وبناء على عدم الاحتياج إليها ، من وجهة نظرهم ، التى لا نوافقهم أبدا عليها ، وإنما نؤكد على أن النبوات من ألطاف الله تعالى ورحماته ، وأنها تمت فى من اصطفاهم الله تعالى .

---

(١) الملل والنحل جـ٣ ص٩٥ – تحقيق الأستاذ عبدالعزيز محمد الوكيل .

(٢) الإمام ابن حزم الظاهرى – الفصل فى الملل والأهواء والنحل جـ١ ص٥٥ ، وجـ١ ص٦٩ – ط دار الفكر العربى ، وبهامشه الملل والنحل للشهرستانى .

إذن أصل البراهمة رجل واحد اسمه براهم ، وانتسب أولاده ، واتباعه إليـه فسموا البراهمة ، نسبة إلى براهم هذا ، وكان مجهود براهم ينحصر فى قيادة هذه العائلة البراهمية ، بالأخص فى النواحى العقدية ، حتى إنه كان يصوغها لهـم ، وما عليهم إلا الاعتقاد ، وقد عبر عن هذا الشهرستانى حين قال « وقد مهد لهـم نفى النبوات ، وقرر اسـتحالة ذلك فـى العقـول »[1] ، معتـبرا أن مـا يـأتى بـه الرسول ، فالعقل يغنى عنه .

بيد أن البراهمة لم يدم حالهم طويلا ، فما هى إلا دورة الزمان ، حتـى عـاد لكـل شـيء النقصـان ، فـإذا بالبراهمـة يتفرقـون فـى بـوادى الأرض والحواضـر ، فتفرقت معهم آمالهم والأحلام ، كما تفرقت بهم العقائد والأحكام ، حتى صـاروا أصنافا عدة « منهم أصحاب البـدوة ، ومنـهم أصحـاب الفكـرة ، ومنـهم أصحـاب التناسخ »[2] ، وكل جماعة من تلـك الجماعـات لهـا مبـادئ ، وحولهـا أفكـار ، ومعـها عقـائد واتجاهـات ، ثـم تفـرع عـن كـل جماعـة منـها جماعـات أخـرى ، واتجاهات متباعدة .

◈ لكن لماذا أنكروا النبوات ؟ وما هو عمدتهم فى الإنكار ؟

يقول إمـام الحرمـين الجوينـى « أنكـرت البراهمـة النبـوات ، وجحدوهـا عقلا ، وأحالوا انبعاث بشـر رسـولا »[3] . وقـال القـاضى عبدالجبـار « أعلـم أن المخالف فى هذا الباب – إثبات النبوات – جماعة مـن البراهمـة ، الذيـن يثبتـون

---

(١) العلامة الشهرستانى – الملل والنحل جـ٣ ص٩٦ – تحقيق الأستاذ عبدالعزيز عبد الوكيل .

(٢) الإمام عبدالكريم الشهرستانى – الملل والنحل جـ٣ ص٩٧ ، ومن أراد المزيد فلـيراجع ص٩٧/١٠٠ من نفس المصدر .

(٣) إمام الحرمين الجوينى – الإرشاد إلى قواطع الأدلة – ص٣٠٢ . تحقيق الدكتور محمد يوسف موسى .

الصانع بتوحيده وعدله . وينكرون النبوات »[1] . وقال ابن حزم « إن مجيء الرسل عندهم من باب الممتنع »[2] عقلا ، باعتبار أن العقل عندهم هو وحده الحجة ، والمعول عليه .

إذن اتفق الباحثون على أن البراهمة ينكرون النبوات ، من حيث هي نبوات ، لكن هل لأنها مستحيلة في ذاتها - رغم أنها جائزة على الله - أم للإحالة العقلية التي تجرى في بعض الأفهام والأوهام ؟

والجواب : أنها الإحالة العقلية ، ومن ثم فإن عمدتهم في الإنكار هو العقل الإنساني الذي اعتصموا به ، وجعلوه فوق حكم الله يحكم ، ومن ذلك العقل رسموا لأنفسهم وأتباعهم عدة طرق ، هي مجرد شبهات نوردها على النحو التالي ، ونرد الشبهة تلو الأخرى :

الشبهة الأولى : العقل يرفض النبوة :-

يزعم البراهمة : أن العقل الإنساني يرفض الاعتراف بنبوة الأنبياء ، ورسالات المرسلين . أما لماذا ؟

فإن الجواب يأتي حاملا شقين :-

الأول : إن أتى الرسول بما يدركه العقل . فقد كفانا العقل التام بإدراكه والوصول إليه ، فأى حاجة بنا إلى الرسول ؟[3] ، لأن عمل الرسول حينئذ يكون

---

(١) القاضى عبدالجبار بن أحمد الهمذانى – شرح الأصول الخمسة ص٥٦٥ .

(٢) الإمام ابن حزم الظاهرى – الفصل فى الملل والأهواء والنحل جـ١ ص٦٩ – دار الفكر وبهامشه الملل والنحل للعلامة الشهرستانى .

(٣) الإمام عبدالكريم الشهرستانى – الملل والنحل جـ٣ ص٦٩ ، وشرح الأصول الخمسة ص٥٦٣ – الفقرة الأخيرة .

نوعا من تحصيل الحاصل[1] ، وهذا فى حد ذاته عبث - من وجهة نظرهم - لا يليق بالحكيم وهو الله سبحانه وتعالى فعله .

۞ **الثاني : إن أتي الرسول بما لا يوافق العقل** ، وإنما يخالفه ، فمن حق العقل أن يرفضه « وإن يكون - الأنبياء قولهم - مردودا عليهم غير مقبول منهم »[2] ، وهذا كله يؤدى إلى القول بأنه لا حاجة - عندهم - إلى النبى ، وبالتالى تبطل النبوة ، ولا تثبت الرسالة[3] ، على طريق العقل . الذى هو الأساس عندهم .

وقد بلور صاحب شرح المقاصد هذه الشبهة ، فقال حاكيا عنهم : « إن ما جاء به النبى ، إما أن يكون موافقا للعقل حسنا عنده ، فيقبل ويفعل ، وإن لم يكن نبى ، أو مخالفا له قبيحا عنده ، فيرد ويترك ، وإن جاء به النبى ، وأيما كان فلا حاجة إلى النبى - عندهم - . فإن قيل لعله لا يكون حسنا عند العقل ولا قبيحا ؟ قلنا فيفعل عند الحاجة . ويترك عند عدمها للاحتياط »[4] . وإذا تم ذلك من غير حاجة إليه ؛ يكون من باب العبث ، الذى نعتبره الحكيم عن فعله .

۞ **مناقشة الشبهة :**

والرد عليهم فى هذه الشبهة: هو أنهم تحدثوا عن العقل ، وارتضوه حكما على الرسالة يقبلها أو يردها ، لكن لم يقولوا لنا أى عقل هو الذى له هذا الحكم . هل هو عقل كل فرد من بنى البشر أجمعين ، أو هم لا يتفقوا على تحديد العقل

---

(١) راجع فى الرد عليهم : الفائدة الأولى من فوائد بعثة الرسل فى هذا الكتاب .

(٢) القاضى عبدالجبار بن أحمد الهمذانى شرح الأصول الخمسة ص٥٦٥ .

(٣) هذا الشق من ذات الشبهة قائم على حكم العقل ، وهو غير موجود ، فدل الأمر على أن ذات العقل غير مستعد لإصدار أحكام .

(٤) العلامة السعد التفتازانى - شرح المقاصد السمعيات ص٩ .

حتى اليوم ؛ وحينئذ يكون الأمر فى المسألة نسبيا ، ويتحول إلى سوفسطائية ، والأمور النسبية لا تقوم عليها قوانين تصلح الإنسان فى معاشه ومعاده . بل إن هذه الأمور النسبية محل نظر من أصحابها أنفسهم[١] .

والعقل نفسه يشهد بأنه ما من عمل يعمله المرء ، ثم يعيد النظر فيه . إلا ويتمنى لو أكمله ، أو انقص منه ، أو زاد عليه ، إلى غير ذلك من وجوه النقص البشرى ، فهل النقص البشرى الذى يمثله العقل ، يصلح حتى يكون مقياسا على الكمال الإلهى ؟ أن هذا مستحيل . **هذا وجه** .

▣ **الوجه الثاني** :- هل يدخل فى مفهوم العقل الحاكم عندهم ، عقل الفقيه ، أم عقل العالم ، وعقل الرياضى ، أم عقل الفنان ، وكلها عقول مختلفة فى تكويناتها الفكرية ، التى تعتبر المادة الأولى للحكم على إرسال الرسل . وإنزال الكتب عندهم[٢] ، بحيث يكون الحكم على الرسالة – مقبولا أو مرفوضا – من خلال كل عقل على حده ، وبالناحية التى تكون عليها ؟ وذلك أمر مستحيل .

فإن كان الجواب بالإيجاب (بنعم) ، فإن الحكم حتما سيختلف تبعا لاختلاف أصحاب العقول أنفسهم ، بحيث يصير حكم كل عقل ، مستقلا به ، والرسالة لا تأتى إلا بأحكام عامة[٣] ، شاملة للقوم الذين بعث فيهم الرسول كلهم طبقا لما جاءت به الرسالة ذاتها .

---

(١) الشيخ فضل الله محمد عبدالجواد – دراسات فى العقيدة الإسلامية – النبوات ص١٣٧ .

(٢) الشيخ عبدالكريم محمد عبدالمتعال – سمات الملحدين قديما ص٧١ ط أولى ١٩٥١م – دار مبروك .

(٣) باعتبار أن الرسالات الإلهية ، لا تجيء بأحكام فردية ، وإنما طبيعتها الأحكام الشاملة لكافة من بعث فيهم ذات النبى، أو أرسل إليهم الرسول .

وإن كانت الإجابة بالنفى (بلا) فما هو القاسم المشترك إذن بين كل هذه العقول ، حتى يمثل واقعا تقف عنده مسألة إثبات الرسالة ، لتقيم من خلاله[1] ؟ حتى يقبلها أو يردها ؟

❁ **الوجه الثالث** : هل يدخل فى حكم العقل ، المطلوب تقييم الرسالة من خلاله ؛ عقل كل من الأطفال وهم كثرة ، والنساء وفيهن طبيعة النسيان . كما أنهم خارج نطاق كمال التكليف . فهل يمكن قبول عقولهم ؛ حتى تكون تلك العقول حكما على قبول الرسالة الإلهية من عدمه ، والمجانين والبله . وأصحاب الجنون المتقطع ؟ وهم جميعا ليسوا ضمن المكلفين .

إن كان الجواب بنعم ، فلا يقول بذلك عاقل ، وإن كان الجواب بلا . فقد أخرج العقل بنفسه قرناءه فى طبيعته من الحكم على الرسالة[2] ، ويكون العقل نفسه عدوا لنفسه ولأقرانه . فلا يقبل حكمه ، لأنه عقل جائر ، ورسالة الله فيها العدل المطلق والحرية التامة ، والاختيار القائم فى مفاهيم ثابتة . من خلال مصادر صحيحة .

إذن بطل حكم العقل ، وثبتت الحاجة إلى النبوة والرسالة ، كما نعلم أن أتباع الأنبياء ملايين . وأتباع المفكرين والفلاسفة لا يعدون إلا على أقل القليل . ومن ثم لا يعقل أن يكون النبى – فى إثبات وجوده ، أو نفى ذلك الوجود – بحاجة إلى عقل يشهد له .

---

(١) الأستاذ محمد عبدالجواد الأنصارى – شبهات المنكرين للنبوات والرد عليها ص١٨٥ .

(٢) الشيخ عبدالكريم محمد عبدالعال – سمات الملحدين قديما ص٩٤ .

۞ **الوجه الرابع** : أن العقل لا يستقل بأمور الآخرة[1] ، حتى يعرفها . ويعمل لها ، وكيف يستقل بأمر غيبى لا حيلة له فيه ، كما لا قدرة لديه إن حاول التعرف على حقيقته ، وقد عجز عن الاستقلال فى الأمر الشاهد ، فالعقل يدفع صاحبه إلى الهلاك ، ويقوده إلى التنازع ، ويسوقه إلى ما فيه تديره وهلاكه ، من ثم فلا يصح أن يكون العقل حاكما على الشرع ، قبولا له أو وردا . وحاجة البشر إلى الرسالة دليل قوى على بطلان هذه الشبهة الأولى[2] بشقيها . وهى رفض العقل للنبوة .

وقد رد القاضى عبدالجبار على هذه الشبهة ردا موجزا ، فقال: « إن وجوب المصلحة ، وقبح المفسدة؛ متقرران فى العقل ، إلا أنا لما لم يمكننا أن نعلم عقلا . أن هذا الفعل مصلحة . وذلك مفسده ، بعث الله تعالى إلينا الرسل . ليعرفنا ذلك من حال هذه الأفعال ، فيكونوا قد جاءوا بتقرير ما قد ركبه الله تعالى فى عقولنا ، وتفصيل ما قد تقرر فيها ، ثم لا يقال إن الوحى إذا أتى بما فى العقل؛ ففى العقل كفاية عنه ، وإن أتى بخلافه؛ فيجب الرد عليه ، فكذلك الحال فى كل ما أتى به الرسل ، فبطل ما قالوه »[3] ، وثبت أمر إرسال الرسل ، وأنها لطف من الله ورحمة . وبطلت الشبهة الأولى بشقيها . وثبت صدق الخبر الصادق فى النبوة والرسالة .

---

(١) راجع فى هذا الشأن كتابنا : الغزاليات فى السمعيات .

(٢) راجع فى هذا الشأن حاجة البشر إلى الرسالة من هذا الكتاب الذى بين يديك .

(٣) القاضى عبدالجبار بن أحمد الهمذانى – شرح الأصول الخمسة ص٥٦٥/٥٦٦ .

الشبهة الثانية : كفاية العقل للتكليف :

عرض الشبهة :

يذهب البراهمة إلى أن العقل الإنسانى ، يمكنه معرفة التكاليف كلها ، من غير حاجة إلى نبى يرشده إليها ، والدليل أنه :« قد دل العقل علـى أن الله تعـالى حكيم ، والحكيم لا يتعبد الخلق إلا بما تـدل عليـه عقولهـم ، وقـد دلـت الدلائـل العقلية ، على أن للعالم صانعا ، قادرا حكيما ، وأنه أنعم على عباده نعما توجـب الشكر ، فتنظر فى آيات خلقه بعقولنا ونشكره بآلائه علينا ، وإذا عرفناه وشكرنا له استوجبنا ثوابه ، وإذا أنكرناه وكفرنا به استوجبنا عقابه ، فما بالنا نتبع بشر مثلنا ، فإنه إن كان يأمرنا بما يخالف ذلك ، كان قوله ظاهرا علـى كذبـه »[1] ، فلا حالة إلى النبوة ، كما لا حاجة إلى النبى .

مناقشة الشبهة :-

لا شك أن دلالـة العقـل فـى الأمـور الشـرعية لا تكفـى ، لاختـلاف العقـول وتنازعها ، فالعقل لدى السارق يرفض قطع يده بالسرقة ، رغم أنه سارق ، والعقل عند المسروق ماله : يرى أن السارق يستحق القتل لا القطع ، لأنه اقتنص ما لا ليس له ، وكذلك سائر الحدود[2] : لأن عدم إقامتها فيـه تفريـج مـن العقوبـة ، وذلـك التهرب من العقوب محبب لعقل فاعلها ، بينمـا فـى ذات الهـرب مـن العقوبـة ؛

---

(١) العلامة عبدالكريم الشهرستانى – الملل والنحل جـ٣ ص٩٦ .

(٢) كحد الزنا ، وحد الحرابة ، وحد الجلد فى زنا غير المحصن ، وشرب الخمر ، مع الاختـلاف فى عـدد الجلد بينهما ، وحد القذف ، إلى غير ذلك من الحدود التى جاءت بها الشريعة الإسلامية الغراء

هلاك للمعتدى عليه ، فما بالك إذا كان هذا العقل يبحث أمور العقيدة والتكليف ، التى لا تخضع لغرض ، إلا أن تكون أمورا يعتبر القيام بها طاعة لله .

ثم متى كان الشكر من العبد مستوجب الثواب من الله تعالى . وقد علمنا أنه جل شأنه الفاعل المختار ، إن أثاب فبفضله ، وإن عاقب فبعدله[1] . ولو اعتبرنا العقل كافيا فى إدراك أمور التكليف ، لما تحمل وحده ما يكلف به ، كما أن هذه الشبهة تعود إلى ما قبلها[2] ، ويكون الرد على الأولى كافيا فى الرد على الثانية .

الشبهة الثالثة : اشتمال الشرائع على مستقبحات من جهة العقل :

عرض الشبهة :

يذهب أصحاب القول بأن الحكيم جل شأنه لا يتعبد الخلق بما يقبح فى عقولهم « وقد وردت الشرائع بمستقبحات من جهة العقل ، مثل التوجه إلى بيت مخصوص فى العبادة والطواف حوله ، والسعى ورمى الجمار . والإحرام . والتلبية . وتقبيل الحجر الأصم . وكذلك ذبح الحيوان . وتحريم ما يمكن أن يكون غذاء للإنسان ، وتحليل ما ينقص من بغيته ، أو غير ذلك ، وكل هذه الأمور مخالفة لقضايا العقول »[3] غير مقبولة من جانبها .

ويمكن إيراد ذات الشبهة أيضا على النحو التالى: « إن الشرائع مشتملة على أفعال وهيئات ، تردع عنها العقول . ولا نشك فى أن الصانع الحكيم لا

---

(١) الشيخ محمد منصور البنهاوى – الإسلام شريعة العدل والفضل ص٤٥ ط أولى ١٩٤٣م .

(٢) من كون العقل ليس محل اتفاق بين القائلين به من حيث نوعه الذى يحكم فى المسألة ، أهو عقل البالغ أم الصغير . إلى غير ذلك من الوجوه الباطلة .

(٣) الإمام الشهرستانى – الملل والنحل جـ٣ ص٩٦ .

يعتبرها ، ولا يأمر بها ، كالانحناء في الركوع ، والانكباب على الوجه في السجود ، والتحسير والتعرى[1] ، والهرولة والتردد بين جبلين[2] . ورمى الجمار . إلى غير مرمى إليه . وكغسل بعض الأعضاء لتلوث بعض أخر[3] . إلى غير ذلك من الأمور الخارجة عن قانون العقل »[4] ، الذى لا يدرك الصواب فيها ، ولا يعرف الحكمة التى جعلها الله تعالى فى تلك الأعمال المتعلقة بالشعائر تعبدا . أو النظافة إصحاحا للجسم والنفس والروح .

مناقشة الشبهة :

لا شك أن هذه التى جاء بها الأنبياء ليست مستقبحة . بل هى مستحسنة من حيث العقل، فمن قال أن النظافة حسنة وأمر محمول ؟ أليس هو العقل أيضا[5] . ومن قال أن امتلأ المعدة يعرض صاحبها للتخمة؟ أليس هو نفسه ذات العقل، ومن قال إن السير على الأقدام يقوى عضلات الجسم؟ أليس هو العقل[6] . فإذا جاءت الشريعة مع النبى بالطهارة، وهى حسنة عند العقل قبل مجيء الشريعة . فلماذا تكون مستقبحة بعد ذلك ؟ وإذا جاءت الشرائع لتقول بالصوم، وقد انتدبه

---

(١) يقصد بذلك أعمال الحج ، ما هى إلا من شعائر الله تعالى ، وقد تأكد الجميع من كونها نعمة من أنعم الله تعالى .

(٢) يقصد بذلك السعى بين الصفا والمروة ، وهما من مناسك الحج والعمرة .

(٣) يقصد بذلك : الغسل من الجماع ، والغسل عند المرأة أيضا – من الجماع والحيض أو النفاس – مع أن ذلك يجعل المرء يسترد عافيته ، وفيه طيب له .

(٤) الدكتور / محيى الصافى – محاضرات فى السمعيات ص١٥ .

(٥) راجع أحاديث فى الطب للدكتور مصطفى الديوانى ، وعلى هامش الطب جـ١/٣ – الدكتور سليمان عزمى .

(٦) بل صارت هناك مدارس لتعليم هذا الجانب ، وفى العصر الحاضر أنشئت كليات التربية الرياضية لذات الغرض .

العقل أولا وحسنه ، بدليل أن أى مريض يذهب للطبيب ؛ فإن أو نصيحة توجه لذلك المريض هى الصيام[1] . فلماذا يأتى العقل ويرتد عن حكمه . ليقول إن الصوم مستقبح .

وكذلك سائر العبادات ، لكل الشرائع التى يأتى بها الأنبياء ، ويبلغ بها المرسلون ، فيها ما لا يمكن للعقل أن يعرف ما فيه من مصالح ، لعجز العقل عن إدراكها . من هنا فلا يكون العقل العاجز هو نفسه الخصم والحكم فى المسألة[2] . لأنه تجاوز لا يقبله العقل نفسه .

كما أن هذه الشرائع المرفوضة عند العقل ، قد جاء بها الشرع . ابتلاء للمكلفين ، وتطويعا لنفوسهم . وتأكيدا للملكة امتثالهم للأوامر والنواهى . ولعل فيها حكما ومصالح لا يعلمها إلا الله . والراسخون فى العلم . ودليل العقل لا يقوى على دفعها ، ولا ينهض لرفضها ، وما ساق العقل إلى تلك الشبهات إلا « النزعة العقلية . المفرطة المطالبة بتحكيم العقل ، إزاء النص المقدس ، والمدفوعة بالأهواء والمكابرة ، فى تكذيب دعوات الأنبياء – عليهم السلام –[3] ، ومثل أولئك لا يلتفت عاقل إليهم ، ولا يستمع لصيحاتهم ، لأنها تصرفات غير عاقلة .

وقد رد القاضى عبدالجبار على هذه الشبهة ردا قويا ، وإن كانت ألطافه قد دخلت عليه ، فيقول « علمنا بقول الرسول المصدق بالمعجز ، إن لنا فى هذه

(١) وفى الحديث الشريف « صوموا تصحوا » .

(٢) وقديما قيل : إذا كان الخصم حكما عليك – فلن يقبل منك الشهود .

(٣) الدكتور صلاح عبدالعليم إبراهيم – القعيدة فى ضوء القرآن الكريم جـ١ ص٢٧٢ ط أولى ١٤٠٢هـ .

الأفعال مصالح وألطافا ، فكيف يجوز أن يحكم فيها بالقبح »[1] من جانب العقل ، ونحن قد أدركنا منافعها ومصالحها ، من جهة العقل نفسه ، فإذا حكم فيها بالقبح ، فقد أخطأ الطريق بتحسينه الشيء في وقت ، ثم استقباحه في وقت أخر .

ثم يضرب أمثلة عدة منها : أن نقوم لاستقبال عزيز ، تعظيما له ، ونستحسن ذلك في العقل ولا نستقبحه ، كما قد نجلس فترة طالت أو قصرت . ونحن ننتظر غائبا ، هو لنا رفيق ، ونستحسن هذا ولا نستقبحه . مع أن هذا القيام لاستقبال عزيز ، والجلوس مع الأصدقاء في الغالب قد يطول أمره[2] . ومع هذا نستريح له .

وكذلك الطواف ببيت أحدنا ، لغرض معرفة حالته ، وهل به تصدعات ، فنعمل على معالجتها أو ترميمها ، فنقوم بها ، وهذا غرض صغير في حد ذاته ، لأنه تعلق بأمر دنيوى . ونعتبره – من جهة العقل – حسنا[3] ، فكذلك الطواف ببيت الله تعالى ؟ لأن فيه مصلحة قامت الأدلة عليها . إذن ما يستقبح في العقل البراهمى وغيره من الشرائع ، يستحسنه نفس العقل عندهم وغيرهم في حياته اليومية ، التي لا تدوم ، ومن ثم فحكم العقل باستقباح الشرائع مرفوض منه .

---

(١) القاضى عبدالجبار – شرح الأصول الخمسة ص٥٦٦ .

(٢) وكم انتظرنا قارصين من أسفار ، سواء فى المطارات والموانى ، أم محطات عودة المسافرين . وتأخرت الطائرات قليلا أو كثيرا ، فلما زادنا ذلك إلا شوقا للعائدين وتلهفا لمقابلاتهم .

(٣) لأنه يمثل نوعا من الرعاية للممتلكات والعناية بها ، مع الرغبة فى المحافظة عليها ، والعقل يوجب ذلك استحسانا .

مردود عليه ، بأحكام ذات العقل فى استحسان ، مثل تلك الأفعال قبل بعثة النبى ﷺ .

وهكذا فإذا كنا نرمى صيدا حتى نظفر به ، مع أن النفع فيه يسير . ثم يستحسن الهرولة إليه كى لا ينفلت . فيكف لا تستحسن ذات الهرولة فى أعمال الحج ، وقد علم الله فيها من المصالح ، ما قد أظهره على لسان رسوله ﷺ[1] . من ذلك قوله ﷺ « من حج لله، فلم يرفث ولم يفسق، رجع كيوم ولدته أمه»[2] ، وهكذا اشترك الأشعرى والمعتزلى مع الماتريدى فى إبطال شبه البراهمة وغيرهم ، وإثبات النبوة والرسالة .

الشبهة الرابعة : العقل يرفض المعجزات :-

عرض الشبهة :

يذهب البراهمة ، ومن يجرى مجراهم إلى أن : النبوة تثبت بالمعجزة ، وهى مرفوضة من جهة العقل ، فإذا رفض العقل أساس النبوة ، وهو المعجزة ، فيكون رفضه للنبوة من باب أولى .

وهذه الشبهة تحمل جانبين :-

---

(١) القاضى عبدالجبار – شرح الأصول الخمسة ص٥٦٦ .

(٢) صحيح البخاري – للإمام البخاري – باب: فضل الحج المبرور. – الحديث رقم: ١٤٤٩ ، وروايته « حدثنا آدم: حدثنا شعبة: حدثنا سيار أبو الحكم قال: سمعت أبا حازم قال: سمعت أبا هريرة رضي الله عنه قال: سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول: ... » ، [(يرفث) من الرفث، وهو الجماع والتعريض به، وذكر ما يفحش من القول. (يفسق) يرتكب محرما من المحرمات ويخرج عن طاعة الله عز وجل. (كيوم ولدته أمه) من حيث براءته من الذنوب] .

۞ **الأول: ما يتعلق <u>بالوحي من حيث مصدره</u>**[1] . فربما يكون الشيطان هو المصدر الذى يتلقى منه النبى التعاليم ، فيكون ما يأتى به النبى ويدعيه ليس إلا همزة شيطان[2] ، والرسول ليس عنده من الأدلة ، ما يؤكد أن مصدر التعاليم التى يقول بها ، ليس الشيطان وأتباع الشيطان مؤد حتما إلى النار . إذن اتباع النبى مؤد إلى النار[3] ، وهى مسألة فيها المغالطة قائمة .

وبيان هذا الجانب من الشبهة عندهم : إن أكبر الكبائر فى الرسالة: اتباع رجل هو مثلك ، فى الصورة والنفس والعقل ، يأكل ويشرب مما تشرب . حتى تكون بالنسبة إليه كجماد يتصرف فيك رفعا ووضعا ، أو كحيوان يصرفك أماما وخلفا ، أو كعبد يتقدم إليك أمرا ونهيا ، فأى تمييز له عليك ، وأية فضيلة أوجبت استخدامك[4] ؟ وما دليله على صدق النبوة ؟

فإن اغتررتم بمجرد قوله: فلا تميز لقول على قول ، وإن انحصرتم بحجته ومعجزته ، فعندنا من خصائص الجواهر والأجسام ما لا يحصى كثرة[5] . ومن المخبرين عن مغيبات الأمور من ساوى خبره خبر ذلك النبى ، وربما تجاوزه[6] .

---

(١) المراد بمصدر الوحى عندهم : الجهة التى يعلن النبى مجيء الوحى إليه من جهتها ، فهم يزعمون أنه ربما يأتى النبى شيطانا يضله .

(٢) الشيخ محمد منصور البنهاوى – الإسلام شريعة العدل والفضل ص٧١ .

(٣) هى نتيجة كاذبة ؛ لأنها جاءت من مقدمة متخالفة تماما مع النتيجة ، إذ المفروض أن نقول أتباع الشيطان مؤد إلى النار ، وأتباع النبى مؤد إلى النعيم والرضوان ، كما تقتضيه طبيعة المقابلة بين كل من النبى والشيطان .

(٤) العلامة الشهرستانى – الملل والنحل جـ٣ ص٩٦ .

(٥) هذا قائم عندهم ، بناء على أن غرائب العادات من خواص الأجسام ، وليس من مثبتات النبوة .

(٦) العلامة عبدالكريم الشهرستانى – الملل والنحل للشهرستانى جـ٣ ص٩٧ .

من ثَمّ فلا اعتداد بقوله لعدم معرفته يقينا مصدر تعاليمه ، كما أن ما يجيء معه من خوارق عادات ، إنما هى غرائب مخترعات ، قائمة فى خواص الأجسام ، يمكن أن يقوم بها هو ، كما يمكن أن يقوم بها غيره ، فأى ميزة له على غيره .

وقد بلور القاضى عبدالجبار هذا الجانب من الشبهة على النحو التالي :

« ربما قالوا : إنه تعالى إذا بعث إلينا رسولا ، فلابد من أن يظهر عليه علما معجزا دالاً على نبوته ، ليكون فارقا بينه وبين المتنبى صاحب الحيلة . ولا يمكننا أن نميز بين المعجزة والحيلة بوجه . لأنه ما من معجز إلاَّ ويجوز أن يكون من باب الشعوذة ، وخفة اليد ، وما جرى مجراها[1] ، فيجب أن لا يقبل قولهم – الأنبياء وغيرهم – ويعتمد فقط على العقول »[2] ، وما تنتجه ؛ لأنها وحدها التى لا تكذب ، أو يقع معها الخداع .

مناقشة هذا الجانب من الشبهة :

إذ كان منكرو النبوات ، قام إنكارهم على وقوع اللبس المفترض ، فهذا غير وارد .

أما لماذا ؟

فلأن الله تعالى يخلق فى النبى ما يدل على أنه مصطفى ، وأن الذى يأتيه هو الناموس الذى أنزله الله على كل الأنبياء والمرسلين[3] . كما أن الله عصم أنبياءه

(١) يذهب العلماء إلى أن ما يجرى مجرى الشعوذة ؛ السحر والشعبذة ، ومعرفة خواص الأجسام الكيميائية وغيرها .

(٢) القاضى عبدالجبار – شرح الأصول الخمسة ص٦٥٤ .

(٣) راجع فى هذا الشأن – المطالب العالية ، وشرح الأصول الخمسة ، والأربعين فى أصول الدين وغيرها مما قام بتأليفه أهل الإسلام .

ورسله ، عن أن تصل إليهم الشياطين فتوحى لهم ، ما توحى لغيرهم ممن ليسوا أنبياء[١] . إذن الشياطين لا هم يسمعون الوحى ، ولا هم قادرون على تقليده .

من ثمّ فهم « مرجومون بالشهب ، ومعزولون عن استماع كلام أهل السماء »[٢] . قال تعالى ﴿ " وَمَا تَنَزَّلَتْ بِهِ الشَّيَاطِينُ وَمَا يَنبَغِي لَهُمْ وَمَا يَسْتَطِيعُونَ إِنَّهُمْ عَنِ السَّمْعِ لَمَعْزُولُونَ " ﴾[٣] ، فهم لا يمكن أن يقلدوا الأنبياء أو يتشبهوا بهم ، كما لا يمكن أن يتعاملوا مع الأنبياء إضلالا لهم ، بحيث يلقون إليهم شيئا ، لأن ملك الوحى قائم .

❁ **الجانب الثاني من شبهة رفض العقل للمعجزات**[٤] :

ويقوم هذا الجانب عندهم على أن ما يأتى به النبى لا يعتبر معجزة ، ترغم العقول على قبولها ، وتدفعهم إلى الإذعان لها ، لأن ما يأتى به النبى على أنه معجزة ، فأمر لا يسلم له ، لأن فى خصائص الجواهر والأجسام ، ما يقبل التغيير والتحول ، ويقال عليه تغيير وتحول ، ولا يقال عليه إنه معجزة ، وإذا كان الأمر

---

(١) بل دل الشرع على أنهم لا يتمكنون بالأنبياء أيضا ؛ ففى الحديث الشريف : « حدثنا أبو عوانة، عن أبي حصين، عن أبي صالح، عن أبي هريرة ، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: تسموا باسمي ولا تكنوا بكنيتي، ومن رآني في المنام فقد رآني حقا، فإن الشيطان لا يتمثل في صورتي، ومن كذب علي متعمدا فليتبوأ مقعده من النار » أخرجه الإمام البخاري فى صحيحه – باب: إثم من كذب على النبي صلى الله عليه وسلم. – الحديث رقم: ١١٠ ، وأخرجه مسلم في المقدمة، باب: تغليظ الكذب على رسول الله صلى الله عليه وسلم، رقم: ٣.

(٢) الإمام الفخر الرازى – مفاتيح الغيب جـ٣ ص١٨١ .

(٣) سورة الشعراء الآيات ٢١٠/٢١٢ .

(٤) هى الشبهة الرابعة من شبهات البراهمة ، ومن يجرى معهم فى إنكار النبوات .

كذلك ، فإن ما يأتى به النبى على أنه معجزة ، لا يخرج عن ما قبله . وبالتالى تبطل النبوة[1] ، ولا يمكن للعقل قبولها .

ثم ما الفرق عندهم بين معجزته ، والحيل التى يتعاطاها الناس ، حتى إذا أتقنوها صارت له صناعة ، كالسحر والشعوذة ، فإن الساحر وغيره لو عرض ما بيده على غيره ممن ليس لهم دراية به . لاختلط عليهم حال النبى . وحال الساحر ، لأن المشعوذ وصاحب الحيلة إنما يفذ حيلته على من لم يكن من أهل صناعته ، ولا يكون له بها دراية ومعرفة »[2] ، فمن أين له معرفة الفرق بين النبى والمحتال ، صاحب الصنعة المتمكن منها .

وقد رد العلامة الشهرستانى على هذا الجانب ردا إجماليا فقال : « إذا اعترفتم بأن للعالم صانعا وخالقا حكيما ، فاعترفوا بأنه آمر وناه ، حاكم على خلقه . وله فى جميع ما نأتى ونذر ، ونعمل وتفكر حكم وأمر ، وليس كل عقل إنسانى على استعداد لقبول ما يعقل عنه أمره ، ولا كل نفس بشرى بمثابة من يقبل عنه حكمه ، بل أوجبت منته[3] ، ترتيبا فى العقول والنفوس ، واقتضت سنته أن يرفع بعضهم فوق بعض درجات . قال تعالى:﴿ " أهم يقسمون رحمة ربك نحن قسمنا بينهم معيشتهم في الحياة الدنيا ورفعنا بعضهم فوق بعض درجات ليتخذ بعضهم بعضا سخريا ورحمت ربك خير مما يجمعون " ﴾[4] . فرحمة الله

---

(١) هذا غير مسلم لهم ، لأن ما جاء فى هذا الجانب سبق الإلماح له ، فبان فساده .

(٢) القاضى عبدالجبار بن أحمد الهمدانى – شرح الأصول الخمسة ص٥٧٢ .

(٣) المنة والفضل الإلهى أمران قائمان لدى الأشاعرة ، من ناحية الله تعالى ، ومن ثم فإرسال الرسل وإنزال الكتب من ألطاف الله ورحماته .

(٤) سورة الزخرف الآية ٣٢ .

الكبرى هى النبوة والرسالة ، وذلك خير مما يجمعـون بعقولهـم المختالـة »[1] . التى أودت بهم إلى الهلكة . وأسقطهم أمرهم فى الضلال .

كذلك رد عليهم القاضى عبدالجبار ردا تفصيليا ، حيث بين أن المعجزة فيها شروط معينة متعددة ؛ تجعلها علما برأسها ، ولا يقع فيها الاشتراك بـين النبـوة وأصحاب الحيل الخداعية بحال من الأحوال .

وهذه الشروط القائمة فى المعجزة هى:

(١) أن تكون من جهة الله تعالى[2] ، أو فى الحكم كأنها من جهته ...

(٢) أن تكون واقعة عقيب دعوى المدعى للنبوة[3] .

(٣) أن تكون مطابقة لدعوى النبى ، حتى تدل على صدقـه ، فلـو لم تطـابق دعـوى النبى – لما كانت دالة على صدقة ، وما كان هو الأخـر نبيـا ، لأن شـرطها فـى التصديق لم يتحقق .

(٤) أن تكون ناقضة للعادة التى عليها القوم الذين تقع المعجزة لهـم . فمتـى حصـل المعجز على هذه الأوصاف والشرائط التى راعيناها ، كان دالا على صدق المدعـى للنبوة[4] ، وهذا مما لا يمكن لذى عقل جحده ، أو التشكيك فيه .

---

(١) العلامة الشهرستانى – الملل والنحل جـ٣ ص٩٧ .

(٢) ولذا تعرف المعجزة بأنها أمر خارق للعادة ، مقرون بالتحدى ، يجريه الله تعالى على يد مدعى النبـوة ؛ تصديقا له فى دعواه ، مع عجز الجميع عن معارضته – راجع ما ذكرته لك فى تعريف المعجزة من هـذا الكتاب .

(٣) ويذهب شيخ الإسلام ابن تيميه أن الإرهاصات القائمة مع النبى قبل إعـلان النبـوة ، تعتـبر أيضـا معجزات له .

(٤) القاضى عبدالجبار بن أحمد الهمذانى – شرح الأصول الخمسة ٥٦٩/٥٧٢ .

وبعد بيان القاضي عبدالجبار للشرائط التي لابد من اعتبارها في المعجزة ، حتى تكون دالة على صدق الرسول مطلقا ، وجه الرد على الجانب الثاني من الشبهة الرابعة فقال: أعلم « أن المشعوذ والمحتال[1] ، إنما ينفذ حيلته على من لم يكن من أهل صناعته ، ولا يكون له بها دراية ومعرفة ، وليس هذا حال المعجزة .

فقد جعل الله سبحانه وتعالى معجزة لكل نبي ، مما يتعاطاه أهل زمانه ، حتى جعل معجزة موسى عليه السلام قلب العصا حية ، لما كان الغالب على أهل ذلك الزمان السحر[2] ، وجعل معجزة سيدنا عيسى عليه السلام إبراء الأكمه والأبرص ، لما كان الغالب على أهل زمانه الطب[3] ، وجعل معجزة نبينا محمد ﷺ: القرآن الكريم[4] ، وجعله في أعلى طبقات الفصاحة ، لما كانت الغلبة للفصاحة والفصحاء في ذلك الزمان ، وبها كان يفاخر أهله ويتباهى »[5] ، من ثم فقد ثبتت المعجزة ، وثبتت النبوة ، وبطلت شبه البراهمة ، ومن سار سيرهم .

---

(١) هناك فروق بين المشعوذ الذى يستعمل أدوات ووسائل ، وبين المحتال الذى يعتمد على حركة جسمه ، والتلاعب بأطرافه .

(٢) دلت الأبحاث العلمية ، على أن بنى إسرائيل والعبرانين ، كانوا يجيدون أعمال السحر كلها ، فلما بعث الله سيدنا موسى إليهم – جاءت معجزته أعلى من سحرهم كله ، راجع السحر عند بنى إسرائيل للأستاذ جودت نصرت ط الثانية ١٩٢١م القسطنطينية .

(٣) راجع الطب بين الماضى والحاضر ، للدكتورة ألفت عبدالعاطى ، وإن كنت لا أوفقها على تجاهلها الحديث عن الطب عند العرب قبل الإسلام .

(٤) القرآن الكريم أبرز معجزات سيدنا محمد ، وأعمها جميعا وأشملها ، ولكنه ليس الوحيد ، راجع نظرات فى قصص الأنبياء للشيخ مهدى محمد عبدالجواد .

(٥) القاضى عبدالجبار بن أحمد الهمذانى – شرح الأصول الخمسة ص٥٧٢ .

والملاحظ على هذه الشبه البرهمية: هو أنها جميعا قد انطلقت من منطلق العقل وأحكامه فقط ، دون أن تعطى أية فرصة للنقل المنزل ، ليبين عن الموقف المشروع من قبل الله تعالى[1] . فى الوقت الذى أعطت فيه العقل أكبر الفرص . وهذا فى حد ذاته تعصب للعقل الضعيف . وتحميل له فوق طاقته . لأن تحكيم العقل فى حدود عالم الشهادة ، يخضع – فى أدق صوره – للزيادة والنقصان . والقبول أو الرفض ، مع إمكان التجربة والملاحظة فى العلوم التى ميدانها الملاحظة والتجربة فقط من عالم الشهادة وحده .

كما أن دوره فى العلوم النظرية محل اخذ ورد . وقبول ورفض . فما من رأى يعتز به عقل إلا ويوجد بجواره أخر يناقضه أو يهدمه ، ومن ثم لا يصبح حكم العقل نهائيا فى قضايا عالم الشهادة[2] . وأكبر دليل على ذلك هو تطور النظريات العلمية المستمر ، الذى تبدو أثاره بوضوح على مناحى الحياة ، ويكشف عنه تاريخ العلم .

أما فى عالم الغيب فهو ليس ميدان العقل أبدا ، ومن ثم فإن الاحتكام إليه فى مسائلها ، يعتبر ذبحا للعقل فى غير تزكية ، وإهدارا له فى غير كرامة ، وممن نسب إليه ذلك الشاعر أبو العلاء المعرى[3] ، الذى اعتبر العقل هو النبى ، ولا نبى بعده أو قبله فتراه يقول :

العقل يبحث ... والشرائع كلها ∴ خبر يقلد لم يقسه قائس

---

(١) الأستاذ عبدالحليم محمد على – دراسات فى النبوات ص١٧١ .

(٢) الشيخ محمد منصور البنهاوى – الإسلام شريعة القول والفضل ص٩٣ .

(٣) لست أوافق على هذه الاتهامات للشاعر أبى العلاء المعرى ، لأن العبارات التى قالها يمكن حملها على الحكاية ، وليس على الاعتقاد ، والفرق بينهما كبير .

متمجسون ومسلمون ومعشر ∴ متنصرون وهائدون دسائس

وبيوت نيران تزار تعبدا ∴ ومساجد معمورة وكنائس

والصابئون يعظمون كواكبا ∴ وطباع كل فى الشرور حبائس[1]

وقد لخص الإمام ابن حزم شبها ت البراهمة ورد عليها فقال :

(١) أنهم لما قالوا : إنما صح أن الله عز وجل حكيم . وكان من بعث رسولا إلى من يدرى أنه لا يصدقه . فلا شك أنه متعنت عابث . فوجب نفى بعث الرسل عن الله عز وجل . لنفى العبث والعنت عنه جل شأنه[2] . هذه ناحية أولى .

(٢) « إن كان الله تعالى . إنما يبعث الرسل إلى الناس ليخرجهم بهم من الضلال إلى الإيمان : فقد كان أولى به فى حكمته . وأتم لمراده أن يضطر العقول إلى الإيمان به من غير إرسال رسل ، أو إنزال كتب ، فبطل إرسال الرسل ، وعلى هذا فمجيء الرسول عندهم من باب المتنع »[3] على الحكمة عند ابن حزم . وعلى باب العقل عند الشهرستانى . والقاضى عبدالجبار .

وقد أجاب الإمام ابن حزم على هذه الشبهة ، فقال :

---

(١) أبو العلاء المعرى – اللزوميات جـ٣ ص٣٢ .

(٢) نفى العبث والعنت عن الله تعالى ثابت ، لأنه جل شأنه حكيم ، ولا يتفق الوصف بالحكمة ، والعبث أبدا فى عالم الشهادة ، فما بالك بعالم الغيب جل جلاله ، له الكمال والجمال والجلال والإكرام .

(٣) الإمام ابن حزم الظاهرى – الفصل فى الملل والأهواء والنحل جـ١ ص٦٩ ، وبهامشه الملل والنحل – دار الفكر .

■ **عن الأولى: وهي بعثة الرسل** ، إن بعثة الرسل: « هي بعض دلائله التي خلقها تعالى ليدل بها على المعرفة به تعالى . وعلى توحيده »[1] . ومن ثم تكون بعثة الرسل الدلائل عليه جل شأنه[2] ، على ما ذهب إليه شيخ الإسلام ابن حزم الظاهرى .

■ **وعن الثانية - فعل الله** - : يقول : إن فعل الله لا يعلل ، بخلاف أفعال غيره ، من ثم فإنه « إذا بعث الله تعالى الأنبياء . فليس لأحد أن يقول: لم بعثهم ؟ أو لم بعث هذا الرجل – النبى – ولم يبعث هذا الأحر ؟ »[3] . لأنه الله سبحانه وتعالى﴿ " لا يسأل عما يفعل وهم يسألون " ﴾[4] ، والقاعدة العامة عندنا نحن أهل السنة والجماعة . أن أفعال الله تعالى لا تعلل بعلل راجعة إلى الله تعالى ، لأنه جل شأنه لا يفعل لعلة[5] ، ومع ذلك فإن أفعال الله تعالى كلها حكمة . وفيها الحكمة .

---

(١) الإمام ابن حزم الظاهرى – الفصل فى الملل والأهواء والنحل جـ١ص٧٠، وبهامشه الملل والنحل – دار الفكر .

(٢) اعتبار بعثة الرسل ، من الأدلة على وجود الله تعالى ، ملحظ جميل ، واتجاه جديد ، ابتدأت الاشارة إليه عند الإمام ابن حزم ، وسوف أزيده إن شاء الله تعالى .

(٣) الإمام ابن حزم الظاهرى – الفصل فى الملل والأهواء والنحل جـ١ص٧٠، وبهامشه الملل والنحل – دار الفكر .

(٤) سورة الأنبياء الآية ٢٣ .

(٥) يذهب الأشاعرة إلى أن أفعال الله تعالى غير معللة ، ويذهب ابن تيميه إلى كونها معللة ، وألسوف بين العلة فى مفهوم الاثنين . إن العلة عند ابن تيميه معناها الحكمة ،وعند الأشاعرة الغرضية ، والفرق بينهما ظاهر . راجع كتابنا : حصاد الاقتصاد فى الاعتقاد جـ٣ الأفعال الإلهية .

ولئن كان البراهمة قد رفضوا النبوات ، وأنكروا المعجزات ـ بناء على حكم العقل ، فإن أقوام المرسلين قديما ، من مال إلى مثل هذا الاحتماء بما هو وارد في العقل . ويدل كذلك على ما ينم عن ضعف في عقولهم التي لا تستوعب ما يقوله النبي . وقال القرآن الكريم حاكيا خبرهم ﴿ " قالوا يا شعيب ما نفقه كثيرا مما تقول وإنا لنراك فينا ضعيفا ولولا رهطك لرجمناك وما أنت علينا بعزيز " ﴾[1] .

فقد كان رفضهم لنبوة سيدنا شعيب قائما على حكم العقل ، فهم لا يفقهون ما يقوله لهم نبي الله شعيب ، ومن هنا انصب إنكارهم لنبوته على حكم العقل . ويبدو هذا الحكم عند أبي العلاء بوضوح ، حين يستقل بالعقل ، ويجعله مصدر التكليف ، بل يرى أن العقل نبي ، ولا حاجة إلى غيره فيقول :

أيها المغرور إن خصصت بعقل ∴ فاسألنه فكل عقل نبي[2]

ولئن كانت لنا ملاحظات أبديناها ، في ثنايا الحديث عن الشبه والردود عليها ، فإني أسوق ههنا دعوى قامت بين العقل المغرور ، وبين العلم المتواضع . كل منهما يدعي الشرف ، وكانت البداية من العقل الذي يدفع أصحابه العجلي إلى الجهالة ، ويقود إلى الضلالة ، وقد نقلها لنا الشيخ السيوطي ، ها أنا أنقلها كجزء من الرد الأخير على دعاة العقل ، القائمين تحت أوهامه في مجال الغيب .

يقول العلامة السيوطي .. رحمه الله :

علم العليم وعقل العاقل اختلفا ∴ من ذا الذي منهما أحرز الشرفا

فالعلم قال أنا أحرزت غايته ∴ والعقل قال بي الرحمن قد عرفا

---

(١) سورة هود الآية ٩١ .

(٢) الشاعر أبو العلاء المعري – اللزوميات جـ٤ ص١١ ط بيروت .

فكشف العلم عن بعض محاسنه ∴ وقال بأينا الرحمن فى قرآنه اتصفا
فبان للعقل أن العلم سيده ∴ فقبل العقل رأس العلم وانصرفا[1]

فاستسلام العقل للعلم . يلزمه استسلامه للشرع ، لأن عجز العقل من الوقوف أمام العلم . وبخاصة الذى لا يحتاج إلى كسب . وتحصيل . كالعلم اللدنى ، والوحى ، والنبوة . والمعجزة . وما كان من هذا القبيل فإنه لا يحتاج إلى كسب . وإنما التلقى من الملأ الأعلى ، من ثم فإن سلم العقل للنبوة نجى . وإن عاند وضل هلك . أما النبوة والمعجزة . فقد ثبت أمر كل منهما ، ولا عبرة بالمنازع أو المجادل : لأن الجدل فى البدهيات . والطعن على الضروريات يفضى بالحكم على صاحبه : بأنه فى عداد غير العقلاء . وأبرز دليل . أنا نرى اتباع الأنبياء فى كل مكان . أما غيرهم فلا وجود لهم إلا فى دنيا الأكفان .

ثانيا : الصابئة[2] :-

جاء الحديث عن منكرى النبوات . وفيهم الصابئون . ولما كنا قد تحدثنا عن الفرقة الأولى ، من المنكرين للنبوات ، وأعنى بها : فرقة البراهمة . فقد جاء الحديث عن الثانية ، وهم الصابئة ، لذا وجب تعريفهم .

فمن هم ؟ حتى يمكن الحديث عنهم ؟

والجواب : أنهم يعرفون بوجوه التعريف الآتية :-

---

(١) الإمام السيوطى – الأشباه والنظائر – فى فروع فقه الشافعية ص٣٥٠ .

(٢) هذه الفرقة الثانية من الطوائف المنكرين للنبوة ، ممن أتعرض لهم فى تلك الدراسة .

أولا: التعريف في اللغة :-

تقول المصادر العربية: صبأ: خرج من دين إلى دين ، وصبأ أى صار صابئا[1] ، والصابئون جنس لهم ، ومفردها صابئ ، وجمعها : صابئون ، وصابئين . وقد تسهل الهمزة . كما فى قراءة حمزة[2] . فتكون صابين[3] فى الرفع والنصب والجر .

ومن ثم فإن الصابئين فى اللغة . هم الخارجون من دين إلى دين . سواء كان خروجا مستمرا . بمعنى أنهم متى دخلوا فى دين خرجوا منه . سواء طالت فترة الانتقال أم قصرت . أم هم الخارجون من دين كانوا عليه . إلى دين آخر استقروا عليه . ولا يتكرر الانتقال من دين إلى الأخر . بشكل مستمر وسريع . هذا ما توحى به ظواهر اللغة .

---

(١) مختار الصحاح باب الصاد مادة صبأ ص٣٧٧ ، والمصادر العربية لا تختلف فى هذا الذى سبق ذكره لغة من حيث المنطوق ، وإعادة الصرفية .

(٢) هو الإمام حمزة بن حبيب بن عمارة بن إسماعيل الكوفى (١٥٦/٨٠) ويقال عليه حمزة بن الزيات : لتجارته فى الزيت ، وهو أحد الغراء السبعة ، وقد أدرك بعض الصحابة ، وكان إمام القراءات بالكوفة بعد عاصم . راجع النشر فى القراءات العشر لابن الجذرى جـ١ ص١٦٦ ، وإتحاف فضلاء البشر جـ١ ص٢٦ .

(٣) الشيخ عبدالفتاح القاضى الوافى فى شرح الشاطبية فى القراءات السبع – مكتبة عبدالرحمن محمد ص١١٦ ، لأن الهمز مفتوح ، ما قبله مكسور .

الثاني: التعريف بالاصطلاح[1] :-

اختلف المتحدثون عن الصابئة حول تعريفهم بشكل يمكن إطلاق عليهم ، بحيث صار لكل قوم اصطلاح خاص بهم ، من خلاله يعرف الصابئة . من ذلك ما يلى :-

أ- اصطلاح المفسرين والمحدثين:

قال سفيان الثورى - رحمه الله - « الصابئون قوم بين المجوس ، واليهود ، والنصارى ، ليس لهم دين »[2] . وقال أبو العالية ، والربيع بن انس والسدى ، وغيرهم « الصابئون: فرقة من أهل الكتاب يقرءون الزبور »[3] ، وقال الحسن: « هم قوم يعبدون الملائكة » ، وقال أبو جعفر الرازى ، وسعيد بن أبى عروبة: « بلغنى أن الصابئين قوم يعبدون الملائكة ، ويقرءون الزبور ، ويصلون إلى القبلة »[4] . فدل القول على أنه لا اتفاق حول تعريفهم بالاصطلاح ، وإنما هى اجتهادات غالبة عن أصحابها .

وقال وهب بن منبه الصابئة هم: « من يعرف الله وحده ، وليست له شريعة يعمل بها ، ولم يحدث كفرا » وقال عبدالله بن وهب: قال عبدالرحمن بن زيد: « الصابئون أهل دين من الأديان ، كانوا بجزيرة الموصل ، يقولون: لا إله إلا الله ، وليس لهم عمل ، ولا كتاب ، ولا نبى ، إلا قول لا إله إلا الله . قال ولم

---

(١) لا أريد تقديم التعريفات الاصطلاحية حول الصابئة على طريق الحصر ، وإنما يكتفى هنا بالتعريفات التى أجدها ضرورية فى المسألة .

(٢) العلامة الحافظ ابن كثير - تفسير القرآن العظيم - مجلد ١ ص١٤٨ ط الشعب .

(٣) العلامة الحافظ ابن كثير - تفسير القرآن العظيم - مجلد ١ ص١٤٨ ط الشعب .

(٤) المصدر السابق- مجلد ١ ص١٤٩ ط الشعب .

يؤمنوا برسول ، فمن أجل ذلك كان المشركون يقولون للنبـى ﷺ وأصحابـه : هـؤلاء الصابئون ، يشبهونهم بهم ، يعنى فى قول لا إله إلا الله »[1] وهو اتجاه قائم فـى وصف من لم يوافق ما عليه الجمع .

قال ابن كثير[2] ، وقال بعـض العلمـاء : « الصـابئون هـم الذيـن لم تبلغـهم دعوة نبى »[3] ، وهذا بعيد ،لأن من لم تبلغهم دعوة نبى هم كأهل الفترة تماما ، حيث لا مصدر عندهم يعرفهم بالخالق العظيم ، إلا ما هم عليه من الفطرة . من ثم فلا يعتبر الصابئ ممن لم تبلغهم دعوة نبى .

وذكر الإمام ابن كثير أيضا : « إن أظهر الأقوال . والله أعلم – قـول مجـاهد ومتابعيه ، ووهب بن منبه ، إنهم قوم ليسوا على ديـن اليـهود ، ولا النصـارى ، ولا المجوس ، ولا المشركين ، وإنما هم قوم باقون على فطرتـهم ، ولا ديـن مقـرر لهم يتبعونه ويعتنقونه ، ولهذا كان المشركون ينبزون من أسلم بالصابئ . أى أنـه قد خرج عن سائر أديان أهل الأرض »[4] . فلا دين له يقوم عليه ، أو يصدق به ، أو يحتكم إليه .

غير أن ما اعتبره ابن كثير من أظهر الأقوال عنده ، لا تعينه اللغـة عليـه ، وإذا كانت الألفاظ هى الأثواب المعانى ، فإن مـا ذهـب إليـه العلامـة ابـن كثـير لا يستقر ، إذ لا يمكن التسليم له بأنهم باقون علـى فطرتـهم ، ويكونـون فـى نفـس

---

(١) الإمام ابن كثير – تفسير القرآن العظيم – مجلد ١ ص١٤٩ ط الشعب .

(٢) هو الحافظ المحدث ابن كثير ، وهو غير ابن كثير المالكى ، العالم بالقراءات . راجع كتابنا الغزاليـات فى السمعيات .

(٣) الإمام ابن كثير – تفسير القرآن العظيم – مجلد ١ ص١٤٩ ط الشعب .

(٤) المصدر السابق – مجلد ١ ص١٤٩ ط الشعب .

الوقت خارجين عن سائر أديان أهل الأرض .. . لأنه ما دامت هناك أديان في الأرض ، وقد وصلتهم حتى تمت المقارنة -

فهم بين أمرين لا ثالث لهما:

- **الأول** : إما أن يكونوا مؤمنين بما وصل إليهم من دين ، وبالتالى يكون حالهم أنهم أصحاب دين[1] ، وليس الأمر فيهم كذلك . بل هو ليسوا على دين أبدا .
- **الثاني** : أن يكفروا بما وصل إليهم ، الناشئ من احتكاكهم بأصحاب الدين ، الذى تمت المقارنة معه أو على أساس منه ، من ثم يكونون كافرين . وليسوا على فطرتهم باقين . بل هم فعلا قد خرجوا من كل دين . مع الأخذ في الاعتبار أنهم وجدوا فى ماضى السنين .

قال الإمام الخازن فى: الصابئين أصله من صبأ ، إذا خرج من دين إلى آخر ، وسموا بذلك لخروجهم من الدين ، وقال ابن عباس لا تحل ذبائحهم ، ولا مناكحتهم ، وقيل هم قوم بين اليهود ، والمجوس ، لا تحل ذبائحهم ، ولا مناكحتهم[2] .. ثم ذكر بقية الأقوال - كالتى قال بها ابن كثير - نختار منها ما ليس مذكورا عند الإمام ابن كثير .

---

(١) الشيخ عبدالوارث محمد الطماوى - البراهمة والصابئة ص١٩٧ .

(٢) الإمام علاء الدين على بن محمد بن إبراهيم البغدادى المعروف بالخازن - لباب التأويل فى معانى التنزيل جـ١ ص٦٥ ، وبهامشه مدارك التنزيل وحقائق التأويل للإمام النسفى .

يقول الخازن: « وقيل هم بين اليهود والنصارى ، يحلقون أوساط رءوسهم . وقيل هم قوم أخذوا من كل دين شيئا »[1] ، ثم انتهى الإمام الخازن إلى الرأى الذى رآه أيسر قبولا عنده . فقال: « والأقرب أنهم قوم يعبدون الكواكب[2] ، وذلك أنهم يعتقدون أن الله تعالى خلق هذا العالم ، وجعل الكواكب مدبرة له . فيجب على البشر عبادتها وتعظيمها ، وأنها هى التى تقرب إلى الله تعالى »[3] .

والى مثل هذا الرأى ذهب الإمام النسفى فقال: « الصابئين الخارجين من دين مشهور إلى غيره ، من صبأ ، إذا خرج من الدين ، وهم قوم عدلوا عن دين اليهودية والنصرانية ، وعبدوا الملائكة »[4] ، ولم يعبدوا الكواكب .

واستخدام الإمام النسفى للفظ عدلوا عن دين اليهودية إلى أخر . طبقا ذات العبارة . يطلعنا على أنهم عرفوا اليهودية . ولكنهم عدلوا عنها . وساووها بغيرها ، كما هو المعروف فى اللغة عن مفهوم العدل ، وكذلك فعلوا مع النصرانية ، مع علمهم بها ، وتركهم لها ، وخضوعهم لأهوائهم . وتمسكهم بعبادة الروحانيات التى لا علاقة لهم فى إثباتها أو نفيها ، عن طريق العقل

---

(١) الإمام علاء الدين على بن محمد بن إبراهيم البغدادى المعروف بالخازن – لباب التأويل فى معانى التنزيل جـ١ ص٦٥ ، وبهامشه مدارك التنزيل وحقائق التأويل للإمام النسفى .

(٢) ويكون الحال معهم أنهم وعبدة الكواكب يخرجون من عبادة واحدة ، أو هم أصحاب عبادة واحدة ، وذلك ما لم يثبت لدينا ؛ فصح أنهم جماعة مختلفة عن عبدة الكواكب ، كجماعة مستقلة .

(٣) الإمام علاء الدين على بن محمد بن إبراهيم البغدادى المعروف بالخازن – لباب التأويل فى معانى التنزيل جـ١ ص٦٥ ، وبهامشه مدارك التنزيل وحقائق التأويل للإمام النسفى .

(٤) الإمام أبو البركات عبدالله بن أحمد بن محمود النسفى – مدارك التنزيل وحقائق التأويل ص٨٤ – هامش لباب التأويل للخازن جـ١ .

وحده . وإنما لابد من الشرع الذى يجيء به الرسول . فثبت أن الحاجة إلى الرسول قائمة فى العقل أيضا .

ب- اصطلاح أصحاب الفرق :

(١) قال الإمام الرازى: « هم عبدة الكواكب »[١] . ويذهب غيرهم إلى أن الصابئين « سموا بذلك لأنهم فارقوا دين التوحيد ، وعبدوا النجوم وعظموها .. ، ثم يقول : والحق أنه لا دين لهم »[٢] ، من ثم ، فهم من ناحية عقيدتهم كافرون بكل دين وملة .

(٢) قال الإمام الشهرستانى : « الصابئة هم الذين يقولون بالمحسوس . كما يقولون بالمعقول والأحكام والحدود . لكنهم لا يقولون بالشريعة . ولا بالإسلام »[٣] ، « فبحكم ميل هؤلاء عن سنن الحق ، وزيفهم عن نهج الأنبياء ، قيل لهم الصابئة »[٤] ، وتكون التسمية قائمة على الوصف العام الذى صحبهم ، ثم أطلق عليهم ، وتسموا به .

واعتبرهم الشهرستانى أصحاب الروحانيات ، لأنهم لها تعصبوا . وعلى الاكتساب بها تحاببوا ، وبالمتوسطات ... المقربات للصانع استنشقوا . وتعطروا ،

---

(١) الإمام فخر الدين محمد بن عمر الرازى – اعتقادات فرق المسلمين والمشركين – تحقيق طه عبدالرؤف سعد ص١٤٣ – مكتبة الكليات الأزهرية .

(٢) طه عبدالرؤف سعد ، ومصفى الهوارى – المرشد الأمين إلى اعتقادات فرق المسلمين والمشركين – هامش اعتقادات فرق المسلمين والمشركين ص١٤٣ .

(٣) الإمام الشهرستانى – الملل والنحل جـ٢ص٦٢ جـ٢ .

(٤) العلامة عبدالكريم الشهرستانى – الملل والنحل ص٦٣ جـ٢ ، وراجع فى المسألة : الفرق بين الفرق للبغدادى ، والفصل فى الملل والأهواء والنحل لابن حزم الظاهرى .

حتى أنهم اعتبروا ما يصل إليه الأنبياء من فضل النبوة عليهم . يستطيع الصابئ أن يصل إليه باكتسابه . وبخاصة عندما يطهر نفسه من شهواتها الطبيعية . ويجنح بأخلاقه عن الدنايا العالقة بين نفسه والقوى الشهوانية والغضبية[١] . ثم بعد ذلك يتم لهم استعداد نفسى . يعقبه استمداد روحانى . حتى « يكون حكمنا . وحكم من يدعى الوحى على وتيرة واحدة »[٢] .

ومن هنا جاء كفرهم بالأنبياء . وصح إنكارهم للنبوات حقيقة من غير انتساب إليهم . متى صحت المنقولات عنهم . ولا سبيل إلى البحث عن غيرها . من ثم فإن ما ذكره الشهرستانى عنهم يعتبر ممثلا لأفكارهم . وعليه المعول إلى أن يظهر خلافه . لأن القول بإيمانهم بنبوة شيث وإدريس قول مطلق عن القيود . خالى عن الدليل . كما أنه ليست له شواهد . وذلك لوقوع الخلاف فى الصابئة من حيث اعترافهم بنبوة أى نبى .

قال العلامة الآمدى : « وأما الصابئة فإنهم اعترفوا برسالة شيث وإدريس وغيرهما »[٣] . لكن الدكتور النشار يميل إلى أنهم لا يؤمنون بالأنبياء مطلقا[٤] . لأن الأنبياء واسطة بين الله وخلقه . ثم الأنبياء بشر . وبشريتهم البادية فى أجسامهم . تجعلهم فى حاجة إلى المأكل والمشرب . فتقع المماثلة بيننا وبينهم .

(١) هناك فرق بين القوى الغضبية والشهوانية والعقلية . راجع فى ذلك : السعادة فى الفكر الإسلامى للدكتور الدسوقى محمد الدسوقى إبراهيم .

(٢) العلامة الشهرستانى – الملل والنحل جـ٢ – ص٦٣ جـ٢ .

(٣) العلامة سيف الدين الأمدى – غاية المرام فى علم الكلام ص٣١٨ .

(٤) الدكتور على سامى النشار – نشأة الفكر الفلسفى فى الإسلام جـ١ ص٢١٧/٢١٨ ط ٢ عام ١٩٦٥م .

ومن ثم فلا يصلحون لتلك الواسطة ، لأنهم بشر[1] ... إذا الصابئة ينكرون أن يكون الأنبياء واسطة بينهم وبين الله تعالى .

ومع أن الصابئة يرون الحاجة الماسة لمن يعرفهم بالله ، وأوامره ونواهيه ، وأحكامه ، وطرق طاعته ، وأن تلك الحاجة تكمن في متوسط بينهم – كأجساد بشرية – وبين الله تعالى ، الذى ليس بجسد بشرى ، ولا يكون ذلك إلا لمتوسط يتسم بالروحانية ، حتى يتمكن من الاقتراب جدا من رب الأرباب . وهذا المتوسط الروحانى مقدس من حيث جوهره ، المنزه عن المادة والحركة والمكان . كما لا يقبل تغيرات الزمان[2] ، إلا أنهم لا يقرونها فى البشريات ، وإنما يجعلونها فى الروحانيات فقط ، وتلك مسألة غاية فى الصعوبة .

ولعلهم تصوروا للروحانيات صورا شتى ، ورسموهم بسمات منها :-

(١) أنهم روحانيون .

(٢) أنهم مقدسون عن المادة والزمان والمكان .

(٣) أنهم مجبولون على الطهارة .

(٤) وظيفتهم التقديس والتسبيح .

(٥) ليست لديهم رغبة فى معصية الله أبدا ، بل هم يفعلون ما يؤمرون .

(٦) أنهم المثل العليا للصابئ فى الدنيا ، إذ لا مكان للآخرة فى ذهنه .

---

(١) الأستاذ شوكت محمد العبد الله – الصابئة قديما وحديثا ص٨٢ .

(٢) الدكتور على سامى النشار – نشأة الفكر الفلسفى فى الإسلام ط١ ص٢١٨ .

وعلى هذا فإن الصابئ بتطير نفسه ، وتهذبيها ؛ يكتسب تلك المعرفة متى خلصت نفسه ، وطهرت روحه ، وتمت له الواسطة الروحانية . ولا يكون ذلك عندهم للأنبياء على الإطلاق[1] . فصح القول عنهم بإنكارهم للنبوات جميعا . ولو أمنوا بنبوة شيث وإدريس على ما يقال ؛ لزمهما الإيمان بجميع الأنبياء إلزاما وإفحاما .

ويبدو أن فكرة الواسطة الروحانية عند الصابئة ، هي التي أغرت بعض العرب بالميل إليهم ، وإن كانت واسطة الصابئين روحانية ، وواسطة بعض العرب جسمية . صنما كان أو وثنا[2] ، وقد مال صاحب بلوغ الأرب إلى هذا الرأى . عند ذكره لأقسام العرب فى التعبد ، وأن منهم عبدة أصنام ، وعبدة الشمس . وعبدة القمر ، والدهرين ، « وصنف آخر منهم أخذ يميل إلى الصابئة »[3] . وسواء صبأ بعض العرب إليهم ، أو لم يصب؛ فإننا نبحث عن رأيهم فى النبوة . فلا نطيل فى التعريف بهم .

لكن يبدو سؤال غاية فى الأهمية ، وهو: إذا كان هؤلاء كافرين . فلماذا ذكرهم الله فى القرآن الكريم ، عند تعداد المؤمنين الذين لهم النجاة فى الآخرة فى قوله تعالى ﴿ " إن الذين آمنوا والذين هادوا والنصارى والصابئين من آمن بالله

---

(١) الأستاذ محمد عبدالجواد الأنصارى – شبهات المنكرين للنبوات والرد عليها ص١٨٩ .

(٢) راجع فى الفرق بين الصنم والوثن والأصنام لابن الكلبى .

(٣) السيد محمد شكرى الألوسى – بلوغ الأرب فى معرفة أحوال العرب جـ٢ ص١٩٤/١٩٦ ط الثانية عام ١٣٤٢هـ/١٩٢٤م .

واليوم الاخر وعمل صالحا فلهم أجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون " ﴾[1] ؟

﴿ ذكر الإمام الخازن طريقتين فى الجواب على هذا السؤال :

▣ **الطريقة الأولى** : « إن الذين آمنوا قبل مبعث النبى محمد ﷺ ، والذين كانوا على الدين الباطل المبدل من اليهود والنصارى والصابئين . من آمن بالله واليوم الأخر ، وبمحمد ﷺ ، فلهم أجرهم عند ربهم »[2] . باعتبار أن القرآن الكريم يعددهم كطوائف موجودة ، أما فى الثواب والأجر ، فإن الإسلام يجب ما قبله . ومن هنا فإذا آمن صاحب النبى السابق بالنبى الخاتم – سيدنا محمد ﷺ – ، وهم المؤمنون بأنبيائهم السابقين . فلهم أجرهم من الله يعطونه مرتين الأولى لإيمانهم بالنبى الذى أرسل إليهم ، والثانية لإيمانهم بالنبى الخاتم محمد ﷺ .

وكذلك إذا آمن اليهودى بنبوة سيدنا محمد ﷺ ، وآمن النصرانى أيضا به ﷺ ، وكذلك فعل الصابئ ، من إيمانه بالله تعالى ربا ، وبالنبى محمد رسول الله صدقا ، وخاتما للنبوات وبالإسلام دينا ، فإن أوصافه السلبية السابقة عليه قبل الإسلام تنقطع عنه ، لأنه بعدها بدخوله الإسلام يصير مسلما . ويدخل ضمن قوله تعالى ﴿ " إن الذين آمنوا والذين هادوا والنصارى والصابئين من آمن بالله واليوم

---

(١) سورة البقرة الآية ٦٢ .

(٢)الإمام علاء الدين على بن محمد بن إبراهيم البغدادى المعروف بالخازن – لباب التأويل فى معانى التنزيل جـ١ ص٦٥ ، وبهامشه مدارك التنزيل وحقائق التأويل للإمام النسفى .

الاخر وعمل صالحا فلهم أجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون" ﴾[1] .

■ **الطريقة الثانية** : « إن المذكورين بالإيمان فى أول الآية ، إنما هو على سبيل المجاز دون الحقيقة ، وهم الذين آمنوا بالأنبياء الماضيين ، ولم يؤمنوا بك ، ... فكأنه تعالى قال: هؤلاء المطلوبون ، كل من آمن منهم الإيمان الحقيقى ، صار مؤمنا عند الله »[2] ، والطريقة الثانية فيها دقيقة تحتاج النظر والمراجعة .

وقد أجاب الأستاذ عبدالكريم الخطيب على هذا التساؤل ، بأن الناس جميعا مدعون للإيمان بالله رب العالمين ، وبالنبى محمدﷺ خاتما للمرسلين . سواء كانوا مؤمنين بمن سبق من الأنبياء ، أو كانوا يهودا ، أو نصارى . أو صابئة . أو غيرهم ، فأى إنسان – على أية كلمة وعلى أى دين – هو مدعو إلى رحاب الله . فإن استجاب ، وآمن بالله واليوم الآخر ، وعمل صالحا فله أجره يوفاه كاملا . كما يوفى المؤمنون جميعا ، من كل أمة ، ومن كل جنس »[3] ، ومن جحد النبوة الخاتمة ، القائمة مع سيدنا محمدﷺ ، فلا نجاة له ، ولا نعيم ينتظره .

وبالتالى فقد اتضح أن الصابئة قوم لا دين لهم ، ولا عقيدة فى الله صحيحة ، وإنهم إن عبدوا الكواكب ، أو الملائكة ، أو غيرهم من المخلوقات ، فما ذلك إلا

(١) سورة البقرة – الآية ٦٢ .

(٢) الإمام علاء الدين على بن محمد بن إبراهيم البغدادى المعروف بالخازن – لباب التأويل فى معانى التنزيل جـ١ ص٦٥ ، وبهامشه مدارك التنزيل وحقائق التأويل للإمام النسفى .

(٣) عبدالكريم الخطيب – التفسير القرآن الكريم – المجلد الأول ص٩٢/٩٣ جـ١ .

رهبة منـها ، أو طمعا فيـها ، وأيما كـان فـهى عبـادة شـركية ، لا يسـتقر لهـا تطواف ، ولا تعرف شاطئا أمينا تقف عنده ، ومن ثم صح أنهم منكرو النبـوات . يشهد لذلك قولـه تعـالى ﴿ " إن الذيـن آمنـوا والذيـن هـادوا والصـابئين والنصـارى والمجوس والذين أشركوا إن الله يفصل بينهم يوم القيامة إن اللـه علـى كـل شـيء شهيد " ﴾[1] ، فقد جمعتهم الآية الكريمة معـا ، علـى أسـاس أن العـاقل يمكنـه التعرف على أصحاب الإيمان ؛ فيقبل نحوهم ، وأهل الكفران ؛ فيبتعد عنهم .

كمـا بينـت الآيـة الكريمـة النـاس كطوائـف متعـددة ، تبـدو أمـام الله يـوم القيامة . فمن كان منهم مؤمنا بـالله رب العـالمين ، مصدقـا بمـا جـاء بـه الأنبيـاء والمرسـلون ، وصـدق بنبـوة سـيدنا محمـد ﷺ خـاتم الأنبيـاء والمرسـلين . فـإن الله سبحانـه وتعالى ينجيه بفضله . ومن كان منهم كافرا ، فإن الله يعاقبه بعدله . وهو سبحانه وتعالى الذى يفرق بين صحيح عقيدة كل منـهم وفاسـدة[2] ، مـا دام الكـل يدعى أنه صاحب عقيدة صحيحة .

كما نلاحظ وجود فرق خمس ، كل واحدة تدعـى صـدق مـا تديـن بـه . لكـن النسق القرآنى الكريم ، بين أن هذه الخمس إنما تمثل جهـة واحـدة . هـى جهـة أهل النار ، بينما يتمثل صدر الآية فرقة بنفسها ، وهم المؤمنون بالله رب العـالمين أهل الجنة ، فكأن القرآن الكريم بين أن الكثرة العددية ، لا تعنى صحـة العقيـدة الدينية ، وإنما صحة العقيدة الدينية هى التى تغنى عن الكثرة العدديـة . يشـهد لذلـك قولـه تعـالى ﴿ " إن إبراهيـم كـان أمـة قانتـا للـه حنيفـا ولـم يـك مـن

---

(١) سورة الحج الآية ١٧ .

(٢) الأستاذ محمد عبدالجواد الأنصارى - شبهات المنكرين للنبوات والرد عليها ص١٩٢ .

المشركين " ﴾[1] ، وقوله ﷺ « لو زون إيمان أبى بكر بإيمان الأمة لرجح »[2] . فصار الصديق أمة ، رغم أنـه واحد ، وبالتـالى فـالكثرة العدديـة لا تعنـى صحـة العقيدة .

الآن وقد انتهينا من عرض الآراء فى الصابئة ، فإنه يمكن القول بـأن أقـرب من عبر عنـهم العلامة الشهرستانى ، من تسـميتهم أصحـاب الروحانيـات ، وهـو الذى سنعتمد عليه عند بيان شبه الصابئة التى اتفقوا عليـها ، لأنـه عـبر عنـها ، وذكر مقالاتهم[3] ، وربما عمد إلى بيان بعضها ، فما هـى شـبههم ؟ كمـا بـأن لنـا الرأى الذى انتهى إليه الشهرستانى ، وهو أن الصابئة ليسوا أصحاب دين ، وإنما هم أصحاب هوى ، وضلال عقلى ، وهو ما نميل إليه فى الحكم عليهم .

كما أن العلامة الشهرستانى قبل أن يتحدث عن الصابئـة قـال : « نحـن قـد فرغنا عمن يقول بالشرائع والأديان ، فلنتكلـم الآن فيمـن لا يقـول بـها ، ويسـتبد برأيه وهواه فى مقابلتهم »[4] ، وبالتالى فتصريح الشهرستانى يفيد أن الصابئة ، ممن لا يقول بشريعة ، ولا يقر بديـن ، وإنمـا شـريعة كـل منـهم عقلـه ، ودينـه هواه ، ومتعته إبطال الشرائع ، وإنكار الدين ، والطعن فى النبوة علـى مـا سـلف ذكره ، ولسنا مع الإمام ابن حزم القائل : « وكذلك وافقتنا الصابئة والمجوس على

---

(١) سورة النحل الآية ١٢٠ .

(٢) الدكتور عبدالحليم محمد صالح – السيرة النبوية جـ٢ الخلفاء الراشدون ص٣١ .

(٣) راجع الملل والنحل للعلامة الشهرستانى ، وكذلك الفصل فى الملل والأهواء والنحل للإمام ابـن حـزم الظاهرى ، والجواب الصحيح لشيخ الإسلام ابن تيميه ، والتبصير فى الدين وبيان الفرقة الناجية للعلامـة أبى المظفر الأسفرايينى .

(٤) العلامة عبدالكريم الشهرستانى – الملل والنحل جـ٢ ص٦٣ .

الإقرار ببعض الأنبياء »[1] . لأن الإقرار بالبغض كفر بالبعض الأخر . فينتهى الأمر إلى الكفر بالكل .

ولعل دعوى الإمام ابن حزم: أن الصابئة يؤمنون ببعض الأنبياء . قد أقامها على الرأى القائل بأنهم يؤمنون بشيث وإدريس ، ولكن من يلاحظ مناقشة الشهرستانى لهم ممثلا للحنفاء ، وقول الصابئة يميل إلى أنهم يقبلون القول ببعض الأنبياء دون تعيين أحد منهم . لأن البشر يترددون بين الخير والشر . لولا رحمة الله فى حق البعض ، وإلا فوضع اختيارهم كان ينزع إلى جانب الشر والفساد »[2] ، وقبولهم البعض دون البعض هو كفر بالجميع .

» ثالثا : شبه الصابئة فى إنكارهم للنبوات :

۞ الشبهة الأولى : الأنبياء بشر مثلنا فلماذا نؤمن بهم ؟

أجل كان منطلقهم لرفض النبوة هو النظر العقلى ، القائم على المقابلة للشيء بمثله ، فإذا كان الأنبياء يتلقون الوحى عن الملائكة ، والملائكة روحانيات . ويستطيع من يطهر نفسه من علائق المادة . أن يتلقى منهم مباشرة[3] . ويسمع عنهم من غير وسائط . فلماذا نلجأ للأنبياء . وهم من ذات نوعنا . ولا ميزة لهم علينا ؟

---

(١) الإمام ابن حزم الظاهرى – الفصل فى الملل والأهواء والنحل جـ١ ص٩٨ وبهامشه الملل والنحل للشهرستانى – دار الفكر بيروت – الطبعة الأولى .

(٢) العلامة الشهرستانى – الملل والنحل ص٨٤/٨٥ ، وقد أورد الشهرستانى مناظرة مطولة بين الصابئة والحنفاء استغرقت من ص٦٧/١٠٢ .

(٣) الأستاذ محمد عبدالجواد الأنصارى – شبهات المنكرين للنبوات ص١٩٥ .

۞ **وتقرير الشبة هو:**

« الأنبياء أمثالنا في النوع ، وأشكالنا في الصورة ، يشاركوننا في المادة ، يأكلون مما نأكل ، ويشربون مما نشرب ، ويشابهوننا في الصورة . إنهم أناس بشر مثلنا ، فمن أين لنا طاعتهم ، وأية مزية لهم ألزمت متابعتهم ؟ »[1] . ﴿ " ولئن أطعتم بشرا مثلكم إنكم إذا لخاسرون " ﴾[2] .

وقبل المضى قدما في الرد على الشبهة . أنوه إلى أن بشرية الرسل كانت قاسما مشتركا بين منكرى النبوات على وجه العموم . قال بها المنكرون من أقوام المرسلين . وقص القرآن الكريم علينا هذا الأمر في كثير من آياته[3] . التى سلف أن تحدثنا عن بعض منها ، أثناء تناولنا للمنكرين من أقوام المرسلين .

كما أن الاغترار بالعقل . والاحتكام إلى تحسينه الأحكام الشرعية أو تقبيحه . وقبوله أو رفضه يعتبر هو القاسم المشترك الثانى . بل ربما كان العقل الإنسانى . وهو يصور الاعتراض على بشرية الرسل ، كان يريد أن يبدأ بنفسه . ولكنه حياء في غير موضع حبسه عن هذا التعبير . وإلا فإن كل أدلته التى صاغها . إنما كان مرجعها إلى هذا العقل نفسه . ولهذا نوهت إليه . ونبهت عليه .

۞ **الجواب على الشبهة الأولى:**

إن المماثلة في النوع لا تعنى التماثل من كافة الوجوه على وجه الضرورة ، وفى النظر وجوه أيضا كما يلى :-

---

(١) العلامة الشهرستاني – الملل والنحل جـ٢ ص٦٥ .

(٢) سورة المؤمنون الآية ٣٤ .

(٣) شيخ الإسلام ابن تيميه – النبوات ص٧٥ ، وراجع حديثنا عن المنكرين للنبوات من أقوام المرسلين .

(١) فإذا قيل : إن المماثلة فى النوع كافية ، فهذه مردودة ، لأن الذكر ليس كالأنثى فى خصائصها البيولوجيــة ، وبما منح الله لأحدهما ، ومنح لغيره غيره ، فالأنثى لها رحم ، ثم هى تحمل ، وتلد ، وترضع[١] ، وليس كذلك الرجل . إذن المماثلة فى النوع لا تكفى ، للقول بأن البشر مثل الأنبياء . من هذه الناحية .

(٢) ثم إن المماثلة بين النوع الواحد لا توجد إلا عند اعتبار الجنس الأعلى للنوع ذاته ، وهذه ناحية منطقية ، تقوم على سلامة المقدمات ، وإن خالفت الواقع الفعلى . وبالتالى فالمماثلة بينا لنبى وباقى الناس ، من كافة الوجوه غير موجودة فى الواقع أصلا ، فما بالك إذا كان المطلوب إثباتها فى واقع الأنبياء أنفسهم[٢] ، الذين اختارهم الله تعالى بتلك الرسالة .

(٣) التماثل فى البشرية ، لا يعنى التماثل فى الإمكانيات ، فهناك الصحيح والسقيم ، والطويل والقصير ، وخامل الذهن ، ومتوقده ، وفاقد البصر ، وصاحب البصر الحاد . إذن التماثل التام فى المادة البشرية غير مسلم من كافة الوجوه العقلية المكنة[٣] بين الناس جميعا ، فلماذا يطالب الصابئة بتقديم ذلك التطابق فى دنيا الناس ، وهو غير وارد أصلا .

(٤) إذا وقع التماثل بينهم ، بالنقل لزم التسليم به كله ، حقا قال الله تعالى لنبيه محمد ﷺ أن يقول: ﴿ " قل إنما أنا بشر مثلكم يوحى إلي أنما إلهكم إله واحد

---

(١) راجع هربرت شيلو - الهرمونات (دراسة علمية) ص٧١ - ترجمة حسن حمدين .

(٢) الشيخ محمد منصور البنهاوى - الإسلام شريعة العدل والفضل ص٦١ .

(٣) الأستاذ حسان محمد عبدالباقى - النبوة الخاتمة ص٩٧ .

فاستقيموا إليه واستغفروه وويل للمشركين " ﴾[1] ، ولكن القـول لم يقـف عنـد هذا الحد ، وإنما أراد فيه بيان الفرق الـذى لا يقـع فيـه التمـاثل . وهـو قولـه تعالى ﴿ " قل إنما أنا بشر مثلكم يوحى إلي أنما إلهكم إله واحد فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملا صالحا ولا يشرك بعبـادة ربـه أحـدا" ﴾[2] ،وبالتـالى إذا وقع التماثل من وجه ، فإنه لا يقع فى بقيه الوجوه ، بـل ربمـا تكـون مسـائل التقوى والصلاح . وتأهيل الله للنبى ، فوارق لا يتمكن أحد من اكتسابها . ومن ثم فلا تكون هناك مماثلة ، ويلزم الإيمان بالنبوة ، وأن النبـى بشـر فـى ذاتـه البشرية ، ولكنه أعلى من كل البشر فى توفيق الله تعالى له ، وجعله يتمكن من الاتصال بالملأ الأعلى ، وتنزل عليه الملائكة . ويتلقى الوحى عن الله تعالى .

وقد عبر عن هذا الأستاذ عبدالكريم الخطيب ، حين قال: « الأنبياء جميعا من الصالحين ، لأنهم صفوة خلق الله ، وقد اختارهم الله ، واصطفاهم للسفارة بينه وبين عباده ، وليس يختار لهذه المهمة إلا أكرم الخلق ، وأفضل الناس فى كل أمة يبعـث فيـها رسـول . فكلمـة نبـوة تحمـل معـها كـل معـانى الحيـاة . للصـلاح والتقوى »[3] . ولا يكون القائم بها إلا النبى المعصوم . الذى يجعله الله فى الناس نورا يستضاء به ، فيخرجهم من الظلمات إلى النور بإذن ربهم ، إلى صراط العزيـز الحميد .

---

(١) سورة فصلت الآية ٦ .

(٢) سورة الكهف الآية ١١٠

(٣) الأستاذ عبدالكريم الخطيب – التفسير القرآنى جـ٣ – المجلد الأول ص٤٤٠ .

أما عن وجوب الطاعة لهم . فلأنهم يحملون كل معانى الخير للنـاس - فـى دنياهم وآخرتهم - ، ومن كان هذا شأنه ؛ وجبت طاعتـه[1] ، بـل إننـا فـى دنيـا الناس ، نشاهد أمما وممالك ، يسير أهلوها خلف أحد حكمائهم ، حتى إنه ليضع لهم القوانين ، ويسن لهم الأحكام ، ويقودهم إلى الهلاك ، حين يدخل معركة لمجرد أن يؤكد فيها ذاته ، أو يخفى بها بعض جرائمه ؛ فتعود القوم للهلاك .

ومع هذا فالقوم لـه مطيعـون ، لأنـه جنبـهم الهـلاك مـرة ، فـأوجبوا علـى أنفسهم طاعته كل مرة[2] ، فما بالك: لو أن هذا القائد هو الرسول ، الذى لا يدفع إلا إلى الخير ، ولا يسوق إلا إلى صالح النـاس: فـى دنيـاهم ومعاشـهم . ألا تجـب طاعته وجوبا عقليا ؟ نعم تجـب ، وتجـب نقليـا ، بـل وتجـب علـى كـل الوجـوه الممكنة .

وقد ضرب لنا القرآن الكريم مثلا بالأول ، الذى قاد قومه إلى الهلاك . وأنهم كانوا له طائعين . قال تعالى فى فرعون اللعين ﴿ " ونادى فرعون في قومـه قـال يـا قوم أليس لي ملك مصر وهذه الانهار تجري من تحتي أفلا تبصرون أم أنا خير من هذا الذي هو مهين ولا يكاد يبين فلولا ألقي عليـه أسـورة مـن ذهـب أو جـاء معـه الملائكة مقترنين فاستخف قومه فأطاعوه إنـهم كـانوا قومـا فاسـقين فلمـا آسـفونا انتقمنا منهم فأغرقناهم أجمعين فجعلناهم سلفا ومثلا للاخرين" ﴾[3] .

---

(١) راجع كتابنا : الغزاليات فى السمعيات ، وكتابنا : لماذا انتشر الإسلام .

(٢) الشيخ محمد منصور البنهاوى - الإسلام شريعة العدل والفضل ص٧٣ .

(٣) سورة الزخرف الآيات ٥١/٥٦ .

إذن هم أطاعوه طاعة وجوبية فرضها عليهم ، ولم يكفروا فى التخلى عنـه ، رغم أنه يوردهم الهلكة . ولكنهم تقبلوها طائعين . ويصور القرآن الكريم هذا الموقف فيقول: ﴿ " ولقد أرسلنا موسى بآياتنا وسلطان مبين إلى فرعون وملئه فاتبعوا أمر فرعون وما أمر فرعون برشيد يقدم قومه يوم القيامة فأوردهم النار وبئس الورد المورود وأتبعوا فى هذه لعنة ويوم القيامة بئس الرفد المرفود" ﴾[1] ، من ثم فإن طاعة النبى أولى من طاعة غيره ، بل هى الواجبة . أما طاعة غير النبى فهى فاسدة . لا تنجي صاحبها فى الآخرة .

وحيث إننا قد علمنا أن طاعة غير النبى قد حصلت من هؤلاء ، فطاعة النبى أولى . وبخاصة أن النبى لا يقود إلا إلى السعادة فى الدنيا والآخرة[2] . ثم يرجع توفيقه فى أداء ما كلف به إلى خالقه جل وعلا ، وقد قص القرآن الكريم علينا شيئا من ذلك فى قوله تعالى ﴿ " قال يا قوم أرأيتم إن كنت على بينة من ربي ورزقني منه رزقا حسنا وما أريد أن أخالفكم إلى ما أنهاكم عنه إن أريد إلا الاصلاح ما استطعت وما توفيقي إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب " ﴾[3] . إذن وجبت طاعة الرسول الآتى من قبل الله تعالى من كافة الوجوه ، وكانت بعثتهم من قبل الله تعالى هى التى تدفعنا إلى الالتزام بما يقولونه أو يفعلون ، يأمرون أو ينهون . يأتون أو يذرون .

---

(١) سورة هود الآيات ٩٦/٩٩ .

(٢) الأستاذ عبدالفتاح السيد حسن – النبوة والأنبياء ص٩٧ .

(٣) سورة هود الآية ٨٨ .

وتقرير تلك الشبهة يرد على جوانب كثيرة ، يمكن جمعها في ناحيتين :-

▣ **الناحية الأولى** : أن النبى يخبر عن نفسه بأنه نبى مرسل من قبل الله تعالى . وتلك دعواه هو ، فهل يجب الإيمان به لمجرد أنه ادعى النبوة ؟ مع أنه يلقى خبرا يقع بين الصدق والكذب ، بنسبة واحدة[1] ، ويستحيل مشافهة الله له خطابا يصدق به أنه نبى ؛ لأن الله لو خاطب الأنبياء مشافهة ليبلغوا الناس - لكانت مشافهة الله للناس مباشرة أقرب من مشافهة النبى ، الذى هو واحد منهم . ولتم الاستغناء بالمشافهة للناس جميعا ، عن إرسال الرسل[2] . وبعث الأنبياء مع أن ذلك لم يتم .

▣ **الناحية الثانية** : إن دعواه الصدق ، إما أن تكون مقترنة بفعل من ادعى النبوة ، مقدورة له ، ومن ثم فهى مقدورة لنا أيضا ، وإما أن تكون مقدورة لله ، على غير معتاد ، خارقا للعادات « فليس فى ذلك ما يدل على صدقه فى دعوته ، إذ هو فعل الله تعالى ، وليس فعل من جرت على يديه ، وهو مشروط بمشيئة الله تعالى ، وتخصصه منوط بإرادته »[3] ، فإذا حدث أن توافق الفعل الخارق مع دعوى النبوة ، فإن ذلك لا يعتبر دليلا على صدق النبى ، وإنما يعتبر من

---

(١) هذا الغرض غير مقبول عندنا ؛ لأن النبى صادق .

(٢) الأستاذ محمد فتحى غنيم - النبوة والرسالة قراءة جديدة ص١٣٩ .

(٣) العلامة الآمدى - غاية المرام فى علم الكلام ص٣٢١ ، وقد نسب الشبهة إلى البراهمة والصابئة ، معاط المجلس الأعلى للشئون الإسلامية لجنة إحياء التراث تحقيق حسن محمود ١٣٩١هـ .

قبيل الاتفاقات ، لا بقصد التصديق له فيما يقوله ، والتحقيق لـه »[1] . ومـن ثم تكون البعثة كلها - من وجهة نظر الصابئة ومن تجرى معـهم - عبثا ، لا يليق بالحكيم أن يصنعه بناء على أصلهم الفاسد من تحكيـم العقـل فـى الأمـور الغيبية[2] ، تحسينا أو تقبيحا ، دون احتكام إلى الشرع .

مناقشة الشبهة الثانية :

يرى العلامة الأمدى أن هـذه الشـبهة التـى تقـوم علـى تعـذر الوقـوف علـى « صدق الرسول بـالعقل - تصرح بتعجـيز الله تعـالى - عـن تصديـق مـن اصطفـاه ونبأه ، وجعله وسيلة إلى إصلاح نظام الخلق ، بالإرشاد إلى السبيل الحـق »[3] . قال تعالى ﴿ " كبرت كلمة تخرج من أفواههم إن يقولـون إلا كذبـا " ﴾[4] . ومـدار الكذب قائم على أساس تعجيز الله - عند الصابئة - عن تصديق رسوله . وهذا غير صحيح ؛ لأن الله يصدق رسوله بأمور شتى منها .

[1] انتصار الرسول على أعدائه :

حيث إن الله يخبر عن نصـرة رسـوله ، مـادام هـو المرسـل إليـه . وكيـف لا ينصره وهو الضامن لصحة رسالته ، ونصر الرسول يتبعه انتصار المؤمنين بالله معه

(١) العلامة الأمدى - غاية المرام فى علم الكلام ص٣٢١ ، وقد نسب الشبهة إلى البراهمة والصابئة ، معاط المجلس الأعلى للشئون الإسلامية لجنة إحياء التراث تحقيق حسن محمود ١٣٩١هـ .

(٢) وهذا الأصل الفاسد يجرى مع الصابئة والبراهمة قديما ، ويجرى مع أتباع الوضعية المنطقية ، والطبيعيـة والاجتماعية حديثا ، فأهل الإلحاد طريقهم واحد .

(٣) العلامة الأمدى - غاية المرام فى علم الكلام ص٣٢٧ ، وقد نسب الشبهة إلى البراهمة والصابئة ، معاط المجلس الأعلى للشئون الإسلامية لجنة إحياء التراث تحقيق حسن محمود ١٣٩١هـ .

(٤) سورة الكهف الآية ٥

في الدنيا ، وتلك علامة ظاهرة على صدق الرسول الآتي من قبل الله جل عـلاه[1] ، وفى الآخرة ، حيث لا تكون النجاة عند الله ، إلا للمؤمنين به جل علاه . والهلاك للكافرين الذين كذبوا رسل الله . ولم يؤمنوا بما أنزل الله فى كتابه . وعلى السنة رسله ، يشهد لذلك قوله تعالى ﴿ " إنا لننصر رسلنا والذين آمنوا في الحياة الدنيا ويوم يقوم الاشهاد " ﴾[2] ، فنصر الله للمؤمنين فى الدنيا : يؤكد أن ذلكالرسول صادق فى دعواه ، وأنه مبلغ حقا عن الله جل علاه .

[٢] غلبة الدين الذى يدعو إليه الرسول فى حياته :

ويبدو ذلك جليا فى الدين الحق ، الذى يأتى به الرسول الصادق عن الله تعالى . فما من نبى دعا قومه إلى الله ، إلا وجد معاندين يحاولون صرف الناس عن النبى ، ومهاجمة ذات الرسالة ، وبأكثر منهم أو أقل ينتشر نفس الديـن . حتى يكون بينا لكل ذى عقل . جليا لكل ذى فكر . وذلك فى حد ذاته يمثل لونا من الغلبة ، على سائر الآراء الموجودة فى عصره ، فإذا كان الرسول ينتصر عسكريا وسياسيا – فى مفهوم الانتصار السابق ذكره – ، فإنه فى الغلبة المطلقة ينتصر فكريا أيضا[3] ، بحيث يكون الدين الذى يدعو إليه هو الغالب .

نستأنس لذلك بقوله تعالى ﴿ " كتب الله لاغلبن أنا ورسلي إن الله قوي عزيز لا تجد قوما يؤمنون بالله واليوم الاخر يوادون من حاد الله ورسوله ولو كانوا آباءهم أو أبناءهم أو إخوانهم أو عشيرتهم أولئك كتب في قلوبهم الايمان وأيدهم

(١) الأستاذ محمد فتحى غنيم – النبوة والرسالة قراءة جديدة ص١٤١ .

(٢) سورة غافر الآية ٥١ .

(٣) الأستاذ عبدالفتاح السيد حسن – النبوة والأنبياء ص١٠١ .

بروح منه ويدخلهم جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها رضي الله عنهم ورضوا عنه أولئك حزب الله ألا إن حزب الله هم المفلحون " ﴾[1] . وما دام الدين والتعاليم الإلهية التى يدعوا إليها النبى ؛ هى التى تغلب غيرها . وتنتصر عليها – فإن ذلك الانتصار يكون من الأدلة على صدق الرسول . وتأييد الله تعالى له . من غير منازعة فى المسألة .

[٣] خلق العلم الضرورى فى المرسل إليهم :-

ذلك أن الخلق فى مجملهم يعرفون أن الله هو الخالق الرازق . من غير أن يبعث بهذه الأمور المعرفة الفطرية رسولا[2] . ولا تنازع المعقول السليمة فى ثبوت ألوهيته تعالى بذلك العلم الضرورى فيها . المخلوق من قبل الله عز وجل لها . من ثم فإنه سبحانه وتعالى يمكن أن يخلق فى المرسل إليهم علما ضروريا بصدق الرسول المبلغ عن الله تعالى . فيتم لهم الإيمان به بمجرد صدقهم به . أو تصديقهم له . وأخبر القرآن الكريم عن هذا اللون . من خلق الله العلم الضرورى فى نفوس المرسل إليهم . مع قوم يونس عليه السلام . فقال تعالى ﴿ " فلولا كانت قرية آمنت فنفعها إيمانها إلا قوم يونس لمآ آمنوا كشفنا عنهم عذاب الخزي في الحياة الدنيا ومتعناهم إلى حين " ﴾[3] .

ولا يغيب عن الأذهان أن خلق العلم الضرورى فى نفوس هؤلاء ليس من جهة النبى . إنما هو من جهة مرسله . وهو الله سبحانه وتعالى صاحب الأمر والنهى .

---

(١) سورة المجادلة الآيتان ٢١/٢٢ .

(٢) وهذا مما تشهد به النظرة السليمة ، والعقل الصحيح ، وقد أشار إلى ذلك العلامة الايجى ، وشارحه الجرجانى عند الحديث عن إثبات الصانع جل علاه .

(٣) سورة يونس الآية رقم ٩٨ .

والوجود والعلم ، والخلق والأمر ، الذى يتصرف فى ملكه كما يشاء ، ومن ثم فلا منازعة فى خلقه جل علاه هذا العلم فى المرسل إليهم . وبه يتم الوصول إلى صدق الرسول[1] ، المبلغ عن الله تعالى . وتصديق الناس له أيضا ؛ فبطلت شبهة النافين ، وتثبت حجة المثبتين .

[٤] الإخبار عن كون الرسول من قبل الله مرسلا :

وقد تم هذا اللون مع أخبار الأنبياء السابقين ، الذين تم تصديقهم من جهة أقوامهم المؤمنين بالله تعالى معهم – حيث ذكروا رسلا بعلامات وإمارات ، سوف تأتى فى المستقبل – شاملة الرسول ، والمرسل إليهم ، بل ربما ذكرت وصفاتهما ، وتكون هذه الأخبار من الأدلة الإلزامية على صدق الرسول[2] ، لأنها أخبار سبقته ، وأعلنت عنه مع التبشيرية ، لم يقم هو بإعلانها ، وإنما استقلت هى به ، وسبقت فى الإعلان عنه[3] ، من ذلك الأخبار التى وردت عن نبوة سيدنا محمد ﷺ فى الكتب السابقة ، وحتى لا يكون القول عاريا عن الدليل سأقدم مثالا من كل منها ، ثم نذكر ما ورد فى القرآن الكريم بهذا الخصوص ، وسيكون ذلك فى الفصل التالى . إن شاء الله .

---

(١) كالحال مع سيدنا أبى بكر الصديق ﷺ ، فقد خلق الله تعالى فيه العلم الضرورى ، بصدق سيدنا محمد ﷺ ، فما كان يخبر سيدنا محمد عن أمر غيبى مهما كان أمره ؛ إلا ويسارع الصديق ﷺ إلى إعلان التصديق به .

(٢) الأستاذ فتحى غنيم – النبوة والرسالة قراءة جديدة ص١٥٧ .

(٣) الأستاذ عبدالفتاح السيد حسن – النبوة والأنبياء ص١٠٧ .

ثالثا : المعطلة من العرب (عبّاد الأصنام)

« التعطيل لغة » : التفريغ ، والإخلاء[1] ، وترك الشيء ضياعا ، تقول العرب هي إبل معطلة ، لا راعى لها ، وتعطل الرجل: بقى بلا عمل ، وتعطلت المرأة : إذ لم يكن عليها حلى ، ولم تلبس الزينة ، لأنه قد خلا جيدها من القلائد[2] ، والمعطل من الأرض هو: الموات منها ، وثغر معطل: إذا ترك بلا حام يحميه[3] ، ومن أنكر البعث: فقد قال بالتعطيل ، لأنه ترك الكون ضياعا وهملا ، لا راعى له ، ولا مدبر لأمره ، وحاشا أن يكون كذلك[4] ، بل الله خالقه ، وهو الذى يحفظ أمره ويدبره .

والمعطلة من العرب قد أنكروا الرسل جملة مع أنهم يعترفون بالخالق وحده ، ويقرون بالبعث فى بعض صوره ، وكانوا يعيشون بين العرب ، فعرفوا بكونهم المعطلة فى العرب[5] ، وسماهم الشهرستانى : معطلة العرب ، وبين أنهم أصناف :-

- **الأول** : منكرو الخالق ، والبعث والإعادة ، ويقال عليهم الدهريون .
- **الثانى** : منكرو البعث والإعادة فقط ، ولكنهم يؤمنون بالخالق وحده .
- **الثالث** : منكرو الرسل ، وهم عباد الأصنام[6] .

(١) مجد الدين الفيروز أبادى – القاموس المحيط باب اللاو فصل العين وما يثالثهما .

(٢) المعلم بطرس البستانى – قطر المحيط .

(٣) راجع المنجد فى اللغة والأعلام باب العين والطاء .

(٤) الأستاذ محمد محمد عبداللطيف – حقائق ثابتة فى الإسلام ص٨١ ط أولى ١٣٩٤هـ/١٩٧٤م .

(٥) الشيخ محمد فهمى حسن المنياوى – المنكرون للنبوات (الأصل والهدف) ص٦٣ .

(٦) العلامة عبدالكريم الشهرستانى – الملل والنحل جـ٣ ص٧٩/٨٠ .

◈ **وعباد الأصنام هم الصنف الثالث ممن عدهم الشهرستانى ، أو منكرو الرسل ، وهم الذين نتحدث عنهم الآن فى تلك العجالة.. فمن هم ؟ ، وما هى شبههم ؟**

☜ **والجواب :**

أنهم : « الذين أقروا بالخالق ، وابتداء الخلق ، ونـوع الإعـادة ، وأنكـروا الرسل ، وعبدوا الأصنام . وزعموا أنهم شفعاؤهم عند الله تعالى فى الدار الآخرة . وحجوا إليها ، ونحروا لها ، وقدموا الهدايا ، وقربوا القرابـين ، وتقربـوا إليـها بالمناسك والمشاعر ، وأحلوا وحرموا ، وهم الدهماء مـن العـرب[1] ، الذيـن ورثـوا ذلك جيلا بعـد جيـل . وكـانوا يجعلونـه بـين أبنائـهم كالمـيراث ، يحـافظ عليـه السابق . حتى يستلمه منه اللاحق . وكانوا يتواصون بـه . دون أن يكـون لديـهم عليه شيء من دليل .

◈ **ولكن ما هى الشبه التى يعتمدون عليها ؟ فى إنكار النبوة**

☜ **والجواب** : إن إنكارهم للنبوات كان نابعا من نظرتهم إلى الرسول نفسه من كونه بشرا يأكل الطعام . ويمشى فى الأسواق . وليس ملكا متمـيزا ، ومـن ثـم فإنـه يمكن تفصيل شبهتهم فى الجوانب الآتية :-

▣ **الأول : بشرية الرسول** قال تعالى مصورا ذلك عندهم : ﴿ " وَمَـا مَنَـعَ النَّـاسَ أَن يُؤْمِنُواْ إِذْ جَاءهُمُ الْـهُدَى إِلا أَن قَـالُواْ أَبَعَـثَ اللّـهُ بَشَـرًا رَّسُـولا " ﴾[2] . فـهم

---

(١) العلامة عبدالكريم الشهرستانى – الملل والنحل جـ٣ ص٨٠ ، والدهماء جمع دهـم ، وهـم السـواد الأعظم من العرب ، الذين كانوا يعيشون على التقليد ، واحترام ما ورثوه عن الآبـاء والأجـداد ، ولم تكن لديهم الرغبة فى الخروج عن هذا الموروث ، أو التفكير فى كونه صالحا أم فاسداً .

(٢) سورة الإسراء الآية ٩٤ .

ينظرون إلى بشرية النبى ن وفى نفس الوقت يلتمسون أن يكون الرسول غير بشرى ، كأن يكون ملكا . أو شيئا مما لا يعرفونه من البشر .

▣ **<u>الثاني : رغبتهم في أن يكون ملكا</u>** . قال تعالى:﴿ " وقالوا لولا أنزل عليه ملك ولو أنزلنا ملكا لقضي الامر ثم لا ينظرون " ﴾[1] ، لأنه لو كان ملكا فلن يكونوا قادرين على التعامل معه ، أو التعرف عليه ، حينئذ لابد أن يكون فى صورة يمكنهم إدراكه عليها . فتأتى الصورة البشرية[2] . وبالتالى تعود المسألة . قال تعالى ﴿ " ولو جعلناه ملكا لجعلناه رجلا وللبسنا عليهم ما يلبسون" ﴾[3] .

▣ **<u>الثالث : إن الأصنام تغنى عن الأنبياء ،</u>** لأنها وسائلهم إلى الله . قال تعالى : ﴿ " ما نعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى إن الله يحكم بينهم في ما هم فيه يختلفون إن الله لا يهدي من هو كاذب كفار" ﴾[4] ، فهم اعترفوا بالخالق العظيم جل علاه ، لكنهم اتخذوا الوسائط التى تقربهم إليه . وهى وسائط غير مقبولة عند الله تعالى ، لأنها أصنام لم يأمر بها الله جل وعلا . لا صناعة . ولا عبادة ، بل نهى عنها وأمثالها من كل ناحية .

---

(١) سورة الأنعام الآية ٨ .

(٢) الشيخ محمد نور الدين البرماوى – نظرات فى سورة الأنعام ص٧٣ .

(٣) سورة الأنعام الآية ٩ .

(٤) سورة الزمر الآية ٣ .

■ **الرابع : عدم الاحتياج إليهم نظرا لفطرنا :-**

تقرير الشبهة :-

(١) أنكر عباد الأصنام النبوات جملة وتفصيلا[١] . لأن الذى يقوم بها ويبلغها للناس ، ما هم إلا بشر من بينهم . ومهما بلغت بذلك النبى فطانته فلن يزيد عن كونه بشرا[٢] ، من هنا كان رفضهم له لكونه من البشر ، وكل منهم يستطيع أن يدعيها – النبوة – لكن ليست لديهم الجرأة عليها .

(٢) ما دام ذلك المدعى للنبوة ، قد أعلن أنه نبى ، فالمفروض أن يكون صاحب سلطان وسطوة تخيف الناس جميعا منه ، وتجعله يغلبهم جميعا ، ويلزمهم بالقوة اعتقاد ما يأمر به[٣] ، ولا يكون ذلك إلا لملك ينزل من جهة الخوف والترقب ، جهة الأمل والحذر معا ، إلا وهى السماء ، حتى ينصاع الجميع لأمره[٤] ، ويقع شأنه فيهم موقع القبول المطلق .

(٣) ثم ما الحاجة إلى الأنبياء ، إن كانوا للتبليغ ، فهذا أمر لا يمكننا قبوله ، لأنه محل التنازع[٥] ، وإن كانوا واسطة وشفعاء لذات الإله ، فعندنا من الأصنام المنصوبة ما يكفى للشفاعة عند الله ، ولسنا بحاجة إلى هؤلاء الشفعاء المستجدين .

---

(١) الشيخ محمد نور الدين البرناوى – نظرات فى سورة الأنعام ص٤١ .

(٢) الشيخ محمد عبدالوارث – النبى الخاتم ص٦١ .

(٣) الأستاذ عبدالعاطى محمد منتصر – النبوة والأنبياء جـ٢ ص١٩٢ .

(٤) باعتبار أنه يتوهم العذاب الذى لا يمكنهم دفعه ، ولا يكون ذلك إلا إذا جاءهم من جهة السماء .

(٥) الأستاذ عبدالعاطى محمد منتصر – النبوة والأنبياء جـ٢ ص١٩٣ .

(٤) أما أن يكونوا قادمين إلينا بـأمر شـرعى ، فنحـن لا حاجـة لنـا بـه[١] . لأننـا بفطرتنا نعرف المنكر ؛ فنبتعد عنه ، والمعروف ؛ فنقترب منه ، ومن ثـم فـلا حاجة بنا إلى نبوة أو أنبياء ، وعلى هذا أنكروا النبوة .

والجواب عليهم من ذات الوجوه :

(١) **أن بشرية الرسول ليس مما يعاب عليه الرسول** ، أو تكون عاملا من عوامل جحد نبوته ، أو الكفر برسالته . أما لماذا ؟ فلأن الرسول لابـد أن يكـون مـن جنـس المرسل إليهم ، فلو كان المرسل إليهم ملائكة – لكان الرسول كذلك ملكا . حتى يقوم بأداء مهمته معهم على الوجـه الأكمـل . قـال تعـالى﴿ " قـل لـو كـان فـي الارض ملائكة يمشون مطمئنين لنزلنا عليهم من السـماء ملكـا رسـولا " ﴾[٢] ، وهكذا يسجل المولى سبحانه على خاصة رسله وأنبيائه ، إن وصـف البشـرية لا يحـط مـن أقدارهـم ، ولكـن ليعلـم المرسـل إليـهم ، أن هـؤلاء المرسـلين بشــر أمثالهم ، وليسوا ملائكة كما يرغبون . وإلا صار الإيمان بالله تعـالى عـن طريـق القسر والإلجاء[٣] . من ثم فإن بشرية الرسول مثلهم من صالح المرسل إليـــهم ، وهى تفضل من الله ورحمة .

ثم إن كون الرسول بشرا ، تجعل تحمله للتكاليف التى يبلغـهم بـها صـورة مثلى ، وقدوة يجب الاحتمال لذات التكاليف ، كما احتمل هو . قال تعالى ﴿ " لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجو اللـه واليـوم الاخـر وذكـر اللـه

---

(١) وهذا يكشف لنا أنهم جماعة من خصوم التكاليف الشرعية ، التى جاءت من عند الله .

(٢) سورة الإسراء الآية ٩٥ .

(٣) الأستاذ محمد محمد عبداللطيف – حقائق ثابتة فى الإسلام ص١٣ .

كثيرا " ﴾[١] . وفى الحديث الشريف : « وصلوا كما رأيتموني أصلي. فإذا حضرت الصلاة، فليؤذن لكم أحدكم، وليؤمكم أكبركم »[٢] .

(٢) رغبتهم فى أن يكون ملكا :-

رد القرآن الكريم عليهم بقوله تعالى ﴿ " ولو جعلناه ملكا لجعلناه رجلا وللبسنا عليهم ما يلبسون " ﴾[٣] . قال الإمام القرطبى « لأن كل جنس يأنس بجنسه . وينفر من غير جنسه . فلو جعل الله تعالى الرسول إلى البشر ملكا – لنفروا من مقاربته . ولما أنسوا به . ولداخلهم من الرعب من كلامه والاتقاء له . ما يكفهم عن كلامهم ، ويمنعهم عن سؤاله ، فلا تعم المصلحة من إرساله . ولو نقله من صورة الملائكة إلى مثل صورتهم – ليأنسوا به ، وليسكنوا إليه . لقالوا: لست ملكا ، وإنما أنت بشر . فلا نؤمن بك وعادوا إلى مثل حالهم »[٤] . فكان فى الرد عليهم الجواب الكافى . من ثم انمحت شبهتهم ، وثبتت النبوة عليهم .

---

(١) سورة الأحزاب الآية ٢١ .

(٢)صحيح البخاري للإمام البخاري – باب: الأذان للمسافر، إذا كانوا جماعة، والإقامة، وكذلك بعرفة وجمع، وقول المؤذن: الصلاة في الرحال، في الليلة الباردة أو المطيرة –في الحديث رقم: (٦٠٥) وروايته « حدثنا محمد بن المثنى قال: حدثنا عبد الوهاب قال: حدثنا أيوب، عن أبي قلابة قال: حدثنا مالك: أتينا إلى النبي صلى الله عليه وسلم، ونحن شببة متقاربون، فأقمنا عنده عشرين يوما وليلة، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم رحيما رفيقا، فلما ظن أننا قد اشتهينا أهلنا، أو قد اشتقنا، سألنا عمن تركنا بعدنا فأخبرناه، قال: (ارجعوا إلى أهليكم، فأقيموا فيهم وعلموهم ومروهم). وذكر أشياء أحفظها، أو لا أحفظها: (وصلوا كما رأيتموني أصلي، فإذا حضرت الصلاة، فليؤذن لكم أحدكم، وليؤمكم أكبركم) » .

(٣) سورة الأنعام الآية ٩ .

(٤)الإمام القرطبى – الجامع لأحكام القرآن الكريم جـ٦ ص٣٩٤ .

(٣) اعتبار الأصنام وسائل عند الله تغنى عن الأنبياء فى الوصول إليه :-

بين القرآن الكريم أن عبادة الأصنام باطلة . وشـفاعتها لا وجـود لهـا . بـل أنها غير مقبولة ، فقال تعالى ﴿ " إنكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم أنتم لها واردون " ﴾[1] . كما كشف زيف هذا الزعم ، لأن الأصنـام فـى حـد ذاتـها لا تنفع ، بل هى الضلال بعينه ، وإلى الهلاك تدفع أصحابها ، وطبيعتها الضر .

مما حدا بشاعر عربى إلى التهكم بهؤلاء القوم بأصنامهم ، وكان هو زيد بن عمرو بن نفيل[2] ، الذى قال :

أربـــا واحـــدا أم ألـــف رب ∴ أديـــن إذا تقســـمت الأمـــور

عزلـت الـلات والعــزى جميعــا ∴ كذلــك يفعــل الجلــد الصبــور

فــلا عــزى أديــن ولا ابنتيــها ∴ ولا صنمــى بنــى عمــرو أزور

ولا غنمــا أديــن وكـــان ربـــا ∴ لنـا فــى الدهـر إذ حلمـى يسـير

عجبـت وفــى الليــالى معجبـات ∴ وفــى الأيــام يعرفــها البصــير

بــأن الله قــد أفنـــى رجـــالا ∴ كثـيرا كـــان شـأنهم الفجــور[3]

بل إن التهكم بالأصنام والأوثان كان صورة راقية عند أذكياء العرب . تجلـى فيها الشعر العربى . أيام الجاهلية ، حتى كـان المقصود مـن التـهكم هـو العـابد نفسه . من خلال الصورة الرمزية فى الشعر ، من ذلك ما حكـى : أن كنانـة كـان

---

(١) سورة الأنبياء الآية ٩٨ .

(٢) راجع ترجمته فى الروض الأنف – السيرة الحلبية – البداية والنهاية وغيرها من كتب التراجم ، ففيـــها كلام طيب عنه .

(٣) محمد بن عبدالملك بن هشام – سيرة النبى محمد ﷺ ص٢٤٤ طبعة الشعب القاهرة ١٩٨٣م – تحقيـق الشيخ محمد محيى الدين عبدالحميد – كتاب التحرير .

لها صنم يقال له سعد ، يتوسطون به عند الله فى قضاء حوائجهم – حسب زعمهم – وكان يكفيهم مؤنة الأنبياء .

فقال الشاعر العربى ساخرا منه متهكما :-

أتينا إلى سعد ليجمع شملنا	∴	فشتتنا سعد فلا نحن من سعد
وهل سعد إلا صخرة لا قوى لها	∴	ترجى فلا تدعى لغى ولا رشد[1]

وفى (نهم) قال الشاعر :

ذهبت إلى نهم لأذبح عنده	∴	عنيزة نسك كالتى ليس يعقل
فقلت لنفسى حين راجعت عقلها	∴	أهذا إله ؟ أبكم لبس العقول
أبيت فدينى اليوم دين محمد	∴	إله السماء الماجد المتفضل[2]

ومن ثم فقد بان بطلان قولهم ، بأن الأصنام وسائط تغنيهم عن الأنبياء . وثبتت الحاجة – عندهم وغيرهم – إلى الأنبياء الله ورسله ، الذين يبلغون للخلق أوامر الخالق ونواهيه ، ويعرفونهم أوجه طاعته ، ويكشفون لهم عن الطرق التى تؤدى بهم إلى رضى الله فى الدنيا ، ورضوانه فى الآخرة ، على الوجه الذى نيط بالأنبياء والنبوة . وقد تعرضت لذكر جانب منه ؛ عند الحديث عن فوائد إرسال الرسل[3] ، مما لا حاجة بنا إلى إعادته .

(١) ابن الكلبى – الأصنام ص٣٧ هشام بن السائب – تحقيق أحمد زكى – المطبعة الأميرية .

(٢) ابن الكلبى – الأصنام ص٤٩ هشام بن السائب – تحقيق أحمد زكى – المطبعة الأميرية .

(٣) راجع فى هذا الشأن فوائد بعثة الرسل فى كتابنا : الغزاليات فى السمعيات ، وكذلك الكتاب الذى بين يديك الغزاليات فى النبوات .

(٤) عدم الحاجة إلي الأنبياء ، لأن الفطرة تغنى عنهم :-

والرد عليها فى ذات الناحية يتضمن الرد على غيرهم من كافة المنكرين للنبوات . الذين ادعوا أن العقل فيه كفاية عن الرسول والنبى . ونزيد القول هنا بأن الفطر مختلفة باختلاف الناس . شدة وضعفا . كما أنها تختلف بالإيجاب والسلب ، حسب إمكانيات كل فرد[١] ، فما هو الضابط عند هذه الفطر المختلفة ، الذى يجعل واحدة منها هى الفيصل فى المسألة ؟

والجواب : إن ذلك التشبث بالفطر والعقول الراجحة مجرد وهم . فإن الفطر مهما كانت سليمة . فإنها لا تعرف من أمور الدنيا إلا ما كان لها فيه تجربة ، أو لسابقها فيه نازلة[٢] . ومع هذا فمن قال أن ذلك يكفى الناس عن الأنبياء ، وقد طالعتنا آيات القرآن الكريم . أن أقواما عدة ، قد بلغتهم أنباء من قبلهم . ومع هذا فلم تملكهم فطرهم . ولم تتمكن من قيادتهم نحو الحق . فى العالم الواقع تحت المشاهدة ، وإنما انصرفوا عنهم ، فضلوا وأضلوا ، فما بالنا نحكم تلك الفطر فى أمور الغيب الذى هو أعلى من عالم الشهادة وأعمق ؟! .

والمتأمل فى حديث القرآن الكريم . يرى أن الفطرة إن كانت سليمة . قد يستدل بها على الله سبحانه وتعالى . ولكنها لا تغنى عن الأنبياء شيئا . حيث إن الفطر منها منغمس فى شهواته ، متابع لسلطان غريزته ، تقوده من أزمته شهوة عقله . وتدفعه من خلف سطوة فكره ، قال تعالى﴿ " وإذا تتلى عليهم آياتنا بينات قالوا ما هذا إلا رجل يريد أن يصدكم عما كان يعبد آباؤكم وقالوا ما هذا إلا

(١) الشيخ محمد فهمى حسن – المنكرون للنبوات (الأصل والهدف) ص٨٢ .

(٢) راجع فى هذا الشأن : نظرات فى سورة الأنبياء للشيخ عطية محمد عبدالمقصود ص٤٣ وما بعدها .

إفك مفترى وقال الذين كفروا للحق لما جاءهم إن هذا إلا سحر مبين وما آتيناهم من كتب يدرسونها وما أرسلنا إليهم قبلك من نذير وكذب الذين من قبلهم وما بلغوا معشار ما آتيناهم فكذبوا رسلي فكيف كان نكير " ﴾[1] .

ومنها ما هو قائم فى الأحوال ، متردد بين المنافع والمضار ، يجذبه الخبر مرة ، فيتردد فى الذهاب إليه ، ويتراءى له الشر مرة ، فيندفع إليه ، وكلما حاول تغلبت أحد الأمرين ، ارتد خاسئا وهو حسير[2] ، ومن كان ذلك شأنه ؛ فإنه لا يغنى عن الأنبياء أبدا .

ثم متى كانت الفطرة وحدها دافعا إلى العمل ، دون هداية النبى ؟ إن القرآن الكريم يطلعنا على أن هذه الفطر تلاشت أمام موروث الآباء والأجداد ، سواء كان الموروث قبيحا مذموما ، أو رذيلا مهجورا . قال تعالى﴿ " وإذا قيل لهم اتبعوا ما أنزل الله قالوا بل نتبع ما وجدنا عليه آباءنا أولو كان الشيطان يدعوهم إلى عذاب السعير " ﴾[3] . فالشيطان يدعوهم إلى المعاصى ، ولا يمكنهم التغلب على داعى الشر بفطرهم ، وإنما يأتى النبى مرسلا من قبل الله تعالى ، حتى يبين لهم هذا ، ويكشف تلك .

فهذه الآيات وأمثالها ، ترينا أن الفطر التى يتوكأ عليها المعطلة من العرب ، وغيرهم ممن يعتمدون عليها ، لا تكفى لإقامة بناء نافع فى الدنيا والآخرة ، بحيث تكون الفطر فيه بديلا عن النبوة الصادقة ، ومن هنا بان لنا بطلان ما ذهب

---

(١) سورة سبأ الآيات ٤٣/٤٥ .

(٢) راجع كتابنا : السعادة فى الفكر الإنسانى ، وكذلك كتابنا : الغزاليات فى السمعيات .

(٣) سورة لقمان الآية ٢١ .

إليه معطلة العرب ومن معهم : من أن النبوة لا حاجة لها . وثبت أن النبوة فضل من الله تعالى ، وأن البشر فى حاجة إليها ، والله تعالى أعلم ، حيث يجعل رسالته .

رابعا السمنية :-

هم قوم من الهند ، عاشوا فترة طويلة ، وكانوا يقولون بالتناسخ الروحى والجسدى ، حتى صار مذهبهم من جملة مذاهب أهل التناسخ ، ولهم فى النبوات رأى يقوم على إنكار النبوات . فمن هم السمنية ؟ وما هى شبهتهم ؟

أولا : التعرف بهم :-

ذكر الجذرى أن السمنية« نسبة إلى سومنات ، وهو اسم لصنم كان فى الهند ، أحرقه السلطان محمد بن سبكتكين سنة ٤١٦هـ[١] ، وهم فرقة شديدة البغض للبراهمة ، وقد كانت خراسان وفارس والعراق ، والموصل إلى حدود الشام فى القدم على دينهم ، إلى أن ظهر زرادشت من أذربيجان ، ودعا ببلخ إلى المجوسية ، وراجت دعوته ، فانجلت السمنية عنها إلى مشارق بلخ »[٢] . وظلت بها فترة ليست قليلة .

بيد أن مذهب السمنية ظل مطويا يتناقلونه فيما بينهم ، دون أن يعلنوا عنه حتى عرفهم المسلمون ، وتحدثوا عنهم ، وناقشوهم فى المسائل التى تعرضوا لها سواء فى الناحية الكلامية . أو الناحية الفلسفية . وكان لذلك أثره فى التعرف

(١) تاريخ الجزرى – نقلا عن ضحى الإسلام – الأستاذ أحمد أمين جـ١ ص٢٤٢ ط٩ مكتبة النهضة المصرية لسنة ١٩٧٧م .

(٢) البيرونى – تحقيق ما للهند من مقولة مقبولة فى العقل ، أو مرذولة ص١٠ .

علـى فكـر السـمنية . واعتقاداتـهم التـى يتوارثـها أفرادهـم علـى أنـها مـيراث الأجداد[1] . ويجب أن يحافظ عليه الأبناء والأحفاد .

ويذكر العلامة الأصفهانى : « أنه وجد بمدينة البصرة مجموعة من أصحاب الكلام ، بلغ عددهم ستة ، وهم عمرو بن عبيد ، وواصـل بـن عطـاء ، وبشـار بـن الأعمى . وصـالح بـن عبدالقـدوس ، وعبدالكريـم بـن أبـى العوجـاء ، ورجـل مـن الأزد . فكانوا جميعا يجتمعون فى منزل الرجل الأزدى . ويختصمون عنده . ثـم انتهى بهم المطاف إلى أن انتهى عمرو ، وواصـل حتـى صـارا إلى الاعـتزال . وأمـا عبدالكريم بن أبى العوجاء ، وصالح بن عبدالقدوس ، فصححا التوبة – وعـادا إلى مذهب السنة والجماعة – وأما بشار الأعمى فبقى متحيرا مخلطا ، وأمـا الأزدى ، فمال إلى قول السـمنية . وهو مذهب من مذاهب الهند . وبقى ظاهره على ما كـان عليه »[2] ، فدل الأمر على أن الرجل الأزدى ، لما انفصل عن زملائه فى السمر ، وخاصة الاجتماع ، عـاد إلى مـا كـان عليـه مـن مباشـرة المذهـب الـذى يدعـو إليـه السـمنية .

إذن السـمنية أصحاب مذهب من مذاهب الهند القديمة ، ولهم أنصار تفرقوا فى كثير من الأمصار ، كما لهم من الشبه على النبوات وغيرها ، ما يدفع لتقريرها والرد عليها ، على النحو الذى نورده فيما يلى .

---

(١) الشيخ محمد فهمى حسن المنياوى – المنكرون للنبوات (الأصل والهدف) ص٩١ .

(٢) العلامة أبو الفرج الأصفهانى – الأغانى جـ٣ ص٢٤ .

ثانيا : شبهتهم :

يقول أبو المظفر الأسفرايني عن السمنية من حيث الشبه التي استندوا إليها « هم قوم ينفون النظر والاستدلال . ويقولون بقدم العالم »[1] . وعلى مل فإن السمنية نسيج من التناسخية . القائلين بقدم العالم . ونفى النظر . وتبدل الأدوار والأكوار وتكافؤ الأدلة[2] ، على إن ما يهم الباحث ههنا ، هو الحديث عن إنكارهم للنبوات على وجه العموم . فإذا سلمنا أنهم كانوا من عباد الأصنام – حسب رواية البيروني – والتي رجحها صاحب ضحى الإسلام . فلا مناص من القول : بأن إنكارهم الألوهية كان قضية عقلية أصابت ناحية دينية ، وربما هذا ما يمثل أكثر الأوصاف انطباقا عليهم ، ولذا سنعمل على رد تلك الشبهة إلى صدورهم ، بمعنى أن السمنية لا يعترفون بوجود الله ، ويذهبون إلى أن العالم خلق نفسه . وليس بحاجة إلى خالق يخلقه ، ومدبر يدبره ، وتبعا لذلك انتهى أمرهم إلى إنكار النبوات أيضا . مع الأخذ فى الاعتبار أنهم قالوا بالتناسخ الروحى[3] . وهو أن تلبس روحى الشقى جسدا معذبا ، وروح السعيد جسدا منعما / فإذا فعل السعيد أعمال الشقاء ، فإن روحه تنتقل إلى جسد معذب ، وهكذا فى كل حالات النعيم والعذاب ، ولا يؤمنون بالآخرة .

---

(١) العلامة أبو المظفر الأسفرايني – التبصير فى الدين وبيان الفرقة الناجية جـ١ ص٩٧ – تحقيق الكوثرى – تقديم الدكتور محمود الخضيرى ط الأنوار سنة ١٣٥٩هـ/١٩٤٠م .

(٢) الإمام عبدالكريم الشهرستاني – الملل والنحل جـ١ ص٥٤ الهامش .

(٣) راجع كتابنا : أوراق منسية فى النصوص الفلسفية ص٣٨ – الطبعة الثانية ، ففيه حديث عن التناسخ وأنواعه : الروحى والجسدى .

والجواب :

إن الإمام الشهرستانى نفسه حدد هوية السمنية ، وغيرها من الطوائف المفاسدة ، بجانب الملل والنحل المتهافته ، فقال : « نحن قد فرغنا عمن يقول بالشرائع والأديان ، فنتكلم الآن فيمن لا يقول بها ، ويستبد برأيه وهواه فى مقابلتهم ، وهذا الوصف ينطبق على السمنية تماما ، كما ينطبق على أمثالهم من أصحاب الأهواء الباطلة والملل الضالة »[1] ، التى لا اعتداد بها ، ولكن الدارس يناقش أراءها ، حتى يتعرف أبناء الإسلام هؤلاء وأمراضهم ، وأولئك بجانب عللهم ، فيتعد عنهم ، ولا يستجيب أبدا إليهم .

ثم إنه إذا كان السمنية ينفون النظر والاستدلال ، والنفى فى حد ذاته نظر واستدلال ، لأنه لا ينفى النظر إلا من يعرف ما هو النظر ؟ وما هو حده وموضوعه ؟ وما هى أنواعه ؟ ومن عرف ذلك فقد نظر ، فإذا ادعى السمنية نفى النظر فقد نظروا[2] ، ومن ثم يصبح قولهم جدلا عقيما ، ودعواهم سفسطة لا جدوى من ورائها .

وإذا كانوا لا يعرفون لنظر وقد نفوه – فهم فى الجهالة قد وقعوا ؛ لأن المفروض فيمن ينفى أن يكون عارفا بما ينفيه ، فإذا لم يكن عارفا به ؛ كان قوله مردودا عليه .

كما أن الاستدلال فى حد ذاته طريق من طرق الوصول إلى النظر ، أما بالمعلول على وجود العلة ، ويسمى حينئذ بالدليل الإنى ، وأما بالعلة على وجود المعلول .

---

(١) العلامة الشهرستانى – الملل والنحل جـ٢ ص٦٢ .

(٢) لأن النفى قائم على معرفة المنفى ، من ناحية الحد ، والموضوع ، والغاية ، فيكون النظر قد تم .

وهو الدليل اللمى[1] . وعلى هذا فيقال لهم إن أنكرتم النظر والاستدلال . فأما أن يكون الإنكار علة أو معلولا ، وعلى أى الوجهين لابد لكم فى الوصول إليه أن تسلكوا طريق الاستدلال . وقد صرحتم بنفيه . فوقع أمركم فى تناقض . أنتم الذين حرصتم عليه .

وفى تقديرى : أن السمنية قوم لا يجمعهم إلا صنم ، وفكر ساقط . وخلق لا يرق إلى مستوى الخلق المتازين .لأنهم قالوا بقدم العالم من غير أن يقدموا سببا يستند إليه قولهم ، أو فكرة تنم عنها أدلتهم . وهذا فى حد ذاته حكم عليهم من أنفسهم بأنهم ليسوا فى عداد العقلاء ، ثم أنهم بإنكارهم لكل من : « ١- النبوات . ٢- النظر . ٣- الاستدلال » ، وتمسكهم بقدم العالم ، وتكافؤ الأدلة ، وسعيهم خلف صنم يحيطون به . ومن حوله يدورون لا يفكرون . قد أثبتوا تهافتهم ، وعدم الحاجة إلى مناقشتهم .

والباحث أكثر ميلا إلى أنه لا اعتداد بهم ، ولا وزن لفكرهم ، وذاكرة التاريخ أولى بإهمالهم . وإهالة التراب عليهم ونسيانهم . وأبلغ رد عليهم . وأمثالهم هو أن النبوة فضل من الله ورحمة . بجانب كونها منحة لعباده . وممكنة عقلا ، وواقعة فعلا ، ومثلها المعجزة ، سواء كان المعجز « وجود فعل غير معتاد مثله . أو تعجيز الفاعل بشيء معتاد عن فعل مثله »[2] ، وأنها فى الحالتين علامة صدق للنبى ، وأمارة حق على صدق دعوته ، وبالتالى صحت النبوات .

(١) الشيخ الشرباصى الحسنين - خلاصة فى أدب البحث والمناظرة ص١٥ ط٢ سنة ١٣٨١هـ/١٩٦١م شركة الطباعة الفنية المتحدة .

(٢) الأستاذ الإمام أبو منصور عبدالقاهر بن طاهر التميمى البغدادى - أصول الدين ط١٧١ ط٣ - دار الكتب العلمية - بيروت - لبنان .

وسـلمت المعجـزات ، وثبتـت الخـوارق للعـادات ، ﴿ " واللـه مـن ورائـــهم محيط " ﴾[1] .

›› خامسا : التناسخية :-

[أ] من هم ؟ [ب] ما هى شبهتهم ؟

[أ] **التناسخ هو** : « عبارة عن تعلق الروح بالبدن ، بعد المفارقة من بدن آخر . من غير تخلل زمان بين التعلقين للتعشق الذاتى بين الروح والجسـد »[2] . وعلـى هذا فالتناسخية هم الذين يقولون بانتقال الأرواح وتبدلها على الأبدان . بحيث تتوارد على البدن الواحد عدة أرواح ، فإن كانت السعادة هى الغاية – فإن الروح تتعلق بالبدن رقيا ، وإن كانت الأخرى ؛ انقلبت دونيا ، فتعلقت بجسم حيوان مقبول أو مرذول ، حسب إمكانيات الروح وما عملته .

ويـرى العلامـة البغـدادى أن التناسـخية أصنـاف أربعـة . وكلـها يجمعـها مذهب واحد ، فيقول « القائلون بالتناسخ أصناف ، صنف من الفلاسفة . وصنف من السـمنية ، وهذان الصنفان كانا قبل دولة الإسلام ، وصنفان آخـران ظـهرا فـى دولـة الإسـلام: أحدهمـا مـن جملـــة القدريـــة ، والأخـــر مـــن جملـــة الرافضـــة الغالية »[3] . وبهذا فإن العلامة البغدادى قد ذكر أنهم ليسوا قوما بعينـه . ولا طائفة معينة ، وإنما هـو فكـر يلتـف حولـه مـن تفـاعلوا معـه ، واسـتراحوا فـى

---

(١) سورة البروج الآية ٢٠ .

(٢) العلامة عبدالقاهر الجرجانى – التعريفات ص٦١ .

(٣) الإمام البغدادى – الفرق بين الفرق ص٢٠٣ .

أحضانه ، وكل ما يعتنق نفس الأفكار يوصف بأنه تناسخى ، بحكم الاعتقاد والفكر الغالب .

ويفسر العلامة الشهرستانى التناسخ هذا بقوله: « التناسخ هو أن تتكرر الأكوار والأدوار ، إلى ما لا نهاية له . ويحدث فى كل دور مثل ما حدث فى الأول ، والثواب والعقاب فى هذه الدار . لا فى دار أخرى لا عمل فيها . والأعمال التى نحن فيها إنما هى أجزية على أعمال سلفت منا فى الأدوار الماضية ، فالراحة والسرور ، والفرح والدعة التى نجدها هى مرتبة على أعمال البر التى سلفت منا فى الأدوار الماضية ، والغم والحزن ، والضنك والكلفة التى نجدها هى مرتبة على أعمال الفجور التى سبقت منا »[1] ، وينتهى به الأمر إلى اعتبار التناسخية جزءا من الصابئة[2] ، باعتبار العقائد والأفكار القائمة .

وفى تقديرى : أن اعتبار التناسخية جزء من الصابئة ، غير مسلم . أما لماذا ؟ فلأن القائلين بالتناسخ أكثر أصنافا من الصابئة[3] ، إذ الصابئة قوم طبيعتهم الخروج من دين إلى دين فهم لا يستمرون على حال واحد أبدا ، أما التناسخية فلا يؤمنون بدين ، ولا يعتنقون رسالة ، ومن ثم فلا هم يدخلون دينا ، ولا يخرجون من دين ، إنما هى أفكار اعتدوا بها ، وعلى أنقاض غيرها أقاموها ، ومع مرور الزمن طوروا فيها .

---

(١) الإمام عبدالكريم الشهرستانى – الملل والنحل جـ٢ ص١١٣/١١٤ .

(٢) العلامة الشهرستانى جـ٢ ص١١٢ .

(٣) الشيخ محمد فهمى حسن المنياوى – المنكرون للنبوات (الأصل والهدف) ص١٣٢ .

كما أن التناسخية بينهم فلاسفة ، وفيهم السمنية . وهكذا - كما قال الإمام البغدادى - قبل الإسلام ، ثم اعتنق آراءهم ، وصار استكمالا لهم . كل من القدرية والرافضة الغالية حسب قوله ، وليس الحال مع الصابئة ، ويعضد هذا أن الصابئة يعولون على الروحانيات[1] ، بينما يعلق التناسخية أملهم على المحسوسات ، وبالتالى فالصابئة غير التناسخية من هذه الناحية ، ولما مر ذكره .

[ب] **شبهات التناسخية :**

ذكر العلامة الآمدى شبه الغلاة من النافين للنبوات ، وقررها ثم كررها ، وعد منها أربع شبهات ، ثم قال: وزادت التناسخية على هؤلاء ، فقال ، ثم ذكر شبهة الأفعال الإنسانية[2] ، والباحث بين أمرين:

- **الأمر الأول** : إما أن تكون الشبه التى وردت كلها عند الأمدى ، قال بها التناسخية مع الغلاة . ثم استقلوا بزيادة شبهة الأفعال الإنسانية . وهذا بعيد ، لأن فحوى شبهتهم هذه ، قد ترد فى الشبهات اللاتى سلف ذكرها ، ومن ثم تكون الزيادة من باب التكرار الممل ، وهذا ما ندفعه عن الأمدى - رحمه الله - .

- **الأمر الثانى** : إن تكون الشبهات التى مر ذكرها كانت للغلاة والآتية وحدها هى التى للتناسخية . وهو الأمر الذى يمكن قبوله ، لأنها تتعلق بالحواس ، كما هو طبيعة منهجهم . ولذا سأعتبرها خاصة بهم - التناسخية - لما مر ذكره .

---

(١) الأستاذ عبدالعاطى محمود - الصابئة المدانية ص١٣ .

(٢) الإمام الأمدى - غاية المرام فى علم الكلام ص٣٢٣ .

۞ **تقرير الشبهة عندهم : وهى تقع فى شقين :-**

■ **الأول : هو أن مدار الثواب والعقاب ، إنما ينصب أساسا على الأفعال الإنسانية ذاتها ،** فهى إما أن تكون على منهج سليم : فيرتفع بها صاحبها إلى الملكوت ، بحيث تصير نفسه نبيا أو ملكا ، وبالتالى فلا حاجة إلى النبى الأتى من قبل الله ، لأن الفيصل فى المسألة هو العمل الإنسانى[1] .

وإما أن تكون الأفعال الإنسانية الصادرة من الإنسان هى نفس الأفعال التى تحدث من الحيوان ، حتى ينغمس فى الرذائل والشهوات ، فتكون النتيجة هى انحطاط نفسه إلى درجة الحيوانات أو أسفل منها[2] ، ويظل الأمر به على هذا الحال ، يعلو مرة ، أو ينخفض أخرى ، بالأفعال الإنسانية والمنهج الذى يحكمها ، ومن ثم فلا حاجة إلى النبى .

■ **الثانى : أن مدار الثواب والعقاب ، إنما يقع فى الدنيا ،** ويمارس على روح الإنسان بطريقة مستمرة : إذن فلا ثواب ولا عقاب ، ولا جزاء ، ولا حساب غير هذا الذى يتم فى دار الدنيا ، أما الآخرة فلا وجود لها عندهم ، لأن الثواب والعقاب يتحقق فى الدنيا ، فلا حاجة للآخرة ، أما ما هو سندهم فى المسألة ، فهو أن « ذلك كله مما عرف بالعقول على طول الدهر ، فلا حاجة بالإنسان إلى من هو مثله ، يحسن له فعلا ، أو يقبح له فعلا ، إذ لا يزال فى

---

(١) هذا بناء على أصلهم القائم فى أن مدار الثواب والعقاب ، أو النعيم والعذاب هو ذات العقل الإنسانى.

(٢) الأستاذ عبدالعاطى محمود – الصابئة المدانية ص١٩ .

فعل يجزى أو فى جزاء على فعل ، وهكذا على الدوام[1] من غير حاجة لشـيء أخر ، بعد الذى يعيشه المرء ذاته ، طبقا لما تجرى به الأفعال الإنسانية .

واجواب على الشق الأول :

هو أن مدار الثواب أو العقاب ليس على الأفعال الإنسـانية وحدها . أو فـى حد ذاتها ، وإنما الثواب أو على الالتزام بـالأمر الإلهـى ذاتـه علـى النحـو الـذى رسمه الله تعالى ، ولا يعرف هذا الأمر الإلهى على حقيقته ، إلا أنبياء الله ، لأنهم صحاب المنهج القويم ، الذى يستقبلونه من الوحى عن الله تعالى ، حتى يتمكنوا من تبليغه إلى المخلوقين[2] .

ثم إن النفوس إذا تركت وشأنها ، فما هو الضابط الذى يمكـن أن يقـال عليـه أنه المنهج السليم فى المسألة المعروضة ، بحيث يمكن تطبيقه على الجميع ؟ والعقل نفسه يقبل شيئا ويحسنه ، ثم يأتـى فى وقت أخر فيرفض ذلك الذى كان قد قبلـه ويستهجنه . إذن العقل لا يكفى فى معرفة الثواب والعقاب . والأفعال الإنسـانية وحدها لا تكفى هى الأخرى ، لأنها ستؤدى أعمالا على وجه قد يظن المؤدى له أن فيه لصواب ، بينما هو عين الخطأ .

وقد نبه القرآن الكريم إلى هذا فقال تعالى: ﴿ " الذين ضل سعيهم في الحيـاة الدنيا وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا أولئك الذيـن كفـروا بآيـات ربـهم ولقائـه

---

(١) العلامة سيف الدين الأمدى – غاية المرام فى علم الكلام ص٣٢٣/٣٢٤ .

(٢) الأستاذ عبدالصادق محمد محسن – النبوة بين الأنبياء والأدعياء ص١٩٥ .

فحبطت أعمالهم فلا نقيم لهم يوم القيامة وزنا ذلك جزاؤهم جهنم بما كفروا واتخذوا آياتي ورسلي هزوا " ﴾[1] .

أما المتعلق بالعمل الإنساني نفسه من حيث الأداء والأجر ، فهو محكوم بالفضل الإلهي ؛ يبدو ذلك في السنة النبوية المطهرة الصحيحة فعن : « أبي هريرة ﷺ قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: (لن يدخل أحدا عمله الجنة . قالوا: ولا أنت يا رسول الله؟ قال: لا، ولا أنا، إلا أن يتغمدني الله بفضل ورحمة، فسددوا وقاربوا، ولا يتمنين أحدكم الموت: إما محسنا فلعله أن يزداد خيرا، وإما مسيئا فلعله أن يستعتب) »[2] .، وبهذا بطل الشق الأول من الشبهة .

الجواب على الشق الثاني : وهو أن الشرائع السماوية تحدثت عن اليوم الآخر في شيء من التفصيل الضروري ، بحيث لم تترك صورته مبهمة ، وإنما أبانته بالقدر الذي يسمح بفهمه على النحو الذي يدفع المؤمن إلى الرغبة فيما عند الله ، والرهبة مما فيه من عقاب الله[3] . ومن هنا فلا قيمة لإنكارهم لليوم الأخر . أو

---

(١) سورة الكهف الآيات ١٠٦/١٠٣ .

(٢) صحيح البخاري – للإمام البخاري – باب: نهي تمني المريض الموت. – في الحديث رقم: ٥٣٤٩ – وروايته « حدثنا أبو اليمان: أخبرنا شعيب، عن الزهري قال: أخبرني أبو عبيد مولى عبد الرحمن بن عوف: .. » [٦٠٩٨، ٦٨٠٨].، [(عمله) أي أن عمله وحده لا يجعله مستحقا للجنة وموجبا لها، لأنه لا يقابل شيئا من نعم الله عز وجل على الإنسان، وإنما هو سبب لتفضل الله عز وجل بذلك ، (يتغمدني) يغمرني ويسترني، (فسددوا) اطلبوا السداد، وهو الصواب، بفعل القربات دون غلو ولا تقصير، (قاربوا) الكمال في الاستقامة إن لم تصلوا إليه ، (إما محسنا) إما أن يكون محسنا فيزداد ببقائه حيا ، (فلعله) بحياته ، (يستعتب) يتوب ويرد المظالم ويطلب رضا الله عز وجل ومغفرته].

(٣) راجع في هذا الشأن : كتابنا : الإيمان بالغيب وأثره على الفكر الإسلامي .

إنكارهم إرسال الرسل ، لأنه إنكار مبنى على رفض اليوم الآخر كلـه[١] ، بما فيه من موت ، وقبر ، فلا يسمع له ، ولا يقبل قوله[٢] . أما لماذا ؟

فلأن اليوم الآخر ذكر فى القرآن الكريم بأكثر من ثلاثمائة مرة . وإذا كـانت الزيادة فى المبنى تدل على الزيادة فى المعنى ، عند علماء اللغة ، فإن كثرة الأسماء تدل على عظم المسمى عنـد أهـل الفقـه عـن الله تعـالى أيضـا ، وعلـى هـذا فالأسماء العديـدة التـى جـاءت بأسمـاء سـورة قرآنيـة ليـوم القيامـة : كالحاقـة[٣] . والقارعـة[٤] . والزلزلـة[٥] . والانفطـار[٦] . والانشـقاق[٧] . وغيرهـا مـن أسماء السور القرآنية ، والطامة ، والصاخة ، والراجفة ، والرافة . يؤكد علـى أن اليـوم الآخر حقيقة ، بحيث يكون الرد على شبهة التناسخية أمرا ميسـورا ، والشـبهة فى حد ذاتها ساقطة . ويكفى أن اليوم الأخر لم يجريه أحد ، وإنما هو غيـب مـن غيوبات الله تعالى . ولا مجال للعقل فيه . إلا من حيث التصديق بما ورد عنه فـى النقل المنزل ، ومن ثم فليس له الحق فى إدعاء معرفته ، فضلا عن يكون لـه شأن فى قبوله أو إنكاره .

---

(١) الشيخ محمد أحمد نصر الله – القول الفصل المبين ص١٩٣ .

(٢) ولا شك أن منكر اليوم الأخر كافر بإجماع أهل الإسلام ، لأن الإيمان باليوم الأخـر جـزء العقيـدة الإسلامية التى جاء بها القرآن الكريم والحديث النبوى الصحيح .

(٣) سورة الحاقة مكية وآياتها ٦٩ أية .

(٤) سورة القارعة مكية وآياتها إحدى عشرة آية .

(٥) سورة الزلزلة مدنية ، وعدد آياتها ثمانى آيات .

(٦) سورة الانفطار مكية وعدد آياتها تسع عشرة آية .

(٧) سورة الانشقاق مكية وعدد آياتها خمس وعشرون آية

وقد رد العلامة الأمدى على شبهة التناسخية هذه : بأن الأفعال من حيث هى أفعال لا تكون قبيحة ولا حسنة لذاتها ، وإنما يحكم عليها بالأثر الصادر عنها . فلو ترك الأمر معلقا على العقل فى تحسينها أو تقبيحها - لوقع كل فعل فى تجارب عديدة . تؤدى به فى النهاية إلى النجاة أو الهلاك . على قدر سواء[1] . مع الوضع فى الاعتبار : أن التجارب هذه - التى سوف يقوم بها ذات العقل الإنسانى - نتائجها غير معروفة مسبقا . والعقل لا يكفى وحده فى القيام بها ؛ ولذا لزمتهم الحاجة إلى نبى يعرفهم المصالح التى هى ضرورية لهم . وما يفرق بينها والأخرى التى فيها من المفاسد الضارة بهم . وبالتالى تثبت النبوة من هذه الناحية .

فيقول : « لابد من معرف بالطرق الجيدة ، والأحوال السديدة ، التى يتعلق بها صلاح الخلق فى مآلهم ، فإن ذلك مما لا يعرف بالعقل ، إذ الأفعال مما لا تقبح . ولا تحسن لذواتها . حتى يسبق العقل فيدرك الصالح والفاسد منها . بل لعل العقل قد يقبح - مع النفس - بعض الأفعال التى تحصل بها الملاذ . وتتعلق بها الأغراض ،إذا قطع النظر عما يتعلق بها من الملاذ »[2] . هذا عن الأفعال الإنسانية ، التى عليها الثواب والعقاب - كما يدعون - .

أما عن تردد الإنسان بين العالم العلوى والسفلى بالأثر الصادر عن فعله ، فإن العلامة الأمدى يرد عليها بقوله :

(١) الأستاذ محمد السيد نور الدين - أثر العقيدة الإسلامية فى النفوس ص١٩٧ .

(٢) العلامة سيف الدين الأمدى - غاية المرام فى علم الكلام ص ٣٣٩ .

« ثم إن العبد إذا انتهى إلى العالم العلوى أو السفلى جزاء على فعله ، بحيث يكون فى العلو تارة ، والسف أخرى[1] ، طبقا لأعماله التى يقوم بها ، بناء على فكر التناسخ ، التى هى عماد القول عندهم ، فما يفعله فى حالة خسته ، أو فى حالة رفعته ، مما يوجب اقتضاء زيادة فى حالة ، يبقى مما لا مقابل له ؛ لانتهائه فى درجة الثواب ، إلى ما لا درجة للثواب بعدها ، وكذلك الحال فى درجة العقاب أيضا ، وهو مما يقضى إلى تعطيل من هو فى الدرجة العليا عن الثواب ، ومعصية من هو فى الدرجة السفلى من العقاب ، وهو مما يقبح على موجب اعتقادهم ، ولا محيص عنه »[2] .

وهو قول غير سديد ، لأنه على فرض رقيه فى درجات الثواب إلى أعلاها ، بناء على الأفعال الحسنة التى قام بها ، فهل سيقف به الحال عند هذا الحد من العلو فى الدرجة التى وصل إليها مبكرا ، رغم أنه ما يزال يقدم من الأفعال الحسنة أكثرها حسنا[3] ، وذلك مما يستلزم المزيد من الرقى أو سيتوقف به الحال ، فلا يرقى درجات ، رغم أنه ما زال يؤدى حسنات[4] ، وبالتالى فسوف يتساوى الذى وصل إلى أعلى درجات الثواب ، وعاش أعواما بعدها ، فى نفس الدرجة ، مع من وصل إليها اليوم فقط ، رغم ما بينهما من تفاوت فى الزمان والأعمال الصالحة ، ما يستلزم مزيدا من رفعة الأول ، لا تتحقق للثانى ، والعقل يوجب ضرورة التفرقة بناء على فكرتهم الأصلية فى المسألة .

---

(١) الشيخ محب الدين عبدالعظيم – دراسات فى النبوة والأنبياء ص١١٥ .

(٢) العلامة سيف الدين الأمدى – غاية المرام فى علم الكلام ص ٣٣٩/٣٤٠ .

(٣) الأستاذ عبدالكريم محمد عبدالعال – سمات الملحدين قديما وحديثا ص١٧٥ .

(٤) الشيخ محمود أحمد فؤاد – دراسات فى النبوة والأنبياء ص١٦٣

وكذلك من تدنى إلى أدنى درجة الخسة ، وظل يباشر أفعالا خسيسة ، أو تؤدى إليها ، وعاش على ذلك ردحا من الزمان . فإنه يتساوى مع من نزل إليها الآن فقط ، وتتم المساواة بين الفاجر الذى لم يفعل حسنات أبدا . وبين المخطئ الذى وقع فى المعصية مرة واحدة[1] ، وبالتالى يهبط الثواب والعقاب كل من أعلاه ، وتنحط المدارك .

بل إن ذلك الزعم الباطل سيفتح باب المعصية على أوسع ما يمكن ، ما دام الكل فى المعصية سواء . ولا أظن عاقلا لبيبا يعول على هذا القول الفاسد الذى يقولن به . أو يستند إليه ، فبطلت شبهة التناسخية من ذلك الشق أيضا ، وثبتت النبوة: عقلا ، وسمعا ، وفعلا .

وهناك منكرون للنبوات غير من عددنا[2] . لكن جميعهم لا تخرج أقوالهم عن كونها سقطات فكرية يتعاوى أصحابها حولها بشبه يتوارثونها فيما بينهم ، والجواب عليهم نفس الجواب على من سبقهم .

◈ **لكن ربما يتوارد إلي ذهن القارئ سؤال : لماذا لم تذكرهم على سبيل الإجمال ، حتى يعرف القارئ بهم ، ما دامت الشبه واحدة ، والتشابه بينهم قائما ؟ والجواب أنى - إن شاء الله تعالي - سأذكرهم إجمالا بقدر الطاقة ، أما الفوارق التفصيلية فذلك له وقت أخر ، ومع ذلك سأذكر الباقى فيهم إجمالا على النحو التالي :**

---

(١) الشيخ فضل الله محمد عبدالجواد – دراسات فى العقيدة الإسلامية النبوات ص٢٦١ .

(٢) راجع سمات الملحدين قديما وحديثا ، النبوات بين المثبتين والمنكرين ، النبوة الخاتمة ، ودراسات فى النبوة والأنبياء والرسالة قراءة جديدة .

(١) **المصرون على الخلاعة وعدم المبالاة**[١] . وهم الذين ينكرون النبوة . ويرفضون الأنبياء . ويكفرون بالرسالات . لأنها قيد على تصرفاتهم ومجر على إرادتهم .

(٢) **أصحاب الإباحة**[٢] . الذين انفرطوا من عقدة الشرع كله . وتركوا لأنفسهم اتخاذ ما تراه مناسبا من غير التفات لشرع الله أبدا .

(٣) **حكماء الهند من البراهمة** ، وحكماء العرب وهم شرذمة قليلون ، وحكماء الروم[٣] ، وغيرهم ممن كانت الفلسفة سبيلا لإضلالهم . يدل أن تكون طريقا لبلوغهم الحق والعدل والخير .

(٤) **أهل التخييل من الملاحدة المتفلسفة والباطنية** ، وغيرهم ممن يركنون ذلك الطريق ويسيرون فيه حتى النهاية .

(٥) **أهل التحريف والتأويل من أصحاب المذاهب المختلفة .**

(٦) **أهل التجهيل** ، وهؤلاء الذين عندهم ما يناقض بعض ما أخبرت به الرسل . وهم الأصناف الأخيرة من الرابع إلى السادس[٤] .

(٧) **ابن الراوندى : أحمد بن إسحاق**[٥] .

---

(١) العلامة السعد التفتازانى – شرح المقاصد جـ٢ ص١٢٩ .

(٢) الإمام البغدادى – الفرق بين الفرق ص٢٠١/٢٠٢ .

(٣) العلامة عبدالكريم الشهرستانى – الملل والنحل جـ٢ ص١١٨ وما بعدها .

(٤) شيخ الإسلام الإمام ابن تيميه – الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح جـ٤ ص٣٢٠ وما بعدها – تحقيق على السيد صبح المدنى – مطبعة المدنى بالقاهرة .

(٥) الدكتور إبراهيم مدكور – فى الفلسفة الإسلامية منهج وتطبيق ص٨٠ وما بعدها . وقد غسب عسى الدارسين ذكر أنه كان من منكرى النبوات .

(٨) أبو بكر الرازى - الطبيب محمد بن زكريا[١] .

(٩) أبو العلاء المعرى[٢] . لست مع أصحاب القول بأن أبا العلاء كان ملحدا ،لأن عباراته يجب أخذها من غير احتزاء لبعضها[٣] ، بل لابد من النظر فيها ككل . فإذا فعل المرء ذلك أدرك أن أبا العلاء كان مؤمنا على درجة كبيرة من التقوى والصلاح .

هذا مجمل ما وفقنى الله تعالى لجمعه ، من الأشتات المتفرقات ، وأظنه كافيا فى تقديم المنكرين للنبوات ، إجمالا فيما أجملت ، وتفصيلا فيما فصلت .

---

(١) الدكتور إبراهيم مدكور – فى الفلسفة الإسلامية منهج وتطبيق ص٨٣ وما بعدها – مكتبة الدراسات الفلسفية – دار المعارف بمصر ط ١٩٦٨م ، وأنا لا أوافق صاحب الرأى بأن هذا الرازى كان منكرا للنبوات ، وإنما كل ما يمكن قوله هو أن خصوم الرجل شنعوا عليه ، واستغلوا بعض الألفاظ الموهمة ، وبدل أن يجدوا لها مخرجا ، أو محملا يحملوها عليه ، اتجهوا إلى عقيدة الرجل ، والله تعالى أعلم بمن الطائع ومن العاصى .

(٢) الأستاذ عبدالكريم الخطيب – النبى محمد ص٦٦ .

(٣) راجع أبو العلاء المفترى عليه ، وكذلك أبو العلاء بين الأنصار والخصوم ، إلى غير ذلك من المؤلفات التى عنى أصحابها بالموضوعية .


الفصل الثامن
إثبات نبوة سيدنا محمد
صلى الله عليه وسلم



تمهيد

بعث الله سيدنا محمدا ﷺ خاتما للأنبياء والمرسلين . قال تعالى ﴿ " مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَكِن رَّسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا " ﴾[١] ، وبالتالى فالآية الكريمة قد ذكرت – على سبيل التصريح والتأكيد . الذى لا يقبل شيئا من إعادة النظر فيه – أمرين :–

❁ **الأول** : أن سيدنا محمدا رسول الله للعالمين ، وليس رسولا لطائفة بعينها .

❁ **الثانى** : أن رسالته خاتمة للرسالات جميعها ، مهيمنة عليها ، شاملة لها.

وأخبر جل شأنه عن طبيعة الرسول الكريم سيدنا محمد ﷺ ، فقال جل علاه ﴿ " يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا وَدَاعِيًا إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجًا مُّنِيرًا وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ بِأَنَّ لَهُم مِّنَ اللَّهِ فَضْلًا كَبِيرًا " ﴾[٢] .

وتضمن ذلك الأخبار عن أمور عديدة :-

(١) أن المخاطب المعلن عنه ، المنادى من قبل الله تعالى نبى مرسل معا .

(٢) أنه ﷺ مرسل إلى الناس كافة . قال تعالى ﴿ " وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلا كَافَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَعْلَمُونَ " ﴾[٣] .

(٣) أنه ﷺ شاهد على كون الله بعثه . وأنه شاهد كذلك على أمته . مبلغ لهم .

---

(١) سورة الأحزاب الآية ٤٠ .

(٢) سورة الأحزاب الآيات ٤٥/٤٧ .

(٣) سورة سبأ الآية ٢٨ .

(٤) أنه ﷺ مبشر عن الله ؛ لأهل الإيمان بالجنة والرضوان . قال تعالى : ﴿ " وبشر الْمُؤْمِنِينَ بِأَنَّ لَهُم مِّنَ اللَّهِ فَضْلا كَبِيرًا" ﴾[1] .

(٥) أنه ﷺ من نذير من الله تعالى لأهل الكفر والعصيان بالعذاب والنيران .

(٦) أنه ﷺ هو وحده الداعي إلى الله بعد من سبقه من رسل الله ، المأذون له من قبل الله ، فلا رسالة بعد رسالته ، ولا نبوة قائمة مع نبوته ، فهو النبي القائم ، والرسول الخاتم[2] ، وهو رحمة الله للعالمين جميعا من غير استثناء .

(٧) أنه ﷺ السراج المنير ، حتى يخرج الناس من ظلمات الكفر إلى أنوار الإيمان . قال تعالى ﴿ " الله ولي الذين آمنوا يخرجهم من الظلمات إلى النور والذين كفروا أوليآؤهم الطاغوت يخرجونهم من النور إلى الظلمات أولـئك أصحاب النار هم فيها خالدون" ﴾[3] .

« وعن أبي موسى ﷺ عن النبي ﷺ أنه قال : قال "إن مثلي ومثل ما بعثني الله به كمثل رجل أتى قومه. فقال: يا قوم! إني رأيت الجيش بعيني. وإني أنا النذير العريان فالنجاء النجاء . فأطاعه طائفة من قومه. فأدلجوا فانطلقوا على مهلتهم. وكذبت طائفة منهم فأصبحوا مكانهم. فصبحهم الجيش فأهلكهم

(١) سورة الأحزاب الآية ٤٧ .

(٢) الشيخ محمد منصور عبدالوارث – النبي الخاتم ص١٩٣ .

(٣) سورة البقرة الآية ٢٥٧ .

واجتاحهم. فذلك مثل من أطاعني واتبع ما جئت به. ومثل من عصاني وكذب ما جئت به من الحق" »[١] .

ونبوة سيدنا محمد ﷺ ، وكونه خاتم الأنبياء ، ورسالته خاتمة الرسالات إلى يوم الدين ، اجمع عليها العقلاء من بنى البشر أجمعين . لأنه ﷺ ادعى الرسالة ، وختم النبوة ، وأيده الله بالمعجزات الدالة على تصديق الله له فى كل ما ادعاه ودعا إليه . ومن ثُمَّ فلا مكان للجدل فى المسألة ، إذ الأكيد على سبيل اليقين القطعى أنه ﷺ خاتم الأنبياء والمرسلين . وأنه مرسل من قبل الله إلى العالمين . قال تعالى : ﴿ " وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إلا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ" ﴾[٢] .

---

(١) صحيح مسلم – باب شفقته صلى الله عليه وسلم على أمته، ومبالغته في تحذيرهم مما يضرهم . الحديث رقم : (٢٢٨٣) ، وروايته « حدثنا عبدالله بن براد الأشعري وأبو كريب (واللفظ لأبي كريب). قالا: حدثنا أبو أسامة عن بريد، عن أبي بردة، عن أبي موسى ... » ، وأخرجه الإمام البخارى فى صحيحه – باب: الانتهاء عن المعاصي – الحديث رقم: ٦١١٧ –ونصه « حدثنا محمد بن العلاء: حدثنا أبو أسامة، عن بريد بن عبد الله بن أبي بردة، عن أبي بردة، عن أبي موسى قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (مثلي ومثل ما بعثني الله، كمثل رجل أتى قوماً فقال: رأيت الجيش بعيني. وإني أنا النذير العُريان، فالنجاء النجاء، فأطاعه طائفة فأدلجوا على مهلهم فنجوا، وكذبته طائفة فصبَّحهم الجيش فاجتاحهم) » والمراد بـ : [(أنا النذير العريان) قال العلماء. أصله أن الرجل إذا أراد إنذار قومه وإعلامهم بما يوجب المخافة نزع ثوبه وأشار به إليهم إذا كان بعيدا منهم ليخبرهم بما دهمهم. وأكثر ما يفعل هذا ربيئة قومه. وهو طليعتهم ورقيبهم. (فالنجاء) أي انجوا النجاء، أو اطلبوا النجاء. (فأدلجوا) معناه ساروا من أول الليل. أدلجت أدلج إدلاجا كأكرمت أكرم إكراما والاسم الدلجة. فإن خرجت بالليل قلت أدلجت أدلج إدلاجا، بالتشديد. والاسم الدلجة بضم الدال. (على مهلتهم) هكذا هو في جميع نسخ مسلم. (اجتاحهم) استأصلهم]. وراجع التاج الجامع للأصول من أحاديث الرسول جـ١ ص٣٣ – ط ملحق جريدة الأزهر .

(٢) سورة الأنبياء الآية ١٠٧ .

وقد افاض علماء الإسلام فى بيان دلائل نبوته ﷺ . وفى كل ما يتعلق بتلك النبوة الخاتمة المباركة – على نبينا أفضل الصلاة وأتم التسليم – وها أنذا[1] . أحاول تقديم بعض الشهادات الموثقة من كتب السابقين ، التى هى بأيديهم على كونه ﷺ نبيا ورسولا ، وخاتما للرسل أجمعين . سواء كان ذلك منهم تصريحا . أم تلميحا :-

أولا : التوراة :

فى سيدنا محمد ﷺ مبشرة به ، مما يعتبر من الإخبار عن كون الرسول مرسل من قبل ربه . قال الله لموسى بن عمران « إنى أقيم لبنى إسرائيل من إخوتهم نبيا مثلك ، أجعل كلامى على فيه ، فمن عصاه انتقمت منه »[2] . بل إن هناك من النصوص ما أكد على ذلك مرارا كثيرة . فقد جاء فى العهد القديم أيضا :« لا يخلف من بنى إسرائيل نبى مثل موسى[3] ، والعهد القديم فى حديثه عن إسماعيل جد العرب . أكد على أن إسماعيل سوف « يضع فسطاطه فى وسط

---

(١) لأنه سبق لى أن قدمت بعض الملامح للنبوة الخاتمة فى كتابى (حصاد الاقتصاد فى الاعتقاد جـ٤ إثبات نبوة سيدنا محمد ﷺ) وإن أمد الله فى العمر ، ويسر فى الأسباب ، سأحاول متابعة الكتابة حول النبوة الخاتمة ، بحيث يكون شاملا ، لما أريد بحثه والفضل من الله تعالى .

(٢) العهد القديم – سفر التثنية الإصحاح ١٨ الفقرة ١٥ وما بعدها ، وفى نسخة أخرى « إنى أقيم لبنى إسرائيل من إخوتهم نبيا مثلك ، أجعل كلامى فى فيه ، فيكلمهم بكل ما أوصيه به ، ويكون ابن الإنسان الذى لا يسمع لكلامى الذى يتكلم به باسمى أنا أطالبه » سفر التثنية الإصحاح ١٨ فقرات ١٨/١٩ .

(٣) العهد القديم – سفر التثنية الإصحاح ٣٤ الفقرة ١٠ .

بلاد إخوته »[1] ، وسيكون من إسماعيل شعب كبير ، وخلف كثير ، وسيبلغ أمر نبيه أعلى مكان .

والملاحظ أن العهد القديم يجعل إخوة بنى إسرائيل نوعين :- النوع الأول : هم العرب ، والنوع الثانى : هم الروم ، وأعنى بهم سكان الأردن ، الذين هم من نسل عيسو بن إسحاق بن إبراهيم عليه السلام من سارة[2] ، والمعلوم تاريخيا أن الروم لم يكن فيهم من الأنبياء سوى أيوب عليه السلام . وكانت بعثته قبل نبى الله موسى عليه السلام بزمن ، من ثم فلا يعقل أن يكون فى النبوات أمر يوحى بأن تلك البشارات هى إلى الروم ، أو إلى أيوب عليه السلام ، لأنه بعث من قبل أن تنزل التوارة على سيدنا موسى بن عمران عليه السلام .

والتوراة نزلت فقد جاءت لاحقة عليه . وبالتالى فلا تنصرف البشارة التى ورد ذكرها إلاَّ إلى العرب ، وهم النوع الثانى ، ولم يأت نبى من العرب . إلاَّ سيدنا محمد ﷺ ، فقد صح الخبر ببعثته قبل مجيئه ﷺ[3] ، وقد ذكر العلامة الطبرى فى رواية عن وهب بن منبه أن أيوب كان فى الروم ، وأنه كان من ولد إبراهيم عليه السلام من إسحاق - عليهم وعلى نبينا أفضل الصلاة وأتم التسليم - .

ومما يؤكد ما ذهبنا إليه ؛ هو هذا النص « جاء الله من سيناء ، واشرف لهم من ساعير ، واستعلن من جبال فاران »[4] .

---

(١) الفسطاط هو القصر الفخم ، والخيمة الكبيرة العظيمة .

(٢) العهد القديم سفر التكوين الإصحاح ١٦ فقرة ١٢ .

(٣) راجع فى ذلك الشأن مشاهير أعلام الإسلام للعلامة الذهبى - الجزء الثانى - السيرة النبوية ، وبخاصة ما يتعلق بأخبار الكتب السابقة عن نبوته ﷺ بأخر الجزء الثانى من تلك السلسلة المباركة .

(٤) العهد القديم - سفر التثنية الإصحاح ٣٣ الفقرة ٣٠١ .

وبفحص النص : أتضح أنه يحتوى على ثلاث رسالات :

الأولى : لأن الله كلم موسى فى سيناء ، وهو مجيئه ، وعلى موسى أنزلت التوراة ، وتلك رسالة كليم الله موسى بن عمران عليه السلام .

الرسالة الثانية : هى رسالة سيدنا عيسى ابن مريم ابنة عمران عليه السلام . التى كانت فى ساعير (وهى جبال الروم من أدوم)[1] ، ومعروف عند أصحاب العهد القديم : أن إسحاق أنجب عيسو ويعقوب ، وإن يعقوب خدع والده ، واشترى منه بكورتيه[2] ، ثُمَّ أنه غدر بأخيه عيسو ، بجانب خداعه لوالده . ثُمَ هرب يعقوب بعد تلك الخديعة ، إلى بلاد خاله لايات ، حيث عمل عنده ، وتزوج بنته ليئة وراحيل ، » وأدوم هو عيسو ، وجبل ساعير أيضا يجاور القدس »[3] . وفيها كان المسيح ينتقل من بيت لحم إلى الناصرة ، ثُمَّ إلى القدس .

أما الرسالة الثالثة : وهى الإسلام رسالة سيدنا محمد ﷺ . فقد بدأت من فاران ، وفاران هى مكة ، وقد شهدت التوراة بأن « الله أسكن هاجر وابنها

---

(١) الإمام القرطبى – الإعلام بما فى دين النصارى من الفساد والأوهام جـ٣ ص٢٦٥ – تحقيق الدكتور أحمد حجازى السقا – دار التراث العربى . وعمران والد موسى كليم الله غير عمران والد مريم ، كما أن هارون موسى هو ابن أمه ، يعنى أخ له فى الأم ، وهو غير هارون أخ موسى من أبيهما عمران . وكان أكبر منها فى السن ، أما هارون موسى فقد كان الأصغر من نبى الله موسى ، ويؤكد ذلك ظواهر النصوص فى النقل المنزل – القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة الصحيحة – .

(٢) راجع فى ذلك الشأن : الدوافع فى العهد القديم وموقف القرآن الكريم منها (رسالة ماجستير) بمعهد الدراسات البحوث الأسيوية – جامعة الزقازيق للطالبة : نجلاء مصطفى بدوى بإشرافنا قسم مقارنة الأديان .

(٣) سفر يشوع ١٥ نقلا عن المحقق

إسماعيل فاران »[1] . وتلك هى من البشارات بنبوة سيدنا محمد ﷺ . وقد بشرت الأخبار الصادقة - عندهم - به ، ومن كتب اليهود أنفسهم . التى بأيديهم ويحرصون عليها .

وذكر العلامة الإمام القرطبى أن العهد القديم : قد بشر بنبوة سيدنا محمد ﷺ . فقال العلامة القرطبى « وكذلك جاء فى صحف النبى حبقوق . وهو الشاهد المعظم الموثوق . قال : جاء الله من التيمن . وتقدس من جبال فاران . وامتلأت الأرض من تحميد أحمد ، وتقديسه ، وملك الأرض لهيبته ، وقال أيضا : تضىء له الأرض ، وستنزع فى قسيك إغراقا ، وترتوى السهام بأمرك يا محمد »[2] .

ويبدو أن يداً عابسة ، قد امتدت إلى النص بالحذف ، حتى إذا رجعت إليه فى العهد القديم ، لم أجد النص كاملا كما ذكره العلامة القرطبى ، وإنما وجدته هكذا « الله جاء من ثيمان ، والقدوس من جبل فاران . سلاه . جلاله غطى السماوات ، والأرض امتلأت من تسبيحه »[3] . فالحذف الذى طرأ على النص انصب هنا على اسم المبشر به ، وهو سيدنا محمد ﷺ ، ورغم هذا الحذف فابن تيميه يعتمد على النص الذى ذكره العلامة القرطبى ، ويزيد عليه ، مما يجعلنا نؤكد على أن الحذف تم فى مرحلة تالية للمرحلة التى وثّق فيها القرطبى وابن تيميه وأمثالهما الأقوال معزوة إلى مصادرها .

---

(١) سفر التكوين الإصحاح ٢١ فقرة ٢١٠ .

(٢) الإمام القرطبى - الاعلام جـ٢ ص٢١٩

(٣) العهد القديم - سفر حبقوق الإصحاح الثالث - ترجمة جمعيات الكتاب المقدس فى الشرق الأدنى - ط بيروت ١٩٦٣م .

كما أن نقل شيخ الإسلام ابن تيميه هو « وقال النبى دانيـال عليه السلام . وذكـر محمدا ﷺ باسمه فقال: ستنزع من قسيك إغراقا . وترتوى السهام يـا محمد ارتـواء »[1] ، وبغض النظر عن المبشر نفسه أن كان حبقوقا أو دانيالا . أو غيرهما ، فإن القاسم المشترك هو الذى وقعت به البشارة ، وهو النبى محمد ﷺ . مما يجعلنا نقطع به . ونعتمده رأيا فى إثبات صدق خبره ﷺ من الرسالات السابقة عليه . وبخاصة فى اليهودية على ما سلف بيانه .

❁ **وفى تقديرى** : إن العهد القديم . سواء يشر بنبوة سيدنا محمد بن عبدالله ﷺ . أم لم يبشر به ؛ فإن الأمر عندنا سواء . لأنى كباحث قد رأيت العهد القديم والجديد ليسا كتبا سماوية . وهى كتب وضعية ؛ صنعتها أيدى أصحابها . وقد صاغوها كما يحلو لهم . وكتبوا فيها ما يريدون . قال تعالى : ﴿ " فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ يَكْتُبُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَـذَا مِنْ عِندِ اللّهِ لِيَشْتَرُواْ بِهِ ثَمَناً قَلِيلا فَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَّهُمْ مِّمَّا يَكْسِبُونَ" ﴾[2] . أما القرآن الكريم : فقد أخبر أن الله تعالى جعل البشارة بالحبيب محمد ﷺ فى الكتب السابقة . قائمة على ألسنة رسلها . من ذلك : قوله تعالى : ﴿ " وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُم مُّصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَاة ومبشرا برسول يأتي من بعدي اسمه أحمد فلما جاءهم بالبينات قالوا هذا سحر مبين" ﴾[3] .

---

(١) ابن تيميه – الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح جـ٤ ص٣ – تحقيق على السيد صبح المدنى – مطبعة المدنى بالقاهرة .

(٢) سورة البقرة الآية ٧٩ .

(٣) سورة الصف الآية ٦ .

وقد عبر الإمام البوصيرى عن كون الكتب السابقة قد بشرت بنبوة سيدنا محمد ﷺ ، لما كانت تلك الكتب فيها شيء من الصحة ، أما وأنها قد فسدت بعد ذلك، فإنها لا تكون مصدر يمكن الاعتماد عليه فى أى مسألة ، وجاء ذلك فى لاميته المشهورة فقال :

تخبركم التوراة أن قد بشرت ∴ قدما بأحمد أم بإسماعيلا ؟

طوبى لموسى حين بشر باسمه ∴ ولسامع من قوله ما قيلا

وجبال فاران الرواسى إنها ∴ نالت على الدنيا به التفضيلا

مَنْ مثل موسى قد أقيم لأهله ∴ من بين إخوتهم سواه رسولا

تالله ما كان المراد به فتى ∴ موسى ولا عيسى ولا شمويلا

إذ لن يقوم لهم نبى مثله ∴ منهم ولو كان النبى مثيلا[1]

ولو ترك لليراع[2] العنان، وأمكن جمع ما جاد به البيان لغطت البشارات بسيدنا محمد أركان وأرجاء الزمان ، ولكن ما ذكر فيه التبيان . والله وحده المستعان .

---

(١) الإمام شرف الدين محمد بن سعيد البوصيرى – لامية البوصيرى بهامشها إرشاد الحيارى ص٣٤/٣٦ – مطبعة حجازى سنة ١٣٧٣هـ/١٩٥٣م – تعليق الشيخ أحمد فهمى محمد .

(٢) اليراع : هو القلم الناهض بحثا عن العلم تدوينا ، والمعرفة إثباتا وتأكيدا .

ثانيا : فى النصرانية[1]

تحدثت النصرانية الحقة التى جاء فيها عيسى ابن مريم ﷺ – قبل العبث بها – عن البشارة بنبوة سيدنا محمد ﷺ ، حتى صار حديثها عن الخاتم المصطفى ﷺ ، من الأخبار الدالة على كونه رسولا وبين يديه عيسى ابن مريم ﷺ ، مما يجعل القائمين عليها يعترفون بنبوته ، ويصدقون برسالته ، ويوقنون أنه النبى الخاتم ، الذى بشرت به ما بأيديهم من الكتب ، ومن أخبرت عنه النبوات السابقة .

من تلك البشارات :-

(١) دعوة المسيح ابن مريم ﷺ ربه أن يأتى الفار قليط[2] :

يبدو ذلك حينما تجمع الخصوم على المسيح ، وتعاووا حوله من كل ناحية ، وهم يريدون الكيد له . وهو يلتمس النجاة منهم . فإذا به يرفع يديه إلى الله . قائلا : « اللهم ابعث الفار قليط ، ليعلم الناس أن ابن الإنسان بشر »[3] . وليس

---

(١) النصرانية ليست دينا ، وإنما هى اسم مكان نسب سيدنا عيسى ابن مريم ﷺ إليه ، وهو الناصرة ، ولذلك يقال عليه : عيسى الناصرى ، وعلى أهله الذين بعثه الله فيهم : النصارى ، وأهل ذلك المكان : النصرانيين والنصرانيون ، وإذا أطلق على المكان وأهله ؛ سميت النصرانية . أما الدين فهو دين رب العالمين ، من آدم ﷺ إلى سيدنا محمد ﷺ ، وهو الإسلام ، وآيات القرآن الكريم قد أوفت هذا الجانب . راجع المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم عند كلمة « ثُمَّ ستجد كل الأنبياء قد أعلنوها » .

(٢) الفار قليط : كلمة سريانية معناها : الخاتم للنبوات ، والمراد به سيدنا محمد ﷺ . راجع كتابنا : عقيدتنا رفع عيسى ونزوله بين الإسلام والنصرانية .

(٣) أبو جعفر أحمد بن عبدالصمد بن عبيدة الأنصارى الخزوجى بين الإسلام والمسيحية ص ٢٢٠ ط٢ تحقيق د/ محمد شامة – مكتبة وهبة .

إلها كما زعموا . وما زالوا إلى يومنا هذا فى ذات الزعم يسيرون . وفى كنائسهم لتلك الأقوال يرددون . بل أن سفر اشعياء قد نص على اسمه فيقول : « لتفرح أرض البادية العطشى . ولتبتهج البرارى والفلوات . لأنها ستعطى بأحمد محاسن البستان . وستكون مثل الرياض حسنا وبهاء »[1] ،ولما كان دعاة المسيحية يتمسكون بالعهد القديم . ويعتبرونه الأصل الثابت . والعهد الجديد هو المكمل[2] . فقد لزمهم التصديق بما جاء فى ذات العهد القديم . ما داموا هم الذين يعلنون تمسكهم به . ويكون حجة عليهم بكل ما فيه .

(٢) ذكره ﷺ بالصفة :-

من ذلك ما ذكروه أن المسيح قال لتلاميذه : « إن أركون العالم سيأتى . وليس لى شيء . والأركون بلغتهم هو الشخص عظيم القدر . والأراكنة العظماء .. فقول المسيح ابن مريم عليه السلام "أركون العالم" إنما ينطبق على عظيم العالم . وسيد العالم . وقد أخبر أنه سيأتى . فامتنع أن يكون هذا الأركون المسيح أو أحدا مثله . ولم يأت بعد المسيح من ساد العالم وأطاعه العالم . غير سيدنا محمد ﷺ . وهذا من بشارة المسيح به ﷺ »[3] .

---

(١) أبو جعفر أحمد بن عبدالصمد بن عبيدة الأنصارى الخزوجى بين الإسلام والمسيحية ص٢٢٨ ط٢ تحقيق د/ محمد شامة – مكتبة وهبة ، وردت معان عدة للفار قليط منها الحماد ، الحمد ، المخلص يراجع فى هذا الشأن : الجواب الصحيح جـ٤ ص١٥/١٨ ط المدنى .

(٢) القس صموئيل صافور – الكتب المقدس المتكامل ص٤٧ – ترجمة وحيد جرجس .

(٣) شيخ الإسلام الإمام ابن تيميه – الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح جـ٤ ص١٧ – تحقيق على السيد صبح المدنى – مطبعة المدنى بالقاهرة

بل إن إنجيل برنابا : يذكر ذلك فى أكثر من موضع ، ويؤكد عليه ، غير أن دعاة المسيحية لما كانوا يزعمون أن : إنجيل برنابا لم يكتبه أحد من المسيحية[١] . ولا سجله كاتب ممن أعطوا البشارات[٢] ؛ لذا لم أذكر نقولا عنه . وإنما امتفيت بما ذكروه فى كتبهم التى يتمسكون بها .

ما سبق اتضح أن عيسى ابن مريم ﷺ . ومن أمنوا بالله معه قد بشروا بالنبى محمد ﷺ . بالاسم والوصف ، وسائر العلامات ، التى لا تنصرف إلاَّ إليه . ولا تنطبق على أحد بقدر انطباقها عليه . حتى صح القول بأن الأخبار السابقة دالة عليه . وكان ذلك عند كل الأمم التى بعث فيها رسل من عند الله تعالى ، وأنزلت فيها كتب لم يقع فيها التحريف[٣] ، يعرف هذا المتابعون لأحوال الأمم ، المطلعون على أخبار الكتب المنزلة .

بل إن أتباع اليهودية . وأنصار النصرانية ، علموا بخبر بعثته ﷺ . من كتبهم . وعلموا مولده . وطفولته ، كما عرفوا مهجره . وبلوغ دعوته ، وقد أخبر عن ذلك رجالهم فى الماضى ، كما حدث من بحيرا الراهب[٤] ، وورقة بن نوفل . وتحدث عن ذلك أيضا النجاشى ملك الحبشة[٥] ، وغيرهم ممن يطول ذكرهم

---

(١) مجموعة من الأباء اللاهوتين - المسيحية تدافع عن نفسها ص٧٣ - ترجمة هانى رزق - ط استراليا .

(٢) البشارات عندهم هى الأناجيل . والبشيرون هم مؤلفو الأناجيل . راجع مقدمة إنجيل متى . وإنجيل لوقا . والإنجيل كتاب الحياة .

(٣) الأستاذ عبدالباقى حسن - النبى محمد فى الكتب السابقة ص٧١ .

(٤) راجع فى ذلك الشأن : تاريخ العرب ، وظهور الإسلام للدكتور زيادة ، والسيرة الحلبية . والروض الأنف . ومشاهير الإسلام . وغيرها ممن تناول أصحابه السيرة النبوية المباركة .

(٥) النجاشى : لقب يطلق على ملوك الحبشة . وقد أسلم أحدهم . لما بلغته دعوة الإسلام . وأعلن ذلك بوضوح . ودافع عن أهل الإسلام . الذين كانوا قد هاجروا إلى الحبشة . فى الهجرة الأولى والثانية . بل وأرسل بهداياه لسيدنا محمد ﷺ . فقبل بعضها . ورد البعض الأخر . فلما مات هذا النجاشى : صلى عليه رسول الله ﷺ صلاة الغائب . راجع سيرة النبى ﷺ لابن هشام .

والحديث عنهم ، هذا فى محيط من كنا نعتبرهم أهل الكتاب ، سواء من اليهود أم من النصارى .

ثالثا : القرآن الكريم يصدق خبر بعثة سيدنا محمد ﷺ فى الكتب السابقة

(أ) أسمه :-

ومع أن خبر بعثة النبى الخاتم سيدنا محمد ﷺ ، قد بشرت به الكتب السابقة ، إلا أن القرآن الكريم يؤكد على صدق ما أخبرت به - فى ناحية بعثته ﷺ - فيقول الله عز وجل على لسان عيسى ابن مريم عليه السلام ﴿ " وإذ قال عيسى ابن مريم يا بني إسرائيل إني رسول الله إليكم مصدقا لما بين يدي من التوراة ومبشرا برسول يأتي من بعدي اسمه أحمد فلما جاءهم بالبينات قالوا هذا سحر مبين " ﴾[1] ، ويزعم بعض دعاة المسيحية : أنه لو صحت بشارة القرآن الكريم فهى بأحمد وليست بمحمد[2] ، وهم قد وقعوا فى الوهم ؛ لأن سيدنا محمدا ﷺ من أسمائه : محمد ، أحمد ، محمود ، الخاتم ، البشير ، العاقب[3] ، وكلها أسماء له ﷺ ، والغالب على غيرها هو محمد ، أحمد .

(ب) وصفه :-

جاءت الكتب السابقة تخبر عنه ﷺ ، وأنه رسول ، إلا أنه أمى لا يقرأ ، ولا يكتب ، وهو مع ذلك نبى الله ورسول لهداية الناس ، فلما جاء القرآن

---

(١) سورة الصف الآية ٦ .

(٢) القمص - أنطونيوس - الكتاب المقدس يفند مزاعم الآخرين ص١٣١ - ترجمة رزق عبدالنور .

(٣) الشيخ محمد عبدالوارث - النبى الخاتم ص٣٩ .

الكريم ، بين من صفات النبى محمد ﷺ . فقال تعالى ﴿ " الذين يتبعون الرسول النبي الامي الذي يجدونه مكتوبا عندهم في التوراة والانجيل يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر ويحل لهم الطيبات ويحرم عليهم الخبآئث ويضع عنهم إصرهم والاغلال التي كانت عليهم فالذين آمنوا به وعزروه ونصروه واتبعوا النور الذي أنزل معه أولئك هم المفلحون " ﴾[1] .

❁ **من هنا** : اتضح القول بأن الكتب السابقة أخبرت عن سيدنا محمد النبى الخاتم ﷺ ورسالته ، بالقدر الذى جعل خبرها عنه محل القبول من أتباعها ، ولم يجادل فيه إلا مكابر أو جاهل . أو معاند غلب هواه عقله . وسحق شيطانه أمر دينه ، وقد سئل الحبيب المصطفى ﷺ ، فقيل له : « ما كان أول أمرك : قال : دعوة أبى إبراهيم ، وبشرى عيسى ورؤيا أمى ، رأت حين ولدتنى أنه خرج منها نور أضاءت له قصور الشام ببصرى »[2] ، وكان ذلك من أنوار الله تعالى على حبيبه ﷺ .

ويسجل القرآن الكريم على أتباع الرسل السابقين : أنهم كانوا يعرفون سيدنا محمدا ﷺ معرفة كاملة . كمعرفتهم أبنائهم ، أو أشد معرفة منه بأبنائهم . إلا أنهم يكتمون الحق . ويعيشون على الباطل ، الذى شرعته لهم شياطينهم . حقدا على الرسول الكريم ، وحسدا له . قال تعالى ﴿ " الذين آتيناهم الكتاب يعرفونه كما يعرفون أبناءهم وإن فريقا منهم ليكتمون الحق وهم يعلمون الحق من ربك فلا

(١) سورة الأعراف الآية ١٥٧ .

(٢) شيخ الإسلام الإمام ابن تيميه – الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح جـ٤ ص١٧ – تحقيق على السيد صبح المدنى – مطبعة المدنى بالقاهرة ، وراجع كذلك الأعلام للقرطبى ، ومشاهير الإسلام للذهبى

تكونن من الممترين " ﴾[1] . وقوله تعالى ﴿ " الذين آتيناهم الكتاب يعرفونه كما يعرفون أبناءهم الذين خسروا أنفسهم فهم لا يؤمنون " ﴾[2] . لأنهم رغم معرفتهم الكاملة به ، وبكونه نبيا مرسلا من قبل الله رب العالمين . وأنه الخاتم . إلا أنهم جحدوا ذلك كله .

بعد الذى سلف بيانه ، يمكن القول بأن الكتب السابقة تصدق أخبار النبوة اللاحقة لها ، لأنها تحدث عنها ، واللاحقة تؤكد ما سبق ، وظل الحال على ذلك ، حتى جاء النبى الخاتم سيدنا محمد بن عبدالله ﷺ . ومعه الكتاب المهيمن على ما سبقه من الكتب المؤيد لما فيها من أخبار بعثته ﷺ[3] ، بالقدر الذى لا يدع مجالا للشك ، وإنما يسوق كل أدلة التأكيد .

وهذا بعض ما أهاج مشاعر الإمام البوصيرى ، فهتف من أعماقه قائلا :-

واستخبروا الإنجيل عنه وحاذروا	∴	**من لفظه التحريف والتبديلا**
إن يدعه الإنجيل فار قليطه	∴	**فلقد دعاه قبل ذلك إيلا**
ودعاه روح الحق بالوحى الذى	∴	**يوحى إليه بكرة وأصيلا**
فتأمل القول الذى ما أحسنت	∴	**أمم المسيح لحسنه تأويلا**
إذ قال لا يأتيكموا إلا إذا	∴	**أزمعت عنكم للإله رحيلا**
يأتى على اسم الله منه مبارك	∴	**ما كان وعد قدومه ممطولا**

---

(١) سورة البقرة الآيتان ١٤٦/١٤٧ .

(٢) سورة الأنعام الآية ٢٠ .

(٣) من أراد مزيد بيان ، فليرجع إلى كتاب (محمد نبى الإسلام فى التوراة والإنجيل والقرآن) للأستاذ محمد عزت إسماعيل الطهطاوى – ط مطبعة التقدم ١٩٧٢م ، وكتاب الجواب الصحيح لابن تيميه ، وكتاب الاعلام بما فى دين النصارى من الفساد والأوهام للقرطبى ، ومشاهير الإسلام جـ٢ للذهبى .

يتلــو كتابــا بالبيــان كتابــه ∴ وتــرد أمثــالي بــه التــأويلا

وكمـا شـهدت لـه سيشـهد لي إذا ∴ صـار العليـم بمـا أتيـت جـهولا

يبدى الحـوادث والغيـوب حديثـه ∴ ويسوسـكم بـالحق جيـلا جيـلا

والآخـــرون الأولـــون فقومـــه ∴ أخـذوا على العمـل القليـل جزيـلا

والمنحمنـا[1] لا تشـكوا إن أتـى ∴ لكمـو فليـس مجيئـه مجـهولا

وسـل الزبـور وإن فيـه الآن مـن ∴ فصل الخطاب عـن النبـى فصـولا

فـهو الـذى نعـت الزبـور مقلـدا ∴ ذا شفرتين مـن السـيوف صقيـلا

قرنـت شـريعته ببـأس يمينـه ∴ فـأراك أخـذا لكـافرين وبيـلا

فاضت علـى شـفتيه رحمـة ربـه ∴ فاستشـف مـن تلـك الشـفاه عليـلا

ولغـالب مـن حمـده وبهائـه ∴ مـلأ الأعـادى ذلـة وخمـولا

فـى أمـة خصـت بكـل كرامـة ∴ وتفيـأت ظـل الصـلاح ظليـلا

إلي أن يقول

فتـح العيـون العـور لكـن العـدى ∴ عـن فضلـه صرفـوا عيونـا حـولا

أحيا القلوب الغلـف اسمع كـل ذى ∴ صمـم وكـم داء أزال دخيـلا[2]

---

(١) والمنحمنا بالسريانية محمدا ، وهو بالرومية البرقليطس ، صلى الله عليه وسلم - سيرة ابـن هشـام - محمد بن عبدالملك بن هشام ص٢٥١ .

(٢) الأبيات من قصيدته اللامية المشهورة باسم المخرج والمردود على النصارى واليهود للإمام البوصـيرى وبهامشها كتاب إرشاد الحيارى للأستاذ الشيخ أحمـد فـهمى محمـد - مطبعـة حجـازى بالقـاهرة ١٣٧٣هـ/١٩٥٣م ، وهى قصيدة طويلة فى حكم المعلقات ، وتصلح لأن تكون موضوعـا لرسـالة علمية ، أقترح أن يكون موضوعها (جهود البوصيرى فى مقارنة الأديان) .

وبالتالى ثبت أن الأخبار الصحيحة : فى الكتب السابقة قبل تحريفها . قد دلت على كون الرسول محمد ﷺ رسولا ، وذلك مما يعتبر من الأمور التى تثبت بعثته ﷺ .

وأقول أنا أيضا :

وهذه القصيدة محاولة للدفاع عن السنة المطهرة الصحيحة والرد على الذين يحاولون النيل منها سواء كانوا قاصدين أو غافلين ، مع تقديم الاعتذار إلى سيدنا رسول الله ﷺ لعل الله تعالى يقبل منا ، ويقع لنا من شفاعة رسول الله أمرها . فذلك فضل الله تعالى .

ولعل القارئ الكريم يرى مظاهر تلك المحاولة فى سطور العقيدة بادية . ولئن وقعت فى بعض الهنات فذلك شأن الإنسان بما فيه من أوجه نقص يحاول العمل على إصلاحها .

ويشفع لى حبى لسيدنا رسول الله ﷺ وأتباعى لما جاء به . وتعلقى الدائم بحب الله وحب رسوله الخاتم سيدنا محمد بن عبدالله ﷺ . أكرم خلق الله على الله تعالى ، اللهم ارزقنا حسن اتباعه وأكرمنا فى الدنيا بالالتزام ، وحسن الخاتمة . واجعلنا فى الآخرة ممن تنالهم شفاعته ﷺ .

ولئن كانت الظروف الصحية[1] التى تحيط بى تمثل بعض الحوائل . فما يزال الأمل فى الله تعالى قائما وسيظل فى أن يجبر كسرى . ويقيلنى من عثراتى .

---

(١) يعلم الله تعالى أنى ما زلت أعالج بالكيماويات ، والصحة غير مستقرة ، ولست أدرى من أمرها شيئا ، إلا أننى غاية الرضا بأقدار الله – جل علاه – وغاية التسليم له جل جلاله .

ويجعل قبرى منيرا ، ويجعل القرآن الكريم مؤنسى فى وحدتى ، ويكرمنى وأهلى وإخوانى مع أولادى وزوجى بشفاعة المصطفى الحبيب ﷺ ، أنه نعم المولى ونعم النصير .

أنت النبى أنت الرسول	∴	لك الشفاعة معك القبول
أنت حبيب الرحمن ربنا	∴	وأنت الخاتم محبك مقبول
بك أخبر قرآن ربنا	∴	والكتب السوالف كانت تقول
والأنبياء من آدم بشروا	∴	وبالمختار الهاشمى صحت عقول
واستراحت نفوس كانت مفزعة	∴	واطمأنت قلوب كادت تزول
من ذا الذى ينكر نوره	∴	ونور الإله منه الرسول
محمد خاتم الرسل الكرام	∴	ودرتهم أعنتها البوادى والحقول
تجلت عليه أنوار ربه	∴	فانحنت له الجبال الطول
وناجاه الوحش فى أكنانه	∴	والثمار بالأكمام أضحت الصهول
والصحارى القواصى معه تدانت	∴	والهضاب بالقواسى باقت السهول
هلل الكون فرحا لمولده	∴	فأنوارك راحت فيه تصول
أنقذت من الردى أقواما	∴	فصحت عقول وأبصرت حولوا
وحررت وجوها من رقها	∴	كانت متاعا أحاطه التنكيل
فغدت خالصة لوجه ربها	∴	عقيدة يحدوها خلق جميل
نبينا المصطفى تهنا شرفا	∴	ووجه الإله هو المأمول
عفوا رسول الله عفوا	∴	فعقلي صغير وقلبي يجول
وروحي إلي رحابك تواقه	∴	عجزى بينها قد يحول

أغــدو بــالقرآن الكريــم نجيــا ∴ وبالســنة المطــهرة يصــح العليــل

وبحــب النبــى الهــاشمى أزهــو ∴ فأجتـاز الســحاب وفوقــها نزيـل

فمــن كطــه أعــلاه ربـــه ∴ وفــوق المــلأ جـــاءه التـــنزيل

أحببتــك أيــها النبــى المختــار ∴ وحبــى إليــك ســامق يطــول

جئتنــا حقــا بالآيــات البينــات ∴ هــى القــرآن حفــه التبجيــل

وألهمــت ســنة نــورا طــهورا ∴ تسـابق لفهمـها الفصيـح والكليـل

أطلقــت مقيـدا وخصــت عامــا ∴ واسـتقلت بأحكـام معــها التعليـل

فصلـت مجمــلا وضحــت بــهما ∴ هــى والفرقــان للمســلم الدليــل

هـــى والقـــرآن عـــن ربنـــا ∴ قــد عرفــهما الطــاعن والمقيـل

فـــالقرآن حبـــل الله المتـــين ∴ والســنة أنزلهـــا الـــرب الجليــل

ومـــن يفـــرق بـــين أيـــهما ∴ فمدلــس كــذوب عقلــه عليــل

ومــن ينكــر واحــدا منــهما ∴ فملحــد وقولــه بئــس القيــل

آمنــت بــالله تعــالي خــالقى ∴ هــو القــوى وغــيره الهزيــل

عنــد مــولاى الفضــل كلــه ∴ وكثــير غــيره بــالميزان قليــل

واهتديــت بكتــاب الإلــه وســنة ∴ فيـها التكبـير والتحميـد والتـهليل

وأشـــهد أن نبينــــا الخــــاتم ∴ محمـد بـن عبدالله النجـى الخليـل

المصلــى عليــه بــها يؤجــر ∴ ومــن تناســها فــهو البخيـــل

وهــو شــفيعى يــوم الزحــام ∴ حبــه يكـــثرنى وأنـــا القليـــل

» المعجزة :

من الصور التى جاء عليها تصديق الله للمدعى النبوة ، المعجزةِ ، لأنـها أمـر غير مألوف ، يقع من مدعى النبوة رغبة فى تصديقه ، وطمعا فى أن يعرف القـوم أنه من جهـة الله مرسل ، ولذلك عرفوا المعجزة بأنها :

« أمـر خـارق للعـادة مقـرون بـالتحدى ، مـع عـدم المعارضـة »[1] ، وهـو تعريف الفخر الرازى ، ومثله تعريف العلامة السـعد التفتـازانى رحمـهما الله ، وقال أبو الحسن الأشعرى :« هو فعل من الله تعالى ، أو قائم مقام الفعـل ، يقصد بمثله التصديق »[2] .

إذن مأخذ تعريف الإمـام السـعد التفتـازانى والـرازى واحـد ، ولكـن هنـاك تعاريف طويلة ، فيها الوفاء بالغرض للمبتدئ والمتعلم معا[3] .

إذن المعجزة مع النبى هى دليل الصدق ، وعلامة الحـق ، والبَرهـان العقلـى على طالبى دليل ينطق بصدق من أرسل إليهم ، ويطالبهم بالتصديق به ، ولذا رأينا المعجزة تأتى مع كل نبى من أنبياء الله تعالى ، من النوع الذى نبـغ فيـه قومـه ، لا على سبيل الإخبار فقط ، وإنما على سبيل الإعجاز والتحدى أيضا[4] ، وبيان ذلـك

---

(١) الإمام فخر الدين الرازى – محصل أفكار المتقدمين والمتـأخرين ص٢٠٧ – تحقيـق طـه عبدالـرؤف سـعد – الكليات الأزهرية ، وراجع شرح المقاصد للإمام السعد التفتازانى جـ٢ص١٣٠ .

(٢) العلامة السعد التفتازانى – شرح المقاصد جـ٢ ص١٣٠ .

(٣) تعريف الأمدى للمعجزة . راجع كتابنا : عبدالكريم الخطيب وأراؤه الكلامية ، وكتابنا : الغزاليـات فـى السمعيات .

(٤) الشيخ محمد سعيد عبدالعظيم – دراسات فى الإسلام ص١٧٩ .

أن الأمر المعجز لا يأتى إلا على الوجه الذى تدين له العقول السليمة بالإذعان والقبول .

لأنه إذا قال المدعى للنبوة : أنا رسول ، وآية صدقى فى قولى إتيانى بما لا تستطيعون الإتيان بمثله ، ولو كان بعضكم لبعض ظهيرا ، من إحياء الموتى وإبراء الأكمه[1] . والأبرص[2] ، وشق البحر ، وقلب العصا حية ، وغير ذلك من الآيات ، فإذا ما ظهر ذلك على يده مقارنا لدعوته ، قطع كل عقل سليم . ولب مستقيم ، بتصديقه فى قوله وتحقيقه ، وأذعن إلى إتباعه وتقليده[3] . ويكون ذلك من إمارة الصدق على دعواه النبوة .

وكما أن المعجزة حدث فريد ، يجرى على غير مألوف الحياة ، ويخرج على ما بين الأسباب والمسببات من تلازم[4] . فإن تصديق النبى مرتبط بها من هذه الناحية الإعجازية . لأن العقل الصريح يقضى بأن ظهور الخارق للعادة مقارنا لدعوته . وعجز الناس عن معارضته . مع توفر دواعيهم على مقابلته ، وإفحامه فى رسالته ، ينهض دليلا قاطعا على صدق مقالته .

كما أن إظهار البارى جل وعلا ذلك على يده ، مقارنا لدعوته . ينزل مع النبى منزل الخطاب أنه رسول . وأنه صادق فيما يقوله . إذ لو كان ذلك اتفاقا لما وقع على وفق اختياره . وعلى حسب إيثاره واختياره ،إذ هو ممتنع بالنظر إلى

---

(١) الأكمه هو الذى يولد أعمى - مختار الصحاح - باب الكاف والميم والهاء .

(٢) البرص : داء معروف من قديم الزمان . وله ملامح واضحة - أساس البلاغة للزمخشرى باب الباء . وهو لفظ مشترك بين الداء والقمر . ومميزه ما قبله أو ما بعده .

(٣) العلامة الآمدى - غاية المرام فى علم الكلام ص٣٢٧ .

(٤) الأستاذ عبدالكريم الخطيب - النبى محمد ص٥٧ .

الاستحالة العادية ، ولا سيما أن وقع ذلك منه متكررا[1] ، دالا على تصديق الله إياه ، أتيا على وفق مواده ودعواه .

وبهذا ثبت أن المعجزة يمكن أن تكون طريقا ، من طرق إثبات النبوة[2] . وأنها من فعل الله تعالى ، وليست من فعل النبى ، وإن جرت على يديه ، وأنها لا تقع إلا حين تقتضيها ضرورة ، وهذه الضرورة إنما هى الشهادة على صدق النبى ، وأنه مبعوث السماء ومؤيد منها ، بما يشهد له بصدق دعواه[3] ، وأنها تتميز عن غيرها من الخوارق ، باقترانها بالتحدى ، والتصديق للنبى فى دعواه . فثبتت حجة المثبتين للنبوات ، وتهافت شبه المنكرين ، والله غالب على أمره ، ولكن أكثر الناس لا يعلمون .

لذا رأينا أهل السنة والجماعة ، يتمسكون بالمعجزة للنبى على وجه الضرورة ، حتى قالوا : « لابد للنبى من معجزة واحدة تدل على صدقه . فإذا ظهرت عليه معجزة واحدة تدل على صدقه ، وعجزوا - المبعثون فيهم - عن معارضته بمثلها ، فقد لزمتهم الحجة ، فى وجوب تصديقه ، ووجوب طاعته[4] ، وهذا الرأى هو الذى نميل إليه ، ونتمسك به فى إثبات نبوة سيدنا محمد ﷺ[5] ، وإثبات نبوات الأنبياء السابقين عليه ، بحيث تكون شهادة القرآن الكريم لهم ، وحديثه عنهم هو الذى نعتمد عليه فى المسألة .

---

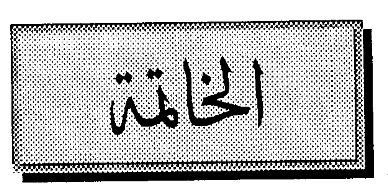
(١) العلامة الآمدى - غاية المرام فى علم الكلام ص٣٢٧/٣٢٨ .

(٢) هذا بخلاف من يذهب إلى أنها الطريق الوحيد لإثبات النبوة .

(٣) الأستاذ عبدالكريم الخطيب - النبى محمد ﷺ ص٦٥ .

(٤) الإمام البغدادى - الفرق بين الفرق ص٢٦٦ .

(٥) لطالب المزيد الرجوع إلى كتابنا : حصاد الاقتصاد فى الاعتقاد جـ٤ - إثبات نبوة سيدنا محمد ﷺ .
وكتابنا : مطاعن أعداء الإسلام على القرآن ولارد عليها ، والنبى محمد للأستاذ عبدالكريم الخطيب ، والنبى الخاتم للزميل الأستاذ الدكتور السيد احمد سويلم ، وسيرة النبى لابن هشام ، والروض الأنف للسهيلى ، وغيرها ممن تعرضت للحديث عن النبوة الخاتمة .



الخاتمة

مما لا شك فيه أن أى عمل يبدأ لابد أن ينتهى ، وبدايته تكون غالبا هى المقدمة ، ونهايته حتما تكون الخاتمة . وما بين البداية والنهاية . إذ المقدمة والخاتمة هى الأصول العامة التى جاء عليها ذلك العمل ، سواء كان ذلك من ناحية الموضوع ، أم من ناحية الغاية ، أم من ناحية الأسباب ، والوسائل التى أدت إلى اكتمال ذلك العمل أو المعوقات التى حالت دون إتمامه .

ولما كان هذا الكتاب متعلقا بالنبوات ، وهى الجزء الرابع من أجزاء العقيدة الإسلامية – لما ورد فى الحديث الشريف – وتؤمن برسله « باعتبار أن العقيدة الإسلامية كل له أجزاء ، جمعها القرآن الكريم والحديث الشريف » ، من ذلك قوله تعالى : ﴿ " آمن الرسول بما أنزل إليه من ربه والمؤمنون كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله لا نفرق بين أحد من رسله وقالوا سمعنا وأطعنا غفرانك ربنا وإليك المصير" ﴾[1] ، وفى الحديث الشريف أيضا : « عن أبي هريرة قال : كان النبي صلى الله عليه وسلم بارزا يوما للناس، فأتاه جبريل فقال: ما الإيمان؟ قال: (أن تؤمن بالله وملائكته وبلقائه ورسله وتؤمن بالعبث). قال: ما الإسلام؟ قال: (الإسلام: أن تعبد الله ولا تشرك به، وتقيم الصلاة، وتؤدي الزكاة المفروضة، وتصوم رمضان). قال: ما الإحسان؟ قال: (أن تعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فإنه يراك). قال: متى الساعة ؟ قال: (ما المسؤول عنها بأعلم من السائل، وسأخبرك عن أشراطها: إذا ولدت الأمة ربها، وإذا تطاول رعاة الإبل البهم في

(١) سورة البقرة الآية ٢٨٥ .

البنيان، في خمس لا يعلمهن إلا الله). ثم تلا النبي صلى الله عليه وسلم: }إن الله عنده علم الساعة{ الآية، ثم أدبر، فقال: (ردوه): فلم يروا شيئا، فقال: (هذا جبريل، جاء يعلم الناس دينهم) »[1] .

إذن إثبات نبوة النبوات – التى بعث بها الله تعالى – والتمسك بها أمر مقرر عندنا نحن المسلمين ،الذين نصدق بكل أنبياء الله تعالى ورسله ، لا نفرق بين أحد منهم أبدا . فكلهم صفوة خلق الله . وأنهم جميعا اختارهم الله . لا نفضل أحدا على أحد إلا بتفضيل الله .

قال تعالى ﴿ " تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض منهم من كلم الله ورفع بعضهم درجات وآتينا عيسى ابن مريم البينات وأيدناه بروح القدس ولو شاء الله ما اقتتل الذين من بعدهم من بعد ما جاءتهم البينات ولكن اختلفوا فمنهم من آمن ومنهم من كفر ولو شاء الله ما اقتتلوا ولكن الله يفعل ما يريد" ﴾[2] .

وما دام الأمر كذلك ، فقد تبين لنا : إن كل نبى إنما هو من جهة الله قائم ، وعلى شرعه حافظ . ولقومه هاد ، وكل ما ورد على ألسنتهم أو قاموا بأدائه . إنما هو من تعاليم الله تعالى . نؤمن بها جميعا . ونتعامل مع ما صح منها على أنه مقدس ، ومعيار صحته عندنا أخبار القرآن الكريم أو الحديث الشريف عن

---

(١) صحيح البخاري – للإمام البخاري – باب: سؤال جبريل النبي صلى الله عليه وسلم عن الإيمان والإسلام والإحسان وعلم الساعة – الحديث رقم: ٥٠ . وروايته « حدثنا مسدد قال: حدثنا إسماعيل بن إبراهيم، أخبرنا أبو حيان التيمي، عن أبي زرعة، عن أبي هريرة قال ... » . وأخرجه مسلم في الإيمان. باب: بيان الإيمان والإسلام والإحسان، رقم: ٩ و ١٠. وأخرجه عن عمر رض الله عنه في الباب نفسه. رقم: ٨.

(٢) سورة البقرة الآية ٢٥٣

صحيحه لقوله ﷺ : « تركتم فيكم أمرين لن تضلوا ما تمسكتم بهما : كتاب الله وسنة رسول الله ﷺ »[1] .

« و عن زيد بن ارقم ﷺ قال : قال ﷺ : "اني تارك فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا بعدي، أحدهما أعظم من الآخر، كتاب الله حبل ممدود من السماء الى الأرض وعترتي أهل بيتي ولن يتفرقا حتى يردا على الحوض فانظروا كيف تخلفوني فيهما" »[2] .

بيد أن هذه الدراسة قد تناولت فيها بيان كمال الإسلام . لأنه الدين الإلهي الوحيد القائم من أول عهد الخليفة إلى أخرها إن شاء الله تعالى ، وعموم ختم الرسالة المحمدية لكافة الرسالات السماوية . ثم ألمحت إلى النبوات والرسالات. وكذلك ما يتعلق بكل ما فيها ، وقد بدا لى أن أهل الإسلام يتفقون فى أغلب القضايا المتعلقة بها ، إن لم يكن فى كلها ، واختلافهم إنما هو فى طريقة التناول . ولغة التعبير فقط ، وتلك ميزات الفكر الإسلامى .

---

(١) رواه الإمام مالك فى الموطأ . ورواه الإمام أحمد بن حنبل فى مسنده - مسند أبي سعيد الخدرى ﷺ. « حدثنا عبد الله حدثني أبي حدثنا ابن نمير حدثنا عبد الملك بن أبي سليمان عن عطية العوفي عن أبي سعيد الخدري قال: قال رسول الله ﷺ :(إني قد تركت فيكم ما إن أخذتم به لن تضلوا بعدي؛ الثقلين أحدهما أكبر من الآخر كتاب الله حبل ممدود من السماء إلى الأرض وعترتي أهل بيتي ألا وإنهما لن يفترقا حتى يردا علي الحوض).» . وراجع سنن الإمام الترمذى -: مناقب أهل بيت النبي ﷺ . - الحديث رقم: ٣٨٧٦

(٢) سنن الترمذي (وشرح العلل) - للإمام الترمذي - مناقب أهل بيت النبي صلى الله عليه وسلم . الحديث رقم: ٣٨٧٦- وروايته « حدثنا علي بن المنذر الكوفي أخبرنا محمد بن فضيل أخبرنا الأعمش عن عطيه عن أبي سعيد والأعمش عن حبيب ابن أبي ثابت عن زيد بن ارقم قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:... » . وقال هذا حديث حسن غريب. . وراجع جامع الأصول من حديث الرسول جـ١ ص٣٧ . وقال رواه مسلم والترمذى .

كما تعرضت لمثبتات النبوة ، وبان لى كذلك أن منكرى النبوات هم مجرد مقلدة لأفكار ظنوها صحيحة ، وما هى فى شيء من الصحة ، بل أن صحيحها فاسدها وسليمها عوار ، وكاملها من كل ناحية ناقص ، وأنهم خالفوا عقولهم ، حينما أنكروا النبوات ، وخاصموا شرع الله تعالى . فكفروا بالله رب العالمين . كما كفروا بعقولهم ، التى اعتبروها رأس ما لهم ، الذى لا ينكشف .

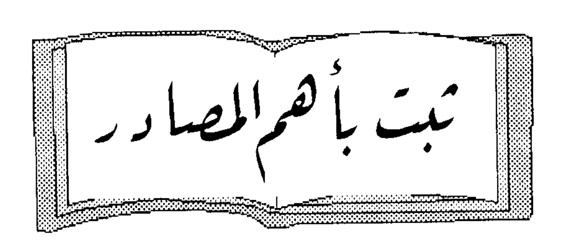
ولا أظن أن ذلك العمل قد خلا من أوجه النقص ، فما العصمة إلا لله . ولمن عصمه من رسله وأنبيائه وكوامل خلقه ، ولا أظنه كذلك قد احتوى أوجه الكمال . إذ ليس من شأن الناقص إنتاج الكامل ، لما هو معروف من أن فاقد الشيء لا يعطيه[1] ، وإذا كان فيه من كمال فهو من فضل الله تعالى ، وإذا كان فيه من نقص ، فهو منى .

واسأل الله جل علاه ، أن يغفر ذنبى ، ويستر عيبى ، ويقيلنى من عثراتى . إنه نعم المولى ونعم النصير ، واسأل كل من يقرأه ، أن يدعو الله تعالى لى بالستر والمغفرة ، وأن يعاملنى بلطفه جل شأنه ورحمته .

كما ألتمس من كل قارئى هذا الكتاب أن يصلح ما يراه خطأ ، ويجبر ما يراه كسرا ، ويستر ما يراه عيبا ، فالكل أمام الله سواء ، وأنا من أولى الناس بالرحمة والمغفرة ، وسؤال الله تعالى الجنة ، فعقيدة الإسلام واحدة ؛ ولذلك فأنا لا أوافق الذين يطلقون عليها لفظ عقائد . لأن لفظ العقائد مصطلح فى غير مفهوم الإسلام . يطلق لدى دعاة فكر اليهودية ، ودعاة اتباع المسيحية باعتبار أنهم يعتقدون عقائد متعددة لا عقيدة واحدة لها أجزاء معينة ، والله ذو الفضل والمنة ، والحمد لله رب العالمين .

---

(١) الناقص هو أنا وكل بنى البشر غير المرسلين ، وأولياء الله الصالحين .



أولا : القرآن الكريم وعلومه

[١] القرآن الكريم

[٢] التفسير القرآنى للقرآن – الأستاذ عبدالكريم الخطيب – ط دار الفكر العربى بمصر .

[٣] تفسير القرآن العظيم للإمام الحافظ عماد الدين أبو الفداء إسماعيل بن كثير القرشى الدمشقى (ت : ٧٧٤هـ) ، وهو غير ابن كثير المالكى عالم القراءات .

[٤] حاشية العلامة الصاوى على الجلالين للعلامة الشيخ احمد الصاوى (ت: ١٢٤١هـ) ط :دار المعرفة بيروت .

[٥] دراسات قرآنية – الأستاذ نصر الله أبو السادات ط دار أبو الفاروق .

[٦] مدارك التنزيل وحقائق التأويل للإمام عبدالله بن أحمد بن محمود النسفى الماتريدى (ت: ٧١٠هـ) وهى عائلة خدمت الإسلام كثيرا .

[٧] روح المعانى فى تفسير القرآن العظيم والسبع المثانى للإمام شهاب الدين السيد محمود الألوسى من علماء المشرق الإسلامى ، ومن أصحاب التفسير الإشارى الصوفى (ت: ١٢٧٠هـ) .

[٨] تنوير الأذهان من تفسير روح البيان للشيخ إسماعيل حقى البروسوى .

[٩] مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير للإمام فخر الدين الرازى (ت:٦٠٦هـ) ط : دار الغد العربى ١٩٩٠م .

[١٠] المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم - الأستاذ محمد فؤاد عبدالباقى .

[١١] لباب التأويل فى معانى التنزيل للإمام علاء الدين على بن محمد البغدادى . شهرته الخازن (ت: ٧٤١هـ) .

[١٢] الوافى فى شرح الشاطبية - الشيخ عبدالفتاح القاضى ط المعاهد الأزهرية .

[١٣] الجامع لأحكام القرآن الكريم للإمام القرطبى أبو عبدالله محمد أحمد الأنصارى (ت: ٦٧١هـ) . وهو غير جامع البيان .

[١٤] التحرير والتنوير للطاهر بن عاشور (ت: ١٣٩٣هـ) وهو من علماء تونس الذين لهم دور بالغ فى الدعوة الإسلامية بالمغرب العربى ، وكتبت عن جهوده رسالة عديدة .

ثانيا : السنة النبوية المطهرة الصحيحة وعلومها

[١٥] صحيح الإمام البخارى بشرح الكردانى .

[١٦] صحيح الإمام مسلم بشرح النووى .

[١٧] سنن الإمام الترمذى أبو عيسى محمد بن سورة (ت: ٢٧٩هـ) ، وراجع تحفة الأحوذى بشرح سنن الترمذى للعلامة محمد بن عبدالرحمن المباركفورى .

[١٨] سنن أبب داود للإمام أبى داود سليمان بن شعث السحستانى الأزدى (ت: ٢٥٧هـ) . وراجع أيضا عون المعبود بشرح سنن أبى داود لأبى الطيب محمد شمس الحق العظيم أبادى ، وقد تم شرح سنن أبى داود كثيرا .

[١٩] الترغيب والترهيب للعلامة المنذرى ذكى الدين عبدالعظيم بن عبدالقوى . وكانت وفاته (ت: ٦٥٦هـ) .

[٢٠] جامع العلوم والحكم للإمام زين الدين أبى الفرج بن رجب الحنبلى (ت: ٧٦٥هـ) . وهو غير جامع بيان العلم وفضله ، للعلامة أبى عمر بن عبدالبر النمرى القرطبى (ت: ٤٦٣هـ) .

[٢١] المقدمة للعلامة الدارمى ، وهى مهمة فى بابها .

[٢٢] شرح الفشنى على الأربعين النووية للعلامة الفشنى .
[٢٣] فتح البارى بشرح صحيح البخارى للعلامة ابن حجر العسقلانى ، وراجع عمدة القارئ شرح صحيح البخارى للإمام بدر الدين أبو محمد محمود بن أحمد العينى (ت: ٨٥٥هـ) .
[٢٤] رياض الصالحين من كلام سيد المرسلين للإمام أبى زكريا يحيى بن شرف النووى الدمشقى (ت: ٦٧٦هـ) .
[٢٥] دراسات فى السنة النبوية للشيخ محمود عبدالعظيم – ط: دار الهدى ١٩٧١م .
[٢٦] التيسير فى أحاديث البشير النذير للعلامة محمد بن أحمد الهمذانى – مطبعة صنعاء باليمن ١٩٤١م .
[٢٧] شرح السنة للإمام البغوى – تحقيق الدكتور الأحمدى أبو النور ، والشيخ صقر.
[٢٨] الإتحافات السنية بالأحاديث القدسية للإمام المناوى .
[٢٩] النفحات السلفية بشرح الأحاديث القدسية للشيخ محمد منير الدمشقى .
[٣٠] التاج الجامع للأصول من أحاديث الرسول للشيخ منصور على ناصف .

ثالثا : المعاجم والسير والتراجم والتاريخ والرسائل الجامعية

[٣١] الاعلام – لخير الدين الزركلى .
[٣٢] معجم المؤلفين – عمر رضا كحالة .
[٣٣] الخطط لعلى مبارك .
[٣٤] لسان العرب – للعلامة ابن منظور (ت: ٧١١هـ) .
[٣٥] المعجم الوجيز – مجمع اللغة العربية .
[٣٦] المعجم الوسيط – مجمع اللغة العربية .
[٣٧] أساس البلاغة للزمخشرى – ط : الشعب .
[٣٨] معجم مقاييس اللغة لأبى الحسين أحمد بن فارس (ت: ٣٩٥هـ) .
[٣٩] قاموس الكتاب المقدس لمجموعة من لاهوتيى الكتاب المقدس .
[٤٠] قطر المحيط للمعلم بطرس البستانى .

[٤١] محيط المحيط

[٤٢] المنجد فى اللغة والأعلام .

[٤٣] القاموس المحيط للفيروز ابادى .

[٤٤] عقيدة تجسيد الإله عند اليهود (رسالة ماجستير) للأستاذ السيد عبدالبديع محمد – معهد البحوث والدراسات الأسيوية جامعة الزقازيق عام ٢٠٠٠م بإشرافنا .

[٤٥] عقيدة الاصطفاء الإلهى عند اليهود (رسالة ماجستير) للأستاذ عبدالباسط حسن عطية خليل – معهد البحوث والدراسات الأسيوية جامعة الزقازيق ٢٠٠٠م بإشرافنا

[٤٦] عبدالكريم الخطيب وآراؤه الكلامية (رسالة ماجستير) للأستاذ الدكتور محمد حسينى موسى محمد الغزالى – جامعة عين شمس عام ١٩٩٢م .

رابعا : مصادر طبية

[٤٧] الطب النبوى للإمام ابن القيم – مطبعة النهضة الحديثة .

[٤٨] الطب فى القرآن الكريم – الدكتور سليمان محمد عبدالباقى .

[٤٩] الإسلام والطب الحديث – عبدالعزيز باشا إسماعيل .

[٥٠] على هامش الطب – الدكتور سليمان عزمى باشا – مكتبة النهضة ٩٤٩ .

[٥١] دائرة المعارف الطبية – الأمراض الشائعة والخطيرة .

[٥٢] قاموس الرجل الطبى للصحة والقوة – دار الهلال بدون .

[٥٣] برنارهالبرت – الحساسية – ترجمة د: يوسف جورجى .

[٥٤] الطب وأمراض الشتاء – الدكتور سالم محمد الطيب .

[٥٥] الحصبة وأضرارها – الدكتور ناصف طلبة .

[٥٦] رؤية طبية – الدكتور فاضل عبدالعظيم .

[٥٧] القاموس الطبى .

[٥٨] الفيروسات الكبدية – الدكتور برهارد يفنر .

[٥٩] اعرف نفسك – الدكتور سبنسر كولز .

[٦٠] الطمث عند المرأة صحة لا مرض – ماكس هورتن .

خامسا مصادر عامة

روعى فى ترتيب المصادر العامة ، أن تكون على حروف الهجاء ، مقدما اسم الشهرة للمؤلف بعد تجريده من حرف الـ ، ثم الوصف الذى غلب عليه ، ثم الاسم الذى دون له ، لأنها الطريقة التى قمت عليها ، وأراها - كغيرى - أقرب منالا من غيرها .

حرف الألف

ابن حزم - شيخ الإسلام

[٦١] الفصل فى الملل والنحل .

ابن تيميه - شيخ الإسلام أحمد بن عبدالحليم

[٦٢] النبوات – المطبعة المنيرية ، ومطبوع أيضا ضمن مجموع فتاوى ابن تيميه

[٦٣] الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح (ط المدنى) .

الآمدى - شيخ الإسلام

[٦٤] غاية المرام فى علم الكلام – تحقيق حسن عبداللطيف .

الألوسى - الشيخ السيد محمد شكرى

[٦٥] بلوغ الإرب فى معرفة أحوال العرب .

الأنصارى - العلامة أبو جعفر أحمد بن عبدالصمد .

[٦٦] بين الإسلام والنصرانية – تحقيق الدكتور محمد عبدالغنى شامة .

الأنصارى - الأستاذ محمد عبدالجواد .

[٦٧] شبهات المنكرين للنبوات والرد عليها

العبد لله - الأستاذ شوكت محمد

[٦٨] الصابئة قديما وحديثا (ط أولى ١٩٥٩م دار مرجان) .

ابن القيم - شيخ الإسلام

[٦٩] مدارج السالكين

ابن خلدون - العلامة عبدالرحمن

[٧٠] المقدمة وعليها بعض التعليقات والحواشى .

۞ **الأمير - العلامة محمد بن محمد**

[٧١] حاشية الأمير على شرح عبدالسلام لجوهرة التوحيد .

۞ **الأفريقى - العلامة الشيخ محمد بن داود**

[٧٢] نظرات فى علوم البلاغة (طالثالثة ١٩٤١م – الدار التجارية بالديار الحجازية) .

۞ **الأسفراينى - العلامة أبو المظفر**

[٧٣] التبصير فى الدين وبيان الفرقة الناجية – تحقيق الشيخ الكوثرى .

۞ **الأندلسى - الشيخ محمد محب الدين**

[٧٤] النبوات (ط٣ دار الصفاء مراكش) .

۞ **الأصفهانى - العلامة**

[٧٥] مطالع الأنظار على طوالع الأنوار ومعهما حاشية السيد الشريف الجرجانى .

۞ **الاصفهانى - العلامة أبو الفرج**

[٧٦] الأغانى

۞ **أبو العزائم - الإمام محمد ماضى**

[٧٧] النور المبين (طالمجلس الأعلى للشئون الإسلامية) .

۞ **ابن سينا - الشيخ الرئيس أبو على**

[٧٨] الإشارات والتنبيهات – تحقيق الدكتور سليمان دنيا .

[٧٩] تسع رسائل فى الحكمة والطبيعيات (نشر دار البستانى)

۞ **إبراهيم - الدكتور صلاح عبدالعليم**

[٨٠] العقيدة فى ضوء القرآن الكريم ط٢ .

۞ **ابن النديم - العلامة**

[٨١] الفهرست

۞ **الماتريدى - شيخ الإسلام أبو منصور**

[٨٢] التوحيد – تحقيق د/خليف

۞ **أدم - الشيخ عبدالقوى محمد**

[٨٣] الحكمة من إرسال الرسل (ط١ أم درمان ١٩٦١م) .

۞ **الأزميرى - الشيخ محمد نصرت**

[٨٤] السالكون طريق الله – المطبعة العثمانية ١٩٢٧م .

❁ **الأشرم - الأستاذ حسانين محمد .**

[٨٥] دراسات فى الفكر الفلسفى – (الطبعة الأولى ١٩٦١م – مطبعة دار منار) .

❁ **أسعد - الأستاذ فتحى محمود .**

[٨٦] دراسات فى المسيحية – التسمية والعقائد ط أولى ١٩٤٢م .

❁ **ابن المكوع - الأستاذ رافع**

[٨٧] دراسات فى الفكر الأشعرى (ط أولى ١٩٤٣م صفاقس)

❁ **الايجى - العلامة عضد الدين .**

[٨٨] المواقف – مكتبة المتنبى .

❁ **الأفريقى - الشيخ عبدالرحمن بن يوسف .**

[٨٩] الأنوار الرحمانية – مكتبة الطباعة والإعلام ١٩٧٦م .

❁ **الأنور - الدكتور محمد جمال الدين .**

[٩٠] أثر العقيدة الإسلامية فى النفوس – ط أولى ١٩٧٣م .

❁ **ابن أبى الشريف - العلامة الكمال .**

[٩١] المسامرة بشرح المسايرة .

❁ **الإنطاكى - العلامة خير الدين سليمان**

[٩٢] أدم وبنوه – ط أولى ١٩٣٣م بالمطبعة الأهلية .

❁ **أبو دقيقة - الشيخ محمود**

[٩٣] القول السديد فى علم التوحيد – تحقيق أ.د عوض الله جاد حجازى – ط مجمع البحوث الإسلامية ١٩٩٥م .

❁ **ابن الكلبى - هشام - ابن السائب .**

[٩٤] الأصنام – تحقيق الأستاذ أحمد زكى .

❁ **البيرونى - العلامة**

[٩٥] تحقيق ما للهند من مقولة مقبولة فى العقل أو مرزولة .

حرف الباء

❁ **الباجورى - شيخ الإسلام إبراهيم محمد عطية .**

[٩٦] حاشية الباجورى على السمرقندية .

[٩٧] حاشية الباجورى على جوهرة التوحيد .

[٩٨] حاشية تحقيق المقام شرح عقيدة العوام .

۞ **البنبنى - الدكتور محمد على**

[٩٩] المعجزات الإلهية المشتركة .

۞ **بيدار - القس صموئيل**

[١٠٠] المسيح الإله – ترجمة القمص حنا رزق

۞ **البنهاوى - الشيخ محمد منصور**

[١٠١] الإسلام شريعة العدل والفضل ط٢ المطبعة الأهلية ١٩٢٣م .

۞ **البغدادى - العلامة شيخ الإسلام**

[١٠٢] أصول الدين

[١٠٣] الفرق بين الفرق .

حرف التاء

۞ **التميمى - العلامة**

[١٠٤] الطبقات السنية .

۞ **التفتازانى - العلامة سعد الدين**

[١٠٥] شرح المقاصد – النسخة الغير محققة .

حرف الجيم

۞ **الجرجانى - العلامة السيد الشريف**

[١٠٦] شرح المواقف – ط دار الكتب العلمية .

[١٠٧] حاشية الجرجانى على الطوالع .

۞ **الجوهرى - الشيخ سلامة عبدالحليم**

[١٠٨] حاجة البشر إلى الرسالة – ط دار توفيق بالموصل ١٩٦١م .

۞ **جبر - الدكتور على محمد**

[١٠٩] محاضرات فى علم الكلام – شركة الطباعة الفنية

۞ **الجوينى - إمام الحرمين عبدالملك**

[١١٠] الإرشاد إلى قواطع الأدلة فى الاعتقاد – تحقيق د: محمد يوسف موسى .

۞ الجسر - الشيخ حسين محمد محمد

[١١١] الحصون الحميدية للمحافظة على العقائد الإسلامية

حرف الحاء

۞ حجاب - الأستاذ أحمد محمد

[١١٢] العظة والاعتبار أراء فى حياة السيد البدوى – ط أولى .

۞ حسن - الأستاذ عبدالفتاح

[١١٣] النبوة والأنبياء ط ثانية ١٩٥٧م .

۞ الحديدى - الدكتور محمد أبو النور .

[١١٤] عصمة الأنبياء والرد على الشبه الموجهة إليهم – مطبعة الأمانة ١٩٧٩م .

۞ حسن - الأستاذ رضوان عبداللطيف .

[١١٥] منكرو النبوات وموقف الإسلام منهم

۞ حسن - الشيخ محمد عبدالباقى

[١١٦] دراسات فى العقيدة الإسلامية

حرف الخاء

۞ الخطيب – الأستاذ عبدالكريم

[١١٧] قضية الألوهية – ط دار الفكر العربى بالقاهرة .

[١١٨] النبى محمد نبى الإنسانية – ط دار الفكر العربى .

۞ الخولي - الدكتور حامد على

[١١٩] النبوة بين المتكلمين والفلاسفة الإسلاميين .

۞ خميس - الدكتور سليمان سليمان

[١٢٠] نحو عقيدة قرآنية – ط أولى ١٣٨٨هـ/١٩٦٩م .

حرف الدال

۞ الدسوقى - العلامة بن أحمد محمد عرفة .

[١٢١] حاشية على شرح أم البراهين .

حرف الراء

۞ الرازى - العلامة فخر الدين

[١٢٢] الأربعين فى أصول الدين - تحقيق الدكتور أحمد حجازى السقا - الكليات الأزهرية

[١٢٣] محصل أفكار المتقدمين والمتأخرين - تحقيق طه عبدالرؤف سعد .

۞ رضوان - الشيخ محمود عبدالوهاب

[١٢٤] أدم بين الخليقة والخلافة ط٣ المؤسسة الوطنية ١٩٦٣م .

۞ **الراجحى - الدكتور عبدالغنى عوض**

[١٢٥] دراسات موضوعية فى ضوء القرآن والسنة - مطبعة المعرفة .

۞ **رضوان - الشيخ أبو الوفا عبدالحكيم**

[١٢٦] بين اللغة والاصطلاح فى الألفاظ والمفاهيم - ط الهادى ١٩٧١م .

حرف الزاى

۞ **زهران - الشيخ محمد محمد .**

[١٢٧] العقيدة الإسلامية وخصائصها - ط الثانية ١٩٦١م .

حرف السين

۞ **سلامة - الشيخ محمود عبدالمتعال**

[١٢٨] خوارق العادات وعلاقتها بالمعجزات ط١ عام ١٩٥٧م .

۞ **السيوطى - العلامة جلال الدين**

[١٢٩] الأشباه والنظائر فى فروع فقه الشافعية .

۞ **سعد - الأستاذ طه عبدالرؤف**

[١٣٠] المرشد الأمين إلى اعتقادات فرق المسلمين والمشركين بهامش المحصل .

۞ **الساداتى - الدكتورة سلوى**

[١٣١] الجماعة الإنسانية - أصولها وتطورها - ط أولى ١٩٦١م - دار الأكرمين بتونس .

۞ **السنوسى - العلامة الشيخ محمد بن يوسف**

[١٣٢] شرح أم البراهين .

۞ **السمعانى - العلامة الشيخ**

[١٣٣] الأنساب – نسخة غير محققة ، وبها بعض الأخطاء المطبعية .
❁ **سلطان - الشيخ نور الدين محمد** .
[١٣٤] الماتريدى – المطبعة الأيمنية بالديار العثمانية ١٩١٩م .

حرف الشين

❁ **الشوكانى - شيخ الإسلام**
[١٣٥] قطر الولى على حديث الولى – تحقيق الدكتور إبراهيم إبراهيم هلال – دار الكتب الحديثة .
❁ **الشهرستانى - العلامة عبدالكريم** .
[١٣٦] الملل والنحل – تحقيق الأستاذ عبدالعزيز محمد الوكيل .
❁ **الشافعى - العلامة الشيخ محمد محمد نووى**
[١٣٧] نور الظلام على شرح منظومة عقيدة العوام – ط الحلبى .
❁ **الشرنوبى - الدكتور محمد لطفى**
[١٣٨] اليهودية (أصولها ومزاعمها) ١٩٥٣م .

حرف الصاد

❁ **صالح - الدكتور عبدالحليم محمد**
[١٣٩] السيرة النبوية جـ٢ – الخلفاء الراشدون .
❁ **صبرى - الشيخ مصطفى**
[١٤٠] موقف العقل والعلم والعالم من رب العالمين ، وعباده المرسلين .
❁ **الصافى - الدكتور محى الدين أحمد** .
[١٤١] محاضرات فى السمعيات – دار الطباعة المحمدية – الطبعة الأولى .

حرف الطاء

❁ **طلب - الأستاذ توفيق محمد**
[١٤٢] النفس الإنسانية – ط أولى دار الوفاء ١٩٦١م .
❁ **الطواف - الأستاذ فوزى محمد**
[١٤٣] لغة العلم فى العصر الحاضر ط عام ١٩٣٩م .
❁ **الطويل - الأستاذ أيمن صالح**

[١٤٤] دراسات فى الفكر الاعتزالى - ط أولى ١٩٨١م .

❁ **الطوانسى - الشيخ محمود خليل .**

[١٤٥] نظرات فى الفقه الإسلامى - الطبعة الثالثة ١٩٦٢م .

❁ **الطويل - الدكتور لطفى عبدالمقصود**

[١٤٦] الوحى فى الإسلام - ط دار محب ١٩٨١م .

❁ **الطماوى - الشيخ عبدالوارث محمد**

[١٤٧] البراهمة والصابئة (قراءة جديدة) ط المكتب التجارى ١٩٢٧م .

حرف العين .

❁ **عبدالعظيم - الأستاذ عبدالباقى محمد**

[١٤٨] سيدنا محمد النور المبين - ط الأنوار ١٩٥٩م دار الحرم الشريف .

❁ **عبدالشافى - الأستاذ سالم محمد**

[١٤٩] الأشاعرة قراءة لفكر زعمائها - ط الثانية ١٩٥٧م .

❁ **عبدالمعز - الدكتور عبدالحميد محمود**

[١٥٠] فلسفة القيم - ط أولى ١٩٦١م .

❁ **عبدالغفار - الدكتور فوزى محمد**

[١٥١] الرسالات الإلهية (دراسة علمية) - ط دار الجبل .

❁ **عبده - الأستاذ الإمام محمد .**

[١٥٢] رسالة التوحيد .

[١٥٣] حاشية على العقائد العقدية .

❁ **عبدالحكيم - الشيخ محمود محمد .**

[١٥٤] الصلاة فى الإسلام - ط أولى ١٩٦٥م - مكتبة الطباعة والأعلام .

❁ **عبدالباقى - الأستاذ محمد أحمد**

[١٥٥] علم النفس العام - ط دار الأندلس .

❁ **عبدالعاطى - الدكتور حسن محمد**

[١٥٦] الفرد والجماعة (دراسة مقارنة) - ط أولى ١٩٨٧م .

❁ **عبدالحكيم - الأستاذ السيد عبدالله .**

[١٥٧] علاقة الفرد والمجتمع فى ظل ظروف الحرب – ط دار النهضة بالسودان .
﴿❁﴾ **عبدالفتاح - الدكتور محمود محمد**
[١٥٨] نظرات فى القانون العام ط الأولى ١٩٧١م .
﴿❁﴾ **عابد - الدكتور عابد منصور**
[١٥٩] دراسات فى العقيدة وعلم الكلام – ط مراكز الثقافة بوزارة الأوقاوف .
﴿❁﴾ **عبداللطيف - الدكتور نصر الدين محمد**
[١٦٠] النبوات – ط الثانية دار منار ١٩٩٥م .
﴿❁﴾ **عبدالباقى - الأستاذ فاضل**
[١٦١] النبوات بين المثبتين والمنكرين – ط أولى ١٩٥١م .
﴿❁﴾ **عبدالواحد - الشيخ محمد صفى الدين**
[١٦٢] نظرات فى سور القرآن – الطبعة الأولى – دار المنصور ١٩٧٣م .
﴿❁﴾ **عبدالجواد - الشيخ فضل الله محمد**
[١٦٣] دراسات فى العقيدة الإسلامية – النبوات ط دار محبوب .
﴿❁﴾ **عبدالعال - الشيخ عبدالكريم محمد**
[١٦٤] سمات الملحدين قديما وحديثا – ط الثانية ١٩٥٥م – الدار المشرفية بأزمير .
﴿❁﴾ **عبدالباقى - الأستاذ حسان محمود**
[١٦٥] النبوة الخاتمة ط٣ ١٩٧٥م .
﴿❁﴾ **العثيمين -الشيخ محمد الصالح**
[١٦٦] عقيدة أهل السنة والجماعة .
﴿❁﴾ **عطوة - الأستاذ فؤاد السيد**
[١٦٧] العرف الصحيح وعلاقته بالعادة الثابتة – ط٢ عام ١٩٤٣م .
[١٦٨] العرف الصحيح ودوره فى القواعد الشرعية – ط أولى – دار الهدى ١٩٤٥م .
﴿❁﴾ **العقاد - الأستاذ أسعد أحمد محمد**
[١٦٩] المقصد الأسنى فى إسراء من دنا فتدلى
﴿❁﴾ **عبداللطيف - الأستاذ محمد محمد**
[١٧٠] حقائق ثابتة فى الإسلام .

حرف الغين

❁ **الغزالي - شيخ الإسلام الإمام أبو حامد محمد بن محمد (٤٥٠-٥٠٥هـ)**

[١٧١] بداية الهداية وبهامشه منهاج العابدين – ط دار الكتب العربية .

[١٧٢] منهاج العابدين – ط دار الكتب . وهو غير منهاج العارفين المطبوع مع القصور العوالى

[١٧٣] القصور العوالى – ط مكتبة الجندى .

[١٧٤] الرسالة اللدنية من مجموعة القصور العوالى .

[١٧٥] مشكاة الأنوار ضمن مجموعة القصور العوالى – مطبعة الجندى .

❁ **الغرباوى - الشيخ منصور محمد**

[١٧٦] حاشية على الرملى على المنهاج – ط أولى بالدولة العثمانية ١٩٢٣م .

❁ **الغرباوى - الأستاذ عبدالوهاب السيد .**

[١٧٧] دراسات فى الفكر الإسلامى الحديث – ط أولى ١٩٧٥ .

❁ **الغزالي - الدكتور محمد حسينى موسى محمد**

[١٧٨] الغزاليات فى السمعيات – ط ٢ آل بسيونى ١٩٩٩م .

[١٧٩] عبدالكريم الخطيب وآراؤه الكلامية – ط آل بسيونى ١٩٩٨م .

[١٨٠] الإيمان بالغيب وأثره على الفكر الإسلامى – ط السادسة .

❁ **غنيم - الأستاذ محمد فتحى**

[١٨١] النبوة والرسالة (قراءة جديدة) – ط دار الموكب بسوسة ١٩٦٩م .

حرف الفاء

❁ **فؤاد - الشيخ محمود محمد أحمد**

[١٨٢] دراسات فى النبوة والأنبياء – مطبعة الدار القومية ١٩٦٣م .

❁ **فكرى - الأستاذ على**

[١٨٣] القرآن ينبوع العلوم والعرفان – ط إحياء الكتب العربية

حرف القاف

❁ **القرطبى - الإمام**

[١٨٤] الاعلام بما فى دين النصارى من الفساد والأوهام – ط دار التراث .

❁ القطان - الشيخ مناع خليل

[١٨٥] الحاجة إلى الرسل - مجلة البحوث الإسلامية الرئاسة العامة لإدارات البحوث بالرياض .

❁ القاعود - الشيخ محمود محمد

[١٨٦] الرسالة الخاتمة وأدلة عمومها - ط الدار الخيرية ١٩٣١م .

❁ القرشي - العلامة أبو الوفا

[١٨٧] الجواهر المضيئة (بدون تحقيق)

حرف الكاف

❁ الكرمانى - العلامة محمد بن خليل

[١٨٨] تاريخ البشرية ط أولى ١٩٢١م - تحقيق السيد النادى .

حرف الميم

❁ المعرى - الشاعر العربى

[١٨٩] اللزوميات

❁ محسن - الأستاذ عبدالصادق محمد

[١٩٠] النبوة بين الأنبياء والأدعياء - ط٢ دار التوفيق باسمرة .

❁ المراكشى- الشيخ يوسف بن خليل

[١٩١] أهل السنة والجماعة ط أولى ١٩٣٩م صفاقس .

❁ متولي - الأستاذ نور الدين محمد

[١٩٢] اليهودية نصوص وقراءات - ط الثانية بمطابع أبو الهول ١٩٦٣م .

❁ موافى - الشيخ محب الدين عبدالعظيم

[١٩٣] دراسات فى النبوة والأنبياء ١٩٣٣م - الدار الأهلية .

❁ المغربى - الدكتور على عبدالفتاح

[١٩٤] إمام أهل السنة والجماعة أبو منصور الماتريدى وآراؤه الكلامية

❁ المغزلاوى - الشيخ محمد بيومى

[١٩٥] الإيمان والإحسان - ط أولى - دار الأنوار ١٩٢٣م .

❁ المالكى - الشيخ محمد بن علوى

[١٩٦] البيت الحرام – مطابع جدة .

❁ **المتولي - الأستاذ توفيق محمد**

[١٩٧] العبادات في الإسلام – ط أولى ١٩٧١م .

❁ **منصور - الشيخ محمد أحمد**

[١٩٨] حاجة البشر إلى الرسالة الخاتمة ط عام ١٩٣٧م .

❁ **محمود - الأستاذ عبدالعظيم حسن**

[١٩٩] القدرات العقلية والفوارق الطبيعية – ط المكتب الفنى ١٩٨٧م .

❁ **محمود - الأستاذ توفيق حسن**

[٢٠٠] دراسات فى النبوات ط٣ عام ١٩٧٣م .

❁ **المقدوح - الدكتورة ليلى بنت محمد**

[٢٠١] الأنا والذات (دراسة سيكولوجية) – ط مكتبة إخوان بتونس ١٩٧١م .

❁ **المرعشى - العلامة**

[٢٠٢] نشر الطوالع – ط الحلبى .

حرف النون

❁ **النشار - الدكتور على سامى**

[٢٠٣] نشأة الفكر الفلسفى فى الإسلام ط دار المعارف .

❁ **النووى - الشيخ تقى الدين أحمد**

[٢٠٤] كرامات الأولياء ومعجزات الأنبياء ط أولى ١٩٤١م .

❁ **نصر الدين - الشيخ محمود محمد**

[٢٠٥] القول الفصل المبين ط أولى ١٩٢١م – المطبعة الخيرية .

❁ **نور الدين - الأستاذ محمد السيد**

[٢٠٦] أثر العقيدة الإسلامية فى النفوس ط أولى ١٩٤١م .

❁ **نصر الله - الأستاذة تهانى عبدالبديع**

[٢٠٧] الإنسان البدائى ثقافته ورغباته – دار الإمبراطور ١٩٦٥م .

حرف الهاء

الهمذانى - القاضى عبدالجبار بن أحمد

[٢٠٨] المغنى فى أبواب التوحيد والعدل – الأصلح – ط الهيئة المصرية العامة للكتاب .

[٢٠٩] التنبؤات والمعجزات – الهيئة المصرية العامة .

[٢١٠] المخلوق الجزء الثامن من المغنى .

[٢١١] شرح الأصول الخمسة .

حرف الواو

الوكيل - الدكتورة منى محمود

[٢١٢] العلم وخطاياه – ط أولى – الدار القومية .

حرف الياء

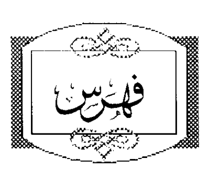
يعقوب - القس - بطرس

[٢١٣] المسيح والمختطفون فيه ط ١٩٤١م .

[٢١٤] الدرر السنية فى الأجوبة النجدية ط٣ عام ١٣٩١م – جمع الشيخ عبدالرحمن محمد قاسم .

[٢١٥] شرح الخريدة البهية فى علم التوحيد

هذا وقد وقع سقط الكثير من المصادر إما من باب السهو - وجل من لا يسهو ، واما من باب التخفيف على جريدة المصادر ، يدرك ذلك من يطالع صفحات الكتاب ، وأسأل الله تعالي الهداية والتوفيق والصواب ، أنه نعم المولي ونعم النصير


فهرس



أولا : في علم التوحيد

[١] الإيمان بالغيب وأثره على الفكر الإسلامي - أطروحة علمية - ط٧ - الأصدقاء ١٩٩٩م
[٢] حبو الوليد فى علم التوحيد - شرح الموقف الخامس للأيجى ط٤ صبحى ١٩٩٨م .
[٣] عبد الكريم الخطيب وآراؤه الكلامية - أطروحة ١٩٩٢ علميه ط٥ آل بسيونى بالزقازيق
[٤] منهج السلف الصالح فى إثبات وجود الله تعالى ط٦ آل بسيونى ١٩٩٨م .
[٥] الغزاليات فى الإلهيات ط٤ الشروق بالزقازيق ١٩٩٨م .
[٦] الغزاليات فى النبوات وخوارق العادات ط١ ال بسيونى ١٩٩٩م .
[٧] الغزاليات فى السمعيات ط٣ - آل بسيونى ١٩٩٨م .
[٨] الغزاليات فى النبوات - ط١ آل بسيونى ٢٠٠٠م .
[٩] الغزاليات فى المعاد وأمور الآخرة ط٢ مطبعة نصر الله ١٩٩١م .
[١٠] المدخل التام لعلم الكلام - أولى آل مخزنجى ١٩٩٨م .
[١١] حصاد الاقتصاد فى الاعتقاد - جـ١ - إثبات الذات الإلهية ط١ آل مخزنجى ١٩٩٨م
[١٢] حصاد الاقتصاد فى الاعتقاد - جـ٣ - الأفعال الإلهية ط١ آل مخزنجى ١٩٩٩م .
[١٣] حصاد الاقتصاد فى الاعتقاد جـ٤ : إثبات نبوة سيدنا محمد ﷺ ط١ صبحى ١٩٩٩م .
[١٤] مطاعن أعداء الإسلام فى القرآن الكريم والرد عليها - ط١ آل بسيونى ١٩٩٩م
[١٥] التأملات على ما في شرح المقاصد من سمعيات جـ١ ط٣ نور الهدى ١٩٩٤م .
[١٦] القضاء والقدر وأثرهما على المسلم ط٣ - آل بسيونى ١٩٩٨م .
[١٧] الإلهيات عند ابن سينا ط٢ - آل بسيونى ١٩٩٨م
[١٨] ذكر الله تعالى فى القرآن والسنة ط٥ - مطبعة الشرق ١٩٩٢م .
[١٩] القسمة والنصيب وعلاقتهما بالقضاء والقدر ط٢ مطبعة الشرق ١٩٩٢م

ثانيا : في الفلسفة والمنطق والتصوف والأخلاق

[٢٠] رياض الأشواق في الميتافيزيقا والأخلاق - ط٤ الشروق بالزقازيق ١٩٩٨م

[٢١] غدوة المشتاق في ربوع الأخلاق - ط٤ مطبعة حبيب بالزقازيق ١٩٩٨م

[٢٢] خواطر حثيثة في الفلسفة الحديثة - ط٤ الشروق بالزقازيق ١٩٩٨م .

[٢٣] أوراق منسية في النصوص الفلسفية - ط٣ صبحي بالزقازيق ١٩٩٨م .

[٢٤] المنطق بين التنظيم والتقنين ط١ الوطنية ١٩٩١م .

[٢٥] مناهج البحث بين التقليد والتجديد ط٣ الوطنية ١٩٩٢م .

[٢٦] أوراق مطوية في التصوف والصوفية ط٥ - آل بسيوني ١٩٩٨م .

[٢٧] انسام حية في الأفكار الصوفية ط٤ الشروق ١٩٩٨م .

[٢٨] قيمة الصراع بين الفلسفة الإسلامية وعلم الكلام ط٤ - آل بسيوني ١٩٩٨م

[٢٩] قضايا حبيسه في الفلسفة الحديثة ط٣ الشروق بالزقازيق ١٩٩٨م .

[٣٠] النديم في المنطق القديم - ط٤ مطبعة آل بسيوني ١٩٩٩م .

[٣١] الوليد المنطق في علم المنطق - التصورات - ط دار حبيب ١٩٩٨م .

[٣٢] الغزاليات في منطق التصديقات - ط١ - آل بسيوني للطباعة والكمبيوتر ٢٠٠٠م .

[٣٣] الغزاليات في منطق التصورات - ط١ - آل بسيوني للطباعة والكمبيوتر ١٩٩٩م

[٣٤] مدخل لدراسة الحكمة الإسلامية - ط١ - آل بسيوني للطباعة والكمبيوتر ٢٠٠٠م .

[٣٥] ملامح الحكمة الإسلامية في المغرب .

[٣٦] التفكير الإنساني ومستوياته ط٢ - آل بسيوني ١٩٩٩م .

[٣٧] الشك في الفكر الإنساني مفهومه ودلالاته ط٣ آل بسيوني ١٩٩٩م .

[٣٨] الولاية في الفكر الصوفي وأصولها الشرعية - ط٢ مطبعة زاهر ١٩٩٥م .

[٣٩] ظاهرة القلق الإنساني بين الدين والعلم ط٣ - رضوان ١٩٩٦م .

[٤٠] نظرية المعرفة عند ابن رشد - بحث محكم .

[٤١] آراء واتجاهات في الدين والفلسفة - ط٢ آل بسيوني ١٩٩٧م .

[٤٢] العلاقة بين بارمنيدس وأفلاطون - ط٤ مطبعة ياسر ١٩٩٥ القاهرة .

[٤٣] قضايا التصوف بين الأنصار والخصوم ط١ مطبعة نصر الله ١٩٨٨م .

[٤٤] التصوف المفترى عليه ط٢ مطبعة المنيرة ١٩٨٩م .

[٤٥] الدلالة بين الأصوليين والمحدثين والمناطقة - ط١ حربي ١٩٩٤م .

[٤٦] في الوجود وعلله - شرح النمط الرابع لابن سيناء - ط٢ مطبعة الهدى ١٩٩٢م .

[٤٧] آراء عبد الكريم الخطيب الفلسفية - أطروحة علمية ١٩٩٣م .

[٤٨] ابن باجة ومذهبه فى الأخلاق - أطروحة علمية ١٩٨٧م .

[٤٩] اثر الحب عند الصوفية على ادباء الرومانسية ط١ مطبعة رزق ١٩٨٨م .

ثالثا : التيارات الفكرية والفرق والمذاهب المقارنة

[٥٠] أوراق متناثرة فى التيارات المعاصرة ط٤ القدس الشريف ١٩٩٨م

[٥١] عقيدتنا رفع عيسى ونزوله بين الإسلام والنصرانية - أطروحة علمية ط٣ آل بسيونى ١٩٩٨م

[٥٢] من وحى البيان فى جماعة الشيطان ط٤ آل بسيونى ١٩٩٨م .

[٥٣] صدع البرهان فى جمهورى السودان ط٣ ياسر ١٩٩٧م .

[٥٤] وميض النصرانية بين غيوم المسيحية ط٥ حبيب ١٩٩٨م .

[٥٥] حفيف الأفنان فى التعريف بالملل والنحل والأديان - ط٤ دار غريب ١٩٩٨م .

[٥٦] مقدمة ضرورية فى نشأة الفرق الإسلامية ط١ آل بسيونى ١٩٩٩م .

[٥٧] رؤية نقدية فى الفرق الإسلامية ط٢ الشروق ١٩٩٦م .

[٥٨] قضايا المسيحية وموقف الإسلام منها - ط٢ مطبعة طارق ١٩٩٣م .

[٥٩] بين المسيحية والإسلام فى القيم والأحكام ط٢ مطبعة حسنى ١٩٨٣م .

[٦٠] علاقة اليهودية الدينية بالعهد القديم ط٣ مطبعة يسرى ١٩٩٤م .

[٦١] اليهودية من الأرض إلى الاعتقاد ط١ مطبعة نصر الله ١٩٨٧م .

[٦٢] العهد القديم بين المفهوم والدلالة ط٣ مطبعة الشرق ١٩٩٣م .

[٦٣] الرد الجميل على شبهات صموئيل ط٢ دار منصور ١٩٩٥م .

[٦٤] الرد المنجار على قول النجار ط١ مطبعة ناصر ١٩٨٢م .

[٦٥] فى التيارات الفكرية - ط١ - آل بسيونى للطباعة والكمبيوتر ٢٠٠٠م .

رابعا : فنون متفرقات

[٦٦] الإسلام وتعبئة الشعور العام - ط١ مطبعة محروس ١٩٩١م .

[٦٧] لماذا انتشر الإسلام ؟ ط٥ الأصدقاء ١٩٩٩م .

[٦٨] الدرة النيرة فى الدفاع عن السنة المطهرة جـ١ مطبعة غريب أولى ١٩٩٢م

[٦٩] حلف الفضول عند العرب وأثره فى العصر الحديث ط٢ صنعاء ١٩٩٧م .

[٧٠] درة المدد بتفسير سورة المسد ط٤ الأنوار ١٩٩٧م .
[٧١] لماذا ينكمش أبناء الإسلام جـ١ - ط٣ القدس ١٩٩٥م .
[٧٢] الخطاب بين الأصوليين ودعاة الحداثة مفهومه وقراءاته - ط١ آل بسيوني ١٩٩٩م .
[٧٣] دور الأعلام المصرى ما بين ١٩٦٥م إلى ١٩٧٣م - أطروحة علمية ١٩٧٩م .

خامسا : الأدبيات

(أ) المسرح

[٧٤] وهذا مذهبي : مسرحية جادة مرتجلة ط٨ آل بسيوني ١٩٩٩م .
[٧٥] أطعموا الجائعين - مسرحية تراجيدية - ط٤ آل بسيوني ١٩٩٨م .
[٧٦] المدرس الكشكول - مسرحية كوميدية هادفة - مطبعة غريب ١٩٩٤م .
[٧٧] ثورة الضمير - مسرحية في اللامعقول - ط٤ مطبعة صبحي ١٩٩٣م .
[٧٨] يا بني . . أحفظ ثأر الشهيد - مسرحية جادة مرتجلة ط٣ عفت ١٩٩١م
[٧٩] صرخة أم - مسرحية هادفة - ط٤ - الشرقية ١٩٩٠م .
[٨٠] أم وأبناؤها في معركة - مسرحية تراجيدية - ط٥ - الوطنية ١٩٨٧م .
[٨١] مراحل الحقد احترقت - مسرحية ملهاه - ط٤ مطبعة ياسر ١٩٨٤م .
[٨٢] الحوار الداخلي والمنولوج النفسي - مسرحية رومانسية ط٤ - غريب ١٩٩٠

(ب) الشعر العربي

[٨٣] التائه الغريب - ديوان في الشعر العمودي ط٧ الأصدقاء ١٩٩٨م .
[٨٤] ظلال من الفكر - ديوان في الشعر المرسل - ط٦ آل بسيوني ١٩٩٩م .
[٨٥] خواطر شاعر - ديوان في الشعر العمودي ط٣ غريب ١٩٩٣م .
[٨٦] نفثة مهموم ودعوة مظلوم - ديوان في الشعر المنثور ط٥ - توفيق ١٩٩١م
[٨٧] أحلام الشباب - ديوان في الشعر المرسل ط١ مطبعة نور ١٩٧٦م .
[٨٨] مسافر عبر الأشواك - الطبعة الخامسة ط الأصدقاء ١٩٩٩م .
[٨٩] من وحي الصبا - الطبعة الرابعة ١٩٩٨م .
[٩٠] أحلام الفجر - الطبعة الخامسة ١٩٩٧م .
[٩١] مسافر على جناح الأشواك - الطبعة الثالثة ١٩٩٧م .

[٩٢] مؤذن الفجر - الطبعة الثالثة ١٩٩٦م .
[٩٣] عواطف نبيلة - الطبعة الثالثة ١٩٩٧م .
[٩٤] فتوحات إلهية - الطبعة الأولى - آل بسيوني للطباعة والكمبيوتر ١٩٩٩م .
[٩٥] إلهامات ربانية - الطبعة الأولى - آل بسيوني للطباعة والكمبيوتر ١٩٩٩م .

☜ (هـ) الرواية

[٩٦] الوداع الأخير : رواية اجتماعية - ط ٥ آل بسيوني ١٩٩٨م .
[٩٧] امرأة المعلم قرني - رواية اجتماعية ط٣ الشروق ١٩٩٧م .
[٩٨] الجاهل متسلطا - رواية نقدية ط٥ مطبعة مرسى ١٩٩١م .
[٩٩] سالمة - رواية اجتماعية ط٤ دار منصور ١٩٩٠م .
[١٠٠] لا تدعني أني . . . رواية اجتماعية ط٣ مطبعة نصر ١٩٨٩م .
[١٠١] مياسة . . رواية اجتماعية ط٤ طنور ١٩٨٧م .
[١٠٢] وداعا أيها اليأس - رواية نقدية ط٢ مطبعة مهيب ١٩٨٥م .
[١٠٣] سلطان الغريزة - رواية من الخيال العلمي - ط٢ - مطبعة الهدى ١٩٨٧م .
[١٠٤] الوجدان المحترق - رواية نقدية - ط١ ١٩٨٢م .
[١٠٥] صراع العقل مع العاطفة - رواية من الخيال العلمي - ط١ مطبعة زهران ١٩٨٣م .
[١٠٦] شيء من الحقيقة - رواية واقعية ط٣ دار ناصر ١٩٨١م .
[١٠٧] منصور البطل - رواية واقعية ط٣ مطبعة زاهر ١٩٨١م .
[١٠٨] الشاب الرزين - رواية خيالية أدبية ط٤ دار ناصر ١٩٨٢م .
[١٠٩] الفيلق الأزرق - رواية نقدية أخلاقية ط٥ دار خيرى ١٩٨٩ .
[١١٠] سويعات في مدارس البنات - رواية نقدية اجتماعية في أنظمة التعليم ط٣ دار ناصر ١٩٧٩م
[١١١] أفراح وأتراح رواية رومانسية ط٦ هشام ١٩٩٠ .
[١١٢] أقسمت أن أروى - رواية نقدية - ط٤ مطبعة محسن ١٩٨٧م .
[١١٣] أشواق وأطواق - ط٣ مطبعة ١٩٧٨م.
[١١٤] الأخلاق أرزاق ط٣ - مطبعة يسرى ١٩٨٨م .

[١١٥] أعابير عزة - ط٤ مطبعة الحاج وحيد ١٩٩١م .

[١١٦] أحلام السحر ط٤ مطبعة خالد ١٩٨٩م .

[١١٧] لمحات من حياتي - ط٤ مطبعة مهيب ١٩٧٨م .

[١١٨] ستشرق الشمس ذات صباح - رواية رومانسية - ط٥ اشرف ١٩٨٢م .

«د» في النقد الأدبي

[١١٩] الأدب الرومانسي بين الأصالة والحداثة - ط١ مطبعة منتصر ١٩٨٦م .

[١٢٠] أثر الأغتراب على الأدباء المعاصرين - ط٣ مطبعة شروق ١٩٨٧م .

[١٢١] فن كتابة المسرح النثرى ط٤ صبحى ١٩٩٥م .

[١٢٢] يوميات في سنوات - ط٦ الكونتنتال ١٩٩٨م .

[١٢٣] أنات حائر : الطبعة الرابعة - الشروق ١٩٩٨م .

[١٢٤] من روائع الحكم والأمثال - ط٣ ياسر ١٩٩٠م .

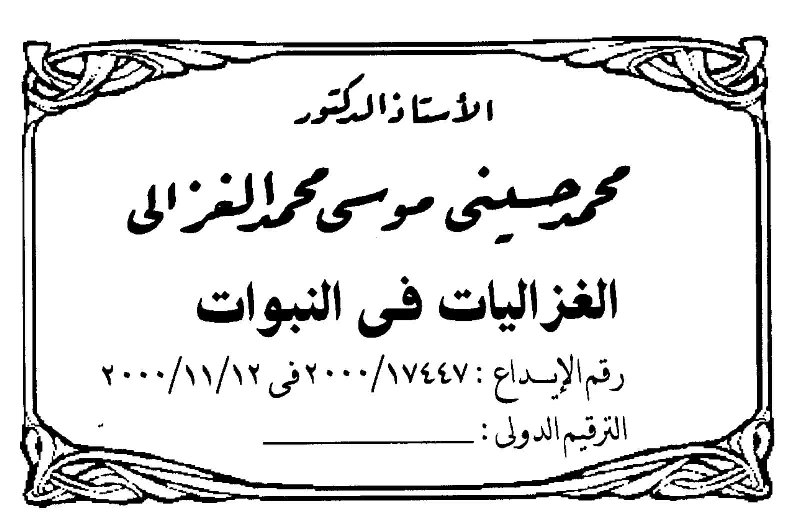
[١٢٥] أنغام زجلية - ديوان في زجل العامية ط٤ دار توفيق ١٩٨٥

مع تحيات

آل بسيوني للطباعة والكمبيوتر

غزالة - الزقازيق - شرقيه

☎ : ٠٥٥/٣٨٤٠٠٨

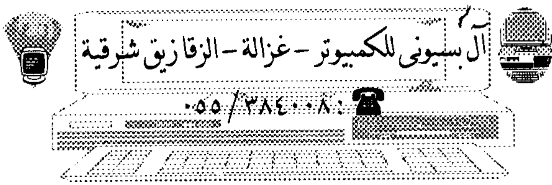


الأستاذ الدكتور

محمد حسيني موسى محمد الغزالي

الغزاليات في النبوات

رقم الإيداع : ١٧٤٤٧/٢٠٠٠ في ١٢/١١/٢٠٠٠
الترقيم الدولي : ________





محاولة لإعادة القراءة فى بعض أجزاء الخطاب الدينى ، والنظر فيها من خلال منظور يجمع بين القديم الموثق ، والجديد القائم على نظريات العلم الحديثة ، التى نالت القبول من القائمين على الأمرين معا .

ثمَّ إن الحديث عن كمال الدين الإسلامى ، وكونه عالميا من الأمور المتواترة عند أهل العلم والمحققين ، على وجه الخصوص ، كما أن إثبات النبوات الإلهية . والرسالات الربانية ، قائمة على التواتر أيضا ، وإما إثبات نبوة سيدنا محمد e ، فقد كانت هى التواتر والمتواتر معا .

ثمَّ إن الإبحار خلف مثبتات النبوة ، والغوص بحثا عن مثبتات مستجدة طبيعة العقلية الإسلامية ، التى يضع صاحبها فى حسبانه ؛ إرضاء الله تعالى ، وذلك يستلزم عرض شبهات المنكرين لها والرد عليها معا .

لذا فإن هذا الكتاب قد حاول صاحبه التزام البحث الموضوعى الجاد ، أملا من الله الثواب ، ومن أهل العرفان بالله الصفح ، ومن أهل العلم الدعاء ، وما ذلك على الله بعزيز .

الأستاذ الدكتور

محمد حسينى موسى محمد الغزالى